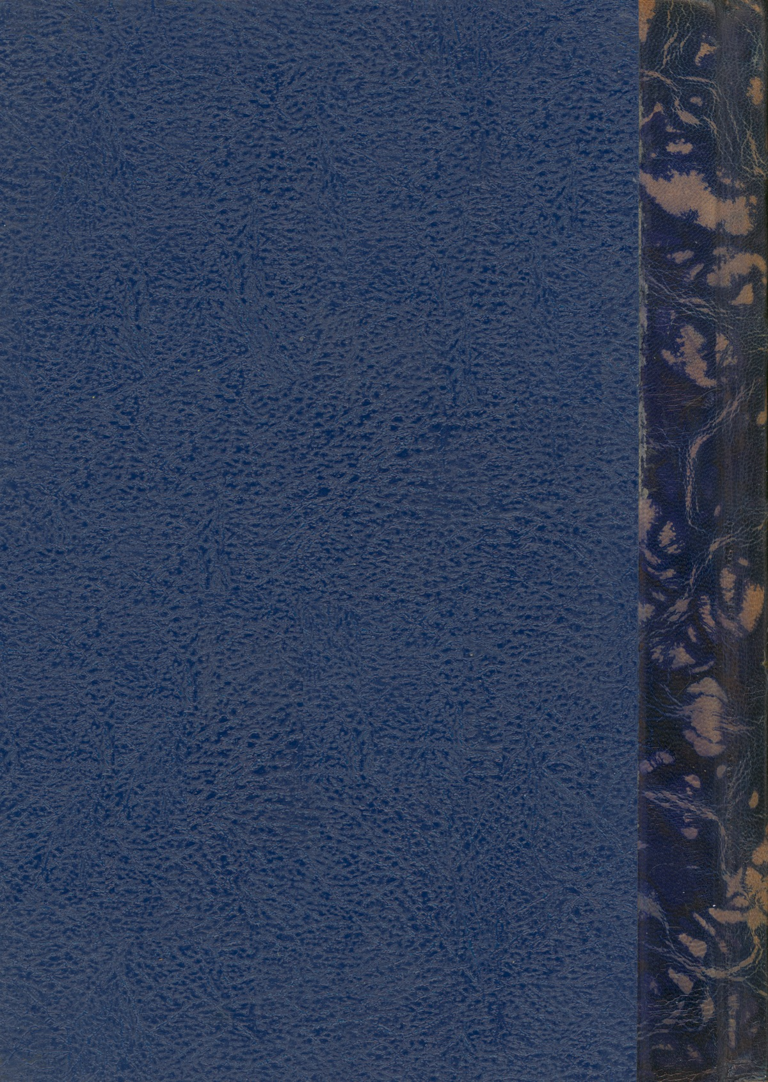




بحوث ودراسات :

- الأساليب الشائعة للتنشئة الاجتماعية في الريف المصرى
  الدكتور محمود عبد القادر و الهام عقيفى

- أوضاع عمال التراحيل ومشاكلهم في مصر
  الدكتوره رقيه مرشدى

- النموذج وبناء النظرية السوسيولوجية
  الدكتوره ناهد صالح

- كفاءة الإتجاه الوظيفى فى دراسة التغير الاجتماعى .
  على ليله

- مؤتمرات

- كتب جديدة

- رسائل جامعية

العدد الأول   يناير ١٩٧٥   العدد الثانى عشر

المجلة الاجتماعية القومية

المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية
بريد الجزيرة ـ القاهرة

ثمن العدد	تصدر ثلاث مرات في العام	الاشتراك عن السنة (ثلاثة اعداد)
ثلاثون قرشا	يناير ، مايو ، سبتمبر	ثمانون قرشا

المجـلة الاجتماعية القومية

المجلد الثانى عشر العدد الاول

ينـاير ١٩٧٥

محتويات العـدد صفحة

تقترح هيئة تحرير المجلة ان يراعى فيما يرسل اليها من مقالات الشكليات الاتية :

١ ـ ان يذكر عنوان المقال موجزا ، ويتبع باسم كاتبة ومؤهلاته العلمية وخبراته ومؤلفاته فى ميدان المقال او ما يتصل به ٠

٢ ـ ان يورد فى صدر المقال عرض موجز لرؤوس الموضوعات الكبيرة التى عولجت فيه ٠

٣ ـ ان يكون الشكل العام للمقال :
- مقدمة للتعريف بالشكلة ، وعرض موجز للدراسات السابقة :
- خطة الدراسة
- عرض البيانات التى توافرت من البحث ٠
- تحليل البيانات وتفسيرها ٠
- مناقشة النتائج ٠

٤ ـ ان يكون اثبات المصادرعلى النحو التالى :
- للكتب ٠ اسم المؤلف ، اسم الكتاب ، بلد النشر ، الناشر الطبعة ، سنة النشر ، الصفحات ٠
- للمقالات من مجلات : اسم المؤلف ٠ عنوان المقال ، اسم المجلة (مختصرا) ، السنة ، المجلد ٠ الصفحات ٠
- للمقالات من الموسوعات : اسم المؤلف ، عنوان المقال (اسم الموسوعة) تاريخ النشر ٠

وتثبت المصادر فى نهاية المقال مرتبة حسب الترتيب النهائى لاسماء المؤلفين ٠ وتورد الاحالات الى المصادر في المتن في صورة ٠ (اسم المؤلف ، الرقم المسلسل للمصدر الوارد فى نهاية المقال الصفحات) ٠

٥ ـ ان يرسل المقال الى سكرتارية تحرير المجلة منسوخا على الآلة الكاتبة من اصل وصورتين على ورق كوارتو ٠ مع مراعاة ترك هامشين جانبيين عريضين ، ومسافة مزدوجة بين السطور ٠

دراســة ميدانيـــة عن

الأســاليب الشــائعة للتنشــئة الاجتماعية فى الريف المصــرى *

الدكتور محمود عبد القادر محمد على ، الهام عفيفى

تعـريف بالبحــث

هــذا البحث يعــبر عن دراســة ميدانيــة عــن أساليب التنشــئة الاجتماعية فى الريف المصرى واثرها فى شخصية أطفال الريف · وضعت خطته منــذ عام ١٩٦٨ كمشروع قومى لدراسة شاملــة ومتعمقة عن تربيــة الطفــل وشخصيته فى الريف المصرى ـ بعــد أن توافر لــدى المكتبــة النفســية الاجتماعية فى مصر تراث لا بأس به من الدراســات المماثلة عن الحضر خصوصا مدينة القاهرة الكبرى ، وقــد قسمت هذه الخطة الى مراحــل ، تبدأ أولها بعملية توثيق لجميع الدراسات المتعلقة بالتنشئة أو المرتبطة بها فى المجتمع المصرى ، والمرحلة الثانيــة تتضمن أدوات الدراســة ، وهى تمثــل اســتخبار لاتجاهات الوالدين نحــو تنشــئة الطفل ، يتكــون من قسمين ، أحدهما خاص بالوالدة والاخر خاص بالوالد ، ومقياس لاتجاهات الطفل والمراهق نحو والديه ، ومقياس متعدد الأوجــه للشخصية (الطفل والمراهق أيضا) ولقد امتدت هذه المرحلة من منتصـــف عام ١٩٦٨ حتى منتصف عام ١٩٧٥ حيث مرت هذه الأدوات بمراحل متعددة من التصميم وتحليل الواحدات والثبات والصدق على عينات ممثلة من الريف والى حد ما الحضر المصرى · ثم بدأت المرحلة الثالثة فى صيف عام ١٩٧٠ باختيــار

(*) تتكون هيئة البحث من الدكتور محمود عبد القادر مشرفا ـ خبــير أول بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية والسيدة الهام عفيفى عضوا وسكرتيرا فنيا للبحث ـ باحثة بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ·

(**) صاغ التقرير الدكتور محمود عبد القادر ·

عينة ممثلة للريف المصرى (الوجه البحرى) تتكون من ٧١٢ أسرة موزعة على معظم محافظات الوجه البحرى ، حيث انتخبت من كل محافظة ثلاث قرى بناء على شروط معينه · وطبقت أدوات الدراسة على الاباء والامهات في هذه الاسرة حيث كان يشترط لتطبيق مقاييس الشخصية والاتجاهات على هؤلاء الابناء ان يكونوا ملتحقين فى مدارس اعدادية (او فى الصف الاخير من المدرسة الابتدائيه) ليتسنى لهم الاجابه على فقرات هذه المقاييس التى وضعت خصيصا ابناء على مواصفات معينه واستخرجت معاييرها فى الريف والحضر على هذا الاساس (للاعمار من سن ١١ سنة الى ١٥ سنة)

واستكملت المرحلة الثالثة ــ بعد انتهاء العمل الميدانى خلال عام ١٩٧١ وصيف عام ١٩٧٢ ــ بالتحليل الاحصائى لاستجابات جميع أفراد عينة ، الدراسة سواء كانوا آباء او أمهات أو ابناء · وفيما يتعلق باستخبار التنشئة الاجتماعية ، فقد حللت استجاباته بناء على مفردات مقياس المكانة الاقتصادية والاجتماعية للاسرة الريفية الذى أعد خصيصا لهذا الغرض وأرفق بالاستخبار · وتبين أن أهم مؤشرات هذا المقياس وأكثرها اتصاقا بأساليب التنشئة الاجتماعية هى متغيرات : تعليم الأم ، تعليم الاب ، مهنة الاب وحجم الحياة ، عمر الوالدين ، عدد أفراد الاسرة (حجمها) · كما حللت بيانات الاستخبار فى نطاق متغير جنسى الطفل حيث يفترض أن الاساليب التى يتبعها الوالدان فى تنشئة الطفل قد تختلف باختلاف جنسه ·

والتقرير الحالى ــ وهو الأول فى هذه لدراسة ــ سوف يتناول ثلاثة مواقف رئيسية هى الرضاعة والفطام والنظام ، وذلك من خلال استجابات الامهات على أن تتولى التقارير التالية مهمة عرض بقية نتائج هذه الدراسة تباعا ·

(*) من المفروض أن تبدأ الوحدة بالمرحلة الرابعة والاخيرة من هذا البحث بعد استكمال كتابة التقارير النهائية للمراحل السابقة · وسوف تركز هذه المرحلة على ريف الوجه القبلى وبعض المجتمعات البدوية خصوصا الصحراء الغربية ، على أن تستخدم نفس المنهج والادوات ·

التقريـر الاول

مواقف الرضاعة والفطام والنظام*

المشكلة والهـدف :

لا شك أن موضوع تنشئة الطفل يعتبر قاسماً مشتركاً بين الدراسات السيكلوجية والانثروبولوجية والاجتماعية والثقافية ، وأنـه فى الامـكان تناوله من احدى هذه الزويا ، ولكن الافضل تناوله من اكثر من زاوية حتى تأتى نتائج الدراسة متكاملة بقدر الامكان .

ومهما كانت الزوايا التى يعالج بها هذا الموضوع المتشعب ، فانـه فى النهاية يمكن النظر الى النتائج من خلال الزوايا الاخرى لاحداث الحد الادنى من التكامل المطلوب . واذا كان موضوع التنشئة الاجتماعية يدخل برمته فى نطاق البحوث الاساسـية للعلـوم السـلوكية بصـفة خاصـة والانسانية بصفة عامة ، الا ان تطبيقاته تكاد ألا تقع تحت حصر ، ويكفى ان نتائج أى دراسة ميدانية عن هذا الموضوع يمكن ان تنظم بسهولة داخل اطار النظريات السلوكية المعاصرة وتحدث فيها التعديل وتمدها بمؤشرات مناسبة لتدعيمها أو تعديلها على النحو الذى يتفق مع تنبؤ هذه النظريات وطبيعة النتائج المستقاة .

وفى الدول النامية ــ مثل مصـر ــ تعتبر مثل هذه الدراسـات اكثر من ضرورة نظرا لمـا يمـكن ان يترتب عليها من نتائج نظريـة وتطبيقيـة متعددة . فمن الناحية النظرية يمكن اثراء النظريات السلوكية والمستعاره من الخارج لتعديلها على النحو الذى يتفق وطبيعة مشكلاتنا الاجتماعية والسلوكية المختلفة فى محاولة تمصيرها أو تقننها على بيئتنـا ومشكلاتنا المحلية وما يمكن ان يترتب عنه من ظواهر قد لا تكون واضحة فى المجتمعات التى نشأت فيها هذه النظريات المستعارة .

(*) صاغ هذا التقرير الدكتور محمود عبد القادر ــ المشرف على البحث خـلال شهر يوليو من عـام ١٩٧٢ .

ومن الناحية التطبيقية ، فانه واضح لنا جميعا ، أن اكثر التحديات التى تواجه التنمية الاجتماعية التى هى هدف المجتمع ، تكمن فى الانسان . هذا الانسان المصرى الذى ما زال اسير تربية تقليدية كانت تخدم اهدافا مجتمعية لم يعد للكثير منها وجود فى عصر السيبرنتيك والفضاء ، وكانت تدعم قيما لعل الكثير منها لم يعد له وظيفة بل اصبح بعضها معارضـا للقيم العصرية ، وكانت فى النهايـة تكسب الانسـان المصـرى شخصيته المميزة التى شكلت لتواجه ظروفا معينة بهدف التكيف معها ، ولعل الكثير من هذه الظروف قد تغيرت وتبدلت ومن ثم أصبح أكثر من جانب من جوانب هذه الشخصية الاجتماعية المكتسبة غير مؤهل اجتماعيا ونفسيا وثقافيـا منذ البداية ـ أعنى منذ تشكله وتطبيعه اجتماعيا للمواءمة مع هذه الظروف بل والاهم أن ظررف العصر تتسم بالتغير السريع والاستقلال والتحـرر والتوقيت المرهف وتطوير الكلاسيكية و ... الخ ، وتدل مشاهداتذ اليومية أننا او الكثير منا لم يعد ابناءه لهذا كله أو حتى بعضه ومن هنـا كانت أزمة الانسن ومجتمعه فى عصر لا يعرف التوقف أو الجمود ، فى عصر أساسه الدينامية التغير والتجديد والتطور .

وتربية الطفل أو التنشئة الاجتماعيـة على هذا النحو تتضمن اهم العمليات (١) الى يستطيع بها الوليد البشرى المزود بامكانيات سلوكيـة فطرية ان يتطور وينموا سـلوكيا واجتماعيـا بحيـث يصـبح شخصيـة اجتماعية تعمل وفق احكام جماعتها ومعايير ثقافتها ومن ثم فان هـذه العمليات تتضمن تعليم الطفل طرق التعبير الاجتماعى عن الدوافع المختلفة واشباعها بأساليب معترف بها اجتماعيا ، حتى يستطيع عن طريق هـذا الاعتراف ان يتوافق مع نفسه ومع البيئة التى يعيش فيها .

وبديهى ان عملتى التعلم (او التـدريب) والتوافق لا تتـم الا عن

---

1) Th. M. Newcomb : « Social Psychology » London : Tavistock Publications, 1952, PP : 475-476.

طريق تفاعل الطفل (٢) الدائم مع البيئة الاجتماعية الموكل اليها القيام بهذه العملية ، الاسـرة • اذ هى ـ نهـاية عن المجتمع ـ تحدد له أهم المواقف الاجتماعية التى يقابلها ابـان سنى طفولته ، واتجاه ومـدى تفاعله مـع هذه المواقف ومعايير توافقه فيها •

ومن جهة أخرى فان التنشئة الاجتماعية على النحو السابق تمثـل ابرز جوانب التراث الثقافى فى أى مجتمع سواء كان تقليديا أو حديثا • وهى كوحدة ثقافية تتضمن الافكار التقليدية (٣) التى تستبقى عبر الاجيال بعد ان ثبت صلاحيتها لتشكيل افراد المجتمع وفق التقاليد السائدة فيـه وما يعزى اليها من قيم وعادات ومحرمات وقواعد مختلفه •

وما يهمنا التركيز عليه فى هذا الجزء من البحث هو تعريف موقفى الرضاعة والفطام ومناقشة المؤثرات التى يفترض أنها تتعلق بهمـا أكثر من تعلقهما بغيرها من المؤثرات على وجه العموم ، وفى الريف على وجه الخصوص •

فاذا تناولنا المسلسل الزمنى لتتابع مواقف التنشئة نجـد أن الموقف الأول الذى يواجه الطفل هو الرضاعة بحكم تكوينه الجسمى واستعداده الفطرى ، وفيه يعتمد الرضيع كلية على أمـه او من يقـوم مقامها ، حيث يكفل له هذا الارتباط والاعتماد استمرار وجوده على المستوى البيولوجى فى صورة اشباع حاجاته المتجددة للغـذاء وما يمـكن ان يترتب عن ذلك من حاجات سيكولوجية مختلفة •

وبديهى أن موقف الرضاعة لا يقتصر فقط على مجرد رضاعة الطفل بالاساليب المختلفة • فهناك تنظيم ما لهذه العملية من قبل الام او من يقوم

---

2) I. Child : Socialization. In G. Lindzy (Ed.) « Handbook of Social Psycology » Vol. II, N.Y. : Addison-Wesley, 1954, PP. 655 - 660.

3) C. Kluckhohn : « Culture and Behavior » In G. Lindzy (Ed.) « Handbook of Social Psychology » Vol. II. N.Y. : Wesley, 1954, PP. 921 - 967.

مقامها ، سواء ادركت ام لا ٠ فقد يشيع فى ثقافة ما ترك مطلق الحرية للطفل فى توقيت الرضاعة وتحديد كميتها وعدد وجباتها ، وقد يشيع فى ثقافة أخرى وضع قيود معينة على ذلك بدرجات مختلفة ٠ وخلال عملية الرضاعة نفسها تتفاعل الام مع طفلها بشكل أو بآخر سواء عن طريق تبادل النظر او الملاغاه (الهدهدة) ٠ وقد يستجيب الطفل لذلك باستجابات مختلفة حسب ظروف هذا التفاعل وزيادة حدة دافع الجوع عنده واذا كانت عدد مرات الرضاعة تمتد الى أكثر من ثمانى مرات عند ولادته، وتستغرق كل رضعة بين خمس وعشر دقائق ، يقل عددها بالتدريج بزيادة عمر الرضيع مع زيادة كميتها وما يتبع ذلك من زيادة الفترة التى تستغرقها كل رضعة بحيث قد تصل فى الاسابيع المتأخرة من عمره الى حوالى عشرين دقيقة ، واذا كان الرضيع يقضى أغلب اوقات ما بين الرضعات نوما ، تقل عدد ساعاته بتقدمه فى السن ، فان فترات يقظته سواء قصرت أو طالت تستدعى من الأم وجودها معه أو بالقرب منه خصوصا عندما يصرخ او يبكى سواء لاشباع حاجات بيولوجية أخرى أم لاشباع حاجات سيكلوجيه جديدة ـ كما سنرى ـ اشتقت او اكتسبت من اشباع الدافع الفطرى للجوع ٠ كل هذه وغيرها مواقف فرعية مترتبة عن الموقف الأساسى للرضاعة ٠

وقرب نهاية هذا الموقف على الأم ان تتخذ قرارها بفطامة ، أى تعليمة كيف يستبدل العادة الفطرية للمص بعادة اخرى جديدة وهى تناول الاطعمة غير السائلة بالطريقة العادية ٠ ولعل هذا الموقف يعتبر أول ما يواجه الطفل من صدمات فى حياته ، نظرا لان الأم أو من يقوم مقامها تعمل على انطفاء Extenction عادة فطرية بالغة التدعيم لتحل محلها عادة جديدة تماما على الطفل ٠ ومما يزيد الأمور صعوبة بالنسبة للطفل أن هذه العادة الفطرية المدعمة بشدة لا ترتبط فقط بمجرد الوجود البيولوجى له ، بل تتضمن أيضا معنى وجوده السيكولوجى المستحدث والذى اكتسب من خلال اشتراط عمليات الاشباع البيولوجى بالام ٠ فالام التى تمثل بالنسبة له ـ بالاضافة الى استمراره البيولوجى ـ مصدرا الاشباع

حاجات سيكولوجيه جديدة -وهى الحب والأمن والاعتماد ، تهتز صورتهـا بشدة عنده بتغير اساليب تغذيتـه من الرضاعة الى المضغ ، حيث يصحب العادة الجديدة لتنـاول طعامه الجديـد تغير علاقتـه بالموضوع وبالطبع يختلف نتائج هذا الموقف الفرعى ــ اى الفطام ــ باختلاف أساليبه ، سـن الطفل عند بداتيه ، المدة التى تستغرقها عملية الفطام ، والقرارات المختلفة التى يمكن ان تتخذها الام بهذا الخصوص والتى يعتبر عدم التردد (١) فى العودة بالطفل الى الاسلوب الاول (العادة الاولى) تحت الحاحه ومهما كانت الظروف ٠

وهذا الموقف المتشعب على بساطته كما يبدو ، يترتب عليه النتائـج ابلغة الاهمية (٢) بالنسبة للنمو النفسى للطفل بعد ذلك وما يمكن ان يتمتع بهمن ثبات انفعالى ومن معالم مميزة لشخصيته الاساسية ٠ وهنا تختلف النظريات المتعددة فى تفسير ما يترتب عن كل نـوع من أنـواع أسـاليب الرضاعة والفطام من آثـار على هذه الشخصية ٠ فالرضاعه من الثـدى مثلا والانهمار فيها Over Indulgence قد يترتب عليه تدعيم نوع الخلق Oral Character كما اوضحت ذلك فريدا جولد مان ايسلر F. G. Eisler كما ان رضاعته من غير الثدى (الوسائل الصناعية) قد يتـرتب عليهـا تدعيم سمات أخرى حسبدرجات الاشباع والقيود عليها، وكلما كانت القيود صارمة وقلت فرص الاشباع الفمى قد يترتب عن ذلك ظهور دلائل للاضربات الانفعاليـة كما أوضـح ذلك ليـفى وسـيرز S. Levey & R. R. Sears من تحقيقهما لبعض الفروض المشتقة من نظرية التحليل النفسى وتتعارض الاراء والنظريات ونتائج البحوث العلمية حول آثار الفطام على شخصـية

---

1) R. R. Sears « Pattern of Child Rearing » N. Y. : Row-Peterson, 1957, PP. 67-75.

2) F. G. Eisler « Breast Feeding and Character Formation » In C. Klockhohn & M. A. Murray (Eds.) « Personality in Nature, Culture and Society » London : A. Knopf, 1956, PP. 146-184.

3) R. R. Sears « Survey of Objective Study of Psychoanalytical Conepts » N. Y. : S. S. R. C. 1947, PP .3-7.

الطفل باختلاف أساليبه والفترة التى يستغرقها ـ فقد افترض فرويد(١) Frued ان الفطام المبكر وحده من شأنه أن يزيد من الاضطرابات الانفعاليه عند الطفل ، واكد ليفى هذه النتيجة (٢) ٠ بيد ان النتائج الدراسات الثقافية المقارنة عن تربية الطفل فى ثقافات مختلفة والتى امكن لوايتنج (٣) J. W. Whiting ان يجمعها ويستكمل متغيرات سن فطام الطفل فى المجتمعات المختلفة سواء البدائى منها او المتحضر أدت به الى ان يستنتج وجود علاقة منحنية Curve linear بين سن الطفل عند الفطام وحدة الاضطرابات الانفعالية ، اذ تختفى مظاهر الاضطراب الانفعالى وعدم الاتزان النفسى كلما كان الفطام مبكرا ومبكرا جدا ، وتأخذ مظاهر عدم الاتزان الانفعالى فى الظهور وتزداد حدتها بتأخر سن عند الفطام حتى يصل السن الى مرحلة معينة (بين ستة أشهر وسنة ونصف) ، ثم تأخذ هذه المظاهر فى التلاشى ويعود الاتزان الانفعالى بتأخر سن الطفل عند الفطام ، أو بعد سنتين فأكثر ٠

وتبدو ـ بالطبع ـ منطقية هذه النتيجة الهامة من خلال نظريات التعليم ٠

ومن جهة أخرى توصل اريكسون (٤) E. H. Erikson الى وجود علاقة دالة بين الاشباع الفمى وعدم التعرض لصدمات الفطام ونمو وتدعيم الاحساس بالثقة الاساسية عند الطفل Basic Trust ٠ واذا وضعنا فى الاعتبار أن أساليب رضاعة الطفل وفطامه تعكس انماطا ثقافية مختلفة، فان ما تعرضنا له من آراء عن هذا الموقف لا يجيب على أسئلة ملحة حول الاساليب الشائعة لرضاعة الطفل وفطامه فى الثقافة المصرية ، هذه

1) S. Frued : « Three Contributions of the Theory of Sex » (4th Ed.) Nervous & Mental Disorder Mon. Series, 1930, No. 7, PP. 44-46.

2) R. R. Sears, 1947, Op. Cit.

3) J. W. Whiting « Comparative Study » In G. Lindzy (Ed.) Op. cit. 1954, Vol. II. PP. 55 - 56.

4) E. H. Erikson « Identity and the Life Circle » **Psychol. Essues,** **1949. No. I. PP. 55 - 56.**

الاساليب التى لا تكون مناظره تماما لتلك الشائعة فى الثقافة الاوروبية املاريكية التى نقلنا عنها نتائج هذه الدراسات ، ومن ثم يتعين على هذه الامريكية التى نقلنا عنها نتائج هذه الدراسات ، ومن ثم يتعين على هذه السابقة ـ وغيرها ـ تعرضت لها بحكم أنها لا تشكل متغيرات الظاهـرة فى الدراسات السابقة ٠

واذا انتقلنا بعد ذلك الى مواقف الفطام ـ والتى تمثل الشق الثانى من هذا التقرير ـ نجد أنها قد تلازم موقف الرضاعة فى فتراته المتأخرة ، بيد أن هذه المواقف تبرز بشكل مستقل وتشكل تحديا حقيقيا للام والطفل معا ابان مرحلة الفطام أو قبلها (او بعدها) قليلا ٠ اذ بحكم النمـــو الجسمى والعضلى للطفل لا تستطيع الام ان تجبر طفلها على ضـــبط المثانة والمستقيم خلال الاسابيع الاولى من عمره ، ولكن بعد ان يتمكـن الطفل من القبض على عضلات المثانة والمستقيم بالتدريج منذ بدايات الشهر الخامس والسادس من عمره تبدأ الام بالفعل فى التدريب الجدى له على مواقف النظافة والفطام ٠ والملاحظ ان عملية الاخراج بعكس الرضاعة ، لا تحتاج الى مساعدة او تدخل مباشر من البيئة الخارجية (الام) انما تنحصر عملية الاشراف فى تنظيف الاثار المتبقية ومحاولة ربط عمليـــة الاخراج بزمان ومكان محددين (الاشتراط Conditioning) على أن يتم ذلك بطريقة ارادية ٠

ويتميز هذا الموقف بعدم وجود تغيرات جوهرية فى العادة الاولية ، أى فى عملية الاخراج ذاتها ، كما هو الحال مثلا فى موقف الرضاعة ، الذى يتضمن التدريب عليه احداث عملية تغير مقصودة باحلال عـادة مكتسبة محل عادة اولية قديمة مدعمة بشدة ٠ فالتـــدريب على مواقف الاخراج بهذا المعنى لا يتضمن سوى تعويد الطفل على أن يقوم بعمليـــة الاخراج الطبيعية فى وقت معين ، ويصاحب ذلك بالضرورة بعض العادات الجديدة المتعلقة بالنظافة ٠

وعادة ما تمتد مواقف التدريب على النظافة الى تدريب الطفل على النظام والانضباط نظرا لتشابه معانى كل منهما ٠ فالنظافة أو « التواليت »

تعني من الوجهة السيكلوجية أن يضع الطفل — لاول مرة — حواجز بينه وبين نفسه ، والانضباط يعنى بشكل آخر ان يسيطر الطفل على سلوكه وينمى عنده القدرة على التكيف وفق الظروف وحسب ما هو متاح فى بيئته فى الاوقات المختلفة · وكل منهما فى النهاية يكتسب بعض معنى الانا الاجتماعي [illegible] وان يتوسع [illegible] تغيير ثقافته · صحيح ان النظافة والنظام لا يعبر [illegible] كل ذلك ، و[illegible] فى المقام الاول يسعى الى اكتساب [illegible] لتكيف [illegible] المتطلبات السلوكية على [illegible] توافقه مع مجتمعه بعد ذلك — خصوصا عندما يكبر — يصبح أمرا مشكلا ·

ولقد عالج فرويد مشاكل التثبيت على المرحلة الشرجية (١) (٢) وآثارها على الشخصية ، وأوضح هاملتون (٣) ان هناك علاقة موجبة دالة بين الشبقية الشرجية (اشتقاق اللذة من قبض عضلات المستقيم والتهيجات التى تحدث فيه) وبين بعض الطباع الشرجية مثل التبذير والبخل عند الجنسين ولعل معظم الاتجاهات التى تترتب على الطفل على هذا الموقف وأثره على شخصيته جاءت الينا من الدراسات الانثرولوجية والمقارنة التى تقام بها وجمعها تشـايلد I. L. Child واينبتج W. Whiting (٤) اذ ترتبط بهـا كثيـرا من السمات الخاصة بالمنافسة او الميل للتعاون ، الاسـراف او التقتير ، التوافق الجنسى ، الميول والاتجاهات نحو الجنس الاخر ، التذوق الفنى ، الحساسية الزائدة، الخلو من التشكك والثقة فى الاخرين ··· الخ

---

1) S. Frued, Op. cit, 1930.

2) S. Frued : « The Basic Writing of Frued » N.Y. : Randome House, 1938.

3) G. V. Hamilton : « A research in Marriage » N. Y. : Borni, 1927.

4) W. M. Whiting & I. L. Child : « Child Traning and Personality ». New Haven, Yale Univ. Press, 1953. &

وفى المجتمع الامريكى تمكـــن ويتنبورن J. R. Wittenborn من استخلاص معامل ارتباط موجب دال (٣١ر٠) بين شـــدة التدريب على مواقف الاخراج ومقاييس الميـــول القهرية عند الاطفـــال (سن خمس سنوات) وعدم القدرة على الاســـتقلال (لاتكاليه) والعدوان ، كذلك استنتاجات جيرالد ليسر (١) G. S. Lesser عن وجود علاقة بين تدريب الطفل على هذا الموقف وزيادة الدفعات العدوانية المتخيلة عنده ٠

ومع ذلك فان هذه الدراسات وغيرها مما يضيق المقام عن عرضــها تعتمد النتائج التى توصلت اليها على ما هو شائع فى الثقافة الغـــربية والامريكية من متغيرات فى هذا الموقف ، هذه المتغيرات التى قد يكـــون بعضها موجودا فى الثقافة المصرية ٠ الا ان ثقافتنا المصرية تتميز بوجود متغيرات لم تتعرض لها هذه الدراسات ولا غيرها التى أمكن الاطلاع عليها ولعل مهمة هذا البحث أن يتصدى للاجابة على أثر المتغيرات الثقافيـــة المصرية على تدريب الطفل على هذه المواقف ، وعلى مدى التشابه بين الريف والحضر المصرى فى هذه المتغيرات المحلية وما يمكن ان يترتب عليها من آثار نفسية بالنسبة للطفل ٠

بيد أن مناقشاتنا السابقة وان كانت قد تناولت موقفى الرضـــاعة والفطام من ناحية ترتيبها الزمنى الا انها لم تغفل البعد الثقافى للتنشئة على وجه العموم ، ولهذين الموقفين على وجه الخصوص ٠ بل مجـــرد تحديد موضوع الدراسة « بالريف » يعنى بالضرورة ادخال البعد الثقافى من أوســع أبوابه ٠ فهذه الدراسات تتضــمن موازنة بين ثقافتين فرعيتين بصرف النظر عما بينهما من تشابه أو اختلاف (تشابه فى العمــوميات Generalities من حيث أنهما ينبعان من ثقافة واحـــــدة عامة ، واختــلاف فى الخصـــــوصيات Specificities من حيث تمايزهما بخصائص تتعلق بظروفهما الايكولوجية والمعاشية والاجتماعية والاقتصادية

1) G. S. Lesser : « The Relationship between Overt and fantasy agrèssion as a function of mental response » J. Abnormal and Social Psychology. 1957, 55, PP. 218 - 221.

وما اليها) ومهما يكن من أمر فان المنظور الثقافى يعتبر التنشئة ظاهـرة عالمية (١) تمثل أبرز جوانب التراث الثقافى فى أى مجتمع · والتنشـئة بحكمها وحدة ثقافية Cultural unit تتضـــمن الافكار التقليدية التى تستبقى تاريخيا بعد أن ثبت صلاحيتها لتشكيل أفراد المجتمع وفق التقاليد السائدة فيه وما يعزى اليها من قيم وعادات ومحرمات وقواعد ···

ولقد أوضح الانثروبولوجيون ان هـــذه التقاليد تنتظم حول عادات الممارسة التى تحدد مـدى تفاعل الوالدين مع اطفالهما · فالممارســـة بهذا (٢) المعنى (أى أساليب تنشئة الطفـــل) عادة اجتماعية تحـدث استجاباتها تغيرات اوتأثيرات مباشرة فى البيئة ، كما تؤثر بشكل مباشر على سلوك الطفل عن طريق ما يستخدمه الابوان من أســـاليب الثواب (المجازاة الايجابية) والعقاب (المجازاة السلبية) المختلفة فى تدعيم او تعديل سلوكه فى المواقف الاجتماعية التى تتضمنها التنشئة · بيد أن هذه الاساليب تتأثر بمجموعة المعتقدات التى تدور فى فلكها من حيث ما ترمز له من علاقات بين الوحدات والوقائع · وقد تكون هذه المعتقدات ظاهرة او مستترة ، مدركة أو غير مدركة · بمعنى أن الوالدين عندما يقومان بتوقيع أى جزاء على الطفل قد يكـونان مدركين وواعين بما يعتقدانه من معنى وراء هذه الاساليب او غير مدركين (٢) بما وراء ذلك من معنى وينفذانها لمجـرد التعود · فكأن المعتقدات بهذا المعنى تهـــدف الى تنميط السلوك ومطابقته للنمط الشائع فى المجتمع · وترتبط هذه التقاليد أيضا بجهاز القيم من حيث ما تهدف اليه من تقييم ذاتى للاحـــداث واكسابها معانى الجودة او الرداءة · (٣)

وأخيرا فان هذه التقاليد والقيم والقواعد المرتبطة بأساليب الممارسة والتى تدور فى فلكها تتميز بتماسكها العضوى فيما بينها بالشكل الذى

---

1) C. Kluckhohn : Op. cit, 1954. PP. 952 - 960.

2) J. W. Whiting & L. L. Child : Op. cit, 1953, PP. 17 - 22.

3) E. J. Antony & C. Koupernik (Ed.) « The Child and his family » N. Y. : Wiley, 1970. PP. 15 - 71 - 80 - 102.

يستحيل معه فهم أى تقليد أجتماعى أو عـادة اجتماعية دون الرجوع الى بقية التقاليد الاخرى التى تنتظم فى هذا المركب الثقافى (أو ما يسمى بمركب التقاليد الاجتماعية الخاصة بتنشئة الطفل) ويبدو أن أى تغيير يطرأ على أحد مكونات هذا المركب أو بعضه قد يؤثر بالتالى على بقية التقاليد والعادات الاجتماعية الاخرى والتى ينعكس أثرها فى النهاية على أساليب تدريب الطفل . معنى ذلك ان اساليب تدريب الطفل لا تحدث فى فراغ أو تتم دون هدف ، فهناك خلفيات ثقافية معقدة وراءها تكون شبكة متداخلة من المركب الثقافى الخاص بهذه الوحدة .

والتنشئة الاجتماعية بهذا المعنى (١) الثقافى تعتبر الوسيط الثقافى الذى يتحول عن طريق كل ما هو موجود نظريا (الانماط الثقافية) الى وجود فعلى (العادات السلوكية للفرد) كما يمكن ان يتحول هذا الوجود

اذا انتقلنا بعد ذلك الى مواقف الفطام ـ والتى تمثل الشق الثانى الفعلى الى وجود بالقوة (عندما تتصدى هذه العادات لمشاكل او عقبات تعوق انسيابها السلوكى المعتاد) فعن طريقها يمكن للطفل ان يتمثل معايير ثقافته وبالتالى معايير توافقه ، ويمكن أن تحدد وسائل اشباع حاجاته المختلفة ، ويجد تفسيرات جاهزة لكثير من الظواهر المحيطة به ولاهدافه وآماله ومعانى الاشياء التى يتعامل معها والمواقف التى يعيش فيها .. باختصار فانها عن طريق كل ذلك وغيره تشكل شخصيته الاساسية . (٢)

بيد أن هذا لا يعنى أن التنشئة الاجتماعية كعملية تعلم أو تدريب تهدف الى ان يقف الافراد من ثقافتهم موقفا سلبيا ، حقيقة أنها توضح لهم معانى الكثير من الاشياء وتشكل أساليبهم السلوكية بالمضمون ، الا أنهم بدورهم يكونان عناصر الحياة فيها ، اذ لا وجود لها الا بهم وفيهم . فهم الذين يجسدون (٣) كل نظام القيم فيها الى وجود فعلى ولا يتحركون

---

1) R. Linton : « The Culture Background of Personality » London : Kegan Paul, 1952, PP. 3 - 45.

2) A. Bandura : « Principles of Behavior Modification » N.Y. Holt, 1970. PP. 217 - 365.

3) R. Bendict : « Patterns of Culture » : London : Kegan Paul, 1934. 253 - 254.

بشكل آلى منفذين أحكام ثقافتهم ، فالامر أخذ وعطاء (تفاعل بينهم وبين ثقافتهم) وعادة ما يصفر هذا التفاعل عن استنباط كثير من الطـرق التى يصطنعها الافراد وثقافتهم كى يقوى كل منهم الاخر · فالافراد يغيرون فيها عن طريق الافكار والاتجاهات والتخصصات الجديدة ، كما تغير هى فيهم مرة آخرى عن طريق تمثل هذا الجديد الذى يصبح ـ مع الايام ومن خلال التفاعل ـ من مكونات نسقهم الفكرى والثقافى ·

واذا تضمنت المناقشات السابقة معنى أقتران الثقافة بالسلوك ، فان انثروبولوجيا مثل هوبل E. A. Hobel (١) يرى ان الثقافة تعتبر أكثـــر من مجرد المجموع الكلى لاجزاء او قطاعات السلوك . لانها تتضمن معانى هذا المجموع الكلى المتكامل للسلوك المكتسب والذى يتقاسمه غالبية أعضاء المجتمع وهى أن صــح تعبيـــر سبنسر وكروبر تعتبـــر فوق عضــوية Super Organic حقيقة انها مشتقة من الاليات النفسية العضوية للسلوك البشرى وتعتمد فى وجودها عليهم وانهم خالقوها ومنفذو احكامها الا انها فى حد ذاتها لا تتسم بالانتمائية Anonym ity لانها نتاج جماعات ولا آفراد ، ومن ثم يصح القول بأنها فوق الفرد أو غير فردية · ومع ذلك يمكن النظر الى المعايير الثقافية من الوجهة الاحصائية على أنها منوال أو شائع للسلوك Mode يسود بين الغالبية العظمى لافـــراد المجتمع (أو بعض فئاته) · فهى بمثابة وسيط احصائى لمجموعة معينة من الانشطة السلوكية الخاصة بموقف أو مجموعة من المواقف الاجتماعية · اما السلوك المعيارى Normative أو المثالى فانه يتضمن عناصر أكثر من السلوك الشائع السابق (الذى يعتبر مجرد تحصيل حاصل) ، اذ يتضمن عناصر الالزام او الجبر او القيم والافكار والمعانى المستترة وراء هذا السلوك والتى تعمل على توجيهه ومتابعة بطريقة معينة · ومرة أخرى يمكن القول بأنه عن طريق جهاز معايير القيم ومن خلال عمليــة التنشئة الاجتماعيــة تتحول المعاييــر

---

1) E. H. Hobel « The Nature of Culture » In H. L. Shapiro, (Ed.) « Man, Culture and Society » N.Y. : Oxford Univ. Press, 1957, PP. 170 - 180.

التي يتضمنها الى سلوك واقعى ووجود بالقوة (١) ، ومن ثما لا تقتصر وظيفة التنشئة على مجرد تلقين الطفل او تعليمة ما هو بالفعل من انماط سلوكية · بل يتضمن عملية ادماج Indoctrination نظام القيم فى ذوات الافراد بحيث يمكن لهم ان يتمثلوا معانى المجازاة بشقيها وما يترتب على ذلك من اكتساب عادات سلوكية تعمل على تلقائية السلوك وتنيمطه ، وهذا ما يعبر عنه من الوجهة التحليلية بتكوين الضمير ·

وعند هذا المستوى من التحليل الثقافى للتنشئة الاجتماعية يتعين أن نخرج الى البعد الدينامى لها ، أى أن نناقش التنشئة من حيث هى عملية تفاعل بين الطفل وأبويه أو أسرته تسفر عن اكتساب الطفل للعادات والاساليب السلوكية المرغوبة ثقافيا · فالتنشئة الاجتماعية ليست مجرد مواقف ، بل هى عمليات معقدة تعتمد أساسا على التفاعل (٢) · ومع ذلك فان أساس هذا التفاعل هو الموقف الاجتماعى الذى يوجد أو يتواجد فيه الطفل مع ابويه · والموقف الاجتماعى ما هو الا تنظيم أو نمط مركب لمجموعة مختلفة من المثيرات (٣) المستقلة عن الفرد والتى ترتبط فيما بينها بعلاقات متبادلة · ويتحدد معنى الموقف الاجتماعى عند الفرد من خلال تكامل المثيرات المختلفة المكونة له ـ أى من خلال صيغته (٤) Configuration وليس من معنى كل مثير على حدة · ونعنى بالصيغة هنا طبيعة أو نوع العلاقات المتبادلة بين المثيرات أو المتغيرات المختلفة فى الموقف، أى العلاقات المتبادلة بين الفرد والمثيرات المختلفة ، وهو ما يعبر عنه كيرث ليفين بقوى المجال الذى يعتبر جزءا من مفهوم خير الحياة عنده ·

---

1) Wenar, C. « Personality Development from Infancy to Adulthood » Boston : Houghtons, 1971. PP. 18 - 54.

2) R. F. Bales : « Personality and Interpersonal Behavior » N.Y. : Holt, 1970. PP. 5 - 12, 125 - 200.

3) J. H. Bossard : « The Sociology of Child Development » N.Y. : Harper, 1954. PP. 34 - 47.

4) K. Levin : « A dynamic Theory of Personality » N.Y. : Mc-Graw Hill. 1955. PP. 290 - 325.

ويرى بوســـــارد J. H. Bosard أن أى تعريف اجرائى للموقـف يجب الا يخلط بين المثيرات الداخلية (دوافع الفـــرد مثلا) والمثيـــرات الخارجية (المحددات الاساسية للموقف) لان الموقف نفسه مستقل عن الفرد ولا ينتمى اليه الا من حيث معناه فقط ، فقد يختلف معنى الموقف الواحد من فرد لاخر · كما يجب التميز بين التفاعل والموقف ، فالاول يعتبر محصلة للثانى ، الموقف يشكل الارضية التى يتم التفاعل من خلالها ومن ثم يحدد مدى وشدة واتجاه التفاعل · والموقف الاجتماعى يتحدد بالبنية او البناء، أى شكله وتنظيمه وأنواع المثيرات التى تتضمنه · كما يتحدد بالعمليــات التى يتضمنها الموقف ، اى مجموعة العلاقات المتبادلة بين متغيرات الموقف والفرد نفسه وما تستثيره من معانى مختلفة وبالتالى ما يمكن ان يقوم به من سلوك بناء على ذلك · واخيرا يتحدد الموقف الاجتماعى بالمستوى ، اى نتائج الموقف نفسه وما قد تسفر عنه من تغيرات او آثار عند الفـــرد او مجموعة الافراد (المثيرات) التى يتكون منها الموقف ، وما يترتب على ذلك من اكتساب عادات او اتجاهات او معانى جديدة ، (او تغيرها او تعديلها او انطفائها) ·

وعليه فان موقف الرضاعة والفطام يمثلان مجموعة المثيـــرات التى يمكن ان يعبر عنها بأساليب الثواب والعقاب ، والتى تعمل من خلال اقترانها بالشكل الكلى لاسلوب الحياة فى الاسرة (١) وهذه المجمـوعة من المثيرات تعمل كوحدة واحدة للوصول الى هدف او أهداف معينة ، أعنى نجـــــاح تدريب الطفل على عادات اجتماعية جديدة حتى يكتسب هويته الاجتماعية عن طريقها وحتى يمكنه التوافق مع معايير ثقافته ويأتى دور التفاعل الذى هو عماد عملية التعلم هدف التنسئة لاجتماعية ومحورها الاساسى ·

لقد ميز مورر (٢) O. H. Mowrer فى نظريته الجديدة (١٩٦٣) التى

---

1) R. M. Merton : « A definition of a situation » In P. F. Lazarsfield and M. Rosonberg (Ed.) « The Language of Social Research » N.Y. : The Free Press of Glencoe, 1964.

2) O. H. Mowrer : « Learning Theory and Personality » N. Y. : Renold, 1963.

تعرف بنظرية العاملين فى التعلم ، بين نوعين من السلوك • الاول : السلوك الانفعالى « او الفسيولوجى » وهو استجابة تخضع لسيطرة الجهاز العصبى المستقل Autonomic N. S. أى استجابات وقائية انفعالية تهدف الى تجنب الالم الذى يمكن ان يتعرض له الكائن الحى ، أو هى على الاقل تنحو الى تعضـــــيد الوقائع المرغوب فيها والانجــــذاب نحوها • والثانى : خاص بالاستجابات الواضحة Overt التى تهدف الى السيطرة على الموقف الذى يوجد فيه الكائن وضبط الظروف المحددة له • ومن ثم فان سيكولوجية الانفعال ـ كما يرى مورر ـ تختلف عن سيكولوجية الاداء • فالانفعال ليس من شأنه السيطرة على البيئة لانه لا يتضمن الا مشاعرنا ، على حين ان الاداء يعنى الفعل المؤثر فى البيئة ، وتتلخص وظيفة الانفعال فى مساعدة الكائن على التوقع ، وبالتالى التهيؤ والتأهب للقيام بالافعال المناسبة • ومن ثم فالانفعالات تساعدنا على تمثل معلومات معينة عن البيئة الخارجية وتكوين نوع من الايزومورفيه بين العالم وذواتنا •

ويرى مورر ان للعقـــــاب اثر مغايرا للثواب فى تكـــــوين العادات السلوكية (١) ، ومن ثم فهو يفسر مبدأ تخفيض الدافع (محور نظرية هل C. Hull) ليس فقط بالاثابه ولكن بالعقاب أيضا • أى ان تخفيض الدافع ليس مقتصرا فقط على الدوافع البنائية metabolic (الجوع ، العطش ، الجنس •• الخ) بل على الخوف والقلق أيضا • وبناء عليه امكن اعـادة مضامين التعلم الشرطى وتعلم الاشاره sign learning الذى يتم من خلال اقتران ردود الافعال الانفعالية التى يسيطر عليها الجهاز العصبى المستقل بالمثيرات المؤلمة أوتلك التى تفضى الى الالم فى مقابل تعلم حل المشكلة الذى يتم من خـلال ردود الافعـال التى يسيطر عليها الجهـاز العصبى المركـزى C. N. S ويتضمن الاول نشـاط العضـلات الملساء والغـدد أو ما يعرف بالاستجابات اللاارادية (الانفعالات) ، بينما يتضمـن الثـانى استجابات العضلات الحركية أو ما يعرف بالسلوك الارادى • وعموما فان كلا النوعين السابقين من التعلم ضرورى لحفظ وبقاء الكائن الحى وضمان تكيفـه مـع المواقف التى يقابلها ، وأن كان مـن الصعب الفصل بينهما فى كثير مـن المواقف المعقـدة •

---

1) O. H. Mowrer : « Learning Theory and Behavior » N. Y. : Wiley, 1965.

وبناء عليه حاول مورر أن يجد مقابلا لهذين النوعين من التعلم فى عمليات التنشئة الاجتماعية ٠ اذ لما كان الانثروبولوجيون يميلون الى تحديد الثقافة بأنها ملخص لمجموعة السلوك المتراكم المنقول ، وان فى كل ثقافة توجد مجموعة معينة من مركب للعادات الاجتماعية وظيفتها تقدم الحلول المناسبة للمشاكل التى تعن لافراد المجتمع وفى مقابل ذلك توجد مجموعة أخرى من التقاليد الاجتماعية الخاصة بالمجازة والتحريم تعمل كنظام للردع أو الضبط فى بعض المواقف الحساسة (خصوصا ما يتعلق بالدفعات الجنسية والعدوانية) المتعلقة بكيان المجتمع واستمرار بقائه ، ومن ثم تبد ووكأنها تضع العراقيل فى وجه الفرد ٠

عند هذا المستوى يمكن ان نجد مقابلا لكل نمط من هذه الانماط الثقافية فى نوعى التعلم فنمط الردع او التحريم يقابل نمط تعلم الاشارة او الاشتراط ، لانه يتم عن طريق اشتراط أساليب المجازة السلبية او الردع ببعض المثيرات او الدلالات ـ كما هو الحال فى مواقف الاخراج والنظافة ٠

وبالرغم من ان هذا الاشتراط او التمثل يعتبر غير سار بالنسبة للفرد الا انه ضرورى لتكيفه مع معايير ثقافته ونظم مجتمعه ، والواقع يفرض عليه ان يتعلمها بشكل او بآخر ٠

أما تعلم النمط الاخر فهو ضرورى لزيادة مقدرة الطفل على التحكم فى بيئته ، لان هذا من شأنه ان يساعده على تخفيض حدة الكثير من دوافعه الثانوية او الاجتماعية ٠

وفى نطاق ظروف معينة يمكن اعتبار التعلم الاول (الذى يمثل أساليب الضبط والردع والتحريم) تدريبا Training اى تعلما اجتماعيا لانه امر بالغ الاهمية بالنسبة لكيان الفرد الاجتماعى وتوافقه مع النظم المختلفة التى تحدد طبيعة العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع ٠ كما انه امر بالغ الحيوية بالنسبة للمجتمع أيضا ، لان تمثل هذه الاساليب من شأنه ان يحفظ على المجتمع بقاءه واستمرار تراكم ثقافته ٠

اما تعلم النوع الثانى من الانماط المحاولة والخطأ أو تعلم حل المشكلة) فانه قد لا يتضمن بالضرورة تدخلا اجتماعيا لضبطه (عن طريق الاسرة او المنظمات الاجتماعية الاولية الاخرى) أو على الاقل لايوليه نفس الاهمية التى يوليها للنوع الاول ، لان معظم مشاكله تخص الفرد ذاته ويمكن أن يكتسبها بالمحاولة والخطأ ٠ واذا جاز لنا عقد مثل هذه المقارنة فاننا

نكون بصدد نوعين من المستويات العصبية · اذ يمكن فى حدود معينة – ويتحفظ – ان نعتبر الحلول الخاصة (المتعلقة) بالمشاكل الفردية تتم عن طريق ردود الافعال الحركية الارادية التى يسيطر عليها الجهاز العصبى المركزى ، بينما الحلول الخاصة بالمشاكل الاجتماعية (الضبط والتحريم) تتعلق بردود الافعال غير الارادية التى يسيطر عليها الجهاز العصبى المستقل لانها تتعلق آساسا بانفعالات الشخص ومشاعره · وعلى هذا النحو يمكن تفسير النتائج التى سوف يفسر عنها هذا البحث فى نطاق المفهوم السابق ، خصوصا ما يتعلق بمواقف الفطام والنظافة · (١)

واذا رجعنا بذاكرتنا الى الشق الثقافى للتنشئة نجد أن فى الامكان اعتبار مفهوم الطبقة الاجتماعية مرادفا لمفهوم الثقافة الفرعية ، وبالتالى يمكن عن طريق تحليل الانماط السلوكية الشائعة فى الطبقات الاجتماعية المختلفة التى يتكون منها المجتمع تحديد الانماط الثقافية السائدة فيه – نسبيا أو تقريبا – · وقد لايكون هذا المدخل هو المناسب أو الصحيح نظريا ، لكنه الممكن الوحيد من الناحية العملية والميدانية خصوصا بالنسبة لمثل هذه الدراسات · وقد تكون هناك مداخل أخرى لتحليل الانماط الثقافية فى المجتمع المعقد غير هذا المدخل الاجتماعى المبتسر ، الا أن طبيعة المركب الثقافى الخاص بالتنشئة الاجتماعية يمكن ان يتحدد بشكل أفضل عن طريق تحليل خصائص البناء الطبقى للمجتمع · وقد تعرف الطبقة على انها تجمع Aggregate من الافراد يتمتعون بمكانة اجتماعية واحدة فى مجتمع معين · وبالتالى فان المكانة تتضمن امكانية ترتيب جماعات الافراد على مقياس مقارن فى نطاق البعد أو المسافة الاجتماعية والمركز والحقوق والواجبات المتبادلة ·

والرأى عند وارنر W. L. Warner (٢) ان دراسة أى بناء طبقى للمجتمع

---

1) W. Kessen : « Comparative Personality Development » In E. F. Borgatta & W. W. Lambert (Eds) « Handbook of Personality Theory and Research » Chicago : Rand-McNally, 1968. PP. 410-460.

2) W. L. Warner & P. S. Lunt : « The Status System of Modern Community » New Haven : Yale Univ. Press, 1947. PP. 200 - 2??.

يعتمد على مفهومى المشاركةالتقييمية ومميزات المكانة· ويعكس المفهوم الاول منهجه الذاتى فى تحليل هذا البناء اذ يعنى ادراك أعضاء المجتمع بشـــكل ما لمفهوم التدريج الاجتماعى وتقييم او ترتيب ذواتهم على مقياس متصل يتضمن القيم او الاتجاهات والمعتقدات المختلفة وفقا للتدرج السائد فى نطاق الطبقة بالنسبة للطبقات الاجتمـــاعية التى يتكون منها المجتمـــع · ويعنى المفهوم الثانى الدلائل الواقعية التى تساعد على عملية الترتيب · وهى عنده تتضمن : الدخل ، نمط المنزل وظروف المعيشة ، المهنة ، مناطق الاقامة ·

والحق اننا نختلف مع وارنر فيما يتعلق بالشق الاول، ونتفق معه فيما يتعلق بالشق الثانى · فالريف المصرى لحسن الحظ يمثل مجتمعا متجانســـا نسبيا اذا ما قورن بالحضر المصرى الذى يعتبر شديد التباين (١) ·

بيد ان الريف فى مصر يمكن تقسيمه الى طبقات بناء على حجم الملكية الزراعية وعلى اعتبارات اخرى معروفة · وفيما يتعلق بالهدف من الدراسة يمكن تقسيم فئات الاسر الريفية بناء على الاعتبارات التالية :

١ ـ حجم الملكية الزراعية وهى البديل عن المهنة فى الحضر ، وبالطبع اذا كان الفرد يعمل فى غير الزراعة فان المهنة تقوم مقام ذلك ·

٢ ـ الدخل ، وهو يتعلق بالمؤشر السابق ·

٣ ـ مستوى تعلم الوالد ·

٤ ـ مستوى تعليم الوالدة ·

٥ ـ حجم الاسرة وسن كل من الابوين ·

ويمكن اعتبار المؤشرات السابقة عن الفئات الاجتماعية (الطبقات ان صحت المطابقة) فى الريف المصرى بمثابة متغيرات مستقلة فى هذه الدراسة

(١) د· محمود عبد القادر ،التغير الاجتماعى الذى طرأ على الاســرة المصرية الحـديثة المجلة الاجتماعية القومية ـ العدد الثانى سنة ١٩٧٣ ·

تعكس الى حد كبير المدخل الثقافى والاجتماعى لها ، وتفيد فى تفسير المعطيات السلوكية التى قد تتوصل اليها الدراسة الميدانية ويمكن الاعتماد على هــذه المؤشرات بعد تطويرها وتكيفها على النحو الذى يناسب بيئتنا الريفيـــة المحلية فى تصميم مقياس متدرج « بالنقط » (تقـــريبى أو نسى) للمكانة الاجتماعية والاقتصادية فى الريف المصرى موضوع هذه الدراسة ٠

الفـــروض :

بناء على العرض النظرى السابق يمكن صياغة الفروض المتعلقة بهذا الجزء من البحث على النحو التالى :

١ ـ ان الاساليب الشائعة فى الريف المصرى التى تستخدمها الامهات فى تدريب اطفالهن على مواقف الرضاعة تختلف عن نظيرها فى الحضر

٢ ـ وان هذه الاساليب التى تستخدمها الامهات فى مواقف الرضاعة تختلف باختلاف : مستوى تعليمها ،مستوى تعليم أزواجهن ، عمر الامهات ، مهنة ازواجهن وعدد ابنائهن (حجم الاسرة) ٠

٣ ـ ان الاساليب الشائعة فى الريف المصرى التى تستخدمها الامهات فى تدريب اطفالهن على مواقف الرضاعة تخلتف عن نظيرها فى الحضر ٠

٤ ـ وان هذه الاساليب (فى الريف) تختلف باختلاف مستوى تعليم الام وتعليم زوجها ، وعمرها وحجم الاسرة ، ومهنة زوجها ٠

٥ ـ ان الاساليب الشائعة فى الريف المصرى التى يستخدمها الامهات فى تدريب أطفالهن على مواقف الفطام تختلف عن نظيرها فى الحضر ٠

٦ ـ وان هذه الاساليب (فى الريف) تختلف باختلاف مستوى تعليم الام ، وتعليم زوجها ، عمرها ، وحجم الاسرة ، ومهنة زوجها ٠

عينة الدراســـة :

اقتصرت هذه الدراسة على عينة ممثلة لريف الوجه البحرى (*) ، حجمها ٧١٢ أسرة ، انتخبت عشوائيا بالاسلوب المتعدد المراحل ، واعتبرت هذه المحافظات ممثلة لجميع البيئات المحلية الشائعة فى الوجه البحـــرى بكل ما تتضمنه من ثقافات فرعية ، وكى تمثل كل محافظة بشكل مناسب فقد سبحت منها الاسر التالية :

الدقهلية ١٠٤ أسرة ، الشرقية ١٠١ أسرة ، القليوبية ٩٩ أسرة كفـــر الشيخ ١٠٥ أسرة ، الغربية ١٠٠ أسرة ، المنوفية ١٠٤ أسرة البحيـــــرة ٩٩ أسرة ٠

ولقد وزعت كل مجموعة من هذه الاسر (أو سحبت) من ثلاث قـــرى بكل محافظ ة، بعد ان تأكد لهيئة البحث ان هذه القرى الثلاث فى كل محافظة ممثلة تماما لجميع القرى التى تضمها ٠ صــــحيح ان كل قرية تختلف عن الاخرى من ناحية عدد سكانها وقربها أو بعدها من عاصمة المركز او عاصمة المحافظة او البندر ، الا ان جميعها تعتبر من الوجهة الديموجرافية قرية ٠ وبالتالى كانت المهن الرئيسية لارباب هذه الاسر هى الزراعة او الانشـــطة الاقتصادية المتعلقة بها سواء كانت خدمات او تجارة او صناعات اولية مرتبطة بها ٠

والجدير بالذكر أن مدخل اختيار مفردات عينة الدراسة فى الاحـــدى والعشرين قرية الممثلة لهذه المحافظات السبع كان عن طريق المدارس الابتدائية والاعدادية التى توجد فى هذه القرى ٠ اذ سحب فى اول الدراسة عينة من ١٥٠٠ تلميذ وتلميذة من أبناء هـــذه الاسرة وبعد دراســــة اتجاهاتهم وشخصياتهم بالادوات التى سيرد ذكرها ، رجعنا الى آباء وأمهات هؤلاء التلاميذ وأسرهم وانتخبنا منهم عشوائيا هذه العينة ٠

(*) من المقرر اجراء دراسة مشابهة تماما على عينات ممثـلة لاسرة الوجه القبلى بعـد الانتهاء من كتابة تقارير هذه المرحلة من الدراسة ٠

خصائص عينة الدراسة :

١ ــ مستوى تعليم الام

عدد الامهات الاميات	٥٧٣ والدة بنسبة	٥ر٠ ٨٪
عدد الملمات والمؤهلات	١٣٩ والدة بنسبة	٥ر١٩٪
المجمـــــــــوع	٧١٢ والدة بنسبة	١٠٠٪

ويلاحظ على هذا المتغير أن نسبة الامية هى الغالبة كما أن عدد المؤهلات لا يتعدى الاحاد ٠

٢ ــ مستوى تعليم الوالد ٠

عدد الآباء الأميــين	٢٨٤	والدا بنسبة	٩ر٣٩٪
» » الملمــين	٣٣٩	» »	٦ر٤٧٪
» » المؤهلين	٨٩	» »	٥ر١٢٪
المجمــــوع	٧١٢	» »	١٠٠٪

٣ ــ مهنة الوالــــد :

اجراء ومستأجرون وملاك لاقل من ٣ أفدنة	٣١٠	والد بنسبة	٧ر٤٣٪
مســتأجرون او ملاك لاكثــر من ٣ افــدنه	٢٣٠	» »	٣ر٣٢٪
غير مزارعين (موظفون ، عمال ، تجار)	١٧٢	» »	٢ر٢٤٪
المجمــــوع	٧١٢	» »	١٠٠٪

٤ ــ حجــم الأســــرة :

أسر يوجد بها اقل من ٥ أبناء	١٤٧	اســره	٦ر٢٠٪
» » » اكثر من ٥ أبناء	٥٦٥	»	٤ر٧٩٪
المجموع	٧١٢	»	١٠٠٪

ويلاحظ أن متوسط عدد الابناء بالاسرة فى هـــذه العينة ٥ر٦ ابن بانحراف معيارى = ٢ ٠٠

٥ ــ عمر الام :

امهات اعمارهن أقل من ٤٠ سنة	٣١٥ والدة بنسبة	٥ر٤٤٪
امهات اعماهن أكثر من ٤٠ سنة	٣٩٧ والدة بنسبة	٨ر٤٥٪
المجمــوع	٧١٢ والدة بنسبة	١٠٠٪

كما أن عدد الابناء الذكور ٤٥٥ طفلا وعدد الابناء الاناث ٢٥٧ طفلا في عينة هذه دالراسة ·

أدوات البحث :

استخدم في هذا البحث ثلاث أدوات رئيسية :

الاولى : عبارة عن مقيـــــــاس مقنن محلى لقياس شخصية الطفـل والمراهق المصرى أعد لهذا الغرض ·

الثانية : عبارة عن مقياس مقنن محلى لقيـــاس اتجامات الطفـــل والمراهق المصرى أعد لهذا الغرض ·

الثالثة : عبارة عن استخبار في الاتجاهات الوالدية لتنشئة الطفـــل في البيئة المصرية ·

ولقد تعرضنا لوصف تفصيلى للاداة الاولى والثانية · ويقتصــــر التقرير الحالى على عرض بعض النتائج المتعلقة بالاداة الثالثة ·

الاستخبار الخاص باتجاهات الوالدين نحو تنشئة الطفل :

ويتكون الاستخبار من جزأين رئيسيين ، الاول خاص باتجاهات الام نحو تنشئة طفلها وينقسم الى أحد عشر مقياسا فرعيا تقيس الاتجاهات نحو الرضاعة ، الفطام ، النظام الجنس ، العدوان ، المعاملة او السلطة الوالدية الاستقلال ، التقبل ، القيم الاجتماعية ، وأخيرا الانسجام الاسرى ·

والجزء الثانى خاص باتجاهات الوالد نحو تنشئة الطفل ، وينقســم بدوره الى ثمانية مقاييس فرعية · الاول يقيس اتجاهات الوالد نحو تدريب أبنائه على مواقف الجنس ، الثانى على مواقف العدوان ، الثـــالث على السلطة الوالدية ، الرابع على الاستقلال ، الخامس على التقبـل السادس على القيم ، السابع على الاجتماعية ، والاخير على الانسجام الاسرى ·

(*) د· محمود عبد القادر «بعض العوامل المحددة لنمو قـوة الانا عند المراهقين المصريين دراسة مقارنة» المجلة الاجتماعية القومية ، ١٩٧٢ ·

والتقرير الحالى يقتصر فقط على المقاييس الثلاثة الفرعية الاولى فى الاستخبار الخاص باتجاهات الام نحو تنشئة طفلها ٠

ويجدر الاشارة بأن المقياس الفرعى عبارة عن مجموعة محددة من الاسئلة تقيس بشكل او بآخر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة اتجاهات الام نحو الموقف التدريبى الذى تتعرض له الاسئلة وتكمم درجات كل سؤال بناء على بعد محدد تسير جميع أسئلة المقياس على اساسه ٠ ففى تدريب الطفل على مواقف الجنس مثلا كانت جميع أسئلته تدور حول بعد « التزمت فى مقابل التسامح الجنسى » ٠٠ وهكذا بالنسبة لبقية المقاييس الفرعية الاخرى حيث تختلف طبيعة البعد (تسامح فى مقابل التزمت . اهتمام فى مقـــابل عدم وضوح ٠٠ الخ) باختلاف الاتجـــاه الغـــالب على الموقف التدريبى والهدف التربوى منه ٠

وعموما فان المقيـــاس الفرعى الاول فى اســــتخبار الام الخاص اتجاهاتها نوح الاهتمام والحرص على رضاعة الطفل من الثدى والاشباع الفمى للطفل يتكون من سبعة مقاييس تسأل عن أسلوب الرضاعة ، القيود الموضوعة عليها ، أسباب هذه القيود او الاهداف التى تتصور الام ان هذه القيود تحققها ، تصرفات الام عندما يصرخ الرضيع دون سبب واضح . أسلوب فطام الطفل المدة التى استغرقتها عملية الفطام duration سنه عند نهاية الفطام ٠

والمقياس الثانى خاص باتجاهات الام نحو التشدد فى مواقف الاخراج والنظافة (وما يمكن ان يعكسه هذا التشدد من قلق او اشمئزاز من هـــذا الموقف او من ميول قهرية عند الام بخصوص ذلك) ويتكون هذا المقيـــاس من ثلاثة أسئلة عن تدريبه على ضبط المثانة والمستقيم والاساليب المتبعـة فى ذلك وسنه عندما أكمل تدريبه على هذا الموقف وتصرفات الام عندما يعاود طفلها الرجوع الى الاخراج التلقائى ٠

والمقياس الفرعى الثالث خاص بتدريب الطفـل على النظـام وتدور أسئلة حول الدروس الاولى فى ادراك الزمن والبعد المادى عن الام خلال فترة النوم وتدعيم الحواجز بين الطفل ونفسه ٠

الاستفتاء الخاص بالمستوى الاقتصادى والاجتماعى للاسرة :

يتكون هذا الاستفتاء من مجموعة من البنود : البند الاول عبارة عن بيانات عن حجم الاسرة ومهنة الزوج والحالة التعليمية والمهنية لجميــــع أفراد الاسرة ، كذلك الحالة الزواجية والعمر ، وتفصيلات الدخل وســـن الزوجين عند الزواج وعدد مرات الزواج والطلاق ٠

والبند الثانى عن تفصيلات عمل الزوج وحجم الحيازة (نوع العمل الزراعى) وعدد ما يملكه من ماشية وطيور واغنام والحالة المهنية للزوجة ، نوع المسكن وقيمة الايجار ، محتويات المنزل من أثاث مؤشرات عن رفاهية الاسرة ، ووجود كهرباء ومياه جارية به ٠

نتائج الدراســـة

أولا : الرضــاعة والفطــام :

لا شك ان الوليد البشرى يعتبر أضعف المخلوقات وأقلهم حيلة ابــان فترة حضانته واذا استثنينا قدرته على القيام بردود الافعــال البسيطة التى تمكنه من تناول غذائه السائل سواء من الثدى أو بديلة (البزازة) ، فانــه لا يكاد يتمتع بميزات أخرى فطرية تمكنه من التوافق مع بيئة الا عن طريق اعتماده الكلى على أمه أو من يقوم مقامها فى قضاء حاجاته البيولوجيــة المختلفة . ومن ثم فان هذا الاعتماد يعتبر بالغ الحيوية لاستمرار وجــوده البيولوجى ...ذلك من حيث ما يكفله له من اســـــتمرار اشباع حاجاته المتجمدة للغذاء ومــا قــد يترتب على ذلك من اكتســـاب حاجات نفســية واجتماعية متعلقة بــه .

وفى هذا الجزء م نالنتائج ـ كما هو الحال فى الاجزاء التاليــة ـ ستناقش الأسئلة المتعلقة بالرضاعة والفطام ومــا يرتبط بهما من أســاليب مختلفة لتنشئة الطفل فى الريف المصرى . وقـــد نستشهد ـ مــا أمــكن ـ ببعض نتائج الدراسة القومية التى أجريت من احتياجات الطفولة فى مصر* كما قد تقارب بعض هذه النتائج مع ما سبق أن توصلنا اليه عن تنشئة الطفل فى مدينة القاهرة الكبرى**

١ ـ الأساليب الشائعة للرضاعة فى الريف لمصرى

لقــد تبين من تحليــل البيانات التى توصلنــا فى هذه الدراســة أن أساليــب رضاعــة الطفــل مثل أساليب التنشئة لا تختلف بصــفة عامــة

(*) وحدة بحوث الاسرة ، تقارير غــير منشورة عــن اللجنــة النفســية لبحــث احتياجات الطفولة ، .

(**) د. محمود عبد القادر محمد ، أساليب الثواب والعقاب التى تتبعها الاسرة فى تدريب الطفل فى الحضر وأثرها عــلى شخصية الابناء ، رســالة دكتوراه ـ جامعة القــاهرة سـنة ١٩٦٦ .

باختلاف جنس الطفل الا فيما نــدر ، لســت هناك أى فــروق جوهرية بين أساليب امهات الاطفال الذكور وأساليب امهات الأطفال الاناث فى مواقف الرضاعة والفطام · لذلك وجد من المناسب ضم بيانات كل من الجنســين معا فى هذا التقــرير ·

ومن تحليل استجابات الامهات (أمهات الابناء الذكور مضافا اليها أمهات الابناء الاناث فى عينة هذه الدراسة) تبين أن أساليب رضاعة الطفل تنحصر فيما يلــى :

- الرضاعة من الثدى فقط ويستخدمها ٥٩٦ والده أى بما يعادل ٨٣ر٧٪ من مجموع الامهات ·
- الرضاعة من الثدى والبــزازة ويستخدمها ٩٦ والــده أى بما يعادل ١٣ر٥٪ من مجموع الامهات ·
- الرضاعة من البزازة فقط ويستخدمها ٢٠ والدة أى بما يعادل ٢ر٨٪ من مجموع الامهات ·

وعلى ذلك فان الرضاعة من الثدى فقط هى النمط الشائع فى الريف المصرى حيث يستخدمة أكثــر من ٨٠٪ من الامهات هنــاك · وقد يــكون الاسلوبان الآخران هما الاستثناء ·

ومقارنة هــذه النتائج بنظيرتها فى الحضر نجــد أن ثمة أختلافــا واضحا حيث تبلغ نســبة الامهات الــلائى اســتخدمن من الثــدى فقط فى رضاعة الطفل ٦١٪ ، ومن يستخدمن من الثدى والبزازه معا ٣٢٪ ، واخيرا من يستخدم البزازه فقط ـ أى بصــفة اساســية ـ بعد الايــام الأولى من عمر الرضيع ٧ر٤٪ والملاحظ أن الفــروق الاحصائية بين هــذه النســب ونظيرتها فى الريف دالة احصائيا عن مستويات ثقة كثيرا عن ٠ر٠٥ *

وعند معالجة هذه البيانات احصائيا فى نطــاق متغيرات خصائص

(*) د· محمــود عبد القــادر ـ المرجــع السابق ـ الجــزء الخاص بالرضاعة والفطــام المجلد الثــانى ·

الوالدين أتضح ن كا٢ بين هـذه الاســـاليب وتعليم الام تعــادل ٦ر٩٣ ، وهى دالة احصائيا عن مستوى أقل من ٠٥ر بدرجة حريــة ٠٢ معنى ذلك أن هذه الاساليب تعتمد الى حد مقبول احصائيا على مستوى تعليم الام ٠ وتفصيلا فقــد تبين أن الامهات الاميــات (غير المتعلمات) يســتخدم ٤٨٩ منهن الثدى فقط فى رضاعــة الطفل أى بما يعــادل ٢ر٨٥٪ من مجموعهن فى هذه الدراسة ٠ ومن يستخدم منهن الثدى والبزازة معا يبـلغ عــددهن ٦٨ والده أى بما يعادل ٨ر١١٪ من مجموعهن ، ومن يستخدمن البزازة فقط ١٧ والده بما يعــادل ٣٪ من مجموعهن ٠ وفى مقابل ذلك فان الامهات الملمات والمؤهــلات اللائى يســتخدمن الثدى فقط يبلغ عددهن ١٠٧ بنسبة ٥ر٧٧٪ من مجمــوعهن ، ومن يســخدمن الثــدى والبــزازة ٣ر٢٠٪ من مجموعهــن (٢٨ والــده ، ومن يســتخدمن الثـــدى فقط عددهــن ٣ فقط بنســبة ٢ر٢٪ ٠

وباعادة معالجة هذه البيانات احصائيا فى نطاق متغير تعليم الأب (الوالـد) تبين ما يلى :

زوجات الآبــاء الاميين يســتخدم ٢٤٩ منهن (٧ر٨٧٪) الثــدى فقط ، ٣٠ منهن (٦ر١٠٪) الثدى والبزازة معا ، ٥ منهن (٧ر١٪) البزازة فقط ٠

زوجات الاباء الملمين يستخدم ٢٧٧ منهن (٧ر٨١٪) الثدى فقط ، ٤٩ منهن (٥ر١٤٪) الثدى والبزازة معا ، ١٣ منهن (٨ر٣٪) البزازة فقط ٠

زوجات الاباء المؤهلين يستخدم ٧٠ منهن (٧ر٨٧٪) الثدى فقط ، ١٧ منهن (١ر١٩٪) الثدى والبزازة معــا ، ٢ منهن (٢ر٢٪) البزازة فقط ٠

وتبين أن معامل كا٢ بين هـــذه الاســاليب وتعليم والد الطفـــل ٦١ر٧ ، وهو معامل غير دال احصائيا عند مستوى الثقة لمطلوب احصائيا (بدرجة حرية ٤) رغم وجود الفروق الواضحة فى الاتجاه المتزايد نحــو استخدام الوسائل الصناعيــة فى رضاعة الطفـل كلما ارتفــع المســتوى التعليمى للوالـــد ٠

ويختلف الامر الى حد ما عند اعــادة معالجة هذه البيانات بمتغيــر

مهنة الوالد ، حيث اوضـــــح معامل كا٢ الذى بلغ ١٢ر٢٥ بين المتغيرين ان أسلوب رضاعة الطفل ف الريف المصرى يعتمد الى الحد المقبول احصائيا (دالة عند اقل من ٠٥ر بدرجة حرية ٤) على مهنة الوالد ومـا يمـكن ان تتضمنه من دخل للاسرة ومستوى المعيشة · فقد تبين ان زوجات الاجـراء الزراعيين وصغار الملاك لاقل من ٣ أفدنة من بينهن ٢٧٦ (٨٩٪) يستخدمن الثدى فقط ، ٢٨ منهن (٩٪) يستخدمن الثدى والبزازة و ٦ منهن (٢٪) يستخدمن البزازة فقط ·

ذلك فى مقابل ١٨٠ زوجه من زوجات الملاك والمستأجرين لفدان فأكثر (٨٧ر٢٪) يستخدمن الثدى فقط ، ٤١ منهن (١٧ر٨٪ يستخدمن الثـدى والبزازة ، ٩ زوجات (٣ر٩٪) يستخدمن البزازة فقط ·

وأخيرا فهناك ١٤٠ زوجه من زوجـــات غير الزراعيين (٨١ر٤٪) يستخدمن من الثدى فقط ٢٧ زوجه (١٥ر٧٪) منهن يســـــتخدمن الثدى والبزازة و ٥ سيدات فقط (٢ر٩٪) يستخدمن البزازة فقط · وقد توحى هذه النتائج بما تتضمنه من فروق دالة احصائيا بأن مستوى معيشـــــة الاسرة الريفية يحدد نسبيا أسلوب رضاعة الطفل · فحيثما ارتفـع نسبيا مستوى معيشة الاسرة فى الريف المصرى يظهر بوضوح ميل الأمهـــــات استخدام أسلوب الرضاعة الصناعية الذى يعتبر الى حد ما مكلفا للاسرة والذىقد يتطلب وعيا نسبيا بكيفية استخدامه ·

أما تغيـــــر عمر الام فقـــد تبين أن معامل كا٢ (٢ر٢٧) غير دال احصائيا مع أساليب رضاعة الطفل ، حيث لا توجود فروق جوهرية بين الامهات اللاتى تقل أعمارهن عن ٤٠ سنة وهؤلاء اللاتى تزيد أعمارهن عن ٤٠ سنة فى استخدامهن للاساليب الثلاثة الخاصة برضاعة الطفل · وقـد يعنى ذلك أن هذه الاساليب لا تعتمد على عمر الام وأنها نمط ثابت نسـبيا عبر الاجيـال ·

٢ ـ مواعيد رضاعة الطفل والقيود الخاصة بالرضاعة :

بديهى أن الاساليب السابقة لرضاعة ترتبط مباشرة بمواعيد الرضاعة والقيود الخاصـة بها · ولما كان النمط الشـــائع فى الريف المصرى « هو

الرضاعة من ثدى الام » فمن المستبعد نظريا – على الاقل – أن يكون هناك نمط مميز وشائع من القيود على رضاعة الطفل فى ثقافة الريف المصرى · سواء ما يتعلق بمواعيد الرضعات أو حجمها ، وأن ما يشبه جدول الرضاعة المعمول به نسبيا فى الحضر قد لا يكون له وجود ملحوظ في الريف المصرى ·· وهذا ما توصلنا اليه تقريبا فى هذه الدراسة ·

فهناك ٦١٤ سيدة من عينة الدراسة (٨٦٫٢٪) لا تضع أى قيود على رضاعة الطفل ، أى تترك له مطلق الحرية فى طلب الثدى حينما يريد ووقت ما يريد · ذلك فى مقابل ٩٨ سيدة (١٣٫٨٪) تضع قيودا على ذلك تتراوح ما بين مجرد تنظيم عدد الرضعات الى أقصى حدود التقييد فى حجم الرضعات وعددها وتدرجها بتقدم الرضيع فى العمر · والملاحظ أن هذه النسب تقترب الى حد كبير مع النسب السابقة الخاصة بأسلوب الرضاعة ·

وبمقارنة هذه النتائج بنظيرتها فى الحضر(*) تبين أن نسبة الامهات اللاتى يستخدمن القيود على رضاعة الطفل تبلغ ٣٣٪ ، كما أن هناك فروقا احصائية دالة بين أمهات الطبقة الدنيا والمتوسطة فى الحضر بخصوص هذه القيود (كا٢ دالة عند مستوى معنوية أقل من ٠٫٠٠١) حيث تميل أمهات الطبقة المتوسطة الى وضع القيود على حين تفضل أمهات الطبقة الدنيا ترك مطلق الحرية للطفل ·

وعند معالجة هذه البيانات بالمتغيرات الخاصة بخصائص الوالدين تبين ما يلى :

– كا٢ بين تعليم الام والقيود الخاصة برضاعة الطفل فى الريف بلغت ٦٫٢٧ ، وهى دالة احصائيا عند مستوى معنوية ٠٫٠١ بدرجة حرية ١ ، فهناك ٥٠٤ سيدة من الامهات الاميات (٨٧٫٧٪) تترك الحرية المطلقة للطفل مقابل ٧٠ سيدة أمية (١٢٫٣٪) تضع قيودا على ذلك · وفى مقابل ذلك توجد ١١٠ سيدة ملمة أمية (٧٩٫٨٪) تترك مطلق

(*) د· محمود عبد القادر – المرجع السابق ·

الحريه للطفل و ١٨ سيدة (١ر١٠٪) من الممات والمؤهلات تضـــع بعض القيود على ذلك ٠

— كا٢ بين تعليم الوالد والقيود الخاصة برضاعة الطفـل فى الريف بـلغت ١٤٫٤٧ ، وهى دالة احصائيا عند مستوى معنوية اقل ٠١ر٠ أيضـــا بدرجة حرية ٠٢ حيث تضع ٢٦ سيدة (١ر٩٪) من زوجات الاميين قيودا على الرضاعة ، مقابل ٥٠ سيدة (٨ر١٤٪) من زوجات الملمين تضع قيودا ، و ٢٢ سيدة من زوجات المؤهلين (٧ر٢٤٪) تضع قيودا ٠٠ والملاحظ أن نسبة من يضعن القيود على رضـــــاعة الطفل تتزايد باستمرار بارتفاع مستوى تعليم الوالد كما هو الحال بالنسبة لارتفاع مستوى تعليم الوالدة ٠

— كا٢ بين مهنة الـوالد وقيـود الرضـاعة فى الـريف بـلغت ٧٠ر٤ وهى دالة احصائيا عند مستوى أكثر من ٠٥ر٠ بدرجة حرية ٠٢ حيث تضع ٣٣ سيدة من زوجات الاجراء وصغار الملاك لاقل من ٣ أفدنة (٧ر١٠٪) قيودا على الرضاعة ، ٣٩ سيدة من زوجات المستأجرين والملاك لاكثر من ٣ أفدنة (١٧٪) قيودا على الرضاعة ، ٢٦ سيدة من زوجات غير المزارعين (١ر١٥٪) تضع قيودا ٠

— أما متغير عمر الام فانه غير مرتبط بأسلوب وضع القيود على الرضاعة حيث تتشابه الامهات اللاتى تقل اعمارهن عن ٤٠ سنة مع هؤلاء اللاتى تزيد أعمارهن عن ذلك فى ترك حرية الرضـــاعة للطفل ٠ وقد توحى النتائج السابقة بان أسلوب وضع القيود على رضاعة الطفل غير شائع نسبيا فى الريف المصرى ٠ وأنه فى حالة وجوده عند نسبة لا تتجاوز فى جملتها ١٤٪ تقريبا من مجموع الامهات فى هذه الدراسة فانه يقترن بشكل مباشر بكل من مستوى تعليم الام ومستوى تعليم الاب وقـــــد يكون كذلك الى حد ما بالنسبة لمهنة الاب ٠

٣ ـ اسباب تحبيذ الامهات لاسلوب الرضاعة غير المقيد أو المقيد

يمكن تحديد أسباب تحبيذ الامهات لترك مطلق الحـــرية للطفل فى الرضاعة بالثدى على النحو التالى :

١ ـ كى « يشبع وينام » و « قلبها لا يطاوعها » وذكر ذلك ٤٧٠ والدة أى ٦٦٪ منمجموع الامهات فى هذه الدراسة ٠

٢ ـ « الطفل عارف قانونه » و « عشان يبقى على حريته » وذكر ذلك ١٤٠ والدةأى ٧ر١٩٪ من مجموع أفراد العينة ٠

٣ ـ « عشان يبقى حنين » ، وذكر ذلك ١٥ سيدة بنسبة ١ر٢٪ من أفراد العينة ٠

أما من يحبذ استخدام القيود بدرجاتها المختلفة على رضاعة الطفل فان تحبيذهن لذلك ينحصر فى الاسباب التالية :

١ ـ « عشان يطلع عارف النظام » وذكر ذلك ٤٠ والدة بنسبة ٦ر٥٪ من مجموع الامهات فى عينة هذه الدراسة ٠

٢ ـ « حتى لا يصاب بمغص » أو حتى لا تؤله معدته » ، وذكر ذلك ٤٧ والدة بنسبة ٦ر٦٪ من أفراد عينة هذه الدراسة ٠

معنى ذلك أن ثمة عوامل انفعالية (قلب الام لا يطاوعها مع منع الدثى أو البزازة من فم الرضيع) وأفكار تقليدية قديمة (الطفل عارف قانونه ، حتى يصبح حنين وعطوف) وراء تحبيذ الام ترك مطلق الحرية للطفل فى الرضاعة ٠ أما أسباب تحبيذ وضع قيود على الرضاعة فانها على ندرتها تكاد تنحصر فى اعتبارات صحية فقط (لا تؤلم معدته ، حتى لا يصاب بمغص ٠٠٠٠٠) ٠

وعند معالجة هذه البيانات مرة أخرى فى نطاق خصائص الوالدين تبين ما يلى :

ـ كا٢ بين هذه الاسباب ومستوى تعليم الام بلغت ٢٦ر٤٥ ، وهى دالة احصائيا عند مستوى معنوية أقل من ٠٠١ر٠ بدرجة حرية ٠٤ فهناك ٤٠٠ سيدة من مجموع الامهات الاميات (٧ر٩ ٪) ترى أن سبب عدم وضع قيود على رضاعة الطفل هو « ان يشبع وينام ، وقلبها لا يطاوعها » مقابل ٧٠ سيدة من الملمات والمؤهلات (٧ر٥٠٪) ٠ وهناك ١١٤ سيدة من مجموع الاميات (٩ر١٩٪) ذكرن ان سبب ذلك هو أن « الطفل

عايرف قانونه ، « ولم نتعود على وضع قيود على رضاعة الطفل » مقابل ٢٦ سيدة من الملمات والمؤهلات (٨ر١٨٪) ، كذلك ذكرن ١٠ سيدات من مجموع الاميات (٧ر١٪) ان ترك الحرية للطفل « يبقى حنين » مقابل سيدات ملمات ومؤهلات (٦ر٣٪) ٠

وترى ٢٨ سيدة من مجموع الاميات أن وضع القيود على الرضاعة (٩ر٤٪) « ويعرف الطفل النظام » مقابل ١٢ سيدة ملمة ومؤهلة ٧ر٨٪) كما ترى ٢٢ سيدة أمية (٨ر٣٪) أن مثل هذه القيـــــود من شأنها « الا تصيب الرضيع بالمغص ، ولا تؤلمه » فى مقابل ٢٥ سيدة ملمـــة ومؤهلة ٢ر١٨٪ ٠٠

- وعلى هذا النحو تبين أن كا٢ بين هذه الاسباب ومتغير تعليم الوالد بلغت ٢٩ر٢٧ وهى دالة احصائيا عند أقل من ١٠ر٠ بدرجة حرية ٨ ، مما يؤكد الاستنتاج السابق من أن مستوى تعليم الوالدين يساعد على تبرير استخدام أسلوب الرضاعة المقيدة « نسبيا » على أساس موضوعى أو منطقى ويستبعد « الى حد ما » الاسباب الانفعالية وغير المنطقية ٠

- كما قدر معامل كا٢ بين هذه الاسباب ومهنة الوالد حيث بلغ ٤٧ر١٦ وهو دال احصائيا عند مستوى ثقة أقل من ٠٢ر٠ بدرجة حرية ٨ ٠ ولم نتوصل الى علاقة دالة بين متغير عمر الام وهذه الاسباب ٠

٤ ـ تصرفات الام عندما يبكى رضيعها بشكل غير عادى :

قد يكون وضع القيود على رضاعة الطفل بدرجـــــات مختلفة أو ترك الحرية أمامه يتعلق مباشرة بتصرفات الام عندما يبكى رضيعها بشكل غير عادى اذ تبين من تحليل استجابات الامهات على هذا السؤال أن تصرفاتهن فى هذا الموقف تنحصر فيما يلى :

١ ـ « تشوفه عايز ايه » وأجاب على ذلك ٤١٥ والدة بنسبة ٣ر٥٨٪ ٠٠

٢ ـ « تعطيه سوائل مهدئة »و أجاب على ذلك ٩٩ والدة بنسبة ٨ر١٣٪ ٠٠

٣ ـ « تعهد اليه بطبيب لفحصه » وأجاب على ذلك ٩١ والدة بنسبة ٨ر١٢٪

٤ ـ « يشوفه حد من الكبار » أي يرقيه أجاب على ذلك ٧٦ والده بنسبة ٧ر١٠٪ ٠٠

٥ ـ « تتركه يبكى كى يتعلم السكوت ويتسع صدره » وأجاب على ذلك ٣١ والدة بنسبة ٤ر٤٪ ٠٠

وبمقارنة هذه الاستجابات بما توصلنا اليه في الحضر تبين أنهـا مغايرة نسبيا ، اذا أوضح ٢٥٪ من أمهات الحضر بأنهن قد « يحملونه ويهدهدونه » وقد « يداعبونه ويلهونه » كما أوضح ٢٥٪ أيضا من أمهات الحضر بأنهن قد « يقدمن له البزازة أو الثدى أو التنبيه » ويرى ١١٪ من أمهات الحضر بأنهن قد يتركنه « يصرخ » حتى لا يتعود على البكاء بعد ذلك ويرى ٢٢٪ من أمهات الحضر بأنهن يفضلن معرفة السبب ومعالجته بأى طريقة خصوصا اذا كان الصراخ شديدا وغير عادى ٠ وأخيرا يرى ١١٪ من أمهات الحضر بأنهن يلجأن فى هذه الحالة « الى تقديم السوائل المهدئة » أو وقف صراخه بأى شكل وبالاسلوب المناسب خوفا على صحته وأعصابه أو خشية « أن تفتق صرته » ٠

وعند معالجة هذه الاستجابات الخاصة بالامهات فى الريف فى نطاق خصائص الابوين تبين أن معامل كا٢ بين هـذه الاساليب ومستوى تعليم الام ٢٦ر٣٢ ، وهو معامل دال احصائيا عند مستوى ثقة اقل من ٠٠١ر بدرجة حرية ٤٠ حيث تميل الامهات الملمات والمتعلمات الى اعطاء الطفل السوائل المهدئة ، أو عرضه على الطبيب اذا استدعى الامر ذلك ومعالجة أسباب البكاء ٠ بينما تميل الامهات الأميات الى استخدام الوسائل غير الموضوعية وغير الفعالية بصفة عامة ٠

وابلمثل بلغ معامل كا٢ بين هـذه الاسباب ومتغير تعليم الوالد ٠٩ر٤٣، وهو دال احصائيا عند مستوى ثقة أقل من ٠٠١ر٠ بدرجة حرية ٨ ، حيث تميل زوجات الاميين الى الاسراف فى استخدام الوسائل غير الفعالة وغير الموضوعية لايقاف بكاء الطفل ، بينما تلجأ زوجات الملمين

(**) د٠ محمود عبد القادر ـ المرجع السابق ٠

والمؤهلين الى وسائل أكثر فعالية وأكثر وعيا ٠ وهكذا بالنسبة لمتغير مهنة الزوج حيث معامل كا٢ ٨٨ر١٧ ، وهو دال احصـــائيا عنـد مستوى ثقة أقل من ٠٥ر٠ بدرجة حرية ٨ أيضا ٠ أما متغير عمر الام فليس له أى علاقة بهذه الاساليب كما أوضح معامل كا٢ ٠

وهكذا تبين من الدالات الاحصائية التى توصلنا اليها أن مستوى تعليم الوالدين وكذا مستوى معيشة الاسرة لها علاقة دالة احصائيا بوعى الام وفعالية تصرفاتها فى هذا الموقف ٠ فحينما ارتفع مستوى التعليم والدخل (المعيشة) تتصرف الام بشكل موضوعى ازاء صراخ رضيعها بما فى ذلك عرضه على الطبيب ٠

٥ ـ اساليب فطام الطفل فى الريف المصرى :

تكاد نتحصر أساليب فطام الطفل فى الريف المصرى فى أربعة وسائل أساسية هى :

١ ـ الفطام بالصبار والمواد الاخرى ويستخدم ذلك ٣٩٧ والدة من مجموع أفراد عينة الدراسة بنسبة ٤٤٪ ٠

٢ ـ الفطام الفجائى « أو مرة واحدة » ويستخدم ذلك ٢٠٥ والدة من مجموع عينة الدراسة بنسبة ٨ر٢٨٪ ٠

٣ ـ الفطام التدريجى « أو بالتدريج » ويستخدم ذلك ١٠٨ والدة من مجموع أفراد عينة الدراسة بنسبة ٢ر١٥٪ ٠

٤ ـ الفطام التلقائى « أبتعاد الطفل من نفسه « ويستخدم ذلك ٨٢ والدة من مجموع عينــة الدراسة بنسبة ٥ر١١٪ ٠

وعلى ذلك فان أكثر أنماط الفطـام شـيوعاً فى الريـف المصـرى هو الفطـام « بالصـبار » ومقـارنة هـذه النتـائج بمـا توصـلنا اليـه فى دراستنا السابقة عن الحضر تبين أن «الفطام التدريجى(*)» هو أكثر الاساليب شيوعاً ٤٤٪ ، يليه الفطام « بالصبار « ٣١٪ ، ثم (منع الطفل عن الثدى) مرة واحدة ٢٠٪ ، وأخيرا الامتناع التلقائى من الطفـل « ابتعد من نفسه « ٤٪ ٠

وتكاد ان تطابق نتائج بحث احتياجات الطفولة فى الريف المصـرى ما توصلنا اليه فى هذه الدراسة مع إختلاف طفيف فى التفاصيل ٠

(*) د٠ محمود عبد القادر ـ المرجع السابق ٠

وبمعالجة هذه البيانات (الخاصة بالامهات فى الريف) فى نطاق متغيرات خصائص الابوين تبين أن معامل كا٢ بين أساليب فطام الطفل ومستوى تعليم الأم ٧٦ر٧ ، وهو معامل دال احصائيا عند مستوى ثقة أقل من ٠٥ر٠ بدرجة حرية ٠٣ حيث يستخدم ٤٥٪ من الأميات أسلوب « الصبار » مقابل ٧ر٤٢٪ عند الملمات والمؤهلات ، ويستخدم ٤ر٢٩٪ من الأميات « الفطام الفجائى أو مره واحده مقابل ١ر٢٦٪ عند الملمات والمؤهلات ، ويستخدم الاميات ٤ر١٣٪ الاسلوب التدريجى مقابل ٥ر٢٢٪ عند الملمات والمؤهلات ، وأخيرا يستخدم ٢ر١٢٪ من الأميات اسلوب الابتعاد التلقائى منق بل الطفل مقابل ٧ر٨٪ فقط من الملمات والمؤهلات ٠

وبالمثل بالنسبة لمتغير تعليمالوالد حيث بلغ معامل كا٢ بينهما ٣٨ر١٧ ، وهو دال ، احصائيا عند مستوى ثقة أقل من ٠١ر٠ بدرجة حرية ٠٦ حيث يستخدم اسلوب الصبار ٢ر٤٧٪ ٠ من زوجات الاميين مقابل ٨ر٤٤٪ من زوجات الملمين و ٨ر٣٤٪ من زوجات المؤهلين ٠ ويستخدم الاسلوب الفجائى ٦ر٣٠٪ من زوجات الملمين مقابل ١ر٢٧٪ من زوجات الملمين ٢ر٢٩٪ من زوجات المؤهلين ٠ ويستخدم الاسلوب التدريجى ٦ر١١٪ من زوجات الاميين مقابل ٨ر١٤٪ من زوجات المللمين و ١ر٢٨٪ ومن زوجات المؤهلين ٠ وأخيراً يستخدم ٩ر١٢٪ من زوجات الاميين اسلوب الابتعاد انتلقائى مقابل ١ر٩٪ عند زوجات الملمين و ٢ر١٢٪ عند زوجات المؤهلين ٠

أما متغير مهنة الوالد فليس له علاقة بهذه الاساليب كما أوضح ذلك معامل كا٢ الذى بلغ ٤٨ر٤٪ (درجة حرية ٦) ، كذا متغير عمر الام (كا٢ ٤٤ر١ بدرجة حرية ٢) وقد تعنى هذه النتائج أن أسلوب فطام الطفل شأنه سأن أسلوب الرضاعة والسلوك الملازم له يتأثر بشكل دال احصائيا بمستوى تعليم الوالدين ودخل الاسرة ، فحيثما ارتفع هذا المستوى ظهر اسلوب الفطام التدريجى وأصبح هو الاكثر شيوعا ٠ وهو اسلوب ــ على ما يبدو ــ قد يكون مرتبطا الى حد ما بأسلوب الرضاعة نفسه وبنوع ودرجة القيود المفروضة عليه ٠ وحينما انخفض هذا المستوى يصبح لاسلوب الفطام بالصبار أو بمواد أخرى سطوته المطلقة تقريبا بكل ما قد يترتب على ذلك من آثار سلبية على النمو النفسى للطفل كما سنوضح ذلك فيما بعد ٠

٦ ـ الفترة التى تستغرقها عملية الفطام :

لا شك أن الفترة التى تستغرقها عملية الفطام ترتبط مباشرة بأسلوب الفطام نفسه · فالام التى تفطم طفلها بالصبار عادة لا تستغرق هذه العملية يوما أو يومين ، وعلى أقصى تقدير فترة تقل كثيرا عن الاسبوع · وقد تتكرر هذه العملية أكثر من مرة ـ على قسوتها وعنفها ـ لاحداث الانطفاء Extention المطلوب لعادة الرضاعة المدعمة بشدة بطبيعة الحال · بيد ان الفطام التدريجى هو الاسلوب الذى يستغرق بطبيعته زمنا أطول · وقد يستغرق الفطام الفجائى ذات الفترة التى يستغرقها الفطام بالصبار ، بيد أن اسلوب ابتعاد الطفل عن نفسه أو تلقائيا له وضع مميز ، حيث يسبق ذلك ـ بفترة تطول أو تقصر ـ اشارات وايحاءات من الام لبث التقزز والاشمئزاز من الثدى أو « البزازة » من قبل الطفل حتى يقرر هو نفسه الابتعاد عنه ····· وقد يكون الامر غير ذلك ·

عموما فقد بلغ المتوسط العام لفترة التى استغرقتها عملية الفطام عند اطفال عينة هذه الدراسة ٧٢ر١ أسبوعا فقط ، أى فى حدود ١٢ يوما تقريبا ·· وهى فترة قصيرة نسبيا تعكس بوضوح مدى المعاناة التى يلقاها الطفل فى الريف المصرى بالنسبة لهذا الحدث الخطير فى طفولته المبكرة · وتفصيلا. فقد قررت ٣٢٢ والدة أن الفترة التى استغرقتها فطام طفلها تتراوح بين يوم وأقل من أسبوع ، أى بنسبة ٢ر٤٥٪ ، كما قررت ٢٢٧ والدة أن هذه الفترة تتراوح بين أسبوع وأقل من أسبوعين ، أى بنسبة ٩ر٣١٪ ، وقررت ٨٦ والدة أن هذه الفترة تتراوح بين اسبوعين وأقل من شهر اى بنسبة ١ر١٢٪ وأخيرا قررت ٧٧ والدة ان هذه الفترة استغرقت على وجه التقريب من شهر الى اكثر من ثلاثة أشهر أى بنسبة ٨ر١٠٪ ·

وبمعالجة هذه البيانات داخل نطاق متغيرات خصائص الوالدين تبين أن متوسط الفترة التى يستغرقها فطام اطفال الامهات الاميات ١٢ يوما تقريبا بينما ترتفع الى ١٦ يوما تقريبا عند أطفال الامهات الملمات والمؤهلات ·

كما تبين أن متوسط هذه الفترة ١٢ يوما تقريبا عند أطفال الاباء الاميين ، واسبوعان عند أطفال الاباء الملمين ، وما يقرب من ١٧ يوما عند أطفال الاباء المؤهلين ·

كما تبين انه لا توجد فروق ملحوظة فى متوسطات الفترة التى تستغرقها عملية الفطام داخل يتم متغير مهنة الوالد وكذا يتم متغير عمر الوالد ·

ولقد لاحظنا تطابقاً لافتا للنظر بين هذه النتائج ونظيرها فى الدراسة القومية عن احتياجات الطفولة فى مصر* (عينة الريف) ٠ أما ما سبق أن توصلنا اليه من نتائج فى دراستنا للحضر فان الاختلاف جد خطير** ٠ فالمتوسط العام للفترة التى يستغرقها فطام الطفل فى الحضر المصرى تقترب من ٣½ شهرا ، ١٤ اسبوعا والفرق بين هذا المتوسط ونظيره فى الريف بالغ الدلالة احصائيا ٠ ولاحظنا أيضا فى عينة الحضر أن هناك فروقا جوهرية (دالة احصائيا) بين متوسط الفترة التى يستغرقها فطام الطفل فى الطبقة المتوسطة فى الحضر (٢٠ أسبوعا) وتلك التى يستغرقها فطام الطفل فى الطبقة الدنيا (٨ أسابيع فقط) ٠ مما تؤكد ما سبق استنتاجه بأن الفترة التى تستغرقها عملية الفطام ، شأنها شأن أسلوب الفطام والرضاعة ، تتوقف على المستوى التعليمى والحالة الاقتصادية للوالدين ، سواء كان ذلك فى الحضر أو الريف ٠ وقد يشير الانخفاض الشديد لهذا المتوسط فى الريف الى أن المستوى التعليمى والاقتصادى للاسرة الريفية فى مصر شديد التواضع اذا ما قورن بنظيره بصفة عامة فى الحضر المصرى عموما وفى مدينة القاهرة على وجه الخصوص ٠

٧ ـ عمر الطفل عند الفطام (نهاية الفطام) :

منطقيا ، يبدو أن عمر الطفل عند نهاية الفطام يعتبر الى حد ما محصله لمجموعة المواقف السابقة ولغيرها من المواقف المشابهة التى لم تتضمنها استمارة التنشئة الاجتماعية ٠ ولقد تبين من هذه الدراسة أن المتوسط العام لعمر الطفل فى الريف المصرى عند نهاية الفطام يقترب من السنتين، وتحديدا فهو ٢٣ شهرا ، بانحراف معيارى ٦ر٢ شهرا ٠ وقد يعنى هذا الانحراف المنخفض أن ثمة تجانسا لافتا للنظر لهذا المتوسط فى ريف مصر شأنه فى ذلك شأن أساليب الرضاعة والفطام والفترة المستغرقة فى الفطام ٠

ويبدو للباحث أن اساليب الامهات فى معظم مواقف الرضاعة والفطام شديدة التجانس فيما بينها بصرف النظر عن الاختلافات الناتجة عن الفروق

(*) بحث احتياجات الطفولة فى مصر المرجع السابق ٠

(**) د٠ محمود عبد القادر المرجع السابق ٠

فى مستوى تعليم الوالدين والحالة الاقتصادية للاسرة • وعليه يبدو أن ثمة انماطا مميزة لهذه الاساليب ومتوارثة عبر الاجيال ، قد تكون غير قابلة للتغير السريع ، على عكس الحال فى الحضر المصرى • ويبدو أن حال الريف المصرى العتيد الذى لم يتغير كثيرا عبر أجيال عـــديدة هو نفسه حتى فى أساليب رضاعة الطفل وفطامه •

وتفصيلا فان هناك ٣٥ سيدة قررت أن الطفل قد أكمل فطامه وهو فى عمر يتراوح بين ٦ ــ ١١ شهرا (أى نصف سنة الى أقل من سنة) بنسبة ٩ر٤٪ فقط • وأن هناك ١٢٥ سيدة قررت أن اطفالهن كانت تتراوح أعمارهم بين ١٢ شهرا و ١٧ شهرا عندما استكملوا الفطام ، أى بنسبة ٦ر١٧٪ • وهناك ٢٢٧ والدة قررت أن اطفالهن كانت تتراوح أعمارهم بين ١٨ ــ ٢٣ شهرا عندما استكملوا الفطام ، أى بنسبة ٩ر٣١٪ من مجموع أفراد العينة ، وهناك ٢٣٢ سيدة قررت أن هذا السن يتراوح بين ٢٤ شهرا و ٣٠ شهرا بنسبة ٦ر٣٢٪ ، وأخيرا يوجد ٣٠ والدة قررت أن هذا السن يتراوح بين ٣٠ شهرا و ٣٦ شهرا ، نبسبة ١ر١٢٪ •

وعند معالجة هذه البيانات داخل نطاق متغير تعليم الام تبين أن متوسط عمر اطفال الامهات الاميات عند نهاية الفطام كان ٢٣ شهرا بانحراف معيارى ١ر٦ شهرا مقابل ٢ر٢٠ شهرا بانحراف معيارى ٧ر٦ شهرا عند اطفـــال الامهات الملمات والمؤهلات وبلغت النسبة الحرجة بين المتوسطين ٣٣ر٥ وهى دالة عند مستوى ثقة أقل من ١٠ر٠ •

كما تبين أن متوسط عمر الطفل عند نهاية الفطام بالنسبة للاباء الاميين ٣ر٢٥ شهرا بانحراف معيارى ــ ٣ر٧ شهرا ، ومتوسط عمر الطفل بالنسبة للآباء الملمين ١ر٢٢ شهرا بانحراف معيارى ــ ٢ر٧ شهرا ، وبالنســـبة لابناء الاباء المؤهلين ٨ر١٩ شهرا بانحراف ــ ٥ر٦ شهرا • والنســـبة الحرجة بين الاميين والملمين ٧٨ر٥ وهى دالة عند مستوى أقل من ١٠ر٠ كما ان النسبة الحرجة بين الاميين والمؤهلين ١٠ر٧ وهى دالة عند مستوى أقل من ١٠٠ر٠ ، والنسبة الحرجة بين الملمين والمؤهلين ٩٦ر٢ وهى دالـة عند أقل من ٠٥ر٠ فقط •

كذلك أتضح أن متوسط هذا العمر عند أطفال الاباء الاجـــــــراء والملاك او المستأجرين لاقل من ٣ أفدنة ٢٢٫٨ شهرا بانحرا فـمعيارى ـ ٦٫٥ شهرا ، ولاطفال الاباء المستأجرين الملاك لثلاثة أفدنة فأكثر ٢١٫٧ شـــهرا بانحراف ـ ٦٫٤ شهرا والاطفال الاباء غير الزراعيين ٢١٫٤ شهرا بانحراف ـ ٦٫٥ شهرا • وتبين أن النسبة الحرجة بين عمر اطفال الاجراء والملاك ٢٫٠٣ وهى دالة عند أقل من ٠٫٠٥ وبين الاجراء وغير الزراعيين ٢٫٢٤ وهى دالة عند أقل من ٠٫٠٥ أيضا • وبين الملاك وغير الزراعيين ٠٫٤٠ وهى غير دالة احصائيا • ولم نتوصل الى فروق جوهرية بين متوسط عمر أطفال الامهات اللائى يقل اعمارهن عن ٤٠ سنة ومتوسط من يزيد اعمارهن عن ٤٠ سنة فيما يتعلق بهذا الموقف •

واذا جاز لنا أن نقارن هذه النتائج بنظيرها فى الحضر يتبين (*) أن متوسط عمر اطفال الطبقة المتوسطة عند نهاية الفطام ١٩٫٧٠ شهرا بانحراف معيارى ـ ٦٫٧٨ شهرا مقابل ٢٤ شهرا وانحراف ـ ٦٫٤٠ عند اطفـــال الطبقة الدنيا ، والفرق بين المتوسط بين دال احصائيا عند مستوى ثقة أقل من ٠٫٠٠١ (مقياس ت)

وهكذا يبدو بجلاء ان عمر الطفل عند نهاية الفطام فى الريف المصرى وان كان أعلى بكثير من نظيره فى الحضـــــر ، الا انه يرتبط بشكل دال احصائيا بمستوى تعليم والديه وحالتهما الاقتصادية •

استقراء لاثار هذه الاساليب على شخصية الطفل فى الريف المصـــرى

لقد تبين من العرض السابق أن الريف المصرى يتميز بالتجانس الواضح فى أساليب معاملة الطفل بالنسبة لمواقف الرضاعة والفطام وما يتعلق بها من اجراءات وان هذا التجانس يكاد أن يفتقر اليه الحضر نسبيا • ويبدو بوضوح أن هنـاك أنماطا شائعة لتنشئة الطفل فى الريــف المصــرى •

ففى الرضاعة يشيع أو يكثر أسلوب الرضاعة بالثـدى ، كما يكثـر

(*) د• محمود عبد القادر ـ المرجع السابق •

أسلوب الاستجابات الانفعالية والعاطفيه ازاء الصراخ أو البكاء غير العادى للطفل ، يسيطر ايضا أسلوب الفطام بالصبار أو غيره من المواد الحريفة او المقززة • وتتميز مدة أو فترة الفطام بالقصر الشديد بحيث لا تزيد عن أسبوعين الا فى الحالات الاستثنائية حيث يرتفع المستوى التعليمى والاقتصادى للابوين . واخيرا يتميز الريف بفطام الطفل فى سن متأخر يفوق نظيره فى الحضر بشكل مثير للاهتمام • ورغم الفروق الجذرية بين الريف والحضر فى أساليب الفطام والرضاعة الا أن هذه الفروق لا تخرج عن كونها كمية أى فروقا فى الكم فقط وليست فى الكيف ، فكل أساليب الرضاعة والفطام لها وجود فى الريف كما هى فى الحضر ، الا ان الاختلاف بين الثقافتين الفرعيتين ينحصر فى التفاصيل فقط • واللافت للنظر بحق أنه فى حالة ارتفاع المستوى التعليمى والاقتصادى للاسرة الريفية ـ كما لاحظنا من تحليل استجابات الامهات فى نطاق خصائص الوالدين ـ فان هذه الاساليب تكاد ان تقترب ، بل أحيانا تتطابق ، مع نظيرها فى الحضر • وقد تعنى ذلك أن الاختلاف بين الريف والحضر المصرى هو فى الاساس اختلاف فى المستوى التعليمى والاقتصادى والاجتماعى • اذ لم نتوصل من تحليل البيانات السابقة الى ما يشير أن ثمة أساليب تميز الريف المصرى عن حضره • ويبدو أن تجانس المستويات الاقتصادلية والاجتماعية (النسبى) فى الريف هو المسئول عن ظهور أنماط مسيطرة بشكل مميز فى الريف ، حيث يصعب وجود نظير لها ـ على المستوى الكمى (المنوال أو الشائع الاحصائى) فى الحضر، نظرا كما هو معروف من تميز الحضر ـ خصوصا مدينة القاهرة بالتباين والتفاوت الشديد فى المستوى التعليمى والاقتصادى والاجتماعى وغيره •

والسؤال الان هو الى أى مدى يمكن أن تؤثر هذه الاساليب المتجانسة فى الريف المصرى على شخصية الاطفال هناك • وقبل الاجابة على هذا السؤال يجمل التنويه بأن ما يمكن أن نتوصل اليه من اجابات لا يعدو كونه افتراضات اولية سوف يتحقق من صحتها فى المراحل التالية من البحث عندما نتعرض لعلاقة هذه الاساليب بشخصية الطفل فى الريف المصرى • أى عندما يأتى دور معالجة هذه الاساليب مع متغيرات مقاييس الشخصية التى طبقت على أبناء (اطفال) هذه الاسر •

ان أول ما يلفت نظر الباحث في الريف هو أن فترة الرضـــاعة طويلة نسبيا ، تستغرق فى المتوسط عامين وان الاداة الرئيسية فيها ثـدى الام ، وأنه لا يكاد يوجد أى نوع من القيود على الرضاعة عند الغالبية العظمى من الامهات خصوصا اذا كانت الرضاعة بالثدى · ويبدو للبحث ان طفل الريف المصرى ـ فى المتوسط ـ يحظى بنصيب مميز من الاشباع الفمى ، بل قد يصل الامر الى حد الانهمار الفمى · Oral over indulgence

ـ أن هذا الأشباع الفمى ، الذى قد يصل أحيانا الى حد الانهمار ، يعنى ـ وفق النظرية السلوكية ونظرية التحليل النفسى تثبيتا ما على المرحلة الفمية فقد تتدعم بشكل ما بعض الخصائص المميزة للخلق الفمى (الخصـائص الايجابية المكتسبة من الاشباع الفمى) من ثقة أساسية ، والشعور بالامن ، والاعتماد الشديد على الاخرين ، والسلوك الفمى المتعدد والمختلف · وقد تتدعم بعض العادات السلوكية المتعلقة بالقدرة على العطاء والكرم ···· وما الى ذلك · واذا أخذنا بوجهة نظر كل من فرويد وليفى عن العلاقة بين الاشباع او الانهمار الفمى وعادة مص الاصابع فمن المحتمل أن تكون مثل هذه العادة وغيرها شائعة نسبيا فى الريف المصرى ·

ولعل القصر الشديد الذى تتميز به فترة فطام الطفل فى الريف المصرى يمكن أن تفسر آثارها النفســية على الطفل بتدعيم التناقض الوجــدانى ambivalence أو على الاقل ظهور هذه السمة بشكل واضح والذى يتمثل فى الرغبة عن رغوالبة فى الموضوع فى نفس الوقت والرغبـــة فى الثدى او الام والرغبة عنه او عنها فى نفس الوقت · بديهى أن هذا التناقض الوجدانى المبكر تتثبت جذوره بالصدمة الاولى للفطام · اذ ان الفطام فى الريف المصرى ـ يمثل فى أغلب الحالات ـ صدمة انفعالية ، تتفاوت شدتها بتفاوت ارتبط الطفل بامه (او بالثدى) ، وذلك اذا استثنينا الفطام التدريجى الذى لا يمثل أكثر من ١٥٪ من اطفال الريف المصرى · قد يعنى التغيــــر المفاجىء والمتعسف (خصوصا اذا كان بالصبار أو غيره) لاسلوب التغذية تغيرا فى نمط علاقته بالموضوع ، هذا النمط الذى اقترن منذ البداية بعمليات بيولوجية تتعلق باستمرار حياته وبقائها · ومن ثم فان هذا التغير وان كان يتضمن الاستمرار البيولوجى لوجوده الا أنه قد يعنى فضا لعلاقته الثنائية مع أمه وقد يعمل عامل قصر فترة الفطام فى الريف على زيادة شدة هـــذه الصدمة ويؤكد فض العلاقة الثنائية على نحو مأسوى بالنســـبة للطفل ·

وتصورنا أن المسألة تؤول بالنسبة للطفل الى أكثر من مجرد الابتعاد القسرى عن الثدى ، الذى هو مصدر حياته وأمنه ، بل قد تمتد الى التشكك المفاجىء فيه نظرا للآلام التى أصبح يسببها له الصبار أو المواد الحريفة ، أى حتى لمجرد اختفائة المفاجىء عن ناظرية دون مقـدمات أو أسـباب معقولـة من وجهة نظرة ... ويصبح فجأة موضوع حبـه وأمنـه موضوعـا لبغضـه وخوفـه ونفوره .

لقد أوضح سيرز أن حسم الام لموقف الفطام قد يخفف من حدة صدمة الفطام عنـد الطفل . فقد أثبت أن حسم الام لهذه المواقف وعـدم ترددها وضعفها أمام رجاءات الطفل والحاحاته فى عودة الثدى أو « البزازة اليه » يخفف الى حد كبير من مظاهر الازدواج العاطفى وغيره من الاثار النفسية السلبية عند الطفل . بيد أن الشواهد التى بين أيدينا تؤكد أن الام الريفية قد لا تكوون حاسمة مع طفلها فى موقف الفطام ، تماما كما هى غير حاسمة فى معالجة مشكلات بكائه وتعلقه الشديد بها .

وأخيرا طول فترة الرضاعة وامتدادهاعلى مدى عامين فى المتوسط من شأنه أن يدعم اعتماد الطفل على الاخرين فى اشباع حاجاته ورغباته . اذ لا شك أن الفطام المبكر ـ خصوصا اذا كان تدريجيا ـ من شأنه أن يدعم من السلوك الاستقلالى للطفل ويعزز من اعتماده المبكر على نفسه ....

ويبدو أن هذا الاستقلال يكاد أن يفتقر اليه الطفل فى الريف المصرى .

ثانيا ـ تدريب الطفل على مواقف الفطام « التواليت ، النظافة ، والنوم » :

أوضحنا أن تدريب الطفل على عمليات الاخراج قد يصاحب من الناحية الزمنية تدريبه على الفطام ، وقد يكون لاحقا للفطام ، لكنـه على ما يبدو ليس سابقا عليه . لانه يعتمد على النمو الجسمى للطفل بالقدر الذى يمكنه من السيطرة على عضلات المثانة والمستقيم ، وهذا لا يتأتى الا فى عمـر معين . صحيح أن بدايات هذا التدريب خصوصا فى الحضر المصرى ـ قد تظهر بعد الشهور الستة الاولى من عمر الطفل ، الا ان اتمامها على خيـر وجه قد تظهر نتائجه بعد هذا العمر بكثير اذا توافرت عوامل معينة . وقد لا تحتاج الى مساعدة أو تدخل مباشر من البيئة الخارجية ، الا فى حـالة النظافة أو تدريب الطفل على القيام بهذه العملية بعد اشارات معينة منه ..

ثم بعد ذلك تدريبه على القيام بها فى زمان ومكان معينين · ويتميز هـــذا الموقف الاشراطى (الاشراط بالزمان والمكان المعينين) بعدم وجود تغيرات جذرية فى العادة الاولى ، أى فى عملية الاخراج ذاتها ، كما هو الحال فى الفطام مثلا · ويبدو أن التدريب على مواقف الاخراج والنظافة والنـــوم لا يتضمن ابدال عادة أولية بعادة مكتسبة ، انما يتضمن فقط مجرد معلية اشراط بزمان ومكان محددين ·

١ ـ أساليب تدريب الطفـل على مواقف الاخراج :

تنحصر أساليب تدريب الطفل على مواقف الاخراج فى ثلاث فئـــات كبرى هى :

١ ـ الاسلوب التلقائى ، واستخدمته ٢٢ سدية من أفراد عينـــــة الدراسة بنسبة ١ر٣٪ ·

٢ ـ التدريب بالعقاب بالتوجيه واستخدمته ٣٣ سيدة من أفـــراد عينة الدراسة ٦ر٤٪ ·

٣ ـ وأخيرا التدريب بالتوجيه واستخدمته ٦٥٧ سيدة من أفراد عينة بنسبة ٣ر٩٢٪ ·

ويتضمن الاسلوب التلقائى استجابات مختلفة من قبل الام ، مثل « هو اتعلم من نفسه كبر » « بيشوف أخواته ويعمل زيهم » · كما يتضمن التدريب بالعقاب استجابات مثل » أكش فيه » ، أخوفه » « أظهر له غضبى » ، اضربه كلما تصير بدون موعد أو بدون القصرية » · أما التدريب بالتوجيه فيتضمن أيضا أساليب متعددة بما فى ذلك الايحاء بالمحاكاة والحث على التشـــبه بالاخرين · ومن الاستجابات الشائعة للامهات على هذه الفئة من الاساليب « انحنحه من صـــــغره وأقوله كخ » ، احطه على القصرية أو الكرسى فى مواعيـد ثابتة بمـــا فى ذلك ادخـــــاله دورة الميـاه « اخذه بالســـياسة وانبه عليه دائما » ···· الخ ·

وهكذا فان التدريب على مواقف الاخراج بأساليب التوجيه المختلفـة يمثل المنط الشائع تماما فى الريف المصرى ·

وبمقارنة هذه النتائج بما توصلنا اليه* في دراستنا السابقة للحضر تبين أن ٢٥٪ من الامهات يستخدمن أسلوب التكرار والارشاد وبث الدافع والاقناع ، ٢١٪ يتجاهلن الموقف ويتركن الطفل على حريته ولا يتدخلن الا عند تنظيف بقايا الاخراج ، ٢٣٪ يستخدمن الاساليب المختلفة من العقاب بما في ذلك التخويف ، ١٦٪ يستخدم اسلوب الحرمان والتهديد وتحذير أوخيرا يستخدم ١٠٪ من الامهات الزجر والتأنيب ، بالاضافة الى ٥٪ من الامهات يستخدمن أساليب أخرى متنوعة ·

ولقد تبين أن النتائج التى توصلنا اليها فى هذه الدراسة تطابق الى حد كبير نتائج بحث احتياجات الطفولة فى مصر (عينة الريف) مع اختلاف طفيف فى التفاصيل ·

وعند معالجة هذه البيانات فى نطاق متغيرات خصائص الوالدين تبين أن معامل كا٢ بين هذه الاساليب ومستوى تعليم الام ١ر٨٤ ، وهو غير دال احصائيا عند المستوى الموثوق به من المعنوية الاحصائية (بدرجة حرية ٢) ·· كما أن معامل كا٢ بين هـذه الاساليب ومستوى تعليم الوالد ٣ر٠٣ ، وهو معامل غير دال احصائيا أيضا (بدرجة حرية ٤) · وبالمثل بالنسبة لمتغير مهنة الوالد حيث بلغ ماعمل كا٢ ٣ر٠٢ وهو غير دال احصـــــائيا أيضا (درجة حرية ٤) وكذلك بالنســــبة لعمل الام حيث بلغ معامل كا٢ ١ر٠٤ وهو عير دال احصائيا (صدرجة حرية ٢)

ومعنى ذلك أن هذه الاســــاليب تتأثر بالمستوى التعليمى للابوين أو بالحالة الاقتصادية والاجتماعية لاسرة الطفل مما قد يوحى بأنها نمط ثقافى مميز ·

٢ ـ عمر الطفل عند تعلمه السيطرة على عمليات الاخراج :

تبين من استجابات الامهات على هذا السؤال أن عمر الطفل عنـــد تعلمه السيطرة على عمليات الاخراج يتراوح بين أقل من سنة وأكثر من أربع

(*) د· محمود عبد القادر ـ المرجع السابق ·

سنوات • فقد قرر ٧٠ سيدة من أفراد عينة هذه الدراسة (٨ر٩٪) أن عمر الطفل وقتها كان أقل من سنة •

و ٩٣ سيدة من أفراد عينة هذه الدراسة (١ر١٣٪) قررن أن عمر الطفل وقتها كان بين سنة وأقل من سنتين •

و ٢٩١ سيدة من أفراد عينة هذه الدراسة (٩ر٤٠٪) قررن ان عمر الطفل وقتها كان بين سنتين وأقل من ٣ سنوات •

و ١٨٩ سيدة من أفراد عينة هذه الدراسة (٥ر٢٦٪) قررن أن عمر الطفل وقتها كان بين ثلاث سنوات وأقل من ٤ سنوات •

و ٧٩ سيدة من أفراد عينة هذه الدراسة (٧ر٩) قررن أن عمر الطفل وقتها كان حوالى ٤ سنوات فأكثر •

معنى ذلك أن المتوسط العام لعمر الطفل عند استكماله سيطرته على عمليات الاخراج فى الريف ٤٤ر٣١ شهرا بانحراف معيارى ــ ٠ر١٣ شهرا ، أى فى الحدود بين سنتين ونصف وثلاث سنوات • بينما يبلغ هذا المتوسط فى الحضر ٢٧ شهرا تقريبا بانحراف معيارى ــ ٨ر١٢• * والفرق بين الريف والحضر على ما يبدو بالغ الدلالة احصائيا •

وعند معالجة هذه البيانات فى نطاق خصائص الوالدين فى الريف تبين أن متوسط عمر اطفال الامهات الاميات عند نهاية الفطام ٢ر٣٢ شهرا بانحراف ــ ٧ر١٢ شهرا مقابل ٢ر٣١ شهرا لاطفال الامهات الملمات والمؤهلات •• ومقياس ت بين المتوسطين غير دال احصائيا (٨٢ر٠) • كما أن متوسط هذا العمر عند اطفال الاباء الاميين ٢ر٣٤ شهرا بانحراف معيارى ــ ٤ر١٤ شهرا ومتوسطه عند أطفال الاباء الملمين ٢ر٣١ شهرا بانحراف ــ ٦ر١٢ شهرا ، ومتوسطه عند اطفال الاباء المؤهلين ٧ر٢٤ شهرا بانحراف ــ ٤ر١٢ شهرا ومقياس ت بين الاميين والملمين ٧٥ر٢ وهو دال احصائيا عند مستوى ثقة أقل من ٠١ر٠ ، ومقياس ت بين الاميين والمؤهلين ٦ر١٤ وهو دال

(*) د• محمود عبد القادر ــ المرجع السابق ••

احصائيا أيضا ولكن عند مستوى ثقة أقل من ٠٠١ر٠ ومقياس ت بين المتعلمين والمؤهلين ٤١ر٤ وهو دال احصائيا عند أقل من ٠١ر٠ وفى نطاق متغير مهنة الوالد تبين أن متوسط عمر اطفال الاباء الاجراء وصغار الملاك والمستأجرين عند نهاية التدريب على الاخراج ٣٣ر٤ شهرا بانحراف ± ١ر٨ شهرا ، مقابل ٣٠ر٥ شهرا وانحراف ± ١٢ر٧ شهرا عند أطفال الملاك والمستأجرين لاكثر من ٣ أفدنة ، و ٣٠ر٤ شهرا بانحراف ± ١٢ر٦ شهرا عند أطفال الاباء غير الزراعيين ومقياس ت بين الاجراء وغير الزراعيين ٣٤ر٢ وهو دال احصائيا عند اقل من ٠٥ر٠ . ومقياس ت بين الاجراء وغير الزراعيين ٢٨ر٢ وهو دال احصائيا عند اقل من ٠٥ر أيضا اما مقايس ت بين الملاك وغير الزراعين فانه غير دال احصائيا ٠

ولم نتوصل الى وجود أى فروق دالة احصائيا داخل نطاق عمر الام ٠

وتعنى هذه النتائج أن عمر الطفل عند تعلمه السيطرة على عمليات الاخراج شديد الاعتماد على المستوى التعليمى للابوين وحالتهما الاقتصادية

وكما يتأثر هذا المتغير فى الريف بالمستوى الاقتصداى والاجتماعى لاسرة الطفل يتأثر أيضا فى الحضر المصرى (مدينة القاهرة)* حيث تبين لنا من دراسة سابقة أن متوسط هذا العمر عند ابناء الطبقة المتوسطة ٦٨ر٢٢ شهرا بانحراف معيارى ـ ٩ر١٢ وأن هذا المتوسط يبلغ ٨٨ر٣٢ شهرا بانحراف ـ ٠ر١٥ شهرا عند ابناء الطبقة الدنيا ومقياس ت بين المتوسطين ٤٣ر٥ وهو دال احصائيا عند اقل من ٠١ر٠

٣ ـ تصرفات الأم عندما يعاود الطفل التبول اللاارادى بعد تدريبه على ضبط التبول :

قد تكون تصرفات الامهات حيال هذا الموقف مؤشرا جيدا لقياس حرصهن على تدريب الطفل على مواقف الاخراج عموما ووعيهن بما يمكن ان يترتب على فشل الطفل فى ذلك من نتائج على سلوكه فى المستقبل ٠ وتنحصر استجابات الأمهات الريفيات فى الاساليب التالية :

(*) د٠ محمود عبد القادر ـ المرجع السابق ٠

١ ــ اللامبالاة والتجاهل ، وأجاب على ذلك ٢٢١ سيدة بنسبة ٣١٪ من مجموع عينة الدراسة ٠

٢ ــ العقاب بأنواعه المختلفة ، وأجاب على ذلك ٢٩٧ سيدة بنسبة ٧ر٤١٪ من مجموع أفراد عينة الدراسة ٠

٣ ــ النصح والارشاد ، وأجاب على ذلك ١٢٥ سيدة ، بنسبة ٦ر١٧٪ من مجموع أفراد عينة الدراسة ٠

٤ ــ وسائل أخرى ، وأجاب على ذلك ٦٩ سيدة ، بنسبة ٧ر٩٪ ٠

وتعنى استجابة اللامبالاة أو التجاهل ردود الافعال السلبية من الام ازاء الطفل مثل « ولا حاجة اسيبه لما يكبر هو حايتعلم لوحده ٠٠٠٠٠٠ » . « لا أفعل شيئا غير انى اغير له هدومه وخلاص » ، « اسيبه بوساخته عشان يعرف غلطه » ٠٠٠٠ الخ ٠

كما تعنى اساليب العقاب « الضرب » « ونهر الطفل امام اخواته » ، « شتيمته وتوبيخه » كما يعنى ايضا عدم سماح الام بذلك مطلقا ومهما كانت الظروف ٠

أما النصح والارشاد فيعنى مناقشة الطفل وتفهيمه بخطئه وحثه على عدم تكرار ذلك ٠ وتدل النتائج السابقة على أن أسلوب العقاب هو الاكثر شيوعا فى الريف المصرى يليه اللامبالاة ثم النصح والارشاد ٠ مما قد يوحى بأن التشدد والتسامح (بما فى ذلك اللامبالاة) نمطان متلازمان فى تدريب الطفل على ضبط مواقف الاخراج ٠ وفى مقابل ذلك فان النمط السائد* فى الحضر هو التكرار والارشاد وبث الدافع حيث يشكل ٥٢٪ من استجابات الامهات على هذا الموقف ، يليه العقاب البدنى أو التهديد به ٢٣٪ ، والحرمان من الامتيازات المادية والمعنوية التى يحبها الطفل ١٠٪ (يلاحظ أن هذا الاسلوب ليس له مقابل تقريبا في الريف) ، وللزجر والتأنيب والتوبيخ ١٠٪ ، والتحذير والتهديد ٦٪ ، وأخيرا ترك الطفل وتجاهله (كنوع من العقاب) ٢١٪ ٠٠

(*) د٠ محمود عبد القادر ــ المرجع السابق ٠

وهناك ٥٪ تقريبا من الامهات انكرن تماما حـــدوث مثل ذلك وتمســـكن بأن اطفالهن لا يفعلون ذلك ٠

ويتضح من المقارنة أن الاتجاه الغالب على أمهات الحضر فى هـــذا الموقف هو التشدد الذى قـد يصل أحيانا الى حد انكار حدوث ذلك السلوك وأن التسامح أو اللامبالاة يكاد يكون هو الاستثناء ٠

وعند معالجة هذه البيانات فى نطاق خصائص الوالدين تبين أن معامل كا٢ بين تعليم الامهات واستجابتهن على هذا الموقف ٧١ر٧ ، وهو معامل دال احصائيا عند مستوى ٠٥ر٠ ثقة بدرجة حرية ٣ ، حيث استجابت ٤ر٣٢٪ من الامهات الاميات باللامبالاة مقابل ٤ر٢٥٪ من الملمات والمؤهلات ، كمـــا استجابت ٢ر١١٪ من الاميات بأسلوب النصح والارشاد مقابل ٢ر٢٣٪ عند الملمات والمؤهلا ، واستجابت ٢ر٤٢٪ من الاميات بأسلوب العقاب مقابل ٩ر٣٩٪ من الملمات والمؤهلات ، ٢ر٩٪ من الاميات استخدمن وسائل أخرى مقابل ٦ر١١٪ من المؤهلات والملمات ٠

ولم نتوصل الى علاقات دالة بين هذه الاساليب ومستوى تعليم الوالد ، ومهنته وعمر الام ٠ ويبدو هـــذه الاســـاليب من حيث هى انعكاس للسلوك الشخصى للام تتأثر مباشرة بمستوى تعليمها على حين أن تأثرها بالمتغيرات الاخرى ضعيف أو صغرى ٠ ولقد توصلنا الى نفس النتائج تقريبا فى الدراسة السابقة من الحضر ٠ *

٤ ـ تدريب الطفل على النوم فى مواعيد محددة :

لا شك أن تدريب الطفل على النوم فى زمان ومكان محددين يرتبط بشكل أو آخر بتدريبه على المواقف السابقة ، أو على الاقل يعتبر التدريب على هذا الموقف امتدادا او استكمالا للتدريب على ضبط الاخراج ٠ واذا كان الريف المصرى يتميز بالتساهل النسبى فى التدريب على مواقف الاخراج على نحو ما تبين فى العرض السابق ، فليس من المتوقع أن نفاجأ بنظام تدريبى صارم

(*) د٠ محمود عبد القادر ـ المرجع السابق ٠

لتعويد الطفل على النوم فى زمان ومكان محددين هناك ٠ ليس فقط لان هذا الموقف امتداد لسابقه ولكن لاعتبارات اجتماعية أخرى كثيرة ، لعل أهمهـــا طبيعة السكن الريفى وطبيعة الاسرة الريفية التى ما زال يسودها النمط الممتد. وطبيعة الحياة الريفية وادراك الزمن ومعدل ايقاع الحياة هناك وما الى ذلك ٠ وتنحصر استجابات الامهات على هذا الموقف فميا يلى :

١ ـ ينام فى وقت محدد ، وأجابت على ذلك ٧٧ سيدة بنسبة ٨ر١٠٪ من مجموع العينة ٠

٢ ـ ينـام فى وقت نوم الوالدين ، وأجابت عـلى ذلك ٤٦ سيدة بنسبة ٦٥٪ من مجموع العينة ٠

٣ ـ ينام فى وقت ما هو عايز ، وأجابت على ذلك ٥٨٩ سيدة بنسبة ٧و٨٢ من مجموع العينة ٠

ويعنى ذلك أن النمط الشائع هناك هو ترك الحرية للطفل « لينام » فى الوقت الذى يحلو له ٠ وأن القيود المفروضة على مواعيد النوم ـ ان وجدت ـ تتمشى مع القيود المفروضة على الاخراج ٠

وبمقارنة هذه النتائج بما توصلنا اليه فى الحضر تبين أن ٥٥٪ من أمهات الحضر يلزمن أطفالهم بالنوم فى وقت محدد بصرف النظر عن أى اعتبار ، و ٤٣٪ منهن لا يلزمن أطفالهن بذلك ، وان كن يفضلن أن ينام أطفالهن ـ على أكثر تقدير ـ فى نفس موعد نوم الوالدين ٠

وأخيرا يفضل ٢٪ من الامهات التشدد والتساهل معا حسب ظـروف الاسرة والطفل معـا ٠

وعند معالجة بيانات الريف فى نطاق خصائص الابوين تبين ان كا٢ بين مستوى تعليم الام وتدريب الطفل على مواعيد محددة للنوم ٠٣ر١٩، وهو معامل دال احصائيا عند مستوى ثقة أقل من ٠٠١ر٠ بدرجة حرية ٢ بمعنى ان ٣ر٨٪ من الامهات الاميات يلزمن اطفالهن بالنوم فى وقت محدد مقـــابل

(*) د٠ محمود عبد القادر ـ المرجع السابق ٠

١ر٢١٪ من الملمات والمؤهلات ، و٧٪ من الاميات يلزمن أطفالهن بالنوم فى وقت « نوم الوالدين » مقابل ٣ر٤٪ من الملمات والمؤهلات ، ٧ر٨٤ من الاميات يتركن للطفل حرية النوم « فى وقت ما هو عايز » مقابل ٦ر٧٤٪ من الملمسات والمؤهلات ·

كما تبين أن كا٢ بين مستوى تعليم الوالد وتدريب الطفـل على هذا الموقف ٦ر٨٦ر٧ ، وهو معامل غير دال احصائيا عند مستوى الثقة المطلـوبة وان كان واضحا أن ٥ر٩٪ من اطفال الاباء الاميين ملزمون بالنوم فى وقت محدد مقابل ١٠٪ من أطفال الاباء الملمين و ١٨٪ من اطفال الاباء المؤهلين ·

كما تبين أيضـــا أن معامل كا٢ بين متغير مهنة الود وتدريب الطفل على هذا الموقف غير دال احصائيا عن مستوى الثقة المطلوب (٨٥ر٨ بدرجة حرية ٤) · وان كان واضحا ان ٨ر٦٪ من أطفال الاجراء وصــــــغار الملاك والمستأجرين ملزمون بالنوم فى وقت محدد ، مقابل ٩ر١٣٪ من اطفال الملاك و ١٤٪ من أطفال الاباء غير الزراعيين ·

وبالمثل بالنسبة لمتغير عمر الام حيث لم نتوصـــــل الى أى فروق دالة احصائيا ·

وهكذا تتطابق هذه النتائج مع تدريب الطفل على مواقف الاخراج ، حيث يصبح متغير تعليم الام هو العامل الذى يرتبط مباشرة بهذه الاساليب دون غيره من المتغيرات الاخرى ·

واللافت للنظر أن النتائج التى سبق أن توصلنا اليها فى الحضر تسير فى ذات الاتجاه ·

٥ ـ تدريب الطفل على النوم فى مكان محـدد :

من تحليل استجابات الامهات على السؤال هذا تبين ما يلى :

١ ـ ذكرت ٥٢٠ والدة بنسبة ٥ر٧٣٪ من مجـموع الافـراد العينـة أن أطفالهن ينامون فى نفس فـراش الوالديـن ·

٢ ـ وذكرت ١٢٠ والده بنسبة ٩ر١٦٪ من مجموع افراد العينـة انهـم

ينامون في نفس غرفة الوالدين ولكن في فراش مستقل ٠

٣ ـ كما ذكرت ٥٨ والدة بنسبة ٢ر٨٪ من مجموع أفـراد العينـة أنهم ينامون فى غرفة أخرى ، وهذه الغرفة عادة ما تكون هى غرفة نـوم بقية الاخوة ، أو غرفة مخصصة لذلك ٠

٤ ـ واخيرا ذكرت ١٤ والدة بنسبة ٩ر١٪ من مجموع أفراد العينة أنهم ينامون فى غرفة مستقلة تماما وخاصة بهم وحدهم ٠

وهكذا يبدو أن نوم الطفـل فى نفس « فراش الوالديـن » هو النمط الشائع لتدريب الطفل على هذا الموقف على الاقل حتى السنوات الخمس أو الست الاولى من حياته ٠ وقد يعنى ذلك أن الطفل فى الريف المصرى وحتى قرب دخوله المدرسة الابتدائية يظل ملتصقا بوالديه بشكل يـكاد يـــكون عضـــويا ٠

وتبدو الصورة فى الحضر مختلفة تماما عن نظيـــرها فى الريف ، فغالبية الأمهات هناك يحرصن على أن ينـام اطفالهن ـ ذكورا أم اناثـا ـ فى مكان مستقل أو خاص بهم ، يكون بمعزل عن مكان نوم الوالديـن * ٠ ويدربن اطفالهم على هذا السلوك فى وقت مبكر ، واحيانا مبكر جـدا ٠ ويظهر هذا الاتجاه بوضوح شديد فى الطبقة المتوسطة بصفـة خاصـة ، حيث أن الامكانيات المادية والوفره النسبية لعدد الحجرات تســـاعد على تحقيق ذلك ٠ وعلى سبيل المثال فان متوسط عمر الطفل الذى تسـمح بـه هذه الطبقة لان ينام لا يتجاوز ٥ر٣ سنة على حين نرى أن هذا المتوسط يبلغ ٦ر٥ سنة عند الطبقة الدنيـا ٠

وعند معالجة بيانات الريف فى نطاق متغيرات خصائص الوالديـن تبين أن معامل كا٢ بين مستوى تعليم الام وتدريب الطفل على هذا الموقف ٥٩ر١٤ وهو معامل دال عند أقل من ٠١ر٠ حيث لا يمانع ٢ر٧٦٪ من الاميات فى ينام اطفالهن فى نفس فراش الوالدين مقـــابل ٢ر٦٠٪ عند الملمـات

(*) د٠ محمود عبد القادر ـ المرجع السابق ٠

والمؤهلات ، ٨ر١٥٪ من اطفال الأميات ينامون فى نفس غرفة الوالديـــن مقابل ٧ر٢١٪ عند الملمات والمؤهلات ، ٤ر٦٪ من أطفال الأميات ينامـــون فى غرفة اخــــــرى مقابل ٥ر١٤٪ عند الملمــات والمؤهــــــلات ، ٦ر١٪ من اطفال الاميات ينامون فى غرفة مستقلة مقابـل ٦ر٣٪ عنـد المـلمـات والمؤهلات · ولقد توصلنا الى ذات النتائج تقريبا بالنسبة لمتغير مستوى تعليم الولد حيث بلغ معامل كا(٢) ٧٢ر٣٢ وهو دال احصائيا عند مستوى ثقة ٠٠١ر بدرجة حرية ٠٦

وبالمثل بالنسبة لمتغير مهنة الاب حيث بلغ معامل كا٢ ٤٩ر٢٤ وهــو دال احصائيا ايضا عند مستوى ثقة أقل من ٠١ر٠ بدرجة واحد ·

ولم نتوصل الى فروق دالة احصائيا داخل متغير عمر الام ·

وتعنى هذه النتائج أنه كلما ارتفع المســتوى التعليمى والاقتصــادى للوالدين يظهر ميلا واضحا من قبل الام لعزل طفلها عنها عند النوم الى حد الذى يصل لتخصصى غرفة مستقلة أو خاصة به · ويصـــاحب أنخفــاض هذا المستوى عدم اهتمام الام بهذا الموقف ، ويصبح نوم الطفل فى نفس فراش الوالدين أمرا مألوفا جدا حتى عندما يقرب عمرة من ســن دخــول المدرسة ···· واحيانا بعــد ذلك ·

استقراء آثار هذه الاساليب على شخصية الطفل فى الريف المصرى :

تبين من العرض السابق أن أساليب تدريب الطفل على مواقف الاخراج والنظافة والنوم هى امتداد طبيعى لتدريبه على الرضاعة والفطام · حيث تظهر سيطرة الأساليب التقليدية القديمة ، وتختــــفى نسبيا ملامح الوعى والاهتمام « القلق » بهذه المواقف · كما يبدو التسامح والتســـامح وكأنه قاعدة القواعد هناك ·

وما يمكن اضافته الى الاســـــتقراء السابق هو أن الطفل فى الريف المصرى لا يلقى الاهتمام الكافى بتدريبه على مواقف الفطام بصفة عامة · قد يكون سبب ذلك غياب الوعى والاهتمام بآثار ذلك على نموه النفسى ، قد يكون أيضا ضعف امكانيات الاسرة الريفية وراء ذلك ، وقد يكون لسطوة

وسيطرة العادات التقليدية القديمة أثر في ذلك ٠٠٠٠٠٠ لكنه يلاحظ أن ارتفاع المستوى التعليمي للام بصفة خاصة له علاقة مباشرة بوعى الام واهتمامها بهذه المواقف وعلى نبذها الاساليب التقليدية القديمة فى تنشئة الطفل ٠ وفى مواقف أخرى لاحظنا أن متغير تعليم الوالد ومهنته له علاقته الدالة احصائيا بهذا الوعى والاهتمام ٠

واللافت للنظر بحق أنه عندما يصل المستوى التعليمي والاقتصادى للاسرة الى حد معين تكاد أن تتلاشى الفروق بين الريف والحضر ٠ مما يؤكد مرة أخرى أن ما يعرف « بثقافة الريف » فى تنشئة الطفل على هذه المواقف ليس لها تأثير واضح الا فى غياب تعليم الوالدين وانخفاض مستوى معيشة الاسرة ٠

ومن الوجهة السيكلوجية يمكن القول بأن الطفل فى هذه المواقف تتدعم عنده بشكل ملحوظ سمات الخلق الشرجى تماما كما تدعمت عنده فى المواقف السابقة سمات الخلق الفمى ٠ فهناك تسامح من قبل الام فى تدريبه على الفطام ، تسامح قد يؤدى بالطفل الى تثبيت محتمل على المرحلة الشرجية ، وهو بالطبع تثبيت ايجابى ٠ وقد يتبع ذلك تدعيم سمات الاعتماد التى ظهرت معالمها بوضوح فى المرحلة الفمية السابقة ، تدعيم لمظاهر عدم الانضباط وتلقائية التعبير الانفعالى وغياب الكف الانفعالى ، تدعيم لغياب الحس بالزمن وتقدير الوقت وعدم وضوح معنى القانون والنظام ٠٠٠٠٠٠ على الاقل فى مرحلة الطفولة المبكرة ٠ ثم والاهم من ذلك كله تدعيم قوى للاعتماد على الام والالتصاق الشديد بالابوين وعدم نضج الانا والاجتماعى

ومهما يكن من أمر هذه الاستنتاجات الافتراضية السلبية ، فانها ستظل كذلك لحين الحسم فى أمرها عندما نتناول بالتحليل شخصية الطفل الريفى وعلاقتها بهذه الاساليب مع الاخذ فى الاعتبار أنه من المحتمل تماما أن نواجه فى المواقف التالية أساليب تنشئة يمكن أن تلغى الاثار السلبية السابقة ٠

ملخص التقرير الاول :

تهدف هذه الدراسة الى استخلاص الانماط الشائعة لاساليب التنشئة الاجتماعية فى الريف المصرى ، ومقارنتها بما سبق أن توصل اليه الباحثون

فى الحضر المصرى ، وتحديد أثر هذه الاساليب على شخصية الطفل ، ولقد أجريت هذه الدراسة على عينة قوامها ٧١٢ أسرة اعتبرت ممثلة احصائيا لمجتمع الاسر الريفية لقرى الوجه البحرى ، على أن تستكمل دراسة الوجه القبلى فى مراحل تالية ٠ وصمم استخبار لقياس أساليب التنشئة الاجتماعية بما يتضمنه من اتجاهات ، وجزء منه خاص بالام والجزء الاخر خاص بالاب ومر الاستخبار بمراحل مختلفة من الاعداد والتحليل الاحصائى والتقنين حتى وصل الى صورته الحالية ٠ كما صمم أيضا مقياس لقياس اتجاهات الطفل نحو والديه ، وآخر لقياس شخصية الطفل ٠ وركز هذا التقرير على موقفى الرضاعة والفطام وموقف النظافة ، حيث تبين أن الاساليب التى تتبعها الامهات الريفيات فى تدريب أطفالهن على هذه المواقف يغلب عليها الطابع التقليدى وغياب الوعى والتساهل النسبى ، ذلك اذا ما قورنت بنظيرتها فى الحضر المصرى ٠ واستنتج أن لهذه الاســاليب بعض الاثار السلبية على شخصية الطفل ونموه النفسى والاجتماعى بصفة خاصة ٠

المراجع العـــربية :

٢١ ـ المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ـ وحدة بحوث الاسرة « بحث احتياجات الطفولة » مجلد التوثيق اعداد وحدة بحوث الاسرة وأساتذة من الخارج تحت اشراف الدكتور مختار حمزة سنة ١٩٦٨ ٠

٢٢ ـ المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية « احتيـــاجات الطفولة فى مصر » اعداد وحدة بحوث الاسرة سنة ١٩٦٩ ٠

٢٣ ـ المركز القومى للبحوث الاجتماعيـــة والجنائية « احتيـــاجات الطفولة فى مصر التقـــرير النفسى » بالانجليزية جمـــاعه د ٠ مقاريوس ، وعضـــوية البحـــث من د ٠ عطية هنا ـ د ٠ عثمان فراج ـ د ٠ عمـــاد الدين سـلطان د ٠ محمـود عبد القادر ٠

٢٤ ـ د٠ محمود عبد القادر محمد « بعض العوامل المحددة لنمو قوة الانا عند المراهقين المصريين » دراسة بين الريف والحضـــر المصرى » المجلة الاجتماعية القومية ـ المركز القومى للبحـوث الاجتماعية والجنائية سنة ١٩٧٢ ٠

٢ ـ د ٠ محمود عبد القادر محمد « أساليب الثواب والعقـــاب التى تتبعها الاسرة فى تدريب الطفل ـ دراسة عن التنشـــئة الاجتماعية فى مدينة القاهرة رسالة دكتوراه ـ جامعة القاهرة سنة ١٩٦٦ ٠

٢٦ ـ د ٠ محمود عبد القادر « استخبار فى اتجاهات الوالدين نحو تنشئة الطفل » من منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية سنة ١٩٧٠ ٠

REFERENCES

1. Antony. E. J. and Koupernik, C (Ed.) « The Child and his family ». N.Y. . Wiley, 1970.
2. Bales, R. F. « Personality and interpersonal behavior » N.Y. : Holt, 1970.
3. Bandura, A. « Principles of behavior-modification » N.Y. : Holt, 1970. PP. 217-224, 355-365, 462-471.
4. Bendict, R. « Patterns of Culture » London : Kegan Paul, 1934. PP. 253-254.
5. Bossard, J. H. « The Sociology of Child Development ». N.Y. : Harper, 1954. PP. 39-47.

6. Child, I. « Socialization ». In G. Lindzy (Ed.) « Handbook of Social Psychology » Addison-Wesley, 1954. PP. 655 - 660.
7. Eisler, F. G. « Breast Feeding and Character Formation » In C. Kluckhon & M.A. Mutray (Eds.) « Personality in Nature, Culture and Society » London : Knopf, 1956. PP. 146-189.
8. Erikson, E. H. « Identity & the Life Circle » Psychol Essues, 1949. No. 1, PP. 55-56.
9. Eysenck, H. J. « The Structure of Human Personality » London : Mathuen, 1970.
10. Frued, S. « Three Contributions of the Theory of Sex » (4th ed.) Nervous & Mental Disease. Mon. Series, 1930. No. 7. PP. 44 - 46.
11. Frued, S. « The Basic Writing of Frued » N. Y. : Randome House, 1938. Passim.
12. Hamilton, G. V. « A research in marriage » N.Y. : Borni, 1927.
13. Hobel, E. H. « The Nature of Culture » In H. L. Shapira (Ed.) « Man, Culture and Society » N. Y. : Oxford Univ Press, 1956. PP. 170-180.
14. Kessen, W. « Comparative Personality Development » In E. F. Borgatta & W. W. Lambert (Eds) « Handbook of Personality Theory and Research » Chicago : Raud. M. C. Nally, 1968. PP. 410-460.
15. Klukhohn « Culture & Behavior ». In G. Lindzy (Ed.) « Handbook of Social Psychology » Vol. II, N.Y. : Addison-Wesley, 1954. PP. 921-967.
16. Lesser, G. S. « The Relationship between overt and fantasy agression as a function of maternal response » J. Abnormal & Social Psychal, 1957. 55, 218-221.
17. Linton, R. « The Culture Background of Personality » London : Kegan Paul, 1952. PP. 3-45.
18. Merton, R. M. « A difinition of a situation » In P. F Lasarsfield & M. Rosonberg (Eds). The language of Social Research » N.Y. : The Free Pressof Glencoe, 1946.
19. Mowrer, O. H. « Learning Theory and Behavior », N.Y. : Wiley, 1960. Passim.
20. New Comb, Th. M. « Social Psychology » London : Tauistock, 1952. PP. 475-476.

اوضاع عمال الترحيل ومشاكلهم فى مصر *

اعداد

دكتورة رقية مرشدى بركات **

احاول فى هذا المقال ان اشير الى اوضاع ومشاكل عمال التراحيل من خلال النقاط الآتية :

الأولى : القاء الضوء على وضع عمال التراحيل فى مصر . وفيها احاول توضيح هذه العمالة من خلال تحديد من هم عمال التراحيل ، وكيف ظهرت مشكلتهم الى حيز الوجود من خلال استعراض التاريخ وبيان جذور المشكلة تاريخيا واهم المناطق الاساسية لتشغيلهم .

الثانية : القاء الضوء على السمات والمشاكل الاساسية لعمال التراحيل وفيها احاول ان احدد السمات الرئيسية التى تتميز بها هذه العمالة ، واختلاف مشاكلهم عن مشاكل عمال الزراعة وخاصة عمال القطاع المنظم الذى يتمثل فى ، العمال الدائمين والعمال الموسميين وغيرهم ، بحيث ينتهى المقال الى وضع بعض التساؤلات التى تتطلب الاجابة عليها اجراء دراسة حقلية لهذه العمالة فى بعض المناطق الجاذبة والطاردة لها .

اولا : وضع عمال التراحيل فى مصر
نظرة تاريخية

تتلخص ظاهرة عمال التراحيل فى انها تعبير عن فائض العمالة فى موسم معين ، وفى منطقة معينة عن حاجة الطلب ، والبحث عن فرص

(*) هذا المقال جزء من بحث عمال التراحيل ، الذى اجرته وحدة بحوث التصنيع سنة ٧٣/٧٢ تحت اشراف السيد الدكتور عزت حجازى . واشترك فى جمع المادة الاستاذ ابراهيم حنبل . والاستاذ حسين البرادعى . وقامت بكتابة التقرير النهائى للبحث السيدة الدكتورة رقية مرشدى .

(**) خبير بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية .

العمـل فى منطقة اخرى تتوافر فيها هذه الفرص • وقد وجدت هـذه المشكلة فى مصـر منذ بداية القرن الثامن عشـر تقريبا ، نتيجـة للنظـم التى كانت سائدة آنـذاك والخاصة بنظـم الملـكية الزراعيـة فى ذلـك الوقت (١) •
فالواقـائع التاريخية تشير الى أن اقرار حقـوق الملـكية منـذ بداية القـرن
فالواقـائع التاريخية تشير الى أن اقرار حقـوق الملـكية منـذ بداية القـرن
الثامن عشر الى نهايته لم تخـدم على الاطلاق صغار الفلاحين ، بقـدر ما كانت تخـدم كبار الملاك مصريين أو أجانب ، وأن الفلاحين كانوا مضطرين الى الهرب من أراضيهم خوفا من الالتزامات الفادحة المفروضة عليهم تباعا وخاصة الضرائب • وكان السبب فى ذلك أن النظام المتبـع فى القرن الثامن عشر ، هو أن الارض كانت تعتبر مملوكة ملكية اسمية للسلطان فقـد كان الماليك يتقاسمون البـلاد بحيث كان كـل واحد منهم مختصا ببضع قـرى تقسـم الاراضى فيها بين الفلاحين المقيمـين عليها ، ويـلتزم هـو بجمـع الضريبة المسـتحقة عليهم ، ويمنح فى سـبيل ذلك أرض يستغلها مع اعفائه من الضريبة عليها ، وكانت هذه الاراضى الاخـيرة تعتبر ملـكه الخاص ، أما الفلاح فـلم يكن له الا حق الانتفـاع بالارض بشرط دفـع الضريبة • ومن ثم كانت معظم الاراضى تنتمى للدولة (٢) • وفى عهد اسماعيل غرقت مصر فى الديون ، وبذلك تحول جانب كبير من أملاك الخديوى وأسـرته الى كبار الملاك وخاصة الاثرياء وكان هذا هو الطريق الذى من خـلاله تكونت شريحة جديدة من طبقة كبار الملاك فى نهاية القرن التاسع عشر • والنظـرة الى تاريـخ الملـكية الزراعية فى مصر يمـكن أن يـلقى الضوء على هـذه المسـالة •

فقد كانت الضرائب فى عهد محمد عـلى غـالبا ما تضطر الفلاحـين الى هجر أراضيهم والتنازل عن حقوقهم ازاءها • وظلت هذه الهجرة تتفاقم حدتها فى الثلاثينيات من القرن التاسع عشر ، وخلال الاربعينيات من القرن نفسه • واستمر هذا الحال فى عهدى عباس وسعيد • وازدادت المشكلة فى عهد اسماعيل لحاجتـه الشديدة الى الامـوال • ومن هنا أصـبح الفـلاح مسحوقا ، وشكل العمال الزراعيون مع الوقت عـددا ضخما داخل الريف وقـد أدى ذلك الى :

١ ــ تفتت الملكية الزراعية واستيلاء الاقطاعيين والمرابين والاجانب على اراضى الفلاحين عن طريق البنوك الاجنبية والمحاكم المختلطة ، وادى هذا الى وجود اعداد صغيرة من الفلاحين لا تملك الا قوة عملها تعرضها للبيع ٠

٢ ــ الغاء السخرة رسميا فى سنة ٢٨٨٩ مما خلق احتياجا فعليا الى العمل البشرى لشق الترع والمصارف وتطهيرها ، وغير ذلك من الاعمال التى كانت تنفذ من قبل عن طريق السخرة (٣)٠

٣ ــ بطء التقدم الصناعى ٠ اذ لم يصاحب استيلاء الاقطاعيين والاجانب على الارض الزراعية وظهور العمل المأجور ، اية نهضة صناعية بالبلاد ، ولم يكن بها من المصانع حتى الحرب العالمية الثانية سوى اعداد قليلة ليس فى طاقتها امتصاص الايدى العاملة المتوفرة وسحبها من الزراعة الى الصناعة ، ولم يعد من سبيل أمام العمال سوى البقاء فى الريف ٠

٤ ــ وجود احتياطى واسع للعمل يشكل قطاعا عريضا من صغار الفلاحين لا يستوعب ملكياتهم المحدودة طاقتهم ، والاهم من ذلك انها لم تكن قادرة على تلبية احتياجاتها الضرورية مما يضطرهم الى بيع قوة عملهم جزءا من الوقت (٤) ٠ ولقد بلغ تعداد العمال الزراعيين سنة ١٩٣٧ حوالى ١ر٤٥٧ر٢٦٧ عاملا ، ثم ازداد العدد حتى بلغ سنة ١٩٤٥ حوالى ٢ مليون عامل ٠ بينما بلغ عدد صغار الفلاحين سنة ١٩٣٦ حوالى ١ر٦٧٧ر٠٠٠ نسمة ، ومتوسط ما يملكه الفرد ٤١ر٠ من الفدان واتسعت الشريحة فى عام ١٩٥٠ ليصبح عددها ١ر٩٨١ر٣٢٩ فردا ، بمتوسط ملكية ٣٩ر من الفدان للفرد(٥) ٠

ولقد قورنت الزيادة السكانية فى الريف بالزيادة فى رقعة الأرض الزراعية التى يعيش عليها هؤلاء السكان لوجدنا ان الاولى تسير بعجلة اكثر من الثانية ٠ ويؤدى هذا الى ازدياد الضغط السكانى على الرقعة الزراعية ٠

ففى الوقت الذى زادت فيه المساحة المزروعة حوالى ١٥٪ منذ أوائل القرن حتى الآن ، زاد عدد السكان حوالى ثلاثة أضعاف ، الامر الذى جعل بلادنا من حيث كثافة السكان فى المنطقة المزروعة أعلى منها فى أى بلد زراعى آخر(٦)٠

ويوضح الجدول التالى مدى زيادة الكثافة السكانية على الرقعة الزراعية الصغيرة ، واستمرار ضغط السكان على تلك الرقعة ، مما أدى الى نقصان نصيب الفرد من المساحة المحصولية(٧) ٠

السنة	المساحة المزروعة بالمليون فدان	المساحة المحصولية	عدد السكان بالمليون	نصيب الفرد من المساحة المحصولية
١٨٩٧	٥ر١	٦ر٨	٩ر٧	٧٠ر٠
١٩٠٧	٥ر٤	٧ر٧	١١ر٣	٦٨ر٠
١٩١٧	٥ر٣	٨ر٧	١٢ر٨	٦٨ر٠
١٩٢٧	٥ر٥	٨ر٧	١٤ر٢	٦١ر٠
١٩٣٧	٥ر٣	٨ر٤	١٥ر٩	٥٢ر٠
١٩٤٧	٥ر٨	٩ر٢	١٩ر٠	٤٨ر٠
١٩٦٠	٥ر٨	١٠ر٣	٢٦ر٠	٤١ر٠

ويتضح من هذا الجدول أن نسبة السكان خلال الستين سنة الاخيرة قد زاد بنسبة ١٦٠٪ تقريبا ٠ بينما لم تزد المساحة المزروعة الا بنسبة ١٦٪ فقط ، والمساحة المحصولية بنسبة ٥٠٪ ٠

وكان من نتيجة عدم تزايد الرقعة الزراعية بنفس معدل الزيادة فى السكان ، وحجم قوة العمل بالريف ، وعجز القطاع الصناعى عن امتصاص استيعاب هذه الزيادة ، أن أدى ذلك الى وجود فائض مستمر من الايدى العاملة داخل القطاع الزراعى ٠ وظهور مختلف أنواع البطالة الصريحة والمقنعة ٠ والجدول التالى يوضح تطور المساحة المزروعة والمساحة المحصولية وعدد السكان(٨) ٠

السـنة	عدد السـكان بالمليـون	المساحة المزروعة بملايين الافدنة	المساحة المحصولية بملايين الافـــدنـــة
١٨٩٧	٩ر٧	٥ر١	٦ر٨
١٩٠٧	١١ر٣	٥ر٤	٧ر٧
١٩١٧	١٢ر٨	٥ر٤	٨ر٧
١٩٢٧	١٤ر٢	٥ر٣	٨ر٧
١٩٣٧	١٥ر٩	٥ر٥	٨ر٤
١٩٤٧	١٩ر٠	٥ر٣	٩ر٢
١٩٥٧	٢٤ر٠	٥ر٨	١٠ر٢
١٩٦٠	٢٦ر٠	٥ر٨	١٠ر٣

وكان طبيعيا مع زيادة عرض العمل على الطلب داخل هـذا الطاع ، أن لجـأ هذا الفائض الى البحث عن عمـل بأى أجـر ، وفى أى وقت ٠ وأدى هذا الى ظهور مشـكلة ملموسـة هى مشـكلة عمـال التراحيل والعمـال الموسميين والمؤقتين ٠ وأدت هذه العوامل ، بعضها أو مجتمعة ، الى تشكيل طبقة اجتماعية من الفلاحـين المعدمين وبخاصة عنـد نهاية القرن التاسـع عشـر تعلوها شريحة من صغار المـلاك ، وانتقلت أرض هؤلاء الى كبـار الملاك من أجانب ومضريين ٠

وبناء عـلى ذلك تـوكنت فى مصـر حـتى النصـف الاول من القـرن العشرين شرائح طبيعية اجتماعية يمكن حصرها فيما يلى :

١ ــ **كبار المـلاك (الاقطاعيون)** الذين لا يزرعون أرضهم بأنفسهم ، ولا يقيمـون فى الريـف ٠ وكانت الغـالبية العظمى منهـم تعيش فى المـدن ويتعاملون مع الفلاحين عن طريق عملائهم ٠

٢ ــ **أغنياء المزارعين** : وهم الذيـن يملـكون مساحة كبـيرة من الارض الزراعية أو يستأجرونها ، ويزرعونها بأنفسهم ، مستخدمين عـددا من العمـال الزراعيين ٠

٣ ـ **المزارعون المتوسطون** : ويقيمون عادة فى الريف للعناية بأرضهم ٠

٤ ـ **فقراء المزارعين** : وهم يحوزون بالملك أو بالايجار مساحات يقومون على زراعتها بقوة عملهم ومعاونة أفراد العائلة ، ولا يستخدمون ايدى عاملة مأجورة (٩) ٠

وانقسم العمل الزراعى فى مصر بناء على ما تقدم الى الفئات الآتية :

١ ـ **العمال باليوميه** : وعادة ما يشيع هذا النوع فى مواسم اعداد الارض للزراعة وجمع المحصول ، كالقطن بصفة خاصة ٠

٢ ـ **العمال الدائمون** : وهو نمط أخذ يختفى تدريجيا ٠ مؤداه أن صاحب الارض يستأجر العمال طوال العام فى نظير قطعة من الارض يحصل على محصولها فقط ٠

٣ ـ **عمال التراحيل** : وعادة ما يعمل هؤلاء خارج نطاق قراهم ، وربما كانت هذه الفئة من أكثر الفئات المطحونة فى الريف المصرى ٠ وهى مازالت حتى الآن تعانى من مشاكل حادة أهمها : عدم انتظام العمل ، واستغلال المقاولين ٠ وقد شكل هذا القطاع من العمال الزراعيين ٠ الى حد كبير أعدادا هائلة من المهاجرين الى المراكز الصناعية حيث فرص العمل أكثر اتساعا(١٠) ٠ وحتى بعد صدور قانون الاصلاح الزراعى وتطوره ، لم يطرأ تغيير ملحوظ فى أرضاع هذه الطبقة ، بل على العكس لحق تطبيقه زيادة فى عدد عمال التراحيل ، لان كثيرا من الملاك تحولوا الى زراعة أرضهم لحسابهم ٠ وبذا تحول عدد من الفلاحين المستأجرين الى عمال زراعيين ، بالاضافة الى أن هناك نسبة كبيرة لم تنطبق عليها شروط القانون ٠ وبذلك لم تستفد على الاطلاق من اعادة توزيع الملكية ، نتيجة لعدم وجود ملكيات كبيرة بها ٠ فقد اتضح أن النسبة التى تملك اكثر من ٥ أفدنة بعد صدور قانون الاصلاح الزراعى الاول (٢٩١٩) ، كما كانت هناك نسبة كبيرة لم تستفد من صدور هذا القانون على الاطلاق(١١) ٠ وحتى بعد صدور قانون الاصلاح الزراعى فى صورته المتطورة سنة ١٩٦١ ، ظلت هذه الفئة محرومة من مزايا هذا القانون(١٢) ٠

ونستطيع أن نخلص معا سبق الى أن المصدر الأساسى لوجود ظاهرة (عمال التراحيل) وانتشارها فى ريفنا المصرى منذ زمن طويل ، هو ذلك الفائض الضخم الذى لا ينضب ، من فائض العمالة الريفية · ويمثل عمال التراحيل الجزء الاكبر من هذا الفائض · كما ينضم اليهم فى بعض الاحيان عدد لا يستهان به من صغار الفلاحين الحائزين للارض الزراعية فى الريف ، ممن يملكون أو يستأجرون مساحات صغيرة ، لا تتجاوز فى الغالب ، الفدان الواحد ، اذ غالبا ما يعجز انتاجه عن الوفاء بالاحتياجات اللازمة لمعيشة الاسرة ، فيضطر الفلاح فى هذه الحالة الى الخروج للعمل فى ترحيلة أو أكثر خلال العام ، وقد يصطحب معه أسرته أو جزءا منها ·

ومن ثم تتضح خطورة المشكلة · فهى لا ترجع الى كونها تمس حياة عدد ضخم من المواطنين وأسرهم ، بل هى ترجع أيضا الى الطابع الذى يميز عماله التراحيل عن غيرها من أنواع العمالة الاخرى ، الامر الذى يفرض على الدارسين لهذه المشكلة أن يضعوا لها الحلول · وأن يفهموا جيدا السمات الاساسية التى تميز هذا النوع من العمالة ، التى تشابك وتتعقد ، بحيث تمس حياة ما يقرب من ثلاثة ملايين من العمال ينتشرون على على خريطة معظم محافظات مصر(١٣)·

وبيين الجدول التالى العدد النسبى لعمال التراحيل على مستوى المحافظـات المختلفة(١٤)

المحافظـات	عـدد العمـال	نسبة المحافظة الى جمـلة الجمهورية
المنـــوفيـــة	٢٢٨٧٤٣	٢٠ر٣٥
قنـــــــــا	١٧٠٧١٤	١٥ر١٨
الـدقهـــلية	١٤١٥٦٢	١٢ر٥٥
ســوهـــاج	١١٧٨٣٥	١٠ر٤٨
أســــيوط	٨٩٠٢١	٧ر٩٢
الشـــرقيـــة	٧٧٦٠٠	٦ر٩١
البحــــــيرة	٦١٨٤٣	٥ر٥١
كفـر الشـــيخ	٥٩٣٧٨	٤ر٧٧
الغـــربيـــة	٤٠٩٩٣	٣ر٦٥
بـنى ســويف	٣٤٥١٢	٣ر٠٨
الجـــــيزة	٢٩٩٦٣	٢ر٦٧
المنيــــــا	٢٧٠٥٩	٢ر٤١
الفيــــــوم	٢٢٢٠٥	١ر٩٨
القليـــوبيـة	١٢٦٩٠	١ر١٤
أســــوان	١٠٥٤٩	٠ر٩٤
دميــــــاط	٤٠٥٥	٠ر٣٦
ســــيناء	٦٩١	٠ر٠٦
مطــــروح	٤٦٥	٠ر٠٤
الاســماعيلية	—	—
الســـويـس	—	—
الوادى الجديد	—	—
الاجمـــالى	١ر١٢٩ر٨٧٨	٪١٠٠

وطبقا لقانون الاصلاح الزراعى ، تـزايد عـدد العمال الزراعيين ، وازداد عمال التراحيل بصفة خاصـة ، فقـد كان عـددهم فى السنوات من ١٩٤٥ الى ١٩٥٠ حوالى ٢ مليون عامل ، فى هذه الفـترة ازداد الى أكثر من ٣ ملايين فى الفترة من ١٩٥٠ ـ ١٩٦٦ ، وترجع هذه الزيادة الى عـدة اسـباب :

١ ـ الزيادة المستمرة فى عدد السكان ٠

٢ ـ ازدياد عدد فقراء الفلاحين ، الاحتياطى الدائم لعمال الزراعة ٠

٣ ـ لحق تطبيق قانون الاصـلاح الزراعى ، زيـادة فى عدد عمـال الترحيل ، لان كثيرا من الملاك تحولوا الى زراعة أرضهـم لحسابهم ، وبـذا تحول عدد من الفلاحين المستأجرين الى عمال زراعيين ٠

٤ ـ استخدام الآلات الحديثة فى الزراعة ، ساعد على توفـير جـزء من الايدى العاملة الزراعية ٠

ثانيـا : سمات ومشاكل عمال التراحيل :

رغم أن ارتباط ظاهرة عمال التراحيل بفائض العمالة فى مواسم معينة فى منطقة معينة والبحث عن فرص العمـل فى مناطق أخـرى تتوافر فيها هـذه الفرص ، الا أن هناك نوعا من عمال التراحيل لا يرتبط بالعمالة فى منطقـة محدودة ، أو قرية محـدودة ، سـواء زادت هذه العمالة عن حاجة العمـل أو انخفضت ولـكنه ذو حـرفة معينة تجعـله مطلوبا فى المناطق المختلفة ، بصـرف النظر عن المواسم الزراعيـة ، وهم الـكراكة ، الـذين يعمـلون بالـكريك ، والفواسـة الذيـن يشـتغلون بالفأس ، وهـؤلاء عمال فنيـون يعتبرون ثـروة قومية لا تتجدد بصورة مستمرة لعـدم دخول أجيـال جديدة فيها ، فوجودهم مرتبط تمام الارتباط بالهيكل الزراعى ٠ فطالما أن المزرعة الصغيرة هى عمـاد الهيكل الزراعى فـان استخدام الآلات الـكبيرة فيـه استحالة مـادية مما يحتم وجودهم ـ وهـؤلاء هم الذيـن يعملون كعمـال تراحيل على مدار السنة (١٥) ٠

وبناء على تقدم ، كان اطلاق لفظ عمـال التراحيل على كل من يعمـل

خارج قريته فيه خلط بين الشرائح المختلفة لعمال التراحيل ، اذ أن عمال الزراعة ينقسمون الى :

١ ـ عمال الزراعة الذين يعملون فى القرية ولا يبارحونها على الاطلاق ٠

٢ ـ عمال الزراعة الذين يعملون فى أماكن قريبة من قراهم ويعودون للمبيت فى قراهم ويطلق عليهم عمال الجيرة ٠

٣ ـ عمال الزراعة الذين يرحلون عن قراهم فى مواسم معينة وهم عمال التراحيل الموسميين ٠

٤ ـ عمال الزراعة من الفواسة والكراكة ، وهم التراحيل الدائمون والطابع المشترك لكل هذه الشرائح ، أنها لا تجد عملا دائما لها على مدار السنة ٠ وتعمل الشرائح الثلاث الاول ما بين ٢٠٠ و ٢٥٠ يوما فى السنة ، أما الشريحة الرابعة ، وهم الفواسة والكراكة ، فتعمل ٢٥٠ ـ ٣٠٠ يوما فى السنة ٠ وأجر عمال الزراعة الذين يعملون فى القرية يتراوح ما بين ١٥ ، ٢٠ قرشا ، ويتساوى معهم عمال الجيرة ٠ وتختلف ظروف عمال الزراعة الذين يعملون بعيدا عن قراهم ، فيتقاضون ٢٥ قرشا أما الكراكة والفواسة فيتقاضون ٣٠ قرشا يوميا(١٦) ٠

وعمال التراحيل لهم طابعهم الذى يميزهم عن عمال القطاع المنظم ، لما تتسم به حياتهم من عدم الاستمرار فى العمل ، وعمالتهم لا تسمح بقيام علاقات تعاقدية مستمرة ومستقرة بينهم وبين أصحاب الاعمال ٠ وبسبب تغير أصحاب الاعمال وعدم استقرار أماكن العمل ، لم يستفد عمال التراحيل من المزايا والخدمات التى يكفلها القانون لعمال القطاع الخاص والعمالة الثابتة ٠ ويعمل هؤلاء العمال عادة فى أعمال موسمية ، مثل حلج القطن وعصر البذور وضرب الارز وتجفيف الفاكهة ، وبعض الصناعات الغذائية التى تعتمد على مواد خام ، أو فى أعمال عرضية مؤقتة مثل أعمال المقاولات والتشييد والبناء والشحن والتفريغ وصيد الاسماك ٠ وعادة ما تتميز هذه الاعمال بالطابع المؤقت ، وتنفذ عادة فى

اماكن بعيدة عن العمران وهى أعمال محددة ومتنقلة · ونظرا لتشغيل هؤلاء لعمال عن طريق الوساطة الاستغلالية لمتعهدى توريد العمال ، فقد وقع على هؤلاء لاعمال استغلال بشع من طائفة المقاولين · وقد نتج عن تلك الظروف غير الملائمة ، مع ضعف الاشراف ، أو عدم كفايته ، أن ساعدت الظروف الخاصة بعمل واقامة هذا الفريق من العمال ، الذين عادة ما يوصفون بأنهم يعيشون عيشة أقرب الى السخرة ، تحت مستوى من الاجور يهبط كثيرا ليقترب من حد الجوع ، كما أن عملهم يجرى من غير أى ضمان للمستقبل ، وليس فى امكانهم الا أن يعيشوا هذه الحياة التى تتصف بالخوف والبؤس والفقر ·

وزدادت مشكلة عمال التراحيل ، لان النصوص التشريعية العامة لا يمكن أن تكفل لهؤلاء العمال ما يجب أن يتمتعوا به من حماية ورعاية وشعور بالاستقرار(١٧) · ومن ثم يمكن حصر السمات الاساسية لعمالة التراحيل فيما يأتى :

١ ـ أن عمالة التراحيل مؤقتة بطبيعتها ولا تسمح بقيام علاقات تعاقدية مستمرة مثلما يحدث فى القطاع المنظم ، بل يغلب عليها طابع عدم الاستمرار ·

٢ ـ أن عدد هذا الفريق من العمال مفتوح ومضطرد التزايد ، حيث يتجه اليه الجانب الاكبر من القوى العاملة الريفية ، حيث لا تتوافر فرص العمل المحلية ولا يحتاج العمل به الى أى نوع من الاعداد أو التدريب المنظم ، ومن شأن التزايد المستمر فى حجم المعروض من هذا النوع من العمالة ، أن يؤدى الى تدهور أجور وظروف عمل الايدى العاملة الريفية ·

٣ ـ أن عمال التراحيل لا يعملون فى معظم الاحوال فى أعمال ومشروعات داخل محافظاتهم فقط ، بل أنهم ينتقلون من محافظة الى أخرى حسب حاجة العمل · وهناك محافظات تفتقر الى المشروعات الكبيرة التى تمتص فائض العمالة الزراعية بها · وهى تعتبر من أكثر المحافظات المصدرة لهؤلاء العمال مثل محافظتى (المنوفية وسوهاج) كما توجد محافظات أخرى ليست بها عمالة متوافرة تفى باحتياجات العمل فى داخلها ،

فتقــوم باستيراد العمال اللازمين لها من محافظات أخــرى ، وتعتبر هــذه الحالة من المحافظات المستغلة لهم . مثل الوادى الجديد والاسكندرية حيث يعمل الآلاف من عمال التراحيل فى استصلاح واستزراع الاراضى فى قطاع مريوط ٠ كما توجد بعــض المحافظات التى تجمــع بــين الصفتين (الجــذب والطرد) مثل محافظتى كفر الشيخ والبحيرة(١٨) ٠

٤ ــ انتشار هذا العــدد الــكبير من عمال التراحيل فى الــكثير مــن قــرى الريف يــؤدى الى عدم معــرفة العمال عــادة ، وهــم فى قــراهم ، لفرص العمل المتاحة فى الاماكن البعيدة أو مناطــق التشغيل التى سيعملون فيها ، ولن يتأتى لهم معرفة ذلك الا عن طريق وجود وسيط لديه المعلومات الــكافية عن سوق العمل ، وله اتصال وثيــق أيضــا بأماكن تواجد وتركــز هــؤلاء العمــال ٠

٥ ــ أن ظاهرة التراحيل لا تتم فى صورة هجرة فردية مؤقتة ، وانما تتم على شكل جماعات تخرج سويا ، من القــرية للعمــل فى احــدى مناطق التشغيل التى تحتاجهم ، ويقتضى الامر اتخــاذ بعض الاجراءات لتجميــع العمال المرحلين من كل قــرية ، والتنبيــه عليهم بموعــد ومــدة الترحيلة ، ومكانها ، ويتم ذلك قبــل الترحيلة بفترة مناسبة (بضعة أيام) ٠

٦ ــ نظرا لان عامل الترحيلة يتغيب عن قريته طــول مــدة الترحيلة التى غالبا ما تــكون لمدة شهر . فقد جرت العادة على أن يدفــع له أجــره كله عن مدة الترحيلة ، أو الجزء الأكبر منه مقدما ، حتى يستطيع أن يدبر به زوادته التى يصطحبها معــه . ويترك جزءا من هذا المقدم لأسرته للانفــاق منه طول غيابه فى الترحيلة ٠ أى أن دفع جــزء من أجر العامل مقدما قبــل الترحيلة ، ما زال قائما الآن كسمة مميزة لهــذا النوع من العمالة ٠

٧ ــ أن بعد مناطق العمل عن أماكن العمال الاصلية يقتضى ضرورة توفــير وســيلة انتقال تتولى نقــل العمال من قــراهم الى مناطــق التشغيل واعادتهم مرة أخرى بعد انتهاء الترحيلة ٠ وعلى ذلك ، يمثــل نقــل العمال حلقة هامــة من الاجراءات الضرورية فى عملية تشــغيل عمال التراحيل ٠

٨ ـ من السمات الاساسية والهامة المميزة لعمال التراحيل ، هو اقامتهم فى مناطق التشغيل طول مدة الترحيلة · ويقتضى ذلك توفير بعض المقومات التى لا غنى عنها مثل أماكن الايواء ، والمبيت ، ومياه الشرب ، والمأكل واحتياجات المعيشة والرعاية الصحية ، ووسائل شغل أوقات الفراغ(١٩) · وعادة ما لا تتوافر هذه المقومات ·

ومن السمات السابقة المميزة لعمال التراحيل يمكن تحديد المشاكل الأساسية التى يعانون منها وتلك التى تتطلب الدراسة ووضع الحلول الممكنة لها ، ويمكن ايجازها فيما يلى :

١ ـ كيفية تنظيم عمليات التشغيل ·
٢ ـ ضمان وصول الاجر بالكامل ·
٣ ـ الرعاية الاجتماعية ·
٤ ـ التأمينات الاجتماعية ·

وتنظيم عملية التشغيل هو فى جوهره حصر فرص العمل المتاحة على مدار السنة ، وحصر العمال القادرين على القيام بها وتوزيعها عليهم ، والبحث عن أحسن الوسائل فى وصول الاجر بالكامل الى العامل · وتعتبر الرعاية الاجتماعية والتأمينات الاجتماعية أكثر النقاط أهمية · وهذه المشاكل ذات جذور تاريخية(٢٠) ·

فمنذ صدور القانون رقم (٨٥) لسنة ١٩٤٢ الذى أعطى لعمال الصناعة حقهم فى تكوين نقابات خاصة بهم ، وحرم هذا فى الوقت نفسه على العمال الزراعيين ، وجاء قانون سبتمبر لسنة ١٩٥٢ بعد الثورة واعترف بحق عمال الزراعة فى تكوين نقابات وتحديد الحد الادنى لاجر العامل (١٨) قرشا · ولكن ذلك لم ينفذ · وحتى بعد صدور قانون ١٦٢ لسنة ١٩٦٤ ، الذى قرر تكوين لجان نقابية للعمال الزراعيين ومن فى حكمهم ويصدر بتحديدهم قرار من وزير العمل ، وعلى الرغم من وجود النقابة العامة لعمال الزراعة ورغم أن بها ٤٠٥٧ لجنة نقابية ، الا أن عدد العمال المنضمين لها يوازى عشر مجموع العمال الزراعيين(٢١)

ويرجع سوء تنظيم عمليات التشغيل الى أن هذه العمليات تتم عن طريق مقاولى الانفار ، مما يؤدى الى عدم تكافؤ الفرص فى تشغيل عمال التراحيل ، اذ يؤدى احتكار مقاول الانفار لعملية توزيد العمال الى تحكمهم وأعوانهم والرؤساء والسواقيين فى اختيار العمال مما يضطرهم الى قبول الشروط المفروضة عليهم وحصولهم على مبالغ ضئيلة ، لا تتناسب مع الجهد الذى يبذلونه ومن يتمرد منهم على سلطة المقاولين يحرم من الترحيلة ، ويساعد هذا التحكم على خضوع العمال للمقاولين وارتباطهم بهم عن طريق السلفيات فى المناسبات أو الفترات التى لا يعملون فيها ٠

وبالنسبة لمشكلة عدم وصول الاجر بالكامل ، فانه نظرا للاستطاعات والاتاوات المرهقة التى يقررها المقاولون وأعوانهم على أجر العامل ، لا يصل الى أيدى العامل من الاجر المتعاقد عليه بين المقاولين وأصحاب الاعمال الا أقل لقليل ٠ وحتى هذا القليل لا يحصل عليه العامل كاملا ، اذ غالبا ما يستقطع السواقون ، جزءا منه وفاء وسدادا لبعض ديون العامل التى اقترضها فى الفترات التى لا يعمل ولا يرحل فيها(٢٢)٠

أما بالنسبة للرعاية الاجتماعية والتأمينات الاجتماعية ، فانه نظرا لاستيلاء المقاول على جزء من الاجور وانخفاضها ، وانعدام الاجراءات التى تمنع من تشغيل الاطفال ، يضطر العامل الى اصطحاب أطفاله ٠ وأحيانا زوجته فى الترحيلة ٠ ويعمل هؤلاء الابناء من سن العاشرة وقبلها أحيانا ، ولا يخفى ما يترتب على تشغيل الصبية فى هذه السن المبكرة من نتائج اجتماعية واقتصادية وصحية بالغة الخطورة(٢٣)٠ كما أن الاستغلال فى عملية الترحيلة يعتبر من أهم الاسباب المؤدية الى نتائج اجتماعية واقتصادية ضارة لهذه الفئة من العماله ٠ فالبرغم من أن المقاولين يتقاضون من أصحاب الاعمال تكاليف نقل العمال من قراهم الى أماكن العمل وإعادتهم بعد انتهاء العمل ، فأنهم ينقلون العمال بأعداد ضخمة فى اللوارى مع أمتعتهم وزادهم لضغط تكاليف النقل دون مراعاة لانسانيتهم ، مما يعرضهم لكثير من الحوادث والاخطار ، فضلا عن ذلك فان المقاولين

يستقطعون من العامل جـزءا من أجره نظير عمـلية النقـل ، وقـد يتركون العمال بعد انتهاء العمل يعودون الى قرارهم عـلى حسابهم الخاص أو سيرا على الاقدام وفى بعض الاحيـان يجبرونهم على العمـل يوما اضافيا نظـير اعادتهم الى قراهم(٢٤) ٠

وتعتبر سوء وقسوة ظروف العمل التى يعمل فيها عمال التراحيـل من أهـم الاسـباب التى تـؤدى الى سـوء أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية ، فانهم يجبرون على العمـل منذ الصباح البـاكر حتى غـروب الشمس دون تحديد ساعات العمـل ، أو مقطوعياته ، ويتحـكم السواقون فى احتسـاب يوميات عملهم وتوقيع الخصومات عليهم عنـد أى تهاون أو تكاسل فى آداء العمل ٠ فضلا عن عـدم توافر وسـائل الاسعاف والرعاية الصحية لهم ، أو التأمين عليهم ضد اصابات وحـوادث العمل ، أو تعويضهم فى حـالات المرض أو الوفـاة ٠

ويفوق كل هـذه الاسباب السابقة سوء ظـروف اقامة عمال التراحيل وسـوء التغذية وعدم توفر المياه ، وانعـدام النـواحى الخاصـة بالرعاية الاجتمـاعية والثقافية فى مناطق التشغيل ٠

خـــاتمـة :

مما سبق يتضح أن مشاكل عمال التراحيل تنحصر فى أربع نقاط هى :

١ ـ كيفية تنظيم عمليات التشـغيل ٠

٢ ـ ضمان وصول الاجر بالـكامل ٠

٣ ـ الرعـاية الاجتمـاعيـة ٠

٤ ـ لتأمينـات الاجتمـاعية ٠

ومن ثـم فهناك عدة تساؤلات جوهرية تتعلق بجوهر كل مشكلة مـن هذه المشاكل على حدة فبالنسبة للمشكلة الاولى ، مـا هى أنسب الحـلول للقضاء على هـذه المشـكلة هل تتمثل فى حصـر فرص العمل المتاحة عـلى مدار السنة ، وحصر العمال القادرين على القيام بها وتوزيعهم عليها ، أم

تمثل فى تكاتف الجهات المعنية التى تتوافر فيها فرص العمل لعمال التراحيل ، بحيث يمكن أن تصل هذه الجهات الى تحديد الالتزامات الاجتماعية لكل منها ، واحتياجات كل منها الى عدد معين لتنفيذ المشروعات المختلفة ؟ وتحديد معدلات الاجور ، والاشراف الاجتماعى على العمال فى مواقع العمل ، أو يمكن القضاء على هذه المشكلة بالقضاء على نظام موردى الانفار والمتعهدين ، أم أن هناك حلولا أخرى يمكن اكتسابها من واقع اقتراحات تلك الفئة من العمالة التى تعتبر هى الاولى والاخيرة التى يمكن أن تضع لنا الحلول الممكنة للقضاء على مشاكلها من واقع احساساتها ومعاناتها من هذه المشاكل ٠

وبالنسبة للمشكلة الثانية ، هل يعتبر الغاء التعامل النقدى عن طريق موردى الانفار والمتعهدين ، هو الحل الامثل لضمان وصول الاجر بالكامل ؟ واذا كان هذا هو الحل الامثل ، فمن هى الجهة المضمونة للقيام بهذا التعاقد ، هل تتمثل فى اللجان النقابية على أن تكون اللجنة النقابية هى المسئولة عن كل عامل ٠

بالنسبة للمشكلة الثالثة فهى من أهم المشاكل التى يعانى منها هؤلاء العمال ، ومن ثم فالقضاء عليها يحتاج الى حلول كثيرة تتمثل فى توفير جميع أنواع الرعاية الاجتماعية ، من مسكن ، وطعام ووسائل انتقال وصيانة للعمال قبل المعدات ، ومن ثم فما هى الحلول الرئيسية الخاصة بكل هذه المشكلات الاجتماعية بحيث يمكن أن نضمن لعامل الترحيلة كل الضمانات التى تكفل له الحياة الكريمة مثله مثل أى عامل آخر فى الدولة ؟

أما بالنسبة للمشكلة الاخيرة ، فان جميع العقود التى تعقد مع الوحدات الانتاجية تحدد فيها نسبة ١٣٪ للتأمينات الاجتماعية ، ولكن فى الحقيقة لا يستفيد بها العامل ، ومن ثم فما هى الاسباب التى من أجلها لا يستفيد العامل بهذا الجزء من التأمينات ؟ هل لعدم وجود كروت يثبت فيها اسم العامل وصاحب العمل والايام التى يعمل فيها العامل ؟

أم أن هذه المشكلة تنفيذية يمكن القيام بحلها عن طريق قانون يؤكد حق عامل الزراعة مباشرة فى التأمينات الاجتماعية ؟

ومن ثم فان هذه التساؤلات لا يمكن الاجابة عنها الا من خلال دراسة واقعية على مجموعة مختلفة فى مناطق مختلفة لعمالة التراحيل ، ومن خلال التعرف على احساساتهم ومعاناتهم من هذه المشكلات والحلول المناسبة فى نظرهم للقضاء عليها ·

« المراجع »

١ ـ **محمود عودة :** القرية المصرية بين التاريخ وعلم الاجتماع ، مكتبة سعيد رأفت ، جامعة عين شمس (١٩٧٢) ·

٢ ـ **محمود عودة :** المرجع السابق ·

٣ ـ **حسنى حسين :** عمال التراحيل فى الارض الجديدة ، **الطليعة** ، العدد الاول السنة السابعة (١٩٧١) ·

٤ ـ **عبد المنعم الغزالى :** مسيرة العمال الزراعيين فى تايرخ مصر ، ١٨٨٢ ـ ١٩٦١ مجلة الطليعة ١٩٦٦ ·

٥ ـ **حسنى حسين :** المرجع السابق ·

٦ ـ **كمال السيد :** ثلاثة أسئلة صعبة (١٩٧١) ·

٧ ـ **نجيب غيقة :** العمالة الريفية ، كتاب العمل (١٩٦٨) ·

٨ ـ **نجيب غيقة :** تنمية المجتمعات المحلية ، كتاب العمل ، (١٩٧٢)·

٩ ـ محمود عودة : المرجع السابق ·

١٠ـ محمود عودة : المرجع السابق ·

١١ـ الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، الكتاب السنوى للاحصاءات (١٩٦٦) ·

١٢ـ نشرة ادارة التعبئة العامة ، العدد السادس ، السنة الاولى (١٩٦٦)٠

١٣ـ وزارة العمل : تقرير عن دراسة عمال التراحيل ، (١٩٦٤) ٠

١٤ـ وزارة العمل : الادارة العامة للتخطيط ، أهم مناطق تشغيل عمال التراحيل (١٩٦٤) ٠

١٥ـ **أحمد الرفاعي** : عمال الزراعة والتراحيل ، وحلول مقترحة لحل مشاكلهم ، الاهرام ١٩٧١/٩/٦ ٠

١٦ـ **وزارة العمل** : مذكرة غير منشورة ، مقدمة لوزير العمل عن ظروف عمال التراحيل ومشاكل (١٩٦٦) ٠

١٧ـ **وزارة العمل** : مذكرة غير منشورة ، مقدمة لوزير العمل عن ظروف عمال التراحيل ومشاكلهم (١٩٦٦) ٠

١٧ـ **وزاة العمل** : المذكرة الايضاحية لقرار رئيس الجمهورية بشأن عمال التراحيل ٠

١٨ـ **وزارة العمل** : مذكرة مقدمة الى اللجنة المؤقتة لحل مشكلة عمال التراحيل بشأن خطة العمل المقترحة لحل مشكلة عمال التراحيل (١٩٧١) ٠

١٩ـ **حسين البرادعي** : اعتبارات أساسية فى حل مشكلة عمال التراحيل ، نشرة الثقافة العمالية (١٩٧١) ٠

٢٠ـ عبد الخالق الشهاوى : الفلاحون واستمرار الثورة ، مجلة الكاتب السنة العاشرة ، العدد ١١٦ (١٩٧١) ٠

٢١ـ حسنى حسين : المرجع السابق ٠

٢٢ـ **وزارة العمل** : تقرير عن مشكلة عمال التراحيل (١٩٦٤) ٠

٢٣ـ حسنى حسين : المرجع السابق ٠

٢٤ـ حسنى حسين : المرجع السابق ٠

٢٥ـ صبرى توفيق : صرخة الم من اجل عمال التراحيل ، مجلة العمل ، (١٩٧١) ٠

النمــوذج وبنــاء النظــرية السوسيولوجية

الدكتورة نــاهد صــالح *

مفهوم « النموذج» « Model » من أحـدث مفهومات اللغة العلمية التى تحتـل اليوم مكانة بارزة فى مجال العلم الحديث وبالتحديد فى مجال مناهج بحثه ، زاد منها ارتباطهبمفهوم « تحليل النسق« System Analysis » الذى يعد بدوره من أحدث المفهومات المنهجية التى يعلق عليها العلم الكثير من الآمال ، سواء بالنسبة لبنـاء النظرية أو لمواجهة المسائل التطبيقية · هذا الوضع المميز لمفهوم النموذج دفـع بعض علماء الاجتماع الى استخدامه بلا تمييز بالنسـبة لايـة تحليلات أو تفسيرات اعتقادا منهم أن هـذا يعـلى مـن مـكانه اسهاماتهم ، ويرتفع بها الى مصـاف النظرية العلمية · ويعـد هـذا المقـال محـاولة لابـراز وضـع ودور النمـذوج فى بنـــاء النظـرية السوسيولوجية فيبدا بتحديد مفهـوم النموذج ومفهوم النظرية ، ثم ينتقـل الى عرض أنـواع النماذج ، ومنهـا الى عمـلية بنـاء النموذج بمـكوناته البنائية ، وينتهى فى الخاتمة بتقويم النموذج وتقويم النظرية المشـتقة منه ، والتأكيد على أهمية النماذج الرياضية فى بنـاء النظرية السوسيولوجية ·

نجحت الآراء التى ضمنها رايت ميلز Wright Mills منذ خمسة عشر عاما فى كتابه المخيـلة السوسيولوجية « The Sociological Imagination » فى تـرك بصماتها على عـلم الاجتمـاع منـذ ذلك التاريخ وحتى اليـوم ، بحيث يمكننـا القـول أنها فتحت آفاقا جديدة أمام عـلم الاجتماع ، وأمـام المشتغلين بـه ، وبسطت فى رفضها للنظريات الـكبرى وللامبيريقية معـا ،

(*) خبيرة ورئيسة وحدة بحوث الرأى العام والاعلام ، بالمركز القومى للبحـوث الاجتماعية والجنائية ·

ابعـاد الازمة التى يعانى منها عـلم الاجتماع ، وطرحت فى تفضيلها لمفهوم الدراسات الاجتماعية على مفهوم العـلوم الاجتماعية (١) مدى علمية علم الاجتماع للنقاش (٢) .

ومن ثـم كان طبيعيـا أن يستثير هـذا الوضع الذى وصل اليه عـلم الاجتماع تحـدى بعض العلماء ـ وخاصة المهتمين منهم بمناهـج البحث فى هـذا العلم ـ وأن يضع الوصول الى نظريات سوسيولوجية قابلة للاختبار والتحقيق هدفا لتصديهم لهذا التحدى . وكان طبيعيا أيضا أن يثار أمـام هؤلاء نفس السؤال الذى سـبق أن ألح على ميرتون Merton عام ١٩٤٩ وهو : **كيف يمكن بناءنظـرية سوسيولوجية قبـل أن توجـد المنهج المـلائم لبنـائها** (٣) ؟

ومن هنـا بـرزت فـكرة بناء النظرية من خـلال النماذج ـ كاحـدى استراتيجيات بناء النظرية السوسيولوجية ـ وطرحت الاسس المنهجية لبناء النمـوذج فى عـلم الاجتماع . ولـكن ، رغم أن فـكرة الاستعانة بالنماذج فى بناء النظرية قد قطعت شوطا بعيدا سـواء على مستوى النقاش النظرى أو على مستوى التطبيق ، فى مجال العلوم الطبيعية بـل وفى مجـال بعض العـلوم الانسـانية وفى مقدمتها عـلم الاقتصاد وعـلم النفـس والسـكان والجغرافيـا واللغويات أيضا ، ورغم أن النماذج أسهمت اسهاما يعتـد به فى بناء النظرية فى هذه العـلوم ، بحيث أصبـح البعض يسـلم اليـوم باستحالة قيامالعـلم دون نماذج تماما كاستحالة قيامه دون نظـرية(٤) .

---

1) Mills, C. Wright, The Sociological Imagination, Pengwin Books Ltd. London, 1973, pp. 25-26.

(٢) بحيث أصبحت عبارة علم الاجتماع العلمى Scientific Sociology تتردد فى كتابات علماء الاجتماع وظهرت بعض المؤلفات تحت هذا العنوان منها :

Willer, D., Scientific Sociology, Theory and method, Prentice-Hall, Inc., New Jersey, 1967.

3) Ibid. p. XVI.

4) Churchman, C., Ackoff, R., and Arnoff, E., Introduction to Operation Research, John Wiley and Sons, Inc., New York, 1959, p. 157.

ورغم الازمة التى يعانى منها علم الاجتماع نتيجة الافتقار الى نظريات سوسيولوجية علمية ، رغم هذا كله ، فان فكرة الاستعانة بالنماذج لا تزال تتعثر فى خطواتها الاولى فى مجال هذا العلم ، ولا عجب فى هذا حيث لا تزال مناهج علم الاجتماع ، بل موضعه من العلوم الطبيعية والانسانيات مطروحة للنقاش(١) ، وحيث لا يزال مفهوم النظرية يستخدم بصورة فضفاضة ينأى بها عن مفهوم النظرية فى العلوم الطبيعية ، ويجردها من أهم مقومات النظرية العلمية ، ومن ثم لا عجب ايضا فى أن يشيع الخلط بين مفهوم النموذج ومفهوم النظرية ٠

مفهوم النموذج ومفهوم النظرية :

أصبح من المسلم بـه اليوم أن المسئولية الاولى لتخلف علم الاجتماع وعدم قدرته على التخلص من أسار الفلسفة والفكر الاجتماعى فى انطلاقه الى رحاب العلم ، يقع جانب كبير منها على عدم دقة المفهومات السوسيولوجية وتلونها وفقا لايديولوجية الباحث من جهة ، وعدم دقة استخدام المفهومات العلمية والمنهجية فى مجال علم الاجتماع من جهة أخرى ، ولا أدل على ذلك من تعدد مفهومات كل من النظرية والنموذج والخلط الواضح بينهما (*) ٠

فاذا استعرضنا التعاريف المختلفة لمفهوم النموذج ، نجد أن العلماء عموما لم يتفقوا على تعريف واحد له ، ولعل هذا يرجع من جهة الى الحداثة النسبية لاستخدام هذا المفهوم ومن جهة أخرى الى الاستخدامات المتنوعة للنموذج فى مجال العلم ٠

---

(١) أنظر ، أبو زيد ، أحمد . أزمة العلوم الانسانية، عالم الفكر . المجلد الاول ، العدد الاول ، ١٩٧٠ ، ص ١٩٥ ٠

(*) اذا كان هناك بعض العذر فى عدم دقة تحديد مفهوم النموذج لحداثة استخدامه فى مجال العلم ، وفى مجال علم الاجتماع بالذات ، فليس هناك عذر فى عدم دقة تحديد مفهوم النظرية ليس فقط بين عالم وآخر من علماء الاجتماع ، بل أحيانا فى كتابات الواحد منهم ٠

ومن هنـا نجـد من يعرف النمـوذج العلمى بأنـه تمثيـل لبعـض موضوعات البحث مثـل : الاشياء ، الاحداث ، العمليات أو الانساق(١) ، هو عرض موجز للحالة قيد البحث ، صورة تبين كيف يعمل نسق معين ، اطار مرجعى أو الاطار العـام الذى يصنف بـه الموضوع ، تعميم رمـزى لمعطيات معينة وصف موجز وتنظيمى لاحداث عدة ووسيلة مفيـدة للتنـبؤ بهـا فى المستقبل(٢) . النموذج هو منهج مقترح . هو نظرية تفسر تـركيب أو بناء شىء ما . هو مجموعة من الافتراضات. هو نسق من المعادلات(٣) والتباينات(٤) هو مجموعة مركبة من القضايا المتراطبة فيما بينها(٥) .

واذا كانت هذه التعاريف فى جملتهـا لا تعكس تناقضا واضحا فيمـا بينها ، الا أنها لا تحددلنا بدقة مفهوم النموذج ـ من حيث النباء والوظيفة ـ بـل هى تعكس لنـا فقط اهتمامات العـلماء فى استخداماتهم للنمـوذج ، والخلط الواضح لدى بعضهم بين النموذج والنظرية والاطر التصويرية من جهة ،وبين مضمون النموذج ولغـة التعبير عنه من جهـة أخرى . ويـكفى للتدليل عـلى ذلك أن نسـتعرض تعريف عـالم الاجتماع الـكس انـكلز Alex Enkeles للنماذج فى مجال علم الاجتماع حيث نجـده يضع عـلى قـدم المساواة ما أسماه بالنموذج التطورى The Evolutionary Model والنموذج العضوى : الوظيفية البنائية

The Organisme Model : Structural Functionalism

ونموذج التوازن Equ.librius Model فى مقـابل نموذج الصـراع

---

f) Meadows, P., Models Systems and Science. American Sociological Review, Vol. 22, No. 1, 1957, p. 3.

1) Churchman. Op. cit., p. 157.

2) Lundberg, Schrag. and Larsen. Sociology. Harper and Brothers, New York, 1958, p. 183.

3) Simon, H. Models of Man. Social and Regional. John Wiley and Sons, Inc., New York. 1957, p. 12.

4) Diesing, P., Patterns of Discovery in the Social Sciences, Routledge and Kegan Paul. London, 1972, p. 31.

5) Abell, P., Model Building in Sociology, Weidenfeld and Nicolson, London, 1971, p. 6.

Conflict Model يضع هذه النماذج بجانب نموذج العلم الطبيعى The PhysicalScience Model وبجانب النماذج الاحصائية Statistical Models والنماذج الرياضية Mathematical Models(١) هنا لابد أن يثار التساؤل : هل نحن بصدد نماذج علمية فعلا ؟ أم نحن ازاء نظريات سوسيولوجية ، أو بالاحرى ازاء اطر نظرية أو تصويرية ؟ وتستلزم الاجابة على هذا التساؤل تحديدنا لمفهوم النموذج ، فى اطار تصورنا لوظيفته ولدوره فى بناء النظرية ، وتحديدنا بالتالى لوضعه بالنسبة للنسق الصورى Formal System والنسق الاجرائى Operational System للنظرية ، وتستلزم ، بادىء ذى بدء تحديدنا لمفهوم النظرية ٠

النظرية : هى مجموعة متكاملة من القضايا المحققة علميا ، ودون أن يتم التحقق من صحة هذه القضايا لا يحق لنا القول بأننا بصدد نظرية ، مهما كان نقاؤها منطقيا أو رياضيا ـ من الناحية الصورية أو الشكلية ، بل نكون بصدد مجموعة من القضايا أو الفروض غير المحققة ، هذه القضايا أو الفروض تأخذ شكل نسق صورى ٠ فالنسق الصورة عبارة عن مجموعة من القضايا ، كل قضية تحتوى على حدود تربطها علاقة بحدود أخرى ، هذه العلاقات بين الحدود ـ متى أخذت فى جملتها ـ تكون النسق الصورى(٢) ٠

والنسق الصورى لا يحتوى على تعريفات أسمية Nominal definitions أو تعريفات اجرائية Operational definitions ولا يحتوى أيضا على تفسيرات ـ أيا كان نوعها ـ تتناول العلاقات المكونة للنسق اذ أن الغرض من النسق الصورى هو تقرير العلاقة بين الحدود ، التى تشتمل عليها قضاياه ، بأكبر قدر من الايجاز والوضوح فى الوقت ذاته ٠ فالتوكيد فى النسق الصورى يكون على شكل أو صورة العلاقة وليس على مشتقاتها أو تطوراتها أو حتى على معانيها الاسمية ٠

---

1) Inkeles, A., What is Sociology, Prentice-Hall, Inc., New Jersey, 1964, pp. 30-44.

2) Miller, op. cit., p. 9.

ولا توجد قواعد عامة يتحدد بمقتضاها بناء العلاقات فى النسق الصورى فيما عدا قواعد المنطق أو قواعد الرياضيات · فالمطلوب أساسيا فى النسق الصورى هو أن توضع العلاقات بحيث تكون منسقة فيما بينها ومحددة وغير غامضة ·

ولكى يصبح النسق الصورى قابلا للاختبار لابد من تحويله الى نسق اجرائى ، ويتم هذا باستبدال حدود النسق الصورى بتعريفاتها الاجرائية · والتعريف الاجرائى يشير الى الاجراء المستخدم لقياس الحد · ونتيجة لهذا الاحلال فان النسق الاجرائى يتكون من مقاييس مرتبطة بمقاييس أخرى · ومتى تحققت صحة النسق الاجرائى – باختباره امبيريقيا – فان النسق الصورى يصبح نظرية ، وتصبح قضايا هذا النسق هى تقريرات النظرية(١)·

ورغم أن تراث علم الاجتماع يزخر بالكتابات النقدية للتعريفات المتداولة بين علماء الاجتماع للنظرية السوسيولوجية ، ويزخر بمحاولات تحديد تعريفات دقيقة لها ، الا أن مفهوم النظرية السوسيولوجية لا يزال له معان شتى لدى علماء الاجتماع(٢) يكفى لذلك استعراض مضمون المادة التى تؤلف أو تدرس فى الجامعات تحت اسم النظرية السوسيولوجية حيث نجد الكثير منها مجرد تأريخ للفكر الاجتماعى وللافكار الاجتماعية ·

ومع ذلك ، فهناك من علماء الاجتماع من يقصر مفهوم النظرية السوسيلوجية على القضايا العامة المترابطة فيما بينها ، والتى تهدف الى تفسير الاطرادات الامبيريقية والتى تسمح باستنباط فروض أخرى لاختبارها امبيريقيا(٣) ·

---

1) Ibid., p. 10.

2) Gold, J. and Kolb, W., Sociological Theory, in Dictionary of the Social Sciences, The Free Press. New York, 1959, p. 675.

3) Robson, R., The Present State of Theory in Sociology, in Lakatos and Musgrave (eds.), Problems in the Philosophy of Science. North Holland Publishing Comany, Amesterdam, 1968, p. 349.

وفى معالجتنا لموضوع النماذج وبناء النظرية السوسيولوجية فاننا نركز فى تحديد مفهوم النظرية السوسيولوجية على انها مجموعة متكاملة ومترابطة من القضايا السوسيولوجية Sociological Propositions المحققة علميا ، أى هى نسق صورى محقق ٠

واذا كانت النظرية العلمية هى نسق صورى محقق ، فان النموذج هو المصدر الذى يشتق منه هذا النسق ٠ وبناء عليه ، فان من افضل التعريفات التى وضعت للنموذج فى مجال بناء النظرية السوسيولوجية هو التعريف الذى وضعه ديفيد ويللر David Willer حيث يعرف النموذج بأنه :

تصور لمجموعة من الظواهر يتم تكوينه على أساس عقلانى ، حيث يكون غرضه النهائى هو تزويد النسق الصورى ـ الذى متى تم تحقيقه أصبح نظرية ـ بالحدود والعلاقات والقضايا(١) ٠

وبناء على هذا التعريف المحدد لوظيفة النموذج ، يمكن أن نميز بين النموذج الذى نشتق منه مباشرة انساقا صورية ـ وهو النموذج الذى نتناوله فى هذا المقال ـ والذى يمكن تسميته بالنموذج النظرى Theoretical Model وبين النظرية السوسيولوجية كما حددناها هنا ، وبين المداخل التصورية Conceptual Approaches التى يدرجها البعض تحت اسم نظرية ، والتى أسماها ميرتون بالموجهات السوسيولوجية العامة General Sociological Orientations وأسماها البعض بالنماذج العامة General Models ، والتى تعد أحد المصادر الرئيسية لاشتقاق النماذج النظرية بالمعنى المقصود بالنموذج هنا (٢) ٠

اذا سلمنا بالتعريفين اسابقين للنظرية وللنموذج ، فانه قد يمكننا ـ فى مجال بناء النظرية السوسيولوجية بالاستعانة بالنماذج ـ تلافى ما يشيع من خلط بين مفهومات النموذج والفرض والقضية العلمية ، وبالذات الخلط

1) Willer, D., op. cit., p. 15.

2) Ibid, p. 16.

بين مفهوم النموذج ومفهوم النظرية بحيث يأخذ كل منهما وضعه ويحتل مكانته على السلم المنهجى ، وتتضح امام الباحث الخطوات اللازمة للانتقال من مستوى النموذج الى مستوى النظرية • وربما قد نجد بذلك من حرص بعض علماء الاجتماع والانتروبولوجيا على استخدام مصطلح النموذج بالنسبة لاية تفسيرات أو تحليلات يجرونها اعتقادا منهم أن هذا يعلى من شأنها(١) ومن اصرار البعض على استخدام مصطلح النموذج ومصطلح النظرية كمترادفين ، أو من استخدام مصطلح النموذج للنظريات غير المختبرة أو غير القابلة للاختبار حرصا على عدم وضعها فى مصاف النظريات العلمية ، أو احلال مصطلح النموذج محل مصطلح النظرية اعتقادا منهم أن التجريد الذى يميز النظرية ، والذى يتضمن اختيار وحذف بعض المتغيرات يجعلها من قبيل النماذج لا النظريات(٢) • وربما ـ بتحديد هذين المفهومين ـ يمكننا تلافى الخلط بين النماذج الرياضية Mathematical Models والنظريات الرياضية Mathematical Theories والنظريات السوسيولوجية الرياضية Sociomathematical Theories ، حيث يكفى عادة أن تتضمن النظرية قيما عددية أو رموزا رياضية لاستخدام مصطلح النموذج بدلا من النظرية •

انواع النماذج

تصنف النماذج الى أنواع وفقا لاسس مختلفة ، فقد يكون التصنيف وفقا للاساس الذى يتم بمقتضاه بناء النموذج ، أو وفقا لطبيعة العلاقات العلاقات الخاصة بقضاياه ، أو وفقا للغة التعبير عنه •

فاذا صنفنا النماذج وفقا للاساس الذى يتم بمقتضاه بناؤها ، امكننا أن نميز بين ثلاثة انواع من النماذق وهى :

1) Cohen, P., Models, British Journal of Sociology, Vol. 17, No. 1, 1966, p. 70.

2) Brodbeck, M., Models. Meaning, and Theories, in Gross (ed.), Symposium on Sociological Theory. Hurper and Row, New York. 1959, pp. 381-382.

اولا : النمـوذج النظـير Analogue Model

ثانيا : النمـوذج الايقـونى Iconic Model

ثالثا : النموذج المرمـزى Symbolic Model

ونعرض الآن بايجـاز لخصائص كل مـن هـذه النمـاذج ، وصـور استخدامها فى مجال علم الاجتماع وبناء النظرية السوسيولوجية ٠

اولا : النموذج النظير Analogue Model

يعد من اكثر أنواع النماذج شيوعا فى مجال عـلم الاجتماع وفى مجال محاولات بنـاء النظرية السوسيولوجية بالذات ٠ ويستند هذا النموذج فى بنائه على أساس التناظر بين مجالين ٠ فعنـدما تتوافر لنا معـرفة عـلمية بمجال معين من حيث النظرية وقوانينها العلمية ـ نسـتفيد من هذه المعرفة بـأن نفترض أن مجالا آخـر ـ حيث تعوزنا فيه المعـرفة العلمية هـذه ـ لـه نفس بنـاء وشـكل تلك النظرية وقوانينها فـان النظرية فى المجال الاول تـكون بمثابة «نموذج» للمجال الثـانى(١) ٠

فالنموذج النظرى النظير هنـا يسـتغل معرفتنا وفهمنا لنسق معـين فى فهم نسـق آخـر (Explandun) وهذا ما يميز هذا النموذج عن غيره من النماذج فهو يستخلص من النسق الذى تعرفه جيدا ما يمكن تسميته بالمعنى المضاف « Surplus meaning » بالنسبة للنسق الآخر(٢) ٠

فمثلا ، اذا كانت لدينا معرفـة بالقوانـين التى تخضع لها الامـراض أو الاوبئة فى انتشارها يمكن اعتبارها « نموذجا » يستفاد منه فى الوصول الى القوانين التى تخضع لها الشائعات فى انتشارها ٠ ويتم ذلك على عـدة مراحـل تبدأ بتجريد القانون الخاص بانتشار الاوبئة من مفهوماته الوصفية Descriptive Concepts وذلك باستبدال كل مفهوم بحرف يقابله ـ وبـذا

1) Ibid., p. 379.

2) Hesse, M., Models and Analogy in Science, The Encyclopedia of Philosophy, Paul Edwards (ed.), The Macmillan Company and the Free Press, New York, 1967, p. 356.

يتضح شكل القانون ، ثم تستبدل هذه الاحرف بالمفهومات المقابلة لهـا فى القضايا الخاصة بانتشار الشائعات · ومتى ترجمت هـذه القضـايا الى فـروض علميـة ، ومتى تحققنا من صحة هـذه الفروض ، يمـكن القـول بـأن النظرية الخـاصة بانتشار الشائعات لها نفس شكل او بنـاء النظرية الخاصة بانتشار الاوبئة · ونفس هذه الخطوات تنطبق على اى مجال اخر تـكون نظرياته او قوانينـه العلمية قـد تبلورت او رسخت · فاذا اتخـذنا قوانين النمو التى يخضع لها الـكائن الحى « نموذجا » تستمد منه القوانين التى تخضع لها المجتمعات فى نمـوها او تطورها ، فعـلينا أن نعمل عـلى اسـتبدال مفهومات قوانين النمو هذه بمفهومات مناظرة لها بالنسبة لنمـو المجتمع أو تطوره ، بحيث يصبح لـكل مفهوم فى المجال الأول نظيره فى المجال الثانى(١) على أن يراعى وضع تعـريف للمفهوم الجـديد ، أو للاستخدام الجديد للمفهوم · اذ يحدث عادة عنـد استخدام النماذج النظيرة أن تهمـل هـذه الخطوة تماما ، أو يـكتفى باستخدام التعريفات الخاصة بالمفهومات المتضمنة فى النظرية الاصلية ، وهـذا يـؤدى فى الحالة الاولى الى نمـوذج غير قابـل للتطبيق كلية ، ويـؤدى فى الحـالة الثـانية الى مفهومات ذات تعريفات غامضة ومبهمة لا تنجح الا فى تشويه معنى المفهوم الاصلى(٢) ·

وما نود أن نشير اليه أيضا هو أن فى النموذج النظير لا يقتصر الامـر على عملية استبدال حدود بحدود ، أو احلال مفهومات محل أخـرى ، أو تحديد تعريفات دقيقة لتـلك المفهومات ، وانمـا يجب أن يـراعى أساسـا الاحتفاظ بشـكل نفس العـلاقة أو الرابطة أو الميـكانيزم بـين الحـدود أو المفهومات ، عند اتخاذ نظرية أو قانون علمى فى مجال معـين نموذجا تستمد منه النظرية أو القانون العلمى فى مجال آخـر(٣) · فمثلا اذا أخـذنا الـكائن العضوى أساسا لبناء نموذج نظـير فى مجال عـلم الاجتماع فـان مفهـوما

---

1) Brodbeck, op cit., pp. 379 - 380.

2) Willer, op. cit., p. 34.

3) Brodbeck, op. cit., p. 379.

كالتوازن Equilibrium مثلا يجب أن يعاد وضـع تعـريف له بعبـارات سوسيولوجية مع الاحتفاظ بالمـكانيزم الذى تتضمنه علاقة التوازن هذه(١)٠

ولعـل اكثر انواع النماذج النظرية شيوعا فى مجال عـلم الاجتماع والانتروبولوجيا وفى محاولات بناء النظرية السوسيولوجية هى تلك النماذج النظرية القائمة على تشـبيه خصائص المجتمع او بنـائه أو عملياته أو نظمه بتلك الخاصة بالـكائن الحى Organism التى أثمرت النموذج التطورى Evolutionary Model فالنمـوذج الوظيـفى Functional Model الا أن النماذج النظرية هذه ظلت فى مستوى النماذج العامة General Model واستخدمت على هذا المستوى فقط ، ولم ترق الى مستوى النماذج النظرية ، اى النمـاذج التى يشـتق منهـا مباشـرة النسـق الصـورى للنظـرية السوسيولوحية ٠ ومن هنا أكد البعض أن قيمـة النمـوذج النظير مرتبطـة بتحويله الى نـوع النماذج الايقونية أو النماذج الرمزية ٠ وهذا ينقلنا الى النوع الثانى من النماذج وهو النماذج الايقونية ٠

ثانيـا : النموذج الايقونى Iconic Model

الاساس الذى يبنى عليه النموذج الايقونى هو تمثيله لخاصية أو لعدة خصائص لمجموعة من الظواهر الامبيريقية ، وان كان هذا التمثيل يتضمن تحويلا أو تعديـلا فى هـذه الخصائص سواء من حيث المقياس أو الحجـم او التأكيد على جوانب بعينها وابرازها دون غيرها ٠ فاهم ما يميز النموذج الايقونى عن غيره من النماذج هو أن الاساس العقلانى لبنـائه يسـتند الى التماثل المباشر مع الموضوع الذى يمثـله النموذج(٢) ٠ ولـكن اذا كـان النموذج الايقونى يمثل الاصل الا أنه ـ مثله فى ذلك مثـل أنواع النمـاذج

---

1) Nagel, E., The Structure of Science. Columbia University Harcourt, Brace and World. Inc. New York, 1961. pp. 526-527.

(*) انظر العرض المسهب لهذين النوعين من النماذج العامة فى كتـاب انكلز المرجع السابق ذكـره ٠

1) Willer, op. cit., p. 34.

2) Willer, op. cit., pp. 37 - 38.

الاخـــري ـ يختلف عما يمثله فى أنه لا يضم كافــة خصائصه ، فالخصائص الممثلة فى النموذج الايقونى هى فقط تلك التى تعــد جوهرية بالنسبة للغرض الذى يخدمه النموذج(١)٠

وأبسط أنواع النماذج الايقونية هى الصور الفوتوغرافية وبعض لعب الاطفال التى تعد نمــاذج للسيارات والطائرات والقطارات ٠٠ الخ ٠ وفى مجال العلوم الاجتماعية يعتبر البعض الرسوم السوسيومترية والرسوم التى توضح الهيكل التنظيمى من قبيل النماذج الايقونية بمعناها الواســع ٠ وان كان هناك من يحرص على التنبيه الى ضرورة التمييز بين النماذج النظرية وبين الرسوم البيانية والصور والتكوينات المادية التى وان كانت جميعها تفيــد أحيــانا فى عــرض النموذج الا أنــه يجب عــدم النظر اليها على أنها هى النموذج نفســه(٢) ٠

والنموذج الايقونى النظــرى لا يقتصر على مجــرد وجــود التماثــل الايقــونى هــذا بــل لابــد من أن يتــوافر بــه ميــكانيزم محدد يمــكننا من التنبؤ بالمادة التى سنتناولها فى النهاية بالدراسة ، ولعل هذا هــو ما يميز النموذج الايقونى عن الاطر التصويرية ، فالاطر التصويرية وان كان يتحقق فيها التمثيل الايقونى حيث تهدف الى تمثــيل الظواهر محل البحث تمثيــلا مباشرا بواسطة المفهومات المعرفة اسميا والتى تــكون صلب هذه الاطــر التصويرية ، الا أنها اما تخــلو من الميكانيزمات أو تحتوى على ميكانزمات تتمــيز بالغموض أو بالتعارض وعــدم الاتساق ٠ وللوصول الى النمــوذج الايقــونى فى مجال عــلم الاجتماع تبرز فــكرة الاستعانة بالانماط المثــالية Ideal Types وبالتنميط Typology معا ٠٠ فالنمــط المثــالى ينتــقى مجموعة من خصــائص الظواهــر الامبــيريقية ليمثلها ٠ ونظــرا لطبيعتــه التجريدية فهو يخضع هذه الخصائص لنوع من التحويل حيث يبرز بعضها فى حين يهمل خصائص أخرى يعتبرها غير ذات أهمية بالنسبة للمسألة محل

1) Churchman, op. cit., p. 159.

2) Achinstein, P., The British Journal for the Philosophy of Science, Vol. 16, No. 62, 1965, pp. 102.

بحثه أو تفسيره • ومن هنا يبدو الطابع الايقونى بارزا فى الانماط المثالية الا أن العقبة الرئيسية فى استخدام الانماط المثالية كنماذج أيقونية تأتى من أن النمط المثالى لا يتحقق فيه التماثل فى البنـاء الذى يتوقف كلية على مدى اقتراب النمط المثالى من الظاهرة محل اهتمامه ، ويرجع ذلك بالطبع الى طبيعة عملية بنـاء النمط المثـالى التى تتضمن عناصر الانتقاء والتحويل والتأكيد ، تؤدى كلها فى النهاية الى نوع من التحريف يجعل تحقق التماثل فى الأنمـاط المثاليـة أمرا نـادرا(١)•

ومن ثم كان طبيعيا الا يلقى استخدام النمط المثالى بمفرده ــ كنمـوذج أو كأساس لبنـاء النماذج ــ نجاحا تاما فى علـم الاجتماع ، ومن هنـا أدخـل البعض فـكرة الاستعانة بالتنميط حيث يتم على أساس عقـلانى بناء نمطين مثاليين أو أكثر ، لتمثيل الحـالات المتطرفة أو لتمثيـل طـرفى أحـد المتصلات أو أكثر من متصل ، فمتى مثل أحد الانماط أحد الطرفين ومثـل الآخر الطرف المضاد له منطقيا ، أمـكن بهذين النمطين المثاليين معا تحقيـق نـوع من التوازن فى التحريفات التى تنجم عـن كل نمط مثالى بمفـرده • ومتى تم بـكفاءة تصور الحالات الواقعة بـين هذين الطرفين كمزيج منهـا فانـه يمكن اعتبار أن التنميط ككل قـد حقـق التماثـل الـذى يفتقـر الى تحقيقه أى نمط مثالى بمفرده •

ولـكى نحصل على نماذج أيقونية نظـرية بالاعتماد على الانمـاط المثالية والتنميط لابـد أن تصبح الانماط المثالية علىدرجة عالية من الاحكام والدقة خاصـة بالنسبة لمفهوماتها . بحيث تمكننا من اشـتقاق الميكانزمات الواضحة والمحددة • ومتى أمكننا الوصول الى الميكانزمات ، ليس فقط تلك الخاصة بالنمطين المثاليين المتقابلين ، ولـكن أيضا لما بينهما فانه يمكننـا القـول باننا وصلنا الى نموذج أيقونى نظرى(٢)•

---

1) Willer, op. cit., p. 39.

2) Ibid. p. 44.

ثالثا : النموذج الرمزى Symbolic Model

اذا كان النموذج الايقونى يعتمد فى تحديد ميكانيزمه والربط بين مفهوماته على عملية تجريد الميكانيزم من الظواهر ذاتها ، ثم استخدامه بعد ذلك فى ربط مفهومات النموذج بعضها ببعض ، واذا كان النموذج النظير يعتمد فى الوصول الى ميكانيزمه والربط بينه وبين مفهوماته على تحويل ميكانيزم مجال آخر واستبدال مفهومات ذلك المجال بمفهومات تتناسب والمجال الذى يخدمه النموذج ، فان الوضع يختلف فى حالة النموذج الرمزى ، حيث يشتق الميكانيزم فيه وتتحقق الرابطة بين مفهوماته من خلال مدلول أو معنى النموذج نفسه ، بحيث يمكن القول بأن تكوين النماذج الرمزية يتم بالاعتماد على الربط ذى الدلالة أو الربط الذى له معناه بين المفهومات .

وقد استمد النموذج الرمزى تسميته هذه من أن الاساس المنطقى الذى يستند اليه يسمح بأن ترمز مجموعة من المفهومات المترابطة لمجموعة من الظواهر ، كما أن مصدر ميكانيزم النماذج الرمزية هو مفهومات هذه النماذج أو رموزها(١) .

وقد عرف كل من تشرشمان Churchman واكوف Ackoff وارنوف Arnoff النموذج الرمزى بأنه ذلك النوع من النماذج الذى يعبر عن مكونات ما يمثله النموذج والعلاقات بينها بواسطة الرموز التى هى عادة رموز منطقية أو رياضية(٢) . وهذا ينقلنا الى ما يسمى بالنماذج المنطقية الرمزية Logistic Models وما يسمى بالنماذج الرياضية Mathematical Models

---

1) Ibid, p. 52.

2) Churchman, op. cit., p. 161.

(*) يذهب ديزنج ، الذى يعرف النموذج بانه نسق من المعادلات والتباينات ، الى أن النماذج يمكن تصنيفها الى ثلاثة انواع وفقا لنوع الرموز المستخدمة فى معادلاتها ، وبناء عليه يمكن أن نميز بين النماذج المنطقية ، والنماذج الرياضية ، ونماذج الحاسب الالكترونى Computer Models . المرجع السابق ص ٣١ .

النماذج المنطقية الرمزية Logistic Models

يعتمد هذا النوع من النماذج كلية فى بنائه ، على التحليل الاستنباطى الذى يهدف الى تكوين نسق من القضايا مغلق منطقيا « Logically Closed System »، حيث تتصل كل قضية بالاخرى وفقا لقواعد محددة للاستدلال · ويبنى أساس هذا النموذج من بعض الحدود البسيطة التى ترتبط كل منها بالاخرى بواسطة صيغ بسيطة أو بديهيات ، حيث تكون كل بديهية منها مستقلة عن الاخرى وغير متناقضة معها ، وكافية مع غيرها لاشتقاق نظريات يمكن البرهنة على صحتها فى اطار قواعد الاستدلال المحددة فى النموذج نفسه · لذلك فان كل نظرية تتوصل اليها بمقتضى هذا النموذج تكون متضمنة منذ البداية فى بديهياته · ومن ثم كان من أهم عيوب هذا النوع من النماذج هى كونها « نماذج » اى ابتكارات تعسفية للعقل الانسانى وبالتالى فصحتها أساسا منطقية لا امبيريقية(١) · هذا النوع من النماذج يكاد يخلو منه ميدان علم الاجتماع ومحاولات بناء النظرية السوسيولوجية وان كانت له بداياته فى ميادين العلوم الاجتماعية الاخرى وبالذات فى ميدان علم الاقتصاد ·

النماذج الرياضية Mathematical Models

أصبح استخدام مصطلح النماذج الرياضية من قبيل الخطأ الشائع فى مجال العلوم الاجتماعية حيث ينسحب على أى استخدام لرموز أو معادلات رياضية فى أى مرحلة من مراحل بناء النظرية الاجتماعية ، ونادرا ما نجد من يقصر هذا المصطلح على النماذج التى تشتق بالاعتماد على الرياضة البحتة · ومن هنا نجد أن النموذج الرياضى على حد قول برودبك Brodbeck قد يعنى اية نظرية تحتوى حدودها الوصفية على أرقام · هنا يحل مصطلح النومذج الرياضى محل القوانين الامبيريقية المكونة لصلب النظرية · كذلك قد يطلق مصطلح

1) Firey, W., Mathematics and Social Theory. Social Forces, Vol. 29, No. 1, 1950, p. 23.

النموذج الرياضى على صوغ النظرية Formalization of theory اذ أحيانا يكون من المستحب الكشف عن شكل بداهيات النظرية ويتم ذلك باحلال أحرف محل حدودها فمثلا $Y = ax + b$ هى صياغة لعلاقة خطية ، و $Y = ax^2$ هى صياغة لعلاقة قطع مكافىء بين المتغير Y والمتغير × . كذلك قد توضع القوانين بهذه الصورة أما لتسهيل عملية الاستنباط او لمراجعة الاستنباطات التى تمت فعلا(١) . ونفس هذا الاسلوب نلجأ اليه أيضا عند مقارنة الابنية الصورية لمجموعتين من القوانين عن ظواهر مختلفة . وأى نظرية سواء كانت كمية أو غير كمية يمكن صوغها بهذا الاسلوب الذى يسميه البعض بالنماذج الرياضية .

واذا كان مفهوم النموذج الرياضى يستخدم بهذه الصورة الفضفاضة فاننا نجد من يضيق من هذا المفهوم بحيث يعرف ما يسمى بالنموذج الرياضى فى مجال العلوم الاجتماعية بأنه عبارة عن صياغة للعلاقات ، أو هو نظرية شبه مصاغة Semi-formalized theory تقام على أساس التناظر الرياضى Mathematical analogue ويؤكد أن النماذج الرياضية هذه ليس لها بناء النموذج وانما هى أقرب لما يسمى بالنسق الصورى(٢) .

مجمل القول ، أنه فى الوقت الذى أدى فيه استخدام مصطلح « النموذج الرياضى » دون تحديد لمفهومه ، الى تعدد مفهوماته ، أصاب مفهوم « النموذج » فى حد ذاته بكثير من الخلط . وما نود أن نؤكده هو أن الرياضيات كما هى لغة للعلم ولنظرياته ، فهى لغة أيضا لنماذجه النظرية أيا كان نوعها ، نماذج نظيرة أو نماذج أيقونية ، أو نماذج رمزية . وأيا كانت طبيعة العلاقة بين مفهوماتها أو قضاياها ، علاقة سببية أو علاقة مبنية على التلازم فى التغير ، قضايا احتمالية أو قضايا تحديدية ، فهى لغة للنموذج تستخدم فى بنائه وصوغه ، كما هى لغة لبناء النظرية

---

1) Brodbeck, op. cit., pp. 391 - 392.

2) Willer, op. cit., p. 15.

وصوغها(١) . ونؤكد أيضا أن كثيرا مما يسمى . بالنماذج الرياضية فى مجال العلوم الاجتماعية بعامة وعلم الاجتماع بخاصة ، انما يمثل مراحل فى بناء النظرية الاجتماعية أو النظرية السوسيولوجية ، أو صلب عملية صوغها والتعبير عنها . هذه المراحل وان كانت تستعين بالرموز الرياضية الا أن هذا لا يعنى بالضرورة انها تستخدم نماذج رياضية(٢) .

وفى ختام تناولنا للنماذج الرمزية بصفة عامة نشير الى أن هذا النوع من النماذج وان كان قد بدأ يشق طريقه بوضوح فى مجال بعض العلوم الاجتماعية الا أننا نادرا ما نصادفه فى مجال علم الاجتماع ، وفى مجالات بناء النظرية السوسيولوجية بالذات ، وان كانت هناك بعض الاطر الرمزية التى استند اليها بعض علماء الاجتماع فى صياغة تصوراتهم النظرية ، لم ترق الى مستوى النماذج الرمزية فيما عدا محاولة داندروف Dahendorf Stage-process model for interest group development والتى ربما كانت محاولة غير عمدية لبناء نموذج رمزى ، الا انها تحتوى على كل مقومات النموذج الرمزى(٣) .

اذا كنا قد ميزنا بين أنواع النماذج النظرية وفقا للأساس الذى يبنى بمقتضاه النموذج ووفقا لكيفية التوصل الى ميكانزمه واشتقاقه فانه يمكننا أيضا أن نصنف النماذج وفقا لطبيعة العلاقة المتضمنة فى قضاياها ، ومن ثم يمكن أن نميز بين النماذج السببية Causal Models أو النماذج الحتمية أو التحديدية Deterministic Models من جهة ، وبين النماذج الاحتمالية Probabilistic Models أو النماذج التصادفية Stochastic Models أو النماذج الاحصائية Statistical Models من جهة أخرى ، وذلك بصرف النظر عن لغة النموذج هل هى لغة الرياضيات أم هى لغة غيرها .

---

(١) صالح (ناهد) الرياضيات والنظرية الاجتماعية ، عالم الفكر ، المجلد الرابع ، العدد الرابع سنة ١٩٧٤ .

(٢) صالح (ناهد) ، استخدامات النماذج الرياضية فى العلوم الاجتماعية ، (مقال تحت النشر)

3) Willer, op. cit. p. 54.

فالنماذج الخاصة بالظواهر السوسيولوجية ليست فى النهاية سوى مجموعة من القضايا المترابطة ، والقضايا تتكون من مفهومات أو متغيرات وعلاقات تربط بينها . هذه القضايا قد تأخذ شكل قضايا تحديدية أو سببية ، أو قد تأخذ شكل قضايا احتمالية أو ارتباطية . ففى الحالة الاولى تكون على شكل As = Bs وفى الحالة الثانية تأخذ شكل الدالة A = f (B) هذه الدالة وان كانت تدلنا على وجود علاقة ارتباطية بين A , B توضح لنا أن القضايا السوسيولوجية التى يتضمنها النموذج قضايا احتمالية لا حتمية ـ الا فى حالة ما اذا كانت r = ± 1 — الا أنها لا تذكر لنا شيئا عن كيفية ارتباط A و B وهذا أمر لا يمكن تحديده الا بتحديد شكل الدالة ، وبالتالى لابد فى ذلك من الاعتماد كلية على الرياضيات(١) .

ورغم أن النماذج النظرية بدأت تخطو خطواتها الاولى فى ميدان علم الاجتماع وفى بناء النظرية السوسيولوجية الا أن تحديد نوع هذه النماذج لا يزال يمثل نقطة خلاف جوهرية بين المهتمين بالنماذج السوسيولوجية فمنهم من يسلم أن النماذج السوسيولوجية نماذج احتمالية لأن العمليات والوقائع السوسيولوجية هى بطبيعتها احتمالية لا حتمية ، فى الوقت الذى يرجح فيه البعض الآخر كفة النماذج التحديدية على أساس أن النماذج الاحتمالية لا تتمخض فى النهاية عن أية اضافات جديدة لمعلوماتنا السوسيولوجية ، بل هى فى نظر بعض المتطرفين فى رفضها قد لا تقوم بأكثر من صياغة لجهلنا(١) . وقد اقترح البعض استراتيجية معينة فى بناء النماذج تقوم على أساس البدء بالمعالجة التحديدية أو الحتمية مفترضين أنها على قدر ما من الصحة ، ثم الانتقال بعد ذلك الى الصياغات التصادفية الاكثر دقة (والتى هى عادة أكثر صعوبة من الناحية الرياضية) ملقين فى ذلك عناية خاصة لما كشفت عنه النماذج التحديدية(٢) .

---

1) Abell, P., op. cit., pp. 104 - 110.

2) Coleman, J., Introduction to Mathematical Sociology. Collier-Macmillan Limited, London, 1964, p. 526.

وما نشير اليه فى هذا الصدد هو أنه سواء فى مجال العلوم الطبيعية أو فى مجال العلوم الاجتماعية فان الاتجاه السائد اليوم هو أن النموذج العلمى للعالم ليس نموذجا تحديديا وانما هو نموذج احتمالى ومن هنا بدأ التعبير عن العلاقات بين المتغيرات من خلال النماذج الاحتمالية بدلا من التعبير عنها بالمعادلات التفاضلية التحديدية تماما(١)٠

اسهام النموذج فى بناء النظرية

أيا كان الاساس الذى تم بمقتضاه بناء النموذج ـ نظير ، ايقونى ، رمزى ـ وأيا كان طبيعة قضاياه ـ حتمية أو إحتمالية ـ وأيا كانت لغة صوغه ـ لفظية أم رياضية ـ فهناك عدة عمليات تالية لذلك بدونها لا يكون للنموذج أى اسهام فى بناء النظرية ، بل يصبح من قبيل الترف العقلى أو الرياضة الذهنية ٠ أولى هذه العمليات هى اشتقاق النسق الصورى من النموذج ٠

اشتقاق النسق الصورى Formal System

رأينا أن النسق الصورى عبارة عن مجموعة متكاملة من القضايا المترابطة ، وأن كل قضية تحتوى على حدود تربطها علاقة بحدود أخرى ٠ ويستلزم النسق الصورى أن تكون مجموعة قضاياه على أكبر درجة من الكفاءة فى تمثيل بنائه المترابط فى الوقت الذى تتميز فيه بالبساطة المتناهية وعملية اشتقاق النسق الصورى من النموذج تستلزم أن تمثل علاقات الميكانيزم بحدود يرتبط بعضها ببعض بواسطة قواعد المنطق أو الرياضيات ، وسواء استخدمت هذه أو تلك فان أهم مزية يتيحها استخدامها هى أن قواعدها منسقة وصحيحة ، ومن هنا يمكننا اختبار اتساق الميكانيزم نفسه ، فاذا كانت القضايا ـ التى يعد النموذج مصدرا لها يعوزها الاتساق فانه يمكننا بلا جدال ارجاع الخطأ الى النموذج نفسه لا الى قواعد المنطق أو الرياضيات(٢)٠

---

1) Simon. H., op. cit., p. 11.

2) Willer, op. cit., p. 67.

كذلك فان محاولة وضع النموذج فى صـورة نسـق صورى تصـبح بمثابة اختبار لمجموعة المفهومات التى يتضمنها النموذج · فاذا فشلنا بناء علـى هذه المفهومات فى الوصول الى تقريرات أو عبارات مترابطة ومحددة ، فان مجموعة المفهومات هـذه لا يمـكن أن تـكون نموذجا وانما يمـكن أن تـكون اطاراً تصوريا أو اطـارا مرجعيا · ومما يؤسف لـه أن أغلب التقريرات النظرية فى علـم الاجتماع لا تـكون نمـاذج يمكن منها اشـتقاق انسـاق صورية ، ويـكفى للتدليل على ذلك واثباته أن نحاول ، علـى حـد قـول فيستبخر **Festinger** ، وضع أيـة نظرية اجتماعية فى حدود رياضية اذ سرعان ما يتكشف لنا كيف أن مفهوماتهما تتسم بالابهام والغموض(١) ·

ولـكن متى أمكننـا اشـتقاق النسـق الصورى بعباراته أو تقريراته المترابطة فان الخطوة التـالية تـكون تحويل هذا النسـق من نسـق صورى الى نسـق اجرائى ·

وقبل أن ننتقل الى مناقشة النسق الاجـرائى ، نعطى مثـالا لاشـتقاق نسـق صورى من نموذج دوركيم الذى ضمنه كتـابه عن تقسـيم العمل · فهـذا النموذج يقوم على أسـاس نمطين مثـاليين Ideal types يمثـلان طرفى التضامن ويقعـان على متصل يمثل درجات متفاوتة من تقسيم العمل ، وبالتالى يمكن اعتباره نموذجا ايقونيا يتوافر به ميكانيزم متسـق ساعـد زتربيرج Zetterberg على اشـتقاق نسق صورى منه لخصـه فى القضايا الاربع التـالية(٢) ·

١ ـ كلما زاد تقسيم العمل ، كلما زاد التضامن ·

٢ ـ كلما زاد التضامن كلما زاد الاجمـاع ·

---

1) Festinger, L., The Relevance of Mathematics to Controlled Experimentation in Sociology, International Social Sciences Bulletin, Vol. 6, No. 4, 1954, p. 623.

2) Zetterberg, H., On Theory and Verification in Sociology, The Bedminster Press, 1965, pp. 159 - 161.

٣ ـ كلما زاد عدد المنظمات المنتمى اليها العضو كلما زاد تقسيم العمل ٠

٤ ـ كلما زاد التضامن ، كلما قلت حالات الرفض بسبب الانحراف ٠

هذه القضايا أعتمد عليها فى اشتقاق ست قضايا فرعية ٠ فاعتمد مثلا على القضية الاولى والثانية فى اشتقاق القضية التالية : كلما زاد تقسيم العمل كلما زاد الاجماع ٠ واعتمد على القضية اولالى والثالثة فى فى اشتقاق القضية التالية : كلما زاد التضامن زاد عدد المنظمات المنتمى اليها العضو ٠ واعتمد على هذه مع القضية الثانية فى الوصول الى القضية التالية : كلما زاد عدد المنظمات بالنسبة للعضو كلما زاد الاجماع وهكذا بحيث أمكنه تحويل نموذج دوركيم هذا الى نسق صورى مترابط يصلح بدوره لان يحول الى نسق اجرائى ، متى تم تحفيفه ارتفع النسق الصورى الى مصاف النظرية السوسيولوجية العلمية ٠

اشتقاق النسق الاجرائى Operational System

يقف النسق الصورى عند حد وضع القضايا فى صورة مبسطة تسمح باختيارها ٠ ولكن اختيار النسق الصورى يستلزم وضع تعريفات اجرائية لكل حد من حدود القضايا المكونة لهذا النسق ، بحيث يقف كل تعريف اجرائى فى مقابل أحد الحدود المتضمنة فى النسق الصورى ، الذى يقف بدوره فى مقابل أحد مفهومات النموذج ، وبالتالى يمكن اعتبار أن التعريفات الاجرائية تمثل بطريقة غير مباشرة مفهومات النموذج(*) ٠ ويتكون النسق الاجرائى من مجموع التعريفات الاجرائية وما بينها من علاقات ٠

وما نود أن نشير اليه هو أن النسق الاجرائى لابد أن يتطابق فى بنائه النسق الصورى بالنسبة للعلاقات التى يقوم عليها هذا البناء ٠ فاذا كان النسق الصورى يتكون من حدود مرتبط بعضها ببعض

(*) من هنا جاء خطأ الحكم القيمى على النموذج بانه نموذج صحيح أو غير صحيح وفقا للنتيجة التى نصل اليها من اختبار النسق الاجرائى ٠

رياضيا ، فان هذا الشرط لابد من توافره فى نسقه الاجرائى ، على أن تحل العلاقات بين المقاييس فى النسق الاجرائى محل العلاقات بين الحدود فى النسق الصورى . فاشتقاق النسق الاجرائى من النسق الصورى يقوم كلية على احلال المقاييس محل الحدود ، ومن ثم فان الصعوبة التى تواجهنا عند تكوين الانساق الاجرائية هى الوصول الى مقاييس على درجة عالية من اللياقة والكفاءة بالنسبة للحدود التى تقيسها ، وهذه مشكلة يزيدها تفاقما صعوبة الوصول الى قياسات للمفهومات السوسيولوجية بصفة عامة ، ولكن لعل مما يلون من هذه المشكلة أن صور القياس متعددة لا تقتصر على المفهوم الشائع للقياس باعتباره قاصرا على استخدام الارقام أو خصائصها(١) .

وتأتى أهمية عملية اشتقاق النسق الاجرائى من النسق الصورى فى أنها بمثابة عبور للهوة التى تفصل بين التنظير والبحث ، بين لغة النظرية ولغة البحث . ومن هنا كان التناظر Correspondence بين قضايا النسق الصورى وبين القضايا التى تأخذ شكل فروض قابلة للاختبار Testable hypothetical propositions والتناظر بين حدود النسق الصورى وما يقابلها من مفهومات اجرائية ، على جانب بالغ من الاهمية ، اذ دون تحقيق هذا التناظر قد يبقى على نماذج ، وأنساق صورية ، وانساق اجرائية ، فى وقت كان يجب علينا فيه ان نرفضها ، فى حين قد نرفض نماذج وانساق صورية واجرائية فى وقت كان يجب علينا فيه الابقاء عليها(٢) ومن هنا كان موضوع التناظر سواء بين المفهومات الاسمية للنموذج وحدود النسق الصورى . أو بين تلك الاخيرة والمفهومات الاجرائية للنسق الاجرائى من أهم النقاط التى يؤكد عليها العلماء المهتمين بمناهج البحث ، وبالذات المهتمون منهم بصلة البحث بالنظرية .

---

1) Willer, op. cit., p. 19. p. 94.

(١) أنظر الصور المختلفة للقياس التى عرضها Abell المرجع السابق ذكره ص ٤٠–٧٤ .
– صالح (ناهد) ، الرياضيات والنظرية الاجتماعية ، عالم الفكر ، المجلد الرابع ، العدد الرابع (١٩٧٤) .

2) Willer, op. cit., p. 89.

واذا رجعنا الى قضايا النســق الصورى المشــتق من نموذج دوركيم عن تقسيم العمل لتوضيح كيفيــة اشتقاق النسق الاجرائى منــه وجدنا أن اشــتقاق هذا النسق يستلزم تحــويل الحــدود المتضمنة فى قضــايا النســق الصورى أو فى الفروض المبنيــة عليها الى مفهومات اجرائية قابــلة للقياس أو تحويلها الى مقاييس • فمثــلا القضية الاولى التى تذهب الى أنــه كلمــا زاد تقسيم العمل زاد التضامن ، تســتلزم احــلال مفهومات اجرائية محــل حــدودها من شأنها أن توضح كيف نقيس تقسيم العمل وكيف نقيس التضامن فى المجتمع ، محددة الخصائص التى يشتمل عليها كل مقياس • ونفس هذا القــول ينطبق على كافــة المفهومات المتضــمنة فى القضــايا التى تزخر بهــا الــكتابات السوسيولوجية • فمثلا اذا كنا ازاء نموذج عن التدرج الاجتماعى وكانت احدى قضايا نسقه الصورى تتناول الجماعات ذات المراكز المتميزة بالمجتمع وبالتالى اشتملت الفروض المنبثقة منها عــن مفهومات عن المطــامح والحراك •• الخ • فان النسق الاجرائى عليه أن يعرف المطامح والحــراك بمفهومات اجــرائية توضــح كيفية قيــاس كل منهمــا ومحتــوى المقيــاس وخصائصه ، وهو أمر لا يمــكن الاعتمــاد على النمــوذج أو عــلى نســقه الصورى فى تحــديده حيث أن مفهوماتهما لا تحتوى تلك الخصائص ، كمــا ســبق أن ذكرنــا فى الوقت ذاتــه يجب أن يــكون محتوى المقاييس مناســبا للمفهومات الاســمية التى تناظرها فى النمــوذج فضــلا عن الحــدود التى تناظرها فى النســق الصورى •

ومتى حلت مشكلة القياس فان اختبار صحة الفروض المــكونة للنسق الاجرائى تنقلنا الى مسألة منهجية أخــرى ، وهى تحــديد المنهــج الصالح لاختبارها أو الاكثر لياقة لذلك • وتزخر كتابات علمــاء الاجتماع بمناقشة هــذه المسألة فنجد من يتحمس للمنهج التجريبى بينما هناك من يؤكد أهميــة المنهج التاريخى ومنهم من ينطلق الى آفاق المنهج المقارن والمنهج المقارن عبر الثقافات • ومنهــم من يقــدم محاولات للمزج بين هــذه المناهج أو تعــديل لصورها مما لا محــل هنا للافاضة فيه حيث يتخطى مجال النمــاذج الى مجــال تحقيق الفروض العلمية والوصول الى التصميمات فالقوانين العلمية المــكونة لصلب النظرية السوسيولوجية •

صحة النظرية وجودة النموذج

يقف النسق الاجرائى عند حد وضع فروض قابلة للقياس ، اشتقاقا من قضايا نسقه الصورى . وتكون الخطوة التالية لذلك كما ذكرنا هى اختبار هذه الفروض التى متى تحققت صحتها أصبح النسق الصورى نظرية سوسيولوجية تستمد معناها من النموذج الذى يوصف فى هذه الحالة بأنه نموذج «جيد» أو نموذج «نافع» أو «مفيد» ولا يوصف بتاتا بأنه نموذج صحيح أو نموذج صادق Valid . أما اذا لم تتحقق صحة النسق الصورى وبالتالى لم نصل الى النظرية ، فعلينا قبل رفض النموذج اعادة فحص جميع المراحل التى مرت بها النظرية فى بنائها ، اذ قد يترتب على ذلك تعديل لمفهومات النموذج ، أو اعادة تصور لميكانزمه ، أو اعادة صياغة قضايا نسقه الصورى أو المفهومات الاجرائية لنسقه الاجرائى ، وذلك دون أن نصدر حكما على النموذج بأنه غير صحيح أو غير صادق Invalid (١)

فاستنادا الى طبيعة العلاقة المنهجية بين النموذج والنظرية حيث يمكن استقراء النموذج من النظرية ، فانه من غير السليم اصدار حكم قيمى على النموذج بأنه نموذج صحيح أو غير صحيح . فلا يمكن أن تحول الانساق الصورية ــ متى اختبرت عن طريق انساقها الاجرائية ــ صحتها أو عدم صحتها الى نماذجها ، لان كثيرا مما يحويه النموذج لا يضمن فى النسق الصورى المشتق منه . بينما يتحقق من صحة النسق الصورى عن طريق نسقه الاجرائى لان النسق الصورى لا يحوى أكثر مما يحويه النسق الاجرائى فضلا عن أن طبيعة العلاقات بين حدود النسق الصورى تطابق تلك التى تكون بين مقاييس النسق الاجرائى ، وهذا لا يتحقق بالنسبة للنسق الصورى ونموذجه(٢) . فالنماذج لا يمكن أبدا التحقق من صحتها حتى لو تحققت صحة نظرياتها ، كما لا يمكن البرهنة على عدم صحتها حتى لو تمخضت عن نظريات غير صحيحة . فتحقيق صحة النسق الصورى لا يعنى تحقيقا لصحة النموذج المشتق منه هذا النسق ومن هنا

1) Willer, op. cit., p. 20.

Ibid, p. 96.

كان التأكيد على انه لا ، ولن ، توجد ابـدا نماذج صادقة أو صحيحة فى اى عـلم من العلوم ، وأن النموذج يمكن وصفه فقط بـأنه نموذج جيـد أو نموذج مفيد(١) · فى الوقت ذاته ، لا توجد وسـيلة تدلنا مسـبقا على جودة النموذج أو على كونه معوقا للتطور المثمر للنظرية ، اذ يمـكن بعد تجـربة النمـوذج فقـط تحديد أى من جـوانبه يـؤدى الى طرق مسـدودة فى بنـاء النظرية ، وأيهما يكون له قيمته الـكشفية(٢) ·

ونظرا لطبيعة العلاقة المنهجية أيضا بين النموذج والنظرية حيث تستنبط النظيرة من نموذجها فانه يمكن اشـتقاق نظرية واحدة من النموذج – متى كانت شـاملة لمتضمنات النموذج كلها فى حـين انـه نظـرا لامكانية استقراء النموذج من النظرية فانه يمكن أن يكون للنظرية أكثر من نموذج · أو بقـول أدق يمكن أن يسـتقرأ من النسق الصورى للنظرية عدة نماذج قـد لا يجمع بينها سـوى احتوائها جميعا على هذا النسق(٣) ·

وسـواء اكتفينا بنموذج واحد للنظرية أو توصلنا الى اكثر من نموذج لهـا فانه يجب أن يـكون واضحا تماما · على حـد قول ناجل Nagel · أن نموذج النظرية ليس هو النظرية نفسـها ، اذ أن من أهـم المخـاطر التى يتضمنها استخدام النموذج هو الخلط بينه وبـين النظـرية أو توحـدهما معـا(٤) · أو تحويل بعض خصائص النموذج للنظرية أو نسبتها لها(٥) ·

وعموما اذا كان بعض العلماء قد أشـار الى الاخطار التى ينطـوى عليها استخدام النماذج ، وحـذر من أن النماذج قـد تـكون معوقا للنمـو المثمر للنظرية ، أو قد تصبح فخا ذهنيا ، الا أنهم أبرزاو فى الوقت ذاتـه أن هناك ميزات جمة فى التفكير فى النظرية العلمية من خلال التفكير فى نموذج

---

1) bid. p. 20.

2) Nagel. op. cit., p. 115.

3) Willer, op. cit., p. 21.

4) Nagel, op. cit., p. 115.

5) Braithwaite, R., Scientific Explanation, Harper and Brothers, New York, 1960, p. 93.

لـها • وأكدوا أن النماذج أداة ذهنية لها قيمتها الفائقة(١) •

وعموما فانـه يمكننا القول بـأن الوصول الى نموذج جيد أو نمـوذج مفيـد لبناء النظرية السوسيولوجية يتوقف على عـدة اعتبارات • فبجانب الخلفية النظرية التى يسـتند اليها العـالم فى تصـور نموذجـه ، واختيـار الاساس الملائم الذى يبنى بمقتضاه هذا النموذج وتحديد طبيعة العلاقة بـين قضاياه ، بجانب هذا كله لابـد أن يـدرك عـالم الاجتماع الموضـع المنهجى الذى يحتله النموذج فى عملية بنـاء النظـرية السوسيولوجية ، والحـدود الواضحة التى تفصل بينـه وبين النظرية ، والعلاقات الدقيقة التى تربـط بينها فى الوقت ذاته • تبقى بعد ذلك نقطـة جوهرية بالنسبة لبناء النظـرية السوسيولوجية عن طريق النماذج ، وهى ضرورة تمكن علماء الاجتماع أو المنظرين السوسيولوجيين من الرياضيات واستيعابهم لامكاناتها • فـاذا كان ليفى شتروس Lévi Strauss قد رهن علمية العلوم الاجتماعية بصـفة عامة ، بـل بقاءها باستيعاب الشـباب المشتغلين بهـا للرياضيات وتدريبهم عليها ، وحـذر هؤلاء صراحة من أنهم دون ذلك لن يجـدوا لانفسهم مكانا فى الميدان العلمى(٢) • فان هـذا الامر يبـدو اليوم أكثـر الحاحا ، وقـد دخلت النماذج ميدان بناء النظرية الاجتماعية وأخذت تخطو خطواتها الاولى فى بنـاء النظـرية السوسيولوجية ، فى وقت أصـبح من المسلم به أنه كلمـا ارتفـع مستوى رمزية النموذج كلما زادت جـودته وفائدته بالنسـبة لبنـاء النظرية(٣) •

ومن ثم فان كنـا نـؤكد أهميـة الدور الـذى يلعبه النموذج فى بنـاء النظـرية ، فاننا نؤكد فى الوقت ذاتـه أهمية الدور الذى تلعبه الرياضيات فى بنـاء النموذج • ونشير الى أن المتوقع أن تفرض النماذج الرياضية وجودها فى مجال الـكثير من النظريات الاجتماعية الاخرى ، التى اتخذت من النموذج منطلقـا لبنائها •

---

1) Nagel, op. cit., p. 115, Braithwait, op. cit., p. 92.

2) Lévi, Strauss, C., The Mathematics of Man. International Social Science Bulletin, Vol. 6, No. 4, 1954, p. 589.

3) Meadows, op. cit., p. 7.

المراجــــع

- صالح (ناهـد) ، الرياضيات والنظـرية الاجتماعية ، عـالم الفـكر ، المجلد الرابع ، العدد الرابع (١٩٧٤).

— **Abdell, P.,** « **Model Building in Sociology** », Weidenfeld and Nicolson, London (1971).

.. **Achinstein, P., The British Journal of the Philosophy of Science,** Vol. **16,** No. 62 (1965).

— **Braithwaite, R.,** « **Scientific Explanation** ». Harber and Brothers, New York (1960).

— **Brodbeck,** M. Models, Meaning and Theories, in **Gross** (ed.), « **Symposium on Sociological Theory** », Harper and Row, New York (1959).

— **Cohen, P.,** Models. **British Journal of Sociology,** Vol. **17,** No. 1 (1966).

.. **Coleman, J.,** « **Introduction to Mathematical Sociology** », Collier-Macmillan Limited, London (1964).

— **Churchman, C., Ackoff, R., and Arnoff, E.,** « **Introduction to Operation Research** ». John Wiley and Sons, Inc., New York (1959).

— **Festinger, L.,** The Relevance of Mathematics to Controlled Experimentation in Sociology. **International Social Sciences Bulletin,** Vol. **6,** No. 4 (1954).

— Firey, W., Mathematics and Social Theory. **Social Forces,** Vol. **29,** No. 1 (1950).

— **Gold, J., and Kolbe,** W., Sociological Theory, « **Dictionary of the Social Sciences** », The Free Press, New York (1959).

— **Hesse, M.,** Models and Analogy in Science, **The Encyclopedia of Philosophy**, Paul Edwards (ed.), The Macmillan Company and the Free Press, New York (1967).

— **Inkeles, A.,** « **What is Sociology** », Prentice-Hall, Inc., New Jersey (1964).

— **Lundberg, Chrag and Larsen,** « **Sociology** », Harper and Brothers, New York (1958).

— **Meadows, P.,** Models, Systems and Science. **American Sociological Review,** Vol. 22, No. 1 (1957).

— **Nagel, E.,** « **The Structure of Science** », Columbia University, Harcourt Brace and World, Inc., New York (1961).

— **Robson, R.,** The Present State of Theory in Sociology, in **Lakatos and Musgrave** (eds.) « **Problems in the Philosophy of Science** », North Holland Publishing Company, Amsterdam (1968).

— **Simon, H.,** « **Models of Man, Social and Rational** » , **John** Wiley and Sons, Inc., New York (1957).

— **Willer, D.,** « **Scientific Sociology** ». Prentice-Hall, Inc., New Jersey (1957).

— **Zetterberg, H.,** « **On Theorry and Verification in Sociology** ». The Bedmisster Press (1965).

MODELS AND SOCIOLOGICAL THEORY CONSTRUCTION

NAHED SALEH (Ph. D.)

The concept of « model » is one of the latest concepts introduced in the scientific language. Linked with the equally modern concept of « system analysis » model has become a powerful and prestigious tool for theory construction.

Nowadays, the term model is used almost indiscriminately by sociologists and anthroplogists to dignify any form of analysis or explanation and it is often confused with theory. This article attemps to determine the role of model in the construction of sociological theory. Following the differentiation of the two concepts, theory and model, models are classified either according to the prinicples upon which they are huilt (analogue, iconic, or symbolic model) or according to their propositions (causal, deterministic, probablistic, or stochastic model), or according to the kinds of symbol used in these propositions (logical or methamatical model). The contribution of models to the construction of sociological theory has been discussed through the derivation process of both the formal system and the operational system. The conclusion emphasizes that models can never be proven true or valid, it is only possible to say that a model is « good » or « useful ». It stresses the need for mathematics in model building, and the vital role mathematical models are expected to play in the construction of sociological theory in the near future.

إعــلان

* * *

كفاءة الاتجاه الوظيفي في دراسة التغير الاجتماعي

علي ليلة

يتعرض هذا المقال لقضية التغير الاجتماعي من حيث مكانتها النظرية والمنهجية - . كذا المعوقات النظرية والواقعية التي أعاقت تأسيس نظرية عن التغير الاجتماعي ، ثم تقويم لكفاءة النماذج النظرية التطورية والانتشارية والعاملية في تناول التغير الاجتماعي ، ثم الاعتبارات الاساسية التي تحكم بناء نظرية عن التغير الاجتماعي ، ثم عرض للاتجاه الوظيفي وموقفه من قضايا النسق المتغير . ثم توضيح لتفاعلات النسق المتغير من الداخل ، ثم معالجة للابعاد النظرية والمنهجية للاتجاه الوظيفي فيما يتعلق بقضية التغير الاجتماعي ·

التغير الاجتماعي : المكانة النظرية والواقعية

تؤكد النظرة الى جغرافية العالم وتاريخه بروز اهمية التغير الاجتماعي كظاهرة لابد أن تصبح موضع اهتمام النظرية للسوسيولوجية المعاصرة · اذ توضح النظرة الى خريطة العالم سيادة فاعلية عمليتى التجانس والتباين اللتين تعدان أساس تفاعل التغير الاجتماعي في النسق الوظيفي · فبسبب ظروف عديدة نجد أن سيادة نوع من التجانس الداخلي بين عدد من التجمعات بالنظر الى تجمعات أخرى ، يولد نوعا من التباين بينها وبين هذه التجمعات · والنتيجة اننا نجد بين أيدينا تجمعات تؤكد على نوع من التجانس الداخلي الذى يتوازى وقدر التباين الذى يسود العلاقة وأى تجمع آخر · ذلك كله يؤكد دوام التحول والتشكل بالنسبة للبناءات التي تخضع لهذه العمليات ، ويشهد بالتالي على دوام تفاعلات التغير ومدى لزوميتها للوجود الانساني ·

(*) باحث المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ·

(**) كتب هذا المقال للمشاركة في جهد يحييه تلاميذ أستاذ رائد ومعلم · وأرجو به أن اشارك في ذكرى أستاذي الدكتور أحمد الخشاب · له كل رحمة ومغفرة ·

بيد أن هناك من العوامل ما أكـد أهمية قضية التغير الاجتماعى من وجهة نظر النظرية السوسيولوجية المعاصرة ،نذكر منها ما يـلى :

ـ أدى ظهـور العـلم ودوره كنسـق اجتماعى وطرحـه لعـديد مـن التجديدات العلمية والتكنولوجية فى بناءات المجتمعات الصناعية المعاصرة ، الى دوام تفاعلات التغير فى بناءات هـذه المجتمعات ، ومن ثم انتشـاره الى معظم ارجاء العـالم كنمط ثقـافى أكثر كفـاءة (أقل تـكلفة بالنسبة للاشباع الوظيفى لمتطلبات النسـق ٠) ومن هنا فاذا قلنا أن الظاهرة التكنولوجية هى أهم ظواهر العـالم الصناعى المتقدم فان ظاهرة التغير يجب أن تنـال نفس قـدر الاهتمام على مستوى المجتمع الانسانى الشامل ٠

ـ انـه اذا كان العـالم يضم ثلاثة تجمعات نسـقية أسـاسية ، وهى العـالم الاول والثانى والثالث ، فان هذه التجمعات تنفصل على أساس قدر التقدم الناتج عن قدر امتلاكها للمعـرفة العقـلانية والـكفاءة التكنولوجية التى تيسر هذا التقـدم وتنتجه ، فالى جانب أهمية التغيرات التنموية التى قـد تخضع لها بـلاد العـالم الاول والثـانى ، فان بـلاد العـالم الثالث عـادة ما تخضع لتغييرات جذرية تعمل على الغـاء الهوة التى تفصل بينهـا وبـين بـلاد العالم الاول والثـانى ، ومن ثـم تحـررها من قيود التبعيـة والاستغلال التى تمارسها المجتمعات المتقدمة ٠

ذلك يبرز أهمية التغير الاجتماعى كظاهرة معاصرة ٠ الا أنه بالرغم من الاهميـة البارزة لهذه الظاهرة فقد ثـار خلاف بين النماذج النظرية حـول مسائـل تتعلق بطبيعة التغير الاجتماعى ، ثـم مـدى التغير ، ومصادره ، وآثـاره ، ثم طبيعة التفاعلات التى يثيرها فعـل ورد فعـل التغير ٠ ولقـد نشأت هـذه المواقف الخلافية اما نتيجة لاختفاء المعرفـة الامبيريقية المتعلقة بالتغـير الاجتماعى ، أو نتيجة لتعرض النموذج النظرى لطراز معـين من الواقـع ثـم عمم هـذه الرؤية عـلى واقـع متباين ، أو انطلاقا من مواقف أيديولوجية معينة والادعاء بأنهـا تمثـل مواقف علميـة موضوعية ٠ ذلك كلـه خلق مجموعة مـن الصعاب أو المعوقـات أمام فهم التغـير الاجتماعى وهو ما نعرض لـه فى الفقرة التالية ٠

نظرية التغير الاجتماعى : معوقـات بنائها

اتساقا وتأكيد أهمية التغير الاجتماعى كان من الضرورى أن تتصدى لــه نظـرية عـلم الاجتماع لـكى تقـدم لهـذه الظاهرة أو العملية فهمـا علميا موضوعيا يكشف عن القوانين التى تحـكم تفاعلها · الا أن النظرية فى نضالها لتأسيس هـذا الفهم كان عليها أن تخضع لنوع من التنظيم الذى يتـم من خـلال تأسيس مجموعة من النماذج النظرية التى تحـاول تقديـم فهـم لهذه الظاهرة · بيـد أن الفهم الذى طورته هـذه النماذج تعـرض لبعض التحـيزات والانحرافات التى حرمتها من تقديم فهم موضوعى لقضية التغـير الاجتماعى · ويمكن تقسـيم العوامل التى أعـاقت تأسيس نظـرية قـادرة عـن التغـير الاجتماعى الى مجموعة المعوقات النظـرية ومجموعة المعوقات الواقعية وهى ما سـنعالجه فى الفقرة التـالية ·

المعوقـات النظـرية

يبــرز تأمل تاريخ النظرية السوسيولوجية وتعرضها لقضية التغـير الاجتماعى قيـام مجموعة من النماذج النظرية التى حاولت التصدى لهـذه الظـاهرة من أجل تقديـم فهم لها · الا أنـه يبرز أيضـا بعض العيـوب الاساسية التى تمس المسلك الموضوعى الذى سـلكته هذه النماذج لتوفـير هـذا الفهم وسـوف نمثل لذلك بتقويم كفاءة النماذج النظرية التـالية فيمـا يتعلق بقضية التغـير الاجتماعى وهى كما يـلى :

- تقويم كفاءة النماذج التطورية فى فهم التغير الاجتماعى ·
- تقويم كفاءة النماذج الانتشارية فى فهم التغير الاجتماعى ·

وفيما يـلى تفصيل ذلك ·

تقـويم كفاءة النماذج التطورية فى فهـم التغير الاجتماعى

ترجع أصول الفـكر التطورى لمحورين معرفيين · **أما المحـور الاول** فيتعـلق بالتراث الفـكرى لنظرية عـلم الاجتماع والذى يتمثل فى اسهامات ابن خـلدون وتصـوره للمراحـل المتعـاقبة التى ينتقـل خـلالها المجتمع

الانسانى ، ثم مراحل التطور المجتمعى التى سجلها كل من فيكو وكوندرسية ، والتى تتمثل أيضا فى اسهامات الفلسفة الاجتماعية والرصيد الفكرى الذى وفرته الفلسفة الهيجلية التى أكدت على مراحل نمو العقل أو الروح الجمعى عبر التاريخ حتى تحقق اكتماله فى تأسيس الدولة الالمانية ٠ ثم الاسهامات التى وفرتها الفلسفة الوضعية والمراحل التى حددتها لتطور المجتمع الانسانى وميتافيزيقا قانون الحالات الثلاث ٠ أما **المحور الثانى** فيتعلق بالسياق الاجتماعى الذى عاشه انثروبولوجيو واجتماعيو القرن السادس والسابع عشر ، حيث رأوا فيما حولهم أنماطا مجتمعية ذات درجات متفاوتة من التخلف والتقدم ، بحيث تقف بعض هذه الانماط قريبا من قاع التاريخ وبدايته بينما مثل البعض الآخر قمة التطور والاكتمال(*) ٠

بيد أنه بالرغم من وحدة المحاور المعرفية للفكر التطورى ، فاننا نجد أمامنا عديدا من النماذج التطورية التى ساد بينها **اختلاف على المستوى النظرى واختلاف آخر على المستوى المنهجى ٠ أما على المستوى النظرى** فنجد انقسام التطورية الى قسمين ، حيث يهتم القسم الاول بتتبع المراحل المتعاقبة التى يمر بها المجتمع الانسانى ، ونمثل لذلك باسهامات مورجان فى كتابة (المجتمع القديم)(١)٠ بينما اهتم الفريق الآخر بتتبع المراحل المتعاقبة التى يجتازها أحد النظم الاجتماعية ، اذ كان يستدل من وجود نظام معين على المرحلة التطورية التى يعيشها المجتمع المحتوى لهذا النظام ، ونمثل ذلك باسهامات كل من باخوفن وسير هنرى مين ودراساتهم عن نظم القرابة وتطورها وأشكالها الاصلية ٠ أما الاختلاف الآخر فقد كان على **المستوى المنهجى** ، حيث ظهر أيضا مسلكان، **يركز**

(*) يؤكد سولاس فى كتابه (ما قبل تاريخ أوربا) أن بعض المفكرين يحاولون استثمار هذه القضية العلمية لتأكيد سمو أوربا وسيادتها على العالم ، ويؤكد أن هذه النظرة تعبر عن نفعية مفرطة لكونها لا ترى فى وجود البدائيين من فائدة سوى المساعدة على فهم تاريخ أوربا وشهادة على سموها وسيادتها ٠ ٠٠

1) **Radcliffe Brown, A. R., «Method in Social Anthropology», Chicago,** University of Chicago Press (1958), P. 10.

الأول على استخدام المنهج الاستقرائى ، ويستقرأ عن طريقه العوامل أو الاسباب المتضمنة فى انجاز أية عملية تطورية أو انتقالية معينة ، ومثال ذلك تفسير الدارونية لعملية التطور أو الانتقال بالاستناد الى مبادىء الوراثة والتنوع والانتقاء الطبيعى · أما المسلك الثانى فيتمثل فى استخدام المنهج التاريخى الذى يتناول عملية التطور ويتابع حركتها على أنها مجموعة من المراحل المتعاقبة (١)·

وتؤكد المنظرة التقويمية للفكر التطورى ، اسهامه الواضح فى تطوير نظرية عن التغير الاجتماعى(*) · اذ أوضح هذا الطراز من الفكر التباين بين مختلف الاشكال المجتمعية ثم أوضح أن هذا التباين وتجاوزه يتم بفعل عوامل معينة ، ثم هو الفكر الذى رتب المجتمعات على أساس قدر التقدم والتعقد الذى تشهده بناءاتها ومن ثم قدر التطور ، ثم هو الذى ألقى الضوء على الاسباب أو العوامل التى تكمن وراء انجاز أية عملية تطورية تسبب انتقال الشكل الاجتماعى عبر مختلف المراحل التطورية · بيد أنه بالرغم من الاسهامات الواضحة التى قدمها هذا الفكر فان لنا عليه بعض المآخذ التى تسببت فى اعاقته عن تطوير نظرية قادرة عن التغير الاجتماعى نذكر منها ما يلى :

ـ تركز الاهتمام الرئيسى للفكر التطورى على انتقال الوحدات الكلية وانبثاقها عبر المراحل المتعاقبة ، دون أن يعطى اعتبارا لتحليل التغير وتوضيح تفاعله داخل هذه الوحدات الكلية · بل ودون بذل أى جهد لربط الاسباب أو العوامل الخاصة بالتفاعلات الجزئية بعملية انتقال

---

1) **Ibid., PP. 8 - 9.**

(*) من منطلق موضوع هذا المقال نرى أن النظريات العاملية تشكل احدى مراحل الفكر التطورى فى جانبه الاستقرائى ، ذلك لان هذه النظريات الى جانب أنها تحاول أن ترسم تطور الاشكال المجتمعية وتوضح المراحل التى تجتازها ، فانها تحاول أيضا أن تحدد الاسباب أو العوامل الدافعة لهذه العمليات التطورية ، وغالبا ما كانت ترى أن لهذه العوامل أو الاسباب دورها المطلق الذى تتكرر فعاليته دائما فى انجاز هذه العمليات التطورية· وعادة ما كانت هذه الاسباب بيلوجية جينية ، أو اقتصادية ، أو ثقافية ، أو تكنولوجية ، أو حتى سوسيولوجية كما فعل دوركيم · ويمكن أن ندخل ضمن هذه النظريات العاملية الماركسية لكونها تعتبر التغير فى أساليب الانتاج هو المنطلق الدائم لقيام التغير الاجتماعى ·

أو تطور الوحدة الكلية العامة · هذا بالاضافة الى أن هذا الطراز من الفكر لم يحاول دراسة عمليات التغير فى أى من أشكال البناءات المعاصرة بالرغم من معاصرته لكثير من التغيرات · ولقد كان السبب فى ذلك هو تركيز اهتمامهم الرئيسى على العمليات الانتقالية الرئيسية ، ومن ثم فقد اعتبروا الوحدات المعاصرة لهم وحدات لا تنتابها أية تغيرات ما دامت لا تخضع لعملية التغير والانتقال الرئيسية(١)·

ـ خطأ افتراض هذا الاتجاه بأن التطور لابد أن يكون أحادى المسار ، وأن هناك مراحل للتطور أساسية وشاملة(٢)· وقد جعله ذلك يطرح تصورا مثاليا عن الواقع مغفلا بذلك كافة التغايرات النسبية التى قد تسببها ظروف متباينة · ولقد أدى ذلك الى عجزه عن فهم التغيرات التى تتم فى انساق واقعية محددة ·

ـ نتيجة لاصرار الفكر التطورى على تفسير النماذج المجتمعية وعمليات الانتقال المتضمنة بالاستناد الى سبب أو عامل دائم ، فانها ارتكبت مسلكا منهجيا خاطئا تمثل فى الانتقاء والبحث عن المعطيات والشواهد المؤيدة لوجهة النظر المطروحة عن الواقع ، واغفال الشواهد المضادة أو التى تناقض ذلك ، نمثل لذلك بالجهود الانتقائية التى مارستها كافة النظريات العاملية التى كانت تؤكد دائما على تفسير العملية الاجتماعية فى توازنها وتغيرها بالاستناد الى العامل الاقتصادى أو التكنولوجى أو الروحى الاخلاقى(٣) ·

ـ لم يتوقف هذا الاتجاه الفكرى عند حد ارتكاب الخطأ السابق ـ وهو التأكيد المطلق على عوامل دائمة فى اثارة التغير الاجتماعى ـ وانما تجاوزه الى ارتكاب خطأ منهجى آخر بافتراضه استمرار التغير فى اتجاه

---

1) **Hogben, S., « Social Change »**, Watt, London (1958) Pp. 13 - 15.

2) **Eisntdt, S. N.**, Social Change, differentiation and evolution, (in). **Demerath III,** N. J. (ed) **« System Change and Conflict »**. the Free Press, New York, London (1968) Pp. 213 - 224.

3) **Ibid. P. 214.**

هذا العامل أو السبب دون اعطاء اعتبار لتساند العوامل أو المتغايرات المتضمنة فى هذا الاتجاه · وبذلك فالى جانب احتوائه على افتراض مسبق يتعلق بمثيرات التغير الاجتماعى تضمن افتراضا خاطئا ومسبقا آخر يتعلق بطبيعة تفاعل التغير الاجتماعى ومساراته ، وذلك كله يتنافى ومنهجية أى فهم علمى وموضوعى للتغير الاجتماعى ·

– وقعت هذه النظريات فى خطأ منهجى قاتل · أذ بينما تتخذ من المجتمع الانسانى الشامل وحدة دراستها التى ترسم لها مسارات التطور ومراحله بالاستناد الى عوامل معينة ، نجدها تستمد معطياتها المؤكدة لفروضها من واقع جزئى ، أعنى من مجتمعات محددة ، ثم تحاول تعميم مجموعة التعميمات التى تصل اليها من خلال هذا الواقع الجزئى المحدد على واقع متباين لا يتجانس مع الواقع الاصلى الذى جردت عنه هذه التعميمات ·

تقويم كفاءة الاتجاه الانتشارى فى فهم التغير الاجتماعى

لا نستطيع أن نسجل ميلادا منفصلا للفكر الانتشارى ، ذلك لان الانتشارية تولدت عن التطورية ايجابا أو سلبا · فالمدرستان على ما يؤكد مالينوفسكى ليستا متناقضتين ، وانما تدخلان الى الثقافة من زوايا مختلفة · بيد أن للانتشارية امتيازها الذى يتأكد بامتلاكها لدرجة من الواقعية ، والحس التاريخى ، ثم معرفة أكثر بالمؤثرات البيئية والجغرافية(١)· هذا بالاضافة الى اعتبار المدرسة التحليلية والمدرسة الجغرافية الالمانية أبعادا معرفية للانتشارية ·

وبينما تتفق الانتشارية مع التطورية فى البحث عن أصل السمة أو

---

1) **Malinowski, B. « A scientific theory of Culture and other essay »,** A Galaxy Book, New York, Oxford Press (1960) P. 17.

الثقافة(٢)٠ فانها تختلف عنها فى ادراكها للواقع الانسانى ككل عضوى متماسك ٠ فهى لا ترى ذلك الانتقال أو التطور الكلى للثقافة ، بل تراه دائما مجزأ الى سمات أو مجموعات السمات التى ليس بينها أى رابطة فهى تعامل الثقافة على أنها كائن عضوى ميت(٣) ليس بين أجزائه أى تساند بنائى أو تفاعل وظيفى ٠ ونتيجة لذلك فقد تهاجر السمات من ثقافة لاخرى ،، بل اننا قد نواجه فى بعض الثقافات بسمات لا دور لها ، ولا تحقق تلاؤما مع السياق ، وهى ما يسميها الفكر التطورى السمات البقايا(٤) ٠ وتسميها الانتشارية بالسمات المستعارة ٠

يبقى بعد ذلك أن نؤكد انه اذا ماشكل التاريخ مجال الفكر التطورى ، فقد اتخذ الفكر الانتشارى الجغرافيا وتكتيكاتها نطاق عمل وأسلوبا ملائما ٠ وبذلك أسست الانتشارية خرائط توزع عليها الثقافات وسماتها وانتشارها من مكان لآخر بقدرة واقعية وامبيريقية ملموسة ٠

ينتج مما سبق أن للفكر الانتشارى موقفه المحدد من مسألة التغير الاجتماعى ٠ فهو لم يؤمن بالانتقال الكلى للمجتمعات ، وانما لبعض سمات أو عناصر المجتمعات ، ومن هنا فاننا يمكننا ـ على ما يذهب بـرى ـ آن نؤكد على أن أى حضارة معاصرة ما هى الا عبارة عن تراكم من العرف المتخلف أو الباقى ، وأن التصنيف الواعى لها قد يكشف عن شرائح لمجموعة من الثقافات(٥) ٠ بيد أنه بالرغم من اسهام الانتشارية فى تطوير نظرية عن التغير الاجتماعى خاصة ذلك الذى يأتى من الخارج فان هناك بعض العيوب التى انتابت هذا الفهم نذكر منها ما يلى :

ـ بالرغم من مشاركتها التطورية فى تناول المجتمع الانسانى بكامله

2) **Magumdar, D. N. & Madan, T. N., « An introduction to social anthropology »**, Asia Publishing House, Bombay, Cacutta, New York (1961) P. 26.

3) **Martindale, D., « The Nature and Types of social theiry »**, London Routledge / Kegan Paul (1961) P. 400.

4) **Malinowski, B., Op. Cit.** P. 28.

5) **Hogben, Op. Cit.** P. 16.

كوحدة للدراسة الا انها أضافت الى هذا الخطأ خطأ آخر بأنها لم تحاول أن تتناول هـذا الـكل على أنه كل عضوى تتساند عناصره بنائيـا ووظيفيا ، ومن ثم فـلم تر فى الوجـود الانسانى ـ عـلى أى مـن مستوياته ـ سـوى نـوع من التراكم العشوائى لمجموعة من العناصـر أو السـمات الدائمـة كالهجرة والانتقال ٠

ـ نتيجة لافتقادها امتلاك التصور العضـوى أو النسـقى للمجتمع ، فانها أصبحت عاجزة عن متابعة التغيرات التى تقع نتيجة لهجرة سمة ثقافية أو عنصر بنـائى الى وجـود اجتماعى معين ، ثم الافعال وردود الافعال التى تثيرها فى البناء الذى هاجرت اليـه ٠

ـ شاركت الانتشارية التطورية الخطأ المنهجى المتعلق بانتقاء المعطيات الواقعية التى تـؤيد فروضها النظرية ٠ **والحق ان هـذا المسـلك لم يسـهم فقـط فى اثبات زيف أو صـدق فروضها بقـدر ما أسهم فى عزلها ـ كنموذج نظرى ـ عن الواقـع ، بحيث لم نجد فى الانتشارية فى النهاية سوى مجموعة من الخرائط المتعـلقة بأصـل السمات وانتشارها عـلى المستوى التـأملى النظرى دون أن تمتـلك أى سـند واقعى أو امبيريقى يشـهد على صـدق وثبـات هذه الافتراضات ٠**

المعوقـات الواقعيـة

بيـد انـه بعد اتضاح الدور الذى لعبتـه بعض الانحرافات النظـرية والمنهجية فى اعاقة تأسيس نظرية عن التغير الاجتماعى نرى أنه من الموضوعى الا نلقى عليها بالتبعة كلها وذلك لامرين : **الاول** يؤكد على أن بناء النظـرية وتأسيسها عادة ما يـكون نتيجة اسـهام التراث النظـرى والمنهجى الـذى تعـد النظرية احـدى حلقاته ، أما **الثانى** فيتعلق بـدور السياق الواقعى والامبيريقى الذى تتأسس فى ظـله النظرية ٠ اذ تـدل الشواهد فيما يتعـلق بموضوعنا على أن هذا الواقع قد لعب دورا بارزا فى اعـاقة تأسيس نظرية التغـير الاجتماعى ٠

ويتضح ذلك من ادراك أن المجتمعات التى جردت عنها هـذه النماذج النظريـة كانت مجتمعات صغيرة نسـبيا على درجـة عاليـة مـن التجانس والتكامل ، وتفتقد أى وعى أو حس بالتاريخ وحركته(١)٠ ونتيجة لذلك كان منطقيا أن تعكس النماذج النظرية التى تجـرد عن معطيات هذه المجتمعات واقعـا ساكنا لا تظهـر فيـه ديناميات التفاعـل الداخـلى ٠ اذ لـم نر مـن دينامية تفاعل التغير سوى نمطين : حيث يركز الاول على التطور أو النمـو العـادى للاشـكال الاجتماعية المختـلفة دون أن يبـرز ما يمـكن أن يولـد التناقضات فى داخـل هـذه البناءات وقـد يتمثـل هـذا النمـط فى الفـكر التطورى عامة ، **فهو وان اهتم** بالعمليات الانتقالية العـامة الا أنه أغفـل التفاعلات والتغيرات الداخلية التى تسـلم لحـدوث هذه العمليات العامة ٠ بينما ركا النمط الثانى على أن التغير دائمـا من الخارج ويتمثل ذلك فى الفـكر الانتشارى الذى اهتم بالانتقالات للعناصر دون أن يوضح كيف تسهم هذه الانتقالات فى صياغة عملية تغير عـامة ينتقل من خلالها الشكل البنائى كليـة الى شـكل آخر ٠

ونتيجة لذلك تاخـر تاسيس نظرية عن التغـير الاجتماعى طالمـا كان الاهتمام مركـزا عـلى المجتمعات البدائية ، وهـو الاهتمام الـذى انتهى بالتركيز عـلى التفاعلات التى اثـارتها الثـورة الصناعية فى بناء المجتمـع الاوربى والتى تطلبت اهتماما خاصا من النظـرية الاجتماعية ٠ وكان من الضرورى أن تتعـكس معطيات هذا الواقـع الدينـامى المتغير فى النمـاذج النظرية التى عاصـرت ذلك ٠ وبذلك نستطيع أن نـؤكد أنه اذا كان سـكون الواقـع وتوازنه هو الذى اعـاق ـ بقـدر ما ـ تاسيس نظرية عن التغـير الاجتماعى فان دينامية الواقـع وثوريته هى التى اسهمت فى امكانية تطوير نظرية عن التغير الاجتماعى ٠

---

1) **Cohen, Percy S., « Modern social theory »**. Heineman, London (Lodon) Pp. 42 - 46.

نظرية التغير الاجتماعى : اعتبارات أســاسية

بعد استعراض المعوقات النظرية والواقعية التى أخرت تأسيس نظرية عن التغير الاجتماعى نحاول الآن ـ استخلاصا للموقف التقويمى للاتجاهات النظــرية السابقة ـ أن نصل الى بعض الاعتبــارات أو الاستخلاصــات التى يجب مراعاتها فى تأسيس أية نظرية فعالة عن التغير الاجتمــاعى نذكر منهــا مــايلى

ـ تقاس كفاءة النظرية بمدى شموليتها وقدرتها على تقديم فهم لكافة المتغايرات الواقعية التى تدخل فى اطارها ، معنى ذلك أن تتحدد كفاءة نظرية عن التغير الاجتماعى بقدرتها على تقديم فهم لاحــدى عمليات التغير أو كافة العمليات ٠ ومعنى ذلك أننــا اذا قلنــا أن هناك تغيرا تدريجيا وآخر ثوريا ، وأن هنــاك تغــيرا من الخارج وآخــر من الداخل ، فــان النظرية تــكون شامــلة اذا هى قدمت فهما لــكافة هــذه العمليات أو الانماط ٠ وتــكون جزئية اذا هى اقتصرت على بعض المتغيرات دون أخــرى ٠ وهذا ما يفــرق النظرية عن النموذج النظرى ، فالنموذج ليس من الضرورى أن يقدم فهمــا لــكافة أنــواع المتغيرات ، وانما يؤسس لتقديم فهم لبعض المتغيرات فقط ، أما النظرية فهى مستوى أشمل من النموذج ، لــكونها تناضل من أجــل تقديم فهم لمجموعة المتغيرات التى تدخل فى اطارها (*)٠

ويمكن للنموذج النظرى أن يتحول الى نظرية اذا هو قــد تطور فقــدم فهمــا لــكافة المتغيرات التى تدخــل فى الاطار الذى يقــدم النموذج فهما لــه ٠ بيــد أن ذلك لا يحول دون تحــول النظرية الى نموذج نظــرى اذا هى توقفت عن مسايرة حركة الواقــع المتفاعلة ، أو اذا هى توقفت عن استيعاب المتغايرات التى استحدثت على هذا الواقع الذى يدخل فى اطارها ، وعــلى ذلك فاما أن تتوقف النظرية عند كونها نموذجا نظريا تتحــدد امكانياته بقدر

(*) نذكر من هذه النماذج النظرية الماركسية التى اهتمت أساسا بعمليات التغير والصراع ، والبنائية الوظيفية التى تركــز اهتمامها فى مرحــلة معينة بالتــوازن والتــكامل المرتبــط بالمجتمعــات البدائية والتى بدأت تطــور اهتماما بعمليــات الصراع والتغــير والثــورة كعمليات محورية فى بناء المتجمع المعاصر ٠

المتغايرات التى يستطيع أن يقدم فهما لها ، وأما أن تتطور مع هذا الواقع فتستوعب ما يستجد به من متغايرات ، وبذلك توفر لنفسها امكانية أن تظل نظرية شاملة وقادرة على تقديم فهم ملائم لتفاعل هذا الواقع .

ـ ان استخدام النظرية كوسيلة منهجية لفهم الواقع الاجتماعى ، يجب أن يركز على ضرورة ملاءمة النظرية للواقع موضع التناول . اذ يجب أن يكون هناك تماثل بين الواقع الذى جردت عنه النظرية والواقع الذى تستخدم النظرية لفهمه ودراسته . فمن الخطأ مثلا استخدام النظرية الماركسية لفهم وحدات بنائية لا تمتلك تاريخا أولا تتضح فيها الخطوط الطبقية أو لا يسودها نوع التفاعل الذى يرتبط عادة بنظريات التغير والصراع . وهذا بالطبع يختلف عن الجهد الذى قد يبذل لتطوير النظرية عن طريق تعريض بعض فروضها لاختبارات امبيريقية تؤكد فاعليتها أو عدم فاعليتها .

ـ من الضرورى المفارقة بين مستويين لاستخدام النظرية فى فهم الواقع الذى تتعرض له . **أولهما الاستخدام العلمى** الذى يستعين بالنظرية من أجل فهم الواقع الاجتماعى فهما علميا موضوعيا ، **وثانيهما الاستخدام الايديولوجى** الذى يتخذ من الواقع موقفا معينا بناء على هذا الاطار **النظرى . والفارق بين الاستخدامين هو أن الاول يعطى الواقع امكانية رفض الفروض النظرية اذا هى لم تعكس التفاعل السائد به ، وتاكيدها اذا عكست تفاعله ، بينما نجد الثانى يؤله النظرية ويحاول صياغة الواقع لكى يتطابق ومقولات هذه النظرية ، دون أن يكون له الحق فى رفض او تاكيد قضايا النظرية وفروضها .**

فاذا شكل ماسبق مجموعة المحكات التى يجب أن تتوفر فى أية نظرية قادرة لفهم التغير الاجتماعى ، واذا اتضح لنا بناء على هذة المحكات مدى القصور الذى انتاب الأطر النظرية السابقة على البنائية الوظيفية أو المعايشة لها ، فانه بقى أن نقيس ـ بناء على هذه المحكات ـ كفاءة الاتجاه الوظيفى كنظرية قادرة على تناول التغير الاجتماعى فى المجتمع المعاصر

نتيجة للعجز الواضح الذى واجهته وجهتا النظر التطورية والانتشارية ، وكـذا مجموعة النظريات العاملية التى عايشت أيا من هذه الاتجاهـات فى تقديم فهم متكامل للتغير الاجتماعى ، فلقـد كان ضروريا أن تـواجه النظرية الوظيفية ـ باعتبارها احدى مراحل النظرية السوسيولوجية ـ القضايا التى شـكلت نطاقا صعبا بالنسبة لهذه الاتجاهات نعرض لها فيما يلى :

ـ فعلى الجانب النظرى كان على البنائية الوظيفية أن تتخلى عن فكرة اتخاذ الوجود الانسانى بكامله وحدة للدراسة ، وأن تقتصر دراستها على الوحدات ذات الوجود المتباين فى هذا العالم ، أعنى المجتمعات ، أو أنساق وتجمعات هذه المجتمعات ، هذا بالاضافة الى التخـلى عن فـكرة التتبـع لاصـل هـذه النظـم والاهتمام بالـدور أو الوظيفة التى تؤديها الوحـدة الاجتماعية فى البنـاء الذى يحتويها .

ـ لم يرفض الاتجاه الوظيـفى الاستعانة بالتـاريخ ، وانمـا رفض اللجوء الى التـاريخ الظنى ، ذلك لانه اذا كانت للتاريخ وثـائقه المتوفرة ، فان اللجوء اليه يساعد عادة عـلى تحـديد بدايـة التغـيرات وأسـبابها وأحجامها ، كما أنه سيوفر لنا معرفة بطبيعة البناء قبل حدوث التغيرات ، ومن ثم سوف يسـهل التعرف عـلى أسبابها الممـكنة وأثارها عـلى بنـاء النسق(١) . بيد أن الاستخدام الوظيفى للتاريخ يختلف عن التناول التطورى لـه ، فهو لا يهتم بتتبع أصل النظام وتطوره بقدر ما يهتم به لمعرفة طبيعـة تـكوين البنـاء فى مرحـلة معينة ، لـكى يجعـلها موضعا مرجعيـا يقيس بالنظر اليه حجم التغيرات التى حدثت ، ونتيجة لذلك كان على هذا الاتجـاه ن يتخلى عن التتبع التطورى أو الانتشارى لنظام أو سمة معينة ، أو حتى لمجتمع الانسانى من خلال التاريخ ، بـل استبدل ذلك بالدراسة المقـارنة ـين النمـاذج المجتمعية التاريخية المختلفة ، وهى مسألة برع فيها أميـل

---

1) Radcliffe-Brown, A. R. & Daryell Ford, « **African systems of kinship and mariage** » Oxford University Press, London (1960) P. 13.

دوركيم وماكس فيبر على ما يـؤكد ألفن جولدنر(٢) ، وقد كان من نتائجها نشـأة عدد كبير من الثنائيات المجتمعية فى نظرية عـلم الاجتماع ٠

ـ كان عـلى الاتجاه الوظيفى أن يشكل تطورا نظـريا ومنهجيا عـلى المنظورات السابقة فيما يتعلق بقضية التغير الاجتماعى ٠ فقد كان عـليه أن يشـكل تطورا على الموقف التطورى بـأن يستوعب مقـولته الرئيسية وهى خضوع النسق لعديد من التفاعلات التى تـؤدى الى انتقال الشكل المجتمعى من مرحلة الى أخرى ، الا انه كان عليه أيضا أن يخضع ذلك لمحكات منهجية موضوعية بأن يؤكـد أن هـذا الانتقال لا يـلزم أن يسير فى مراحـل تطورية محدده قبلا لان فى ذلك مثالية تطلب من الواقع أن يتطابق ومقولات نظرية معينة فعلم الاجتماع يجب أن يقتصر فى هذه المرحلة على دراسة الحاضر لانه لـم ينضج بعد لـكى يسـتوعب المتغيرات التى قد يطرحهـا المستقبل(٣)٠ هـذا بالاضافة الى تطويره تصورا لتفاعلات التغير داخل الوحدة موضـع الدراسة ٠ ثم تكثف هـذه التفاعلات حتى تنتقل بالوحدة من شـكل بنـائى الى آخـر وهو ما لم يفعـله الفـكر التطورى ٠ ولقـد كان على الوظيفية أن تشكل تطورا على الموقف الانتشارى أيضا بأن تستوعب مقولته الرئيسية المتعلقة بامكانية انتقال السمات الثقافية من مجتمع لآخـر ، الا أنها ترفض عشوائية مثل هـذا الانتقال فتؤكد أنه لـكى يقبـل أى مجتمع سمة ثقـافية منتقلة اليـه فلابـد أن تشبع هذه السمة حاجة رئيسية لديه ، أو تـكون ذات أداء وظيفى أكثر كفاءة من أداء الوحـدة التى تقوم فعلا باشباع هـذه الحاجة ٠ **وفى ذلك يتخـذ الموقف الوظيفى من المتطلبات الاساسية للبنـاء الاجتماعى المحـك الرئيسى لقبول سمة ثقافية أو رفضها** ٠ بـل أن المـوقف الوظيفى يشـكل استيعابا لـكافة مقولات النظريات العاملية وذلك لأن يساوى بـين كافة العوامل أو المتغايرات التى فى امكانها اثـارة التغـير والتحكم فى تفاعـله ، هذا بالاضافة الى رفضه الاعتقاد الذى يمايز بين متغيرات مستقلة وأخرى تابعة ، وتأكيده على امـكانية أن تـكون كافـة المتغيرات مسـتقلة

---

2) **Gouldner, Alvin, « The coming crisis of Western sociology », Heinman, London (1971) P. 177.**

3) **Ibid, Pp. 117 - 119.**

تـارة وتابعة أخرى ، وذلك نسـبة الى الموقف الذى تؤدى دورها فيه • بل يؤكد هذا الموقف أيضا على أننا حتى لو سلمنا بامكانية أن يثير متغاير معين عملية التغير فانه ليس منطقيا أن نؤكد قبلا ضرورة أن يـكون هـذا المتغاير مستقلا على الدوام فى عملية التفاعل هذه ، فقد يثير التغـير أحـد متغايرات النسق ثم يتحكم فى تفاعله متغاير أو مجموعة أخرى من المتغايرات(١)•

ـ يـؤكد الموقف الوظيفى عـلى أن واقـع التغير واقع جديد مفسـر لذاته ، بمعنى أنه لفهم هذا التفاعل فانه من الضرورى التركيز على التناول المتزامن لبناء التغير ، وأن نجعل من طراز تفاعلات التغير السائد اطـار الفهم والتفسير • ولقـد أكد على هذا الموقف كثير مـن الرواد الوظيفيين ، فمالينوفسكى مثلا فى دراسته للتغير فى المجتمع الافريقى الذى أثارته الثقافـة الاوربية يـؤكد أن واقـع التغير واقـع جـديد فيـه من الظواهر ما لا ينتمى لاى من الثقافتين ، واقـع يمتلك حتمية ثقافيـة لا هى بالافريقيـة ولا هى بالاوربية(٢)، ثم يؤكد أن ظواهر كالتمييز العنصرى ، وأساليب جذب العمال الافارقـة الى العمل والتخلى عن فـائض العمل الافريقى ظواهـر ليس لهـا أصولها فى أى من شـكلى الثقافة ، هـذا بالاضافة الى أن القـانون وعلاقات التعاون والنسق السياسى تمثل وقائـع جـديدة لا تنتمى للثقافـات الام ولا تفهم بالرجوع المباشـر لاى منها ، بـل يجب أن تدرس كافـة عمليات وتفاعلات التغير وفقـا لاسس حتميتها الخاصة(٣)• ويؤكد رادكليف براون هذا الفهم حينما ينتقد أميـل دوركيم فيما يتعلق بمفهومه عن اعتلال المجتمع لسيادة الانومى فى مرحلة التغير بقـوله أن المجتمع الذى يواجـه فى مرحـلة معينة حـالة من عـدم الوحـدة وعدم الاتساق الوظيفى لا يموت ••• وانما سـوف يناضل من أجل نوع من الصحة الاجتماعية ، الذى يغير أثناءها من

---

1) **Parsons, T.,** « **The social system** ». The Free Press. Gleonce. Illinois-Hill (1952) Pp. 480, 493, 494.

2) **Mair, L.,** Malinowski and the study of social change, in, Raymond **Firth** (ed), « **Man and Culture** ». Pp. 233 - 234 and see also **Malinowski, B.,** « **Dynamics of Cultural Change** ». New Haren. Yale University Press (1947) Pp. 23, 65.

3) **Malinowski, B. Op. cit.** Pp. 23, 30.

نموذجية البنائى(٤) ٠ وعلى ذلك فوصيف حالة الانومى بأنها باثولوجيا اجتماعية انما يكون بالنظر الى الشكل البنائى السابق على هذه الحالة ، بينما اذا نحن نظرنا اليها من خلال السياق الاجتماعى المزامن لها ، فسوف نجد أنها تيسر وظيفة تحلل بناء وظهور بناء جديد ٠

ـ على المستوى التصورى يؤكد الاتجاه الوظيفى على ضرورة الادراك النسقى للواقع ، أى الادراك الكلى للواقع ، وذلك كرد فعل للتناول الجزئى الذى مارسته الاتجاهات التطورية والانتشارية أو الادراك الناقص للواقع الذى مارسته النظريات العاملية ٠ بيد أن هناك اعتبارين حكما الاتجاه الوظيفى فيما يتعلق بهذه المقولة ٠

الاول : أن هذه النسقية ليست مغرقة فى اليوتوبية ، فهذا الاتجاه لم يتناول المجتمع الانسانى الشامل وحدة لدراسته كما فعلت المنظورات السابقة **وانما تتحدد هذه الكلية بالاطار الكلى الذى يحتوى مباشرة المتغاير موضع الدراسة والذى يعد مجال أدائه الوظيفى ٠**

الثانى : ان هذه النسقية خضعت لتطوير يؤكد عملية الموقف الوظيفى بالنسبة لقضية التغير ٠

فحينما جردت المقولات الوظيفية عن واقع المجتمعات البدائية ، فاننا نجد تأكيد هذا الاتجاه على نسقية متكاملة مرتكزة على أساس التجانس والاتساق والتوازن الكامل بين اجزاء البناء الواقعى ، بحيث نجد أن هذه النسقية لا توفر أساسا ملائما لتطوير فهم لتفاعلات التغير ، أو أن قدر التغير الذى تبيحه هذه النسقية ضئيل وجزئى ييسر التكيف دون أن يغير من الشكل البنائى القائم ، الا أنه حينما عايش الاتجاه الوظيفى طبيعة التفاعل الذى تشهده المجتمعات النامية والصناعية المتقدمة وهو تفاعل يرتبط بعمليات التغير والصراع ، فاننا نجد تطورا فى طبيعة هذه

---

4) Radcliffe-Brown, A. R., « **Structure and Function in Primitive Society** », London, Oxford University Press (1952) P. 183.

الـكلية النسقية على يـد الباحث الوظيفى (روبرت مـيرتون) الذى يلغى هـذه النسقية الذى يستند تـكاملها على أسـاس تجانس وتكامل الوحدات الاجتماعية ، ثم يؤكد أن النسـقية المعاصرة نسـقية تستخرج تكاملها من التباين السائد على مستوى الوحدة الكبرى ومن التـكامل والتجانس على مسـتوى الوحدة الصغرى · ولقـد أدى ذلك الى تأكيده عـلى أن الاقتراب المنهجى لادراك الـكلية النسـقية يجب أن يتـم من خـلال الاداء الوظيـفى للوحدة الصغرى ومتتاليات هذا الاداء بالنسـبة للـكلية الشاملة ، وبـذلك يسقط التزامه بهذه الـكلية المتكاملة(١) · ولقد أدى هذا التطوير الى تأكيد أنـه يمكن أن يكون للوحدة أداء وظيفى متباين ، بمعنى أن الأداء الوظيفى للوحـدة الصغرى يمكن أن يـكون معوقا وظيفيا بالنسـبة لبعض الوحدات وميسرا للبعض الآخر · ذلك يوفر لدينا تصورا نسقيا ليس من الضرورى أن يتجه فيه اسهام الوحدة الصغرى نحو التـأكيد على التـكامل والتوازن النسـقى بقـدر ما يبيح امكانية اتجاه هذا الاسهام نحو تحقيق حـالة من عـدم التـكامل وعدم التوازن بالنسبة للنسـق ، بسبب التعـويق الوظيفى الذى تسببه · ولعـل هـذا التطـوير فى مضـمون الآداء الوظيفى للوحـدة وعلاقته بـكلية النسق تجريد لواقـع المجتمعات النامية والصناعية المتقدمة الذى يمتاز بالتجزؤ والفردية والتخصص وقابلية أن يكون متغيرا أبدا(٢) ·

ـ ساير الاتجاه الوظيفى منطق التطور العلمى الذى يـؤكد انتقـال العلم من مرحلة الهواية والابـداع الخـلاق الذى يـؤديه بعض الموهـوبين بملـكات خاصة الى مرحـلة الابداع المعتمد على العمـل الدؤوب والمنظـم والذى يستند الى ادراك آداء ومهام علم الاجتماع كحرفة · من هذا المنطلق ، حـاول هـذا الاتجاه تحـديد أنسـب الاساليب والاجراءات لفهـم التغـير الاجتماعى وتحديد القواعد المنظمـة لذلك · فمالينوفسكى فى دراسته عـن

1) **Demerath III**, N. J., Synechocde and Structural Functionalism, in, « **System Change and Conflict** », (1968) Pp. 501 - 518 esp — P. 500.

2) **Merton, R. K.**, « **Social theory and social structure** », The Free Press of Gleonce (1962) Pp. 30 - 32.

التغير الاجتماعى فى المجتمع الافريقى يطرح (مدخل الخانات الثلاث) لتحليل واقـع التغير والذى عـلى أساسه يصـف الباحث الواقع ويصنفه ويحـلله تمهيدا لتفسيره والتنبـؤ بمسارات تفاعله(١) · وتحديد هـربرت سبنسر وراد كليف بـراون لطبيعة الحجم المثالى للوحدة ، والذى عنده لابـد أن تخضع الوحدة لتغيرات معينة فى كيانها حتى لا تواجه التحلل والموت(٢) · كذا اجراءات دوركيم وماكس فيبر المتعلقة بتحديد النمط المتوسط والنمـط المثالى ثم اجراءات المقارنة التى يمكن تطبيقها لقياس الاختلاف وحجم التغير بين النماذج البنائية(٣) · هذا بالاضـافة الى أسـاليب تحليل التغير الثلاثة التى صاغها بارسونز وهى أسـلوب التحليل البنائى والوظيفى ، ثم أسـلوب تحليل التغير بالنظر الى علاقات الضبط والسيطرة (٤) ، ثم نماذج التحليل الوظيفى التى صاغها بارسونز(٥) وميرتون(٦) · والتى من خلالها يحددون القواعد الاساسية التى يجب اتبـاعها لانجاز تحـليل وظيفى فعال لقضـية التغير الاجتماعى ·

ـ ما سبق اذن يوضـح مجمـوعة الامكانات النظـرية والمنهجية التى امتلكهـا الاتجاه الوظيفى بحيث تجعله أكثر كفاءة من المنظورات النظـرية السابقة لـكونه أكثر علمية وموضوعية ، وأيضا لقدرته على مسايرة حركة الواقـع وما يستجد بـه من متغايرات · كل ذلك جعـل هـذا الاتجاه أهـلا لـكى يقف فى وضع أكثر ملاءمة وفعالية لتحليل التغير فى النسق الاجتماعى ، وهو جهد يمثل نطاق الاهتمام بالنسبة للنظرية السوسيولوجية المعاصرة ·

---

1) **Malinowski, B.,** Op. cit. Pp. 32 - 34.

2) **Durkheim, E., « The Division of Labor in society »,** The Free Press, 1966. Pp. 268-269.

وانظر أيضا : **رادكليف براون** ، المنهج فى الانثروبولوجيا الاجتماعية ص ١٨٦ ·

3) **Gouldner, A., Op. cit.** P. 117.

4) **Parsons, T.,** Some consideration on the theory of social change. **Rural sociology,** No. 4 (1961) P. 221.

5) **Parsons, T.,** A Paradigm for the analysis of social systems and change, in, **« System change and conflict ».** Pp. 191, 193.

6) **Merton, R. K., Op. cit.** Pp. 19 - 84.

تفاعلات النسق المتغير : رؤية من الداخل

اختلف الاتجاه الوظيفي في تناوله لقضية التغير الاجتماعي عن المنظورات السابقة في أمرين • **الامر الاول** يتعلق بالادراك النسقى الكلى للوحدة موضع الدراسة ، ولذلك فهو لم يحاول تتبع الانتقال التاريخى أو الجغرافى لوحدات البناء الاجتماعى بغية التعرف على مكان انطلاقها أو شكلها الاصلى ثم كيف تكيف هذا الشكل وتغايرات التاريخ والجغرافيا لكى يؤكد وجوده المستمر ، وانما ركز الى جانب اهتمامه بذلك على معرفة الدور الذى تؤديه الوحدة أو المتغاير فى السياق الذى ينتمى اليه انتماء مباشرا • هذا بالنسبة لعلاقة الجزء بالكل النسقى •

أما **الامر الثانى** فيتعلق بطبيعة ادراكه للعمليات النسقية • فالوجود الانسانى فى تأكيده لوجوده الدائم استند الى مرتكزات كثيرة كى يحمى بها بقاءه وهويته • ولقد شكلت هذه المرتكزات تضاريس العلاقة بين الوجود الانسانى كجزء والوجود الشامل ككل • ففى لحظات كان على الاول أن يثور على الاخير ويفرض عليه شروطا معينة تعد ملائمة لوجوده ، وفى لحظات أخرى لم يكن أمام الاول سوى الخضوع لهذا الكل والتكيف مع شروطه والا كان الفناء والتحلل فى انتظاره • ذلك كله يشير الى وجود مجموعة من العمليات الاساسية التى خضع ويخضع لها أى نسق اجتماعى نذكر منها عمليات التوازن والتكامل والتكيف والمنافسة والانحراف والصراع والتغير والثورة •

يؤكد ما سبق لزومية هذه العمليات لاى نسق اجتماعى على المستوى الصورى ، ويؤكد أيضا لزومية أى منها لاى نسق اجتماعى على المستوى الواقعى بالنظر الى متطلبات وشروط موقف وجوده واستمراره •

ونتاجا لذلك فليس منطقيا أن يؤكد نموذج نظرى أهمية ومحورية عمليات التوازن والتكامل بينما يؤكد آخر محورية عمليات التناقض والصراع والتغير والثورة بصورة مطلقة وذلك لان للنسق تفاعله وعملياته وقوانينه وشروط وجوده التى تتجاوز أى ادراك ناقص من جانب واحد يعبر عن وجهة نظر خاصة •

فاذا تأكد لنا أن الادراك الشكلى النسقى للواقع يعد المقولة الوظيفية الاولى والرئيسية ، فاننا سوف نحاول القاء الضوء على طبيعة العمليات التى تشكل أساس هذا الوجود النسقى المدرك • اذ تؤكد الرؤية الوظيفية أن النسق ينطلق دائما من التوازن والتكامل لينتهى الى التوازن والتكامل أيضا(١)• وليس معنى ذلك أنها العمليات المحورية فى النسق ولكنها عمليات المراحل الاولى فى ترتيب التفاعل الداخلى للنسق • ونعنى بالتوازن هنا الاستقرار المتفاعل لترتيب متغايرات النسق ، وأحجامها ، ثم استقرار قدر الاسهام الوظيفى الذى تؤديه هذه المتغايرات أو الاشباع الذى تتلقاه • وبذلك فان الوجه الآخر لهذا الطراز من التفاعل هو التكامل نظرا لان كل متغاير يدعم باسهامه المتغاير الآخر ، حتى نواجه فى النهاية بناء مدعما متكاملا • ومن هنا فان معالجة التغير يجب أن تنطلق دائما من اعتبارات التوازن والتكامل ، أى من التغير فى أحجام المتغايرات أو فى شكل ترتيبها أو فى طبيعة الاسهام الذى تؤديه فى العملية الاجتماعية(٢)•

بيد أنه يوجد نوع من الاختلاف بين الوظيفيين فى تحديدهم الصورى لهذا التوازن ، فبينما يتصور البعض أن هناك لحظة معينة يكون عندها البناء متوازنا ، على سبيل المثال ، نقطة الصفر الافتراضية التى يطرحها مالينوفسكى ، ويؤكد أن البناء يكون عندها متاوزنا(٣) ، ويهتز هذا التوازن اذا طرأت عليه عوامل من الداخل أو من الخارج • وعلى نفس المسار يؤكد دوركيم أنه اذا ما تضخم حجم السكان كمتغاير فانه بارتباطه ببعض المتغايرات المعجلة يؤدى الى التغير الكامل لشكل التضامن من الشكل الآلى الى الشكل العضوى • ومن ثم يتوازن البناء حتى يقع ما يلغى التوازن لينتقل بالبناء من خلال التغير الى بناء التضامن المؤسسى ثم بناء التضامن العالمى ، نجد على الطرف الآخر وظيفيين آخرين

1) **Durkheim, E., Op. cit.** P. 343.

2) **Ibid**, P. 257.

٣ ـ احمد ابو زيد ، البناء الاجتماعى ، المفهومات ، ج١ ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٥ ، ص ٢١٨ •

لا يـرون وجودا لهذه اللحظة الافتراضـية فهم من البـداية يؤكدون أنـه ليس هناك تـوازن مطلق أو تـكامل تـام ، وانما هناك درجات من التوازن والتكامل ، ونمثل لهؤلاء بتالـكوت بارسونز الذى يطـرح مقـولة التوازن الدينامى(٤) ، وروبرت ميرتون الذى يؤكد أننا نواجه بدرجات متعددة من التكامل ابتـداء من التـكامل الى عـدم التـكامل ، ودرجات متفـاوتة من التوازن ابتداء من التوازن الى عدم التوازن(٥) ٠ والحق أن هذا الاختلاف بـين الوظيفيين يرجع لسببين . الاول سبب واقعى يتمثل فى طبيعة المجتمعات التى جردت عنهـا النماذج النظرية الخاصة بـكل فريق ٠ فمن أكدوا عـلى وجـود اللحظة الافتراضية المتوازنة نجـدهم قـد جردوا نماذجهم النظرية عن مجتمعات بدائية ذات درجة عالية من التـكامل الناتج عن صغر حجمها وامتلاكها لدرجة عالية من التجانس ، تلك المجتمعات التى تفتقـد أى وعى بحركة التاريخ(١) ٠ مثل هذه المجتمعات لم تشهد تفاعلات التغير ومن ثـم لم تعكس النماذج النظرية التى جردت عنها سوى اهتمام بالتكامل والتوازن واللحظات الافتراضية التى يهتز فيها التوازن أو يبدأ عندها عدم التكامل ٠ بيـد أن استمرار هـذا الاهتمام بقضـايا التوازن والتـكامل بـدأ يتناقص وأصبح الاصرار على التـكامل والتوازن يمثل انحرافا عقليا مبالغا فيه ، اذ أصبح ذلك يعنى نقـل افتراض قـد يـكون مفيـدا فى نطـاق المجتمعات البدائية والصغيرة الى نطـاق المجتمعـات المتحضرة والـكبيرة والمعقـدة والاكثر تباينا(٢) ، وذلك لان طبيعة المجتمعات التى جردت عنها النمـاذج النظرية الخاصة بالفريق الرافض للحظة التوازن الافتراضية تشهد درجات عـالية من التخصص وتقسيم العمـل ، ودرجات عالية من التباين ، بـل وتلعب فيها عمليات المنافسة والصراع دورا بـارزا حتى أن هناك من يؤكد أن بنـاء هـذه المجتمعات يرتكز أساسا عـلى الصـراع المتـوازن بـين

---

4) **Parsons, T., « The social system »**. P. 519.

5) **Merton, R. K., Op. cit.** 134 - 182.

1) **Cohen, P. S., Op. cit.**, Pp. 42 - 46.

2) **Merton, R. K., Op.** cit. P. 28.

جماعاته(٣) • ومن هنا ، فلقد كان الضروريا أن تعكس النماذج النظرية لهذا الفريق درجة عالية من الاهتمام بعمليات التغير والصراع والتباين ، حتى لو كان المنطلق الرئيسى لفهم بدء هذه العمليات ومسارها من خلفية متوازنة ومتكاملة • ونمثل لذلك بأعمال بارسونز وميرتون وبخاصة الأخير •

اما **السبب الثاني** فهو سبب معرفى يتعلق أساسا بمستوى الصياغة النظرية • اذ نجد أن الفريق الذى اهتم كثيرا بعمليات كالتوازن والتكامل كان بعيدا عن الصياغات النظرية وذلك لان مهمته الاساسية تمثلت فى أن يكون باحثا ميدانيا أمينا مع معطياته ، ولان معطياته ليست متغيرة كما هى الحال فى المجتمعات البدائية ، فان تركيز هذا الفريق انصب على التكامل والتوازن ولحظاته الافتراضية • هذا بالاضافة الى أن الالتصاق بالواقع الامبيريقى لا يتيح امكانية ادراك التغيرات التى تحدث به • بينما على الطرف المقابل نجد أن الفريق الذى اهتم بالصياغة النظرية كان أكثر اهتماما من الفريق الاول بعمليات التغير والصراع والدرجات المتفاوته لاهتزاز التوازن أو عدم التكامل • اذ نجد تالكوت بارسونز على سبيل المثال يؤكد سنة ١٩٦١ أننى من الآن سوف أوجه اهتمامى لتأسيس نظرية عن تغير النسق الاجتماعى(٤) مع أن اهتمامه بالقضية لم يبدأ من هذه اللحظة وانما تعرض لها فى كتابة النسق الاجتماعى ومعالجته لعمليات التغير الاساسية(٥) • ونجد ميرتون يؤكد أن المدخل الوظيفى ليس موقفا ايديولوجيا يهتم بحالات الثبات أو التغير وانما هو اقتراب منهجى يصلح لدراسة أى من هذه الحالات ، ثم يؤكد أن المدخل الوظيفى يجب أن يركز على دراسة ظواهر التغير وعدم التوازن وعدم التكامل نظرا لانها تعد ظواهر المجتمع الصناعى المعاصر(١) • **ولعل السبب يرجع الى أن هؤلاء الباحثين منظرون أساسا ، يأخذون معطيات عملهم من التعميمات التى**

---

3) **Coser, L. « The Functions of social conflict »**. Gleonce III. The Free Press (1956).

4) **Parsons, T., Some considerations on the theory of social change »**. (????) **Pp. 1 - 2.**

توفرت عن تناولات ميدانية متباينة فى اطار عـدد متبـاين من المجتمعات منها البـدائى المتخلف والصناعى المتقدم ، ومن شـأن هذا الـكم المـتراكم من التعميمات المتباينة أن يتيح رؤية تصـورية عـلوية شاملة لـكافة العمليات المحورية للنسق ، بـل وتبرز الفوارق بين مختلف الاشكال البنائية والاسباب التى ولدت هـذه الفوارق ومن ثم ادراكا للتغير من حيث حجمه وعوامله • بـل ان اهتمام هؤلاء الباحثين بصياغة انساق نظـرية يـؤدى الى ادراكهم لكافة العمليات ذات الاهمية المحورية لبناء النسـق ومن بينها عملية التغير •

فاذا كان ما سبق توضيحا للعمليات الرئيسية وموقف النسق النظرى الوظيفى منها ، فاننا سوف نحاول تناول موقف هـذا النسق بالنسبة لبعض الظواهر ذات الصلة بالتغير ، أما الظواهر ذات الصلة بالتغير فهى التناقض والانومى والانحراف والصراع ، محاولين تتبع علاقات التفاعل الوظيـفى بين هذه الظواهر حتى تؤدى دورها فى تغيـير النسق الواقعى •

ويعد التناقض الذى قد يتعرض له البناء نقطه بـدء التغير الاجتماعى ذلك لان استقرار النسق يؤكد شروطا ثلاثة : أولها استقرار وثبات النمـط المعيارى ، ثم وجود حـد أدنى من الوحدات الفاعلة التى تؤدى دورها وفقا لهـذا النمط المعيارى وتطبيق جزاءات هـذا النمـط عليها ، ثـم الصياغة النظامية لهـذا النمط المعيارى(٢) • ويبدأ التناقض عند حدوث اخلال بـأى من شـروط استقرار النسق الثلاثة • ويحدد ذلك تالكوت بارسونز حينما يؤكد أن بداية قيـام التغـير الثورى بفعل الجماعة الملهمة تتحدد حينما تنمى هـذه الجماعة التى تواجه فشـلا فى الاشبـاع الحافزى ثقـافة فرعية تلائـم اشباعها الحافزى ، بحيث تعثر على عناصر هذه الثقافة من خلال التنـاقض الذى يسود الثقافة العامة الشاملة (٣) • ومن ثم ، تبـدأ هذه الجماعة فى امتلاك نمط معيارى يتناقض والنمط المعيارى العام • ثـم يحـدث استيعاب

---

5) Parsons, T., « The social system », Pp. 460 - 353.

1) Merton, R. K., Op. cit., Pp. 28 - 32.

2) Parson, T., « Some considerations on the theory of social change ».

3) Parson, T., « The social system ». Pp. 520 - 525.

لهـذا النمط المعيارى الفـرعى المتناقض مع النمـط المعيـارى العـام بحيث يوفر الدعم والمشروعية لافعال المنشقين على هذا النمط المعيارى الاساسى · وبذلك يؤكد بارسونز أن التناقض هو الخطوة الاولى فى التغير لـكونه يهـز الاستقرار النسـقى · ويبدأ عنده الانحراف عن الثقافة الاصلية بامتـلاك الجماعة المنحرفة قائدة التغير لثقافة مضادة تجاهد لـكى تفرضها كثقـافة شاملة عن طريق جعلها ذات تـلاؤم واشباع وحدات النسق الواقعى ·

أما روبـرت ميرتون فيوضح فى نـوع من التتابع المنطقى للتفاعل كيف يحدث التغير · فيؤكد ان الخطوة الاولى تبـدأ حينما يواجـه البناء تناقضا بـين سياقه الثقافى والاجتماعى ، أو فى داخـل السياق الثقافى ذاته · ثـم يؤكد أن مثل هذا التناقض يـولد لدينا أربعة أنماط من الانحراف التى تتتابع نسـبة الى قـدر التناقض الذى تشكل أنماط الانحراف هـذه رد فعـل له ، ونسـبة الى اقتراب بـدء التغير · أما أول هـذه الانماط فهـو التجديد ، حيث يجـدد الفاعلون فى النسـق فى الوسائل حتى تصبح ملائمـة لتحقيـق الاهداف دون النظر الى مشروعيتها ، وعادة ما تختلف بـل وتنحرف عن ما هو سائد · أما النمط الثـانى فهو الطقوسية حيث يتخلى فيه الفاعلون عن الاهداف المشروعة ويتمسكوا بوسائل تحقيق هذه الاهداف ، ثم يـأتى الانسحاب كنمط ثالث ، وهو تخل عن الاهداف والوسائل المشروعة ، وفيـه ينفصل الفاعل عن تفاعل النسق ، فلا يشارك فى تحقيق أهـدافه بوسائله ، وهو فى هذه الحـالة يعيش وجودا خاصا بذاته ، ويصبح هـذا الوجود الخاص عبئا على النسـق ، فهو يتعيش منه دون أن يسهم فى تفاعـله · ثم يأتى التمرد والثورة كنمط رابـع لـكى يشكل رفضا ايجابيا لهـذا الواقـع المتناقض حيث يمثـل التمـرد عـلى عكس الانسحاب تقدما ايجابيا لتحطيم هذا النسق عن طـريق التمرد والثورة عـليه واحـلال ما هو جـديد وملائم لبنـاء النسـق ووحداته(١)· ولا يغفل مـيرتون ضرورة امتـلاك المتمردين والثوار لايديولوجية تشكل أساس الصياغة النظامية الجديدة فى النسق* ·

---

1) **Merton, R. K.** : Op. cit., pp. 139 - 192, and see also **Merton R. K.** (Anomie, Anomia and social interaction) in, **Anomie and Deviant Behavior** (ed.) **Marshall, B. Clinard**, The Free Press, New York. London (1969) pp. 218 - 219.

ويؤكد استقراء تاريخ النظرية الوظيفية انه كلما أبيــح للانحراف دور فى بنــاء النسق كلما كان النسق اكـثر استيعابا لعمليات التغير · فعلى ما يذهب دوركيم ومالينوفسكى يقــاوم المجتمع أى خروج على معايـيره ، أما بالقضاء على الوحــدة المنحرفة التى سببت اهتزاز التوازن ، أو اعادة صياغتها نظاميا لــكى تستوعب الانماط المعيارية السائدة عن طريق عمليات اعادة التنشئة والضبط والعقاب(٢) · ولذلك فــان النماذج النظــرية التى جردت عن هذا الواقع لم تــكن مهيــأة لاستيعاب متغايرات التغير · بينمــا فى المجتمعات الحديثة ادرك الانحراف بفهم آخــر ، حيث هو كأى الظواهــر الاجتماعية له مستويات السواء والانحراف(١) ولذلك كانت الاطر التصورية التى جردت عن هذا الواقع اكثر تهيؤا لاستيعاب تفاعلات التغير ومتضمناته ·

يبقى بعد ذلك أن نوضح طبيعة التفاعل الــكائن بين عناصر النسق منذ بــدء التغير كمجموعة من التوترات وحتى تأسيسه فى بناء النسق · بداءة يفترض أن النســق الوظيفى كل يتكون من مجموعة من العناصر التى تؤدى كل منهــا اسهاما وظيفيا يحتاجه العنصــر الآخــر الذى عــليه أن يــؤدى اسهاما مقابلا للعنصــر الاول · ولا يعنى ذلك أن التفاعل يتم بين عناصــر بنــائية وانما يتــم بين كل يتكون من مجموعة من العناصر ، وعنصر عــليه أداء وظيفى معين بالنســبة لهذا الــكل · ويبــدأ التغير حينما يحدث تغــير وظيفى فى أداء أى من عناصر النسق ، اذ قــد يرفــع من كفــاءة الاسهام الوظيفى أو يقلل منها · وفى كلتــا الحالتين ، فانــه يصبح معــوقا وظيفيا بالنسبة للبناء الذى يشكل سياقه ، أما التغير فى كفــاءة الاســهام الوظيفى فأسبابه تكمن فى التأثير المتباين للبيئة الخارجية على وحدات النسق الداخلية

(٩) فى هذا الصدد يطرح بارسونز ملاحظة هامة وعميقة حينما يؤكد أن الثــورة لا يمكن أن تنجح فى اعادة صياغة النسق الا اذا كان بنــاء القــوة فى النسق غير متوازن أساسا · ويضرب مثالا لذلك بنجاح الثورة فى روسيا والصين ويرجع ذلك الى عدم اتزان بنــاء القوة ، حيث كانت هناك قلة حــاكمة تسيطر على جماهير عريضة ، خامــلة وساكنة فى كل شىء الا فى امكانية اثــارتها ودفعها فى حــركة ثورية عارمة وحاسمة تقضى عــلى النظام القائم · بل وعلى أساس ذلك يبرر عدم قيام الثورة أو نجاحها فى معظم البلاد الاوربية والولايات المتحدة وذلك لان بناء القوة فيها متزان أساسا ·

2) **Durkheim, E.** : Op. cit., pp. 85 - 86.

1) **Merton, R. K., « Social theory and social structure », Pp. 181-188.**

مما يجعل بعضها يؤدى اسهاما أو يتطلب اشباعا وظيفيا أكثر أو أقل من المعتاد ، أو قد يكون نتيجة للنمو أو الاضمحلال الداخلى لاى من العناصر البنائية مما قد يؤثر على طبيعة وحجم علاقاته الوظيفية · فاذا ما أصبح العنصر معوقا وظيفيا بالنسبة لبناء النسق فانه يصبح مصدرا لاثارة التوتر والتناقض ، فهو ذو أداء وظيفى ميسر لبعض الوحدات وهو ذو أداء وظيفى معوق بالنسبة لوحدات أخرى(٢) · أما رد الفعل البنائى تجاه هذه التوترات فيتنوع بين أساليب ثلاثة · فهو أما أن يبيح قدرا معينا من التوترات على الوحدات أن تتحمله من جراء التغير فى الآداء الوظيفى الخاص بهذا العنصر ، واما أن يغير الوحدات سبب التوتر فيرجعها الى طبيعتها الاصلية وبذلك يقضى على مصادر التوتر والتناقض ، وإما أن يمتلك العنصر الفاعلية القادرة فى مقابل سيطرة وضبط نسقى هش ، فيجبر البناء على التوافق معه عن طريق اجراء تغيرات شاملة وعميقة فى سياقه : قد يحدث ذلك على مراحل فيصبح تغيرا متدرجا وقد يكون فوريا اذا ما كان طلب التلاؤم والتوافق دفعة واحدة ·

النسق الوظيفى المتغير : ابعاده النظرية والمنهجية

نحاول فى هذه الفقرة تحديد خصائص الاقتراب المنهجى الوظيفى لدراسة التغير الاجتماعى · ونؤكد بداءة أن قضية التغير اقترب منها الرواد الوظيفيون بدرجات متفاوتة ، بحيث حكم هذا التفاوت بطبيعة بناء النسق الواقعى والتفاعلات الكائنة فيه · وجهدنا فى هذه الفقرة هو التركيز على توضيح أبعاد النسق الوظيفى المتغير على المستوى الصورى الا أن هناك اعتبارات ثلاثة لابد أن نعرض لها قبلا وهى :

١ ـ انه بقدر اعتبار النسق الوظيفى نسقا متوازنا ومتكاملا فانه يمكن التأكيد على امكانية وصف هذا النسق بأنه نسق متغير · وذلك لأن الميل الى التغير موروث فى الانساق الواقعية لانها عادة ما تواجه مشاكل لابد ان تجد لها حلولا عن طريق تغيير أى من عناصر الموقف · فقد يواجه النسق

2) Ibid, P. 30.

3) Merton, R. K. : «Social Theory and Social Structure», pp. 181 - 182.

مشكلة التطبيع الاجتماعى الناقص مما يولد بذور الانحراف فيه وقد يواجه ندرة فى البيئة الطبيعية فيما يتعلق باشباعات حاجاته مما قد يدفعه الى اجراء تعديلات فى البيئة أو فى بناء الحاجات ذاتها ، هذا بالاضافة الى امكانية وجود مجموعة من التوجيهات المعيارية المتناقضة بداخل النسق (١) . أو وجود مشاكل خاصة بعمليات الصياغة النظامية (٢) .

٢ ـ أن المكونات الاساسية لبناء المجتمع ليست النسق الاجتماعى ، وانما هى نسق الفعل الاجتماعى بشرائحه الست وهى البيئة الطبيعية ، والوجود العضوى البيولوجى ، ونسق الشخصية ، والنسق الاجتماعى ، ونسق الثقافة ، والغيبيات وما وراء الطبيعة . أما العناصر ذات الصلة المباشرة بالنسق الاجتماعى فهى نسق الشخصية ونسق الثقافة ، والتغير القادم من نسق الثقافة لابد أن يناسب حتى المستويات الدنيا وهو مايسمى بالتغير المنطلق من مراكز التحكم السبرنطيقى . أما التغير القادم من نسق الشخصية أو البيئة الطبيعية ، فيمكن تحييده وتحديده فى المستويات التالية ، وهو ما يسمى بالتغير فى العوامل الشارطة للوجود(١) .

٣ ـ اختلاف وجهات نظر الرواد الوظيفيين فيما يتعلق بقضية التغير عن وجهة النظر الوظيفية العامة فهى أقل منها شمولا لانها مجردة أساسا عن كم محدود من المعطيات الخاصة بواقع اجتماعى معين ، هذا بالاضافة الى احتمال تضمن وجهة النظر الخاصة لبعض المتضمنات الايديولوجية ، بينما يقوم العلم كنسق ادراكى بتخليص مقولات النظرية العامة من أى شوائب ايديولوجية . بيد أن هذا لا يعنى وجود اختلاف بين وجهة النظر الخاصة ووجهة النظر العامة ، ولكنه يوضح فقط أن

---

1) **Moore Wilbert, « A Reconsideration of social Change »**. A. S. R. No. 25. Dec. (1960). P. 817.

2) **Eisenstdt, S. N. « Institutionalization and social change »**. A. S. R. No. 29 ,April (April) Pp. 49-59.

1) **Parsons, T., « Societies : Evolutionary and Comparative perspectives »**. Englewood Cliffs, N.J. Prentice-Hall (1966) Pp. 1-24.

وجهات النظر الخاصة ما هى الا أجـزاء من كل شامل يجمع خصائصها الاكثر علمية وموضوعية ٠

وانطلاقا من الاعتبارات السابقة نوضح أن الابعـاد النظرية والمنهجية للنسق الوظيفى المتغـير هى كما يـلى :

أولا : اثارة التغـير : بين العامل الواحد والعوامل المتعددة ٠

ثانيا : نطاق التغير : بـين الجزئية والـكلية ٠

ثالثا : اتجاهات التغير : الداخلية والخارجية ٠

رابعا : معدلات التغير : بين التدريجية والثورية ٠

وفيما يـلى توضيح لهذه الابعاد :

أولا : اثـارة التغير : بين العامل الواحد والعوامل المتعددة

نستطيع أن نؤكد أن الفـكر الوظيفى فى موقفه من مثيرات التغـير كان يمثـل رد فعـل للنظريات التطورية والعاملية التى غـالبا ما كانت تعـطى لاى من متغايرات النسق الاولوية فى اثـارة التغير الاجتماعى والتحكم فى مساره كعملية حتى ينتقل بالنسق من شكل بنائى الى آخـر ٠ فاذا ارتـكبت النماذج التطورية السابقة خطأ منهجيا بتاكيدها على أهمية عوامل معينـة كالعوامل البيولوجية ، أو الجغرافية ، أو الاقتصادية أو القيمية الثقافية فى اثارة التغـير الاجتماعى ، فانه كان على الاتجاه الوظيفى كموقف مضاد أن يصلح هذا الخطأ المنهجى ويركز على شيوعية مثيرات التغير الاجتماعى . معنى ذلك ، أن التغير يمكن أن يثار بفاعلية أى من هذه العوامل أو بعضها أو كلها مجتمعة ٠ ولقـد تشكل الموقف الوظيفى نتيجة لبعض الاعتبارات النظرية والواقعية نـذكر منها ما يـلى :

ـ أن النظريات التطورية والعامـلية أكدت دائما عـلى عامل واحـد كمثير للتغير الاجتماعى ، ولقـد كان ذلك نتيجة لافتقادها المعرفة الامبيريقية الـكافية عن دور العوامل أو المتغايرات الاخرى وما يمكن أن تسهم بـه ٠ ذلك لان القضايا المتعلقة بتفاعلات التغـير لم تـكن متوفرة بعد ٠ وفى ظـل ذلك كانت محاولات معالجة قضية التغـير ناقصة ، اكتملت حينما توفـرت

المعرفة الامبيريقية الكافية عن التغير وانعكس ذلك فى الامكانية التى اعطاها الاتجاه الوظيفى لكافة المتغايرات وقدرتها على اثارة التغير(١)٠

ــ ان هذه النظريات الى جانب اسنادها مثيرات التغير الى متغايرات معينة بصورة مطلقة فانها صورت وجود المتغايرات الاخرى فى النسق تصويرا سلبيا ، فهى دائما تلعب دور رد الفعل دون أن تتجاوزه الى مستوى الفعل وايجابيته ، وذلك لتركيزها على تقسيم متغايرات النسق الى كونها كلها تابعة لاحد المتغايرات المستقلة فى اثارة التغير وفى التحكم فى تفاعله ومساره(١)٠

ــ لم يكن اعتقاد الاتجاه الوظيفى بشيوعية مثيرات التغير ، والمتغايرات التى تحكم تفاعله نتاج رياضة عقلية تأملية وانما كان نتاج توفر القدر الملائم من المعرفة النظرية والامبيريقية عن كفاءة وقدرة كافة متغايرات النسق على اثارة التغير الاجتماعى والسيطرة على تفاعله وهو ما أسهمت فيه بقدر النظريات العاملية ٠ هذا بالاضافة الى كونه نتاج قدر واسع من التجريد عن أنساق واقعية متباينة ومتعددة ، وذلك لان الاتجاه الوظيفى تأسس أصلا كمدخل لدراسة الواقع وفهمه ٠ ولقد أنجز ذلك كثير من الرواد الوظيفيين فى عدد من المجتمعات تختلف طبيعة التغير ومثيراته فى كل منها عن الاخرى ٠ ومن هنا ، كان من الضرورى أن تنعكس هذه المعطيات المتباينة فى قدرة وبناء النظرية الوظيفية التى أكدت على منهجية اعطاء اعتبار لكافة متغايرات النسق وادراك امكانياتها كمثيرات للتغير ٠

ــ يبقى بعد ذلك أن نوضح طبيعة التصور الوظيفى لعلاقة المتغايرات فى تفاعلات التغير الاجتماعى ٠ اذ يؤكد هذا الاتجاه على الادراك الكلى للواقع كنسق يحتوى على جمع من الوحدات ٠ وبنوع من التجريد فانه يدرك الواقع من ناحيتين ، أولاهما على أنه وحدة كلية اذا أعطينا اعتبارا لعلاقات الاسهام الوظيفى المتبادل بين عناصره الجزئية ، والثانية على انها

1) Parsons, T., « The Social System », Pp. 493 - 494.

1) Ibid, P. 494.

وحدات متجاورة اذا أعطينا تركيزا هاما على بناءات هذه الوحدات وعلاقاتها الداخلية · بيد أن هذا لا يعنى وجود نوعين من الادراك بقدر ما يهدف الى توضيح العلاقات الوظيفية بين الاجزاء والكل أو بين الاجزاء وبعضها البعض ذلك لأن البناء الاجتماعى يشكل كيانا كليا يحتوى على جمع من المتغايرات التى تمتلك درجات متفاوتة من الاستقلال والتساند · ويؤكد الادراك الوظيفى على أن البناء الكلى له حاجاته التى على أجزائه اشباعها من خلال أدائها الوظيفى ، فالحاجات هى نقطة البدء والانطلاق فى عملية التفاعل الوظيفى · من هنا ، فكافة الوحدات أو المتغايرات الداخلية يمكن اعتبارها تابعة لمتغاير رئيسى هو البناء الاجتماعى · حتى اثارة التغير يطرحها هذا البناء من خلال أى من وحداته أو متغايراته ذات الصلة بمصادر التوتر والقلق الذى يعانيه هذا البناء ·· وبذلك يصبح أمامنا

متغاير مستقل هو البناء الاجتماعى الذى قد يطرح حاجته الى التغير ، ومتغايرات تابعة هى وحدات هذا البناء التى عليها أن تستجيب لهذه الحاجة بأن تطرح الاداء الوظيفى الذى يتلاءم واشباع الحاجة الى التغير الذى يتم اما فى شكل بناء الوحدة أو الوحدات أو فى طبيعة أدائها الوظيفى ، يستوى فى ذلك أن تنطلق شرارة التغير من الكثافة السكانية على ما يؤكد دوركيم(١) · أو من العامل الدينى فى النسق على ما يؤكد رادكليف براون(٢) · أو من التكنولوجيا على ما يؤكد مالينوفسكى(٣) · أو العلم على ما يؤكد بارسونز(٤) أو حتى العوامل الايكلوجية ، كانفجار البراكين ، أو تعرض بناء النسق للهجرة منه أو اليه نتيجة للغزو على ما يذهب هوجين(٥) ·

ثانيا : نطاق التغير : بين الجزئية والكلية

اذا كنا قد فرقنا فى الفقرة السابقة بين بناء النسق كوحدة كلية

1) **Durkheim, E., « The division of labor in society ».**

2) **Radcliffe-Brown & Daryll Ford, Op. cit.,** Pp. 84-85.

3) **Malinowski, B., « Argonauts of the Western Pacific »**. P. 154-156.

4) **Parsons, T., « The social system »**. Pp. 505-506.

5) **Hogben, J., Op. cit.,** Pp. 1 - 2, 4 - 5.

وقلنا أنها تشكل المتغير الرئيسى والمستقل ، وأن وحدات هذا البناء يمكن أن تلعب دور المتغايرات التابعة فى علاقتها معه . فاننا سوف نحاول فى هذه الفقرة دراسة علاقة كل من هاتين الوحدتين بعملية التغير :
ولتوضيح ذلك سوف نعرض لوجهتى نظر . أولاهما كما يسميها البعض بوجهة النظر البنائية ، أما الثانية فوجهة النظر الوظيفية . ويهتم الاتجاه البنائى بالوحدة الفرعية ويؤكد على طبيعة تفاعلها الداخلى ، ومن ثم يمنحها دائما درجة عالية من الاستقلال عن النسق الذى يشكل سياقها . ونتيجة لذلك ، فان الوحدة قد تواجه التغير اما كاستجابة لتغيرات خارجية عليها أن تتلاءم معها ، أو أن الوحدة ذاتها نتيجة لتفاعلها الداخلى قد تؤصل التغير فى بناء النسق ، ومن ثم فهى أحيانا ما تطرح التغير دون أن يكون للبناء حاجة الى هذا التغير ، وبالتالى فقد تعمل على تغيير الشكل البنائى كلية . وعادة ما تميل وجهة النظر هذه الى عدم الارتباط بكلية النسق ومن ثم الاهتمام بعمليات الانحراف والتغير والصراع ، فالجزء فى وجهة نظرها هو الوحدة الفعالة أو النشطة فى اثارة التغير وعلى عكس ذلك نجد وجهة النظر الوظيفية التى لديها التزام بكلية النسق ومن ثم تركز كثيرا على العمليات التى تؤكد التوازن وتدعمه ، ونتيجة لذلك فهى لا تؤمن بأن يكون للوحدة الفرعية مشروعية المبادأة فى اثارة التغير وطرحه على الكل(١) . ويفرق جونسون بين نوعى التغير هذين فيؤكد أن التغير الوظيفى هو تغير قد ينتاب احدى وحدات البناء ، أما التغير البنائى فهو الذى ينتاب البناء كلية ، فالتغير من الرأسمالية الى الاشتراكية يعد تغيرا بنائيا(٢) .

والحق أن التفرقة بين وجهتى النظر هاتين تفرقة تعسفية ليس لها سند منهجى ، ذلك لان الاتجاه الوظيفى لا يهتم فقط بالاداء الوظيفى للوحدات أى العلاقات بين الوحدات دون الاهتمام ببناء هذه الوحدات .

---

1) **Demerath, III, N.J., « Synech‑de and structural functionalism ».** P. 514.

2) **Johnson, Harry M., « Sociology : Asystematic introduction ».** Routledge and Kegan Paul Ltd, Losdon (1961) P. 70.

حقيقة ، أن اهتمامه الرئيسى يتركز عادة فى الوحـدة الاشمل الذى وقـع بداخلها التغير ، الا أن هـذا لا ينفى اعتقاده بأن الجزء يمكن أن يؤصل التغير • بيـد أن التغير الذى يؤصله الجـزء قد يحيد ويحدد فى المستويات الاشمل اذا لم تـكن هنـاك حاجة الى مضمون هـذا التغير ، وقد يقبلهـا البناء ومستوياته العليا اذا هى قدمت حـلا لمعضلات لديه • وبذلك يتـلاءم البنـاء معها باجراء تغيرات تلاؤمية فى كافـة الوحـدات الاخرى • وحينئذ يتغـير الشكل البنائى ليس نتيجة لتغيرات ناتجة عن الوحدة ولـكن نتيجـة لحاجات متجـددة لـدى البنـاء أوجبت التغـيرات فى وحـدة معينـة(*) • وبذلك يصبح الفصل بين وجهة النظـر الوظيفية لـكونها ذات الـتزام كـلى ووجهة النظر البنائية لـكونها ذات الـتزام جزئى بتـكامل النسق فصـل لا معنى له ، وهو الفصل الذى يصنف دى مـيراث على أسـاسه بارسونز كباحث وظيفى وميرتون كباحث بنائى نظرا لطبيعة التزام كل منهما(**) •

ثالثا : اتجاهات التغير : منطلقاته الداخلية والخارجية :

يعد بعـد الداخلية والخارجية فيما يتعلق بنقطة بـدء التغير فى بناء النسق ، ثم اتجاهه بعد انطلاقه من أهـم الابعاد التى تميز النسق الوظيفى المتغـير وأيضا من أهم الابعاد اثـارة للجـدل والنقاش • اذ توجـد بعض وجهات النظـر التى تؤكد أنـه اذا كانت الوحـدة الجدلية وحـدة متناقضة

(*) يمكن أن نعتبر وجهة النظر الماركسية فى التغير وجهة بنائية اذا نحن أيدنا وجهة نظـر دى ميراث • ذلك لان التغير فى أساليب الانتـاج يـؤدى الى تغيرات تالية وشـاملة فى البناء الاجتماعى الذى تعد أساليب الانتـاج احدى عناصره بيـد أن الحاجة الى أساليب انتـاج غير الاساليب الحـالية ـ بالنسبة للشكل البنائى ـ هى التى أوجبت التغـير فى هذه الاساليب ، ومن ثـم ، فهى حاجة بنائية أساسا دفعت الى التغير ، قـد تتـواجد أسبابها فى الظروف الخارجية أو الداخلية للبناء الاجتماعى •

(**) الحق أن التزام بارسونز لايختلف كثيرا عن التزام ميرتون . وانما الاختلاف بينهمـا يكمن فقط فى أسلوب التحليل • فبينمـا يتخـذ بارسونز من كلية النسق عـلى المستوى التصورى اطاره المرجعى فى الوصف والتحليل والتفسير وذلك نظرا لاهتمامه بالصياغات التصـورية الشـاملة أسـاسا . نجـد مـيرتون نتيجـة لاهتمـامه بالصياغة التصورية المتوسطة التى تركز على بعض متغايرات الواقع أو نتيجة لتركيز جهـده أساسا عـلى تحديد الاجراءات المنهجية لفهم النسق بالدخول اليه من خـلال احدى وحداته وتتبـع العلاقات الوظيفية التى تربطها ببقيـة الوحدات لا يلتزم ظاهريا بهذه الكلية النسقية • فاختلافهما لم يـكن اختلافا وظيفيـا بنائيا وانما هو اختلاف بين مـدى ارتباط كل منهما بالصياغات النظرية أو الاجراءات المنهجية الملائمة لتناول الواقع الامبيريقى •

فى صميمها ، فـان الوحدة الوظيفية على نقيضها وحدة متكاملة أساساً ·
ومن هنا ، فعوامل التغير لا يمـكن أن تشهد انطلاقا من الداخـل ، وانما تلعب البيئـة الخارجية للنسـق دور الاطار الذى تنطلق منه عوامل التغـير تجـاه النسـق الوظيفى ، وليس للأخير سـوى التـكيف مع هـذه العوامل التى طرأت عليه من خارجه ··

وفيما يتعلق بهذه القضية نسـتطيع أن نميز بين ثلاثة مواقف داخل المعسكر الوظيفى · أما الموقف الاول فيقوده علماء الوظيفية الانثروبولوجية ذوو الريادة فى الدراسات الميدانية ونذكر منهم مالينوفسكى ورادكليف براون وهم يرون أن التغير أساسا من الخـارج الا أن هـذا لا ينفى امـكانية قيـام تغـير من الداخـل · فمالينوفسكى يـرى أن التغـير الذى حـدث فى جـزر التروبرياند سـببه يكمن فى مصانع اللؤلؤ التى أقامها الرجـل الابيض وفى القوارب التجارية التى أسهمت فى الغـاء سحر رحـلات الكولا عماد البنـاء التروبرياندى(١) ، وكـذا دراسته للتغـير الثقـافى فى المجتمع الافـريقى ، ومفهومه عن نقطة الصفر وهى اللحظة الافتراضية السابقة على ورود عوامل التغير واشتعال عملياته(٢) · هذا بالاضافة الى تأكيد رادكليف براون على أن التغير فى المجتمعات البدائية يرجع أساسا الى قوافل التبشير التى ساقها الرجـل الابيض والى عـوامل ثقافية أخـرى وهى كلها عوامـل من خارج النسـق(٣)·

أما الموقف الثانى فنمثله بعلماء الوظيفيـة السوسيولوجية ، ولهـم رؤيتهم المخالفة اذ يـرون أن التغـير من الداخـل أسـاسا ، وذلك استنادا الى الغرض العضوى المتعلق بالحجم الامثـل للوحدة ، وهو يعطى مثـالا لذلك بالزيادة السكانية التى أسهمت فى تغيير شـكل بناء التضامن الآلى الى التضامن العضوى هذا بالاضافة الى تأكيد رادكليف بـراون على التغير من

---

1) **Malinowski, B.** : **Op. cit.** : Pp. 465 - 468.

٢ ـ احمـد ابو زيـد ، مرجع سابق ·ص ٢١٨

3) **Radcliffe-Brown, A. R. & Daryll Ford, Op. cit**. : Pp. 84 - 85 ; and **see** also **Radcliffe-Brown, « Structure and function inprimitive society »**. P. 164.

الداخل أيضا سيرا على نفس الخطوط الدوركيمية اذ ينسب الى التغير من الداخل انشقاق الوحدات القرابية ، بل والتغير فى النظام الزواجى الانجليزى مثلا(٤) • هذا بالاضافة الى موقف روبرت ميرتون الذى يرجع منطلقات التغير الى المصادر الداخلية التى تكمن أساسا فى التناقض الذى قد يسود السياق الثقافى أو الذى قد يسود العلاقة بين السياق الثقافى والسياق الاجتماعى(١) •

أما الموقف الثالث فنمثل له بتالكوت بارسونز الذى يرى أن مصادر التغير التى عرض لها الوظيفيون الانثروبولوجيون والسوسيولوجيون كلها تغيرات تأتى من خارج النسق ، سواء تمثل ذلك فى الزيادة السكانية للوحدة عن حجمها الامثل أو سواء نسب ذلك الى العوامل الحضارية والثقافية الواردة ، حيث يؤكد أن هذه كلها تغيرات من خارج النسق الاجتماعى •

بيد أن الخلاف بين الموقف الثالث والموقفين السابقين داخل المعسكر الوظيفى هو خلاف مظهرى ، يرجع أساسا الى مستوى التناول العلمى • فبينما يتناول الموقف الاول والثانى المجتمع كوحدة واقعية وامبيريقية تضم بداخلها ما هو عضوى مع ما هو اجتماعى وثقافى ، نجد أن الموقف الثالث يتناول النسق كوحدة تحليلية مخلصة مما هو غير اجتماعى • وبذلك فما هو عضوى وثقافى خارج عن النسق الاجتماعى •وعلى هذا ، فان العوامل غير المنبثقة من هذه السياقات تعد عوامل آتية من الخارج • بيد أننا لا نتوقع أن يكون هناك خلاف بين هذه المواقف الثلاثة اذا اتفق تناولهم على أى من المستويات سواء كانت المستويات التحليلية أو الامبيريقية • أما الخلاف الذى نشأ بين الوظيفية الانثروبولوجية والوظيفية السوسيولوجية فليس خلافا بين النماذج النظرية التى طورها رواد كل اتجاه ، وانما خلاف فى الواقع الذى كان موضعا للدراسة ، ومن ثم تجريد المقولات النظرية عنه • فالمجتمعات البدائية هى نطاق دراسة الوظيفية

---

4) **Radcloffe-Brown, A. R. & Daryll Ford**, Op. citt., Pp. 68-69.

1) **Merton. R. K., « Social theory and social structure »**, Pp. 132-151.

الانثروبولوجية بكل ما يعكس هذا الواقع من رفض للتغير الداخلى لانه متجانس ومتكامل أساسا ، ومن هنا ركزت النماذج النظرية على التغير من الخارج · أما الواقع الذى جردت عنه الوظيفية السوسيولوجية فهو واقع المجتمعات الصناعية ، بكل ما تحمله من فردية وتخصص وتباين داخلى من شأنه أن يمهد لتوترات وضغوط تصبح مقدمة للتغير والتطور على الحالة المثيرة للتوتر والضغوط · بذلك لا يكون الخلاف حول مقولات النظرية بقدر ما هو خلاف حول استخدام هذه المقولات فى تناول مجتمعات واقعية متباينة ·

بيد أن هناك اتهاما وجه الى الاتجاه الوظيفى من خارج المعسكر الوظيفى يؤكد أن النسق الوظيفى نسق متوازن وثابت مدعم لذاته ، وهو نسق غير مهيأ للتغير الا اذا دهمته عوامل التغير من الخارج · وللاجابة على هذا الاتهام نسوق التوضيح السابق لموقف الاتجاه الوظيفى من داخلية وخارجية عوامل التغير · هذا بالاضافة الى قضية منهجية تتعلق بحدود الوحدة التى تنبثق منها أو تأتى اليها عوامل التغير ، هل هى القرية الصينية أم المجتمع الصينى أم الامبراطورية البريطانية بكل مستعمراتها وفقا لتساؤل رادكليف براون(١) · الاجابة على هذا التساؤل يسوقها بارسونز تحليليا ، اذ يؤكد انتظام الوجود المجتمعى فى وحدات فرعية لوحدة شاملة هى بالتالى فرعية لوحدات أشمل حتى النسق العالمى الشامل · بذلك يعتبر أى مجتمع أو وحدة اجتماعية نسقا شاملا لما هو دونه وفرعيا لما هو أعلى منه(٢) · وبذلك فان عوامل التغير قد تأتى الى مجتمع من خارجه من الناحية الواقعية لكنها من الناحية التحليلية آتيه اليه من نسقه الأشمل ، وهى بهذا المعنى تظل عوامل داخلية · **يعنى ذلك ان التغير الوظيفى فى مستواه التحليلى يعتبر من الداخل أساسا تسببه بعض التناقضات التى قد تتواجد داخل النسق الاجتماعى ـ بأى من مستوياته ـ والتى قد تتولد**

---

1) Radcliffe-Brown, A. R., « **Structure and Function in primitive society** », P. 181.

2) **Parsons, T., « Some considerations on the theory of social change »
Pp. 223-236.**

اما نتيجة لعوامل ثقافية كاسهامات العلم والتكنولوجيا ، أو نتيجة لتغيرات وقعت فى البيئة الفيزقيية ، او نتيجة للتغيرات التى قد تقع فى الاطار البيولوجى العضوى لنسق الشخصية ، وبذلك يسقط هذا الاتهام من أساسه ٠

رابعا : معدلات التغير بين التدريجية والثورية

نظرا لان ميلاد وجهة النظر الوظيفية تم فى أحضان المجتمعات البدائية . فانه كان منطقيا أن تركز على مقولات الاستقرار والتوازن ، فاذا تناولت التغير ، فالاكثر ملاءمة أن تتناول التغير التدريجى لكونه تغيرا يسهم فى تكيف النسق وتوازنه ٠ بيد أن ذلك أصبح اتهاما بعجز هذا الاتجاه عن تناول قضايا التغير الثورى حتى بعد أن تخطى هذا الاتجاه فى تناوله الواقع البدائى الى الواقع الصناعى المتقدم المتخم بناؤه بقضايا الانحراف والصراع والتغير والثورة ٠

ولمناقشة هذا الرأى نرى ضرورة استعراض الموقف الوظيفى من قضية التغير التدريجى والتغير الثورى ٠ بداءة ، يؤكد الاتجاه الوظيفى على مسألتين : **الاولى** تتعلق بأن الواقع لا يعيش وجودا متطرفا تسوده اما حالات التكامل والتوازن التام أو حالات التغير والصراع الكاملة ٠ فالواقع فى حالته السوية عادة ما يعيش حالة من التوازن الدينامى وهى الوجه الآخر للتغير التدريجى(١) ٠ الا أن هذا لا يمنع من تعرض البناء فى مراحل معينة ولعوامل معينة أيضا لحالة من التغير الثورى المتطرف اذا وجد من العوامل ما جعله يعيش فى ظل حالة من التوازن والثبات المتطرف أيضا ٠ أما **المسألة الثانية** فتتعلق بمعنى مقولة التوازن والتكامل هذه ، حيث يؤكد الوظيفيون على ضرورة التوازن والتكامل بالنسبة لأى نسق اجتماعى كى يتفرغ هذا النسق لاداء عملياته الاخرى ذات الاهمية المحورية بالنسبة لوجوده الحيوى كالتكاثر والتطبيع والانتاج ٠ ومن ثم ، فقد يهتز التكامل ويصاب النسق بعدم الاتساق ، ويظل ذلك

1) **Durkheim, E., « The division of labor in society », Pp. 408-409.**

أمرا طبيعيا على النسق تجاوزه لتحقيق حالة التوازن والتكامل من جديد وهى بلا شك تكون أكثر تطورا من الحالة السابقة ٠

ونتيجة لذلك فان موقف النسق على بعد التكامل والاتساق أو عدم التكامل وعدم الاتساق هو الوجه الآخر لموقفه على بعد التغير التدريجى والتغير الثورى ، فقدر التغير يتلاءم وقدر الاتساق والتكامل ٠ والحياة الواقعية بها كلا طرازى التغير ٠ **وتصبح القضيه الرئيسيه متى يسود التغير التدريجى أو التغير الثورى ؟ ثم متى يكون التغير الثورى أكثر ملاءمة للوجود الحيوى للنسق ؟ وما هى شروط نجاح التغير الثورى ؟**٠

يتعلق السؤال الاول أساسا بدرجة التكامل والاتساق التى يعيشها النسق ٠ بمعنى أننا اذا قلنا أن النسق يتكون من مجموعة من الوحدات فان الحالة المثالية أن يكون الاداء الوظيفى لكل وحدة ميسرا لبناء النسق وبالتالى وحداته ٠ أما اذا حدث لعوامل طارئة وأصبح الاداء الوظيفى للوحدة معوقا بالنسبة لبناء النسق فان ذلك يؤدى الى وجود توترات وضغوط داخل هذا البناء ، بحيث أن هذا البناء اما أن يتكيف مع هذا الاداء الوظيفى المعيب وتتحمل وحدات البناء عبء ذلك ، واما أن يعدل من الوحدة حتى توفر أداء وظيفيا ملائما ، واما أن يثبت الوضع على ما هو عليه وبذلك يظل مجرى التوتروالتناقض منسابا ٠ واستجابة البناء بالتكيف مع الوحدة أو تغييرها يدخل حتى هذه اللحظة فى اطار التغير التدريجى التلاؤمى ، أما تثبيت التوتر وترك قنواته دون أية تكيفات من جانب البناء أو الوحدة فقد يؤدى الى سلسلة من المعوقات الوظيفية كرد فعل لهذا الموقف ، ومن ثم الى تراكم ضغوط وتوترات داخل بناء النسق ، والى سيادة حالة من عدم الاسهام الوظيفى الميسر أى حالة من عدم التكامل والتوازن والاتساق وبذلك يصبح بناء النسق هنا أمام أحد عناصره الذى قد يمتلك من القدرة على فرض اتساق جديد على النسق يخلصه من تواتراته السابقة ومصادر هذه التوترات ٠

فاذا أردنا أن نمثل لهذا التجريد السابق ، فاننا سوف نستعين بمعالجة اثنين من الرواد الوظيفيين وأكثرهم حداثة لقضية التغير الثورى ٠

نقطة البدء عند كل منهما هى وجود تناقض بنائى بين السياق الثقافى والاجتماعى أو بين الاهداف والوسائل كما يذهب ميرتون(١)· أو وجود تناقض فى النعمه العامة للمجتمع لا تلائم الاشباع الحافزى لبعض من وحدات النسق (١) بيد ان هذا التناقض لا يلغى تدريجيا وانما يثبت بايديولوجية تطرحها احدى الفئات التى يلائمها هذا الوجود المتناقض(٢) . ومن ثم ، فانه يؤدى الى قيام ضغوط وتوترات تؤدى الى انسحاب من يقع عليهم التناقض من المشاركة الايجابية فى تفاعل هذا البناء ، والعمل على طرح معايير جديدة تحكم فعلها وتسهم بذلك فى امتلاء البناء بقواعد معيارية كثيرة ومتناقضة ليس هناك اتفاق عام عليها ، وهى ما تسمى بحالة الانومى · ويكتب النجاح للتغير الثورى اذا ظهرت جماعة تمتلك ايديولوجية خاصة وقوية فى مواجهة بناء يتغلغل الانومى فى كل أرجائه · وهى الجماعة التى يسميها ميرتون بـ «المتمردين» أو «الثوار»(٣) أو التى يسميها بارسونز بالجماعة الثورية الكاززمية(٤)·

يبقى بعد ذلك أن نوضح أن البناء اذا ما خضع للتغير التدريجى أو التوازن الدينامى المستمر فانه عادة لا يواجه بالتغير الثورى وذلك لأمرين : **الأول** يتمثل فى أن التغير التدريجى يقوم بما يمكن أن يقوم به التغير الثورى · مثال ذلك ، نفترض أن هناك بناء يخضع لتغير تدريجى ملائم على مدى فترة زمانية محددة · فى نهاية هذه الفترة سوف نجد لدينا شكلا بنائيا مختلفا عن الشكل الذى بدا منه التغير التدريجى ويكون الفارق هو حجم التغير الذى تحقق خلال هذه الفترة ، فاذا ما قارنا هذا البناء ببناء آخر يعيش نفس اللحظة الزمانية لكنه لاسباب متعددة لا يجرى هذه التغيرات التدريجية بل يكون مخزنا للتوتر والضغوط بسبب التعويق الوظيفى الذى يسوده خلال نفس الفترة التاريخية دون تصريفه

1) **Merton, « Social theory and social structure »**. Pp. 132-151.

1) **Parsons, T. « The social system »**, Pp. 523 - 526.

2) **Merton** : **Op. cit.**, P.170.

3) **Ibid.**, P. 191.

4) **Parsons, T** : **Op. cit.**, pp. 520 - 535.

حتى أنه يصاب بحالة كاملة من عدم الاتساق والتكامل الذى يؤهل لقيام الفعل والتغير الثورى اذا توفرت شروطه الاخرى الملائمة • من هنا فان التغير الثورى لم يبدأ لحظة وقوعه وتغييره للشكل البنائى وانما يتأكد ميلاده فى اللحظة التى يستطيع بناء النسق فيها ممارسة مجموعة من التغيرات التدريجية التى تنجز تكيفه والظروف المتجددة • ذلك يفسر انعدام الفعل والتغير الثورى فى بناءات المجتمعات الصناعية المتقدمة ، ويبرز انتشار الفعل والتغير الثورى بصورة لافتة للنظر فى بناءات المجتمعات المتخلفه والنامية •

أما الامر الثانى الخاص بعدم امكانية أن تواجه البناءات الخاضعة لطراز التغير التدريجى حالات التغير الثورى التى تحطم من شكل بناء النسق فيتعلق بطبيعة بناء القوة فى النسق ، فاذا كان متوازنا ، أى موزعا بين مختلف العناصر على أساس من القواعد التى تحكم ذلك فان ذلك يوفر نوعا من الاستحالة أمام نجاح الفعل الثورى • وذلك يفسر سبب نجاح الثورة فى الصين وروسيا والبلاد النامية والمتخلفة وعدم نجاحها فىالمجتمعات الاوربية والولايات المتحدة بالرغم من وجود الجماعات الثورية واليسارية ذات الكيان الواضح فى بناء هذه المجتمعات • ذلك يرجع أساسا الى طبيعة بناء القوة فى هذه المجتمعات فبينما هو غير متوازن كما فى الصين وروسيا قبل الثورة ، حيث تحكم حفنة قليلة جماهير عريضة ساكنة وخاملة فى كل شىء الا فى امكانية دفعها فى حركة ثورية كاسحة تلغى كل شىء نجده متوازنا فى المجتمعات الاوربية والامريكية(١) •

معنى ذلك أنه مقدور على المجتمعات التى تحجم عن اجراء التغيرات التدريجية التى تتلاءم بها مع الظروف المتجددة من الداخل أو المطروحة عليها من الخارج حتمية أن تواجه التغير والفعل الثورى الذى يلغى كل شىء لكى يقيم مكانه ما هو متكامل وأكثر اتساقا وتوازنا •

1) Ibid, P. 523.

خــاتمة

فى نهاية هذا الاستعــراض لمـوقف الاتجـاه الوظيفى من قضــية التغير الاجتماعى نود أن نتعرض لمسألتين هامتين : الاولى تتعلق بكفاءته فى تنــاول قضايا التغير الاجتماعى أما المسأله الثــانية فتتعــلق بطبيعة فهمــه لعمليات التغير الملائمة لمجتمعات العالم المتباينة ٠

وفيما يتعــلق بالمســألة الاولى تقــدم الاتجـاه الوظيفى عــلى كافــة النظريات الاخرى من حيث ايمانه بشيوعية عوامل التغــير وهو بذلك يسجل تطورا على النماذج النظرية السابقة عليه خاصة النماذج العاملية ٠ وهــو وان آمن فى بداية نشــأته بالتغــير التدريجى الاأنه انطلاقا من نفس مقولاته النظرية واتساقا معها يحاول أن يقدم فهما للتغير الثورى ، وبذلك فهو يضــع نفســه على بداية طريق أن يــكون نظرية سوسيولوجية شاملة أكثر وعــدا وفعالية ٠

أما المسألة الثــانية وهى تحــديده لعمليات التغــير المحورية الملائمــة لمجتمعات العــالم المعاصرة فنوجزها فى أنــه اذا كانت عمليات التغير ثلاثة ، هى التغير التدريجى بفعل العــلم والتكنولوجيا ، والتغير التدريجى بفعــل النمو الداخلى على غرار النمو العضوى ،والتغير الثورى فان هذا الاتجاه يــرى أن العملية الاولى والثانية عادة ما تحــكم تفاعل المجتمعات الصناعية المتقدمة ٠ بينما العملية الثانية عــادة ما تحــكم التفاعل فى مجتمعات العالم البدائية والمتخلفة ٠ بينما العملية الثالثة الى جــانب العمليات الاخــرى هى قاسم مشترك فى معظم البلدان النامية الى جانب العمليتين السابقتين ٠

المـراجـع العربيـة

١ ـ **ابو زيد احمد** ، «البناء الاجتماعى · المفهومات» ، الجزء الاول ، الدار القومية للطباعة والنشر (١٩٦٥) ·

٢ ـ **عارف ، محمـد** ، «المنهج الكيفى والمنهج الكمى فى علم الاجتماع» ، رسالة دكتوراه منشورة ، (١٩٧١) ·

REFERENCES

1) **COHEN, PERCY S.**, (« **Modern Social Theory** », **Heine-man**, London (1968).

2) **COSER, L.**, « **The Function of Social Conflict** », Gleonce Ill., The Free Press (1956).

3) **DEMERATH III. N.J.**, Synechocde and Structural Functionalism. **in, « System change and conflict** ». The Free **Press, New York**, London (1968).

4) **DURKHEIM, E.**, « **The Division of Labor in Soiiety** ». The Free Press (1966).

5) **EINSENSTADT, S.N.** Social change. differentiation and evolution, in, **Demerath III, N.J. and Richard Peterson, R.** (ed) « **System Change and Conflict** ». The Free Press, NewYork, London (1968).

6) **GOULDNER, ALVIN**, « **The Coming Crisis of Western Sociology** ». Hein-man, London (1971).

7) **HOGBEN, J.**, « **Social Change** », Watts, London (1958).

8) **JOHNSON. HARRY M.**, « **Sociology : A systematic introduction** ». Routledge and Kegan Paul, Ltd., London (1961).

9) **MAGUMDAR, D. N. and MADAN, T. N.**, « **An introduction to Social Anthropology** », Asia Publishing House, Bombay, Calcotta, New York (1961).

10) **MARTINDALE, D.**, « **The Nature and Types of Social Theory** ». London, Routledge and Kegan Paul (1961).

11) **MALINOWSKI, B.**, « **Argonauts of the Western Pacific** ». **London, 1922.**

12) **MALINWSKI, B., « Dynamics of Cultural Change »**. New Haven. Yale University (1944).

13) **MALINOWSKI, B., « A Scientific Theory of Culture and Other Essays »**. A Galaxy Book, New York, Oxford Press (1960).

14) **MAIR, L.,** Malinowski and the study of social change, in, **RAYMOND FIRTH** (ed.) **« Man and Culture »**.

15) **MERTON, R. K., « Social Theory and Social Structure »**, the Free Press of Gleonce (1962).

16) **MERTON, R.K.** : (Anomie, Anomia, and Social interaction, in **MARSHALL, B. CLINARD (ed.) « Anomie and Deviant** Behaviour », The Free Press, New York, London (1969).

17) **PARSONS T., « The Social System »**. The Free Press, Gleonce Illinois-Hill (1952).

18) **PARSONS. T.. « Societies : Evolutionary and Comparative Perspectives »**, Englewood Cliffs. N. J. Prentice-Hall (1960).

19) **PARSONS, T.**, A Paradigm for the Analysis of Social Systems and Change, in, **« System Change and Conflict »**.

20) **RADCLIFFE-BROWN. A. R., « Structure and Function in Primitive Society »**. London. Oxford University Press (1952).

21) **RADCLIFFE-BROWN. A.R. « A Method in Social Anthropology »** Chicago, University of Chicago Press (1958).

22) **RADCLIFFE-BROWN. A. R. and DARYLL FORD** (ed.) **«African** System of Kinship and Marriage ». Oxford University Press London (1960).

23) **EISENSTADT. S. N.**, Institutionalization and Social Change, **Amer. Soc. Rev.** No. 29. April (1964).

24) **MOORE. WILBERT**, A Reconsideration of Social Change. **Amer. Soc. Rev.** No. 25. Dec. (1960).

25) **PARSONS. T.** Some Considerations on the Theory of Social Change. **Rural sociology**, No 4 (1961).

THE ADEQUECY OF FUNCTIONALISM IN STUDING SOCIAL CHANGE

By

ALY, LAYLAH

Social change is considered the crucial phenomenon or process in the structure of modern society because many factors such as science, technology, means of communication and all changes in the sizes and contributions of structural elements.

The subject of this article is to clarify the nature and characteristics of functional position towards the problem of change. The researcher starts by clarifying the difference between the theory and the theoretical model and shows the dialectical relations between them. Then he determines — from his point of view — the essential conditions to estalish a theory of social change, next he applies these conditions to the structural - functional school and its views about social change.

Then the researcher also delineats the next methodological dimensions of functional theory about change in social systems.

1) The development of change between the unique factor and the multi-factors.

2) The range of change between the part and the whole.

3) The attitudes of change between internal and external variables.

4) Rates of change between gradualness and radicalism.

Then the researcher has determined the position of functionalism about processes of change suitable to various societal patterns.

بمناسبة العام العالمى للمرأة :

تصـدر المجلة الاجتماعية القومية عـددا خاصا عن المـرأة يتضمن البحـوث والمقـالات الآتيـة :

★ **المفهوم العـام للمرأة المصـرية المعاصرة ·**
الدكتور سـيد عويس

★ **دور المـرأة فى المجتمع المصـرى الحديث**
الدكتورة سامية الساعاتى

★ **الوضع الاجتماعى للمرأة القروية المصرية**
الدكتور عبد الباسط محمد عبد المعطى

★ **بعض الخصائص الديمجرافية للمرأة المصرية**
الدكتور عاطف خليفـة

★ **تحرير المـرأة ·· وتطور الانسـان**
الدكتور يحيى الرخـاوى

★ **عـلم النفـس وقضـايا المـرأة**
الدكتور فـرج أحمد فـرج

★ **الابـداع وسمات الشخصية لدى الانـاث**
ناهـد رمـزى

★ **سمة «المرونة ـ التصلب» لدى العاملات وغير العاملات**
فايزة يوسف

★ **دور المرأة فى التنمية من خـلال الجهود النسائية فى العمل الاجتماعى الشـعبى**
ثـريا خطاب وعلى فهمى

★ المرأة وقـوانين الاحـوال الشخصية
عصـام المليجى

★ **تغير الوضع الاجتماعى للمرأة (باللغة الانجليزية)**
الدكتور مصطفى سـويف

الى جانب الابواب الثابتة : رسائل جامعية ، عرض الكتب ·

مؤتمرات

المؤتمر العالمى للسكان

بوخارست ١٩ ـ ٣٠ ـ اغسطس ١٩٧٤

الدكتور عزت حجازى

ليس ثمة موضوع يسترعى اهتمام المفكرين والمسئولين التنفيذيين كما يفعل موضوع « السكان » · ثمة بالطبع ، موضوعات هامة أخرى ، مثل التنمية، والغذاء، والبيئة ، وغيرها، ولكن مناقشتها هى الاخرى تقود بالضرورة الى موضوع السكان · ومنذ منتصف القرن بدأ بعض المفكرين ، وخاصة فى الدول الرأسمالية ، يردون اخفاق خطط « التنمية » فى تحقيق أهدافها الى زيادة السكان ـ فى معظم دول العالم الثالث ـ بمعدلات فاقت ما استطاعت أن تحققه فى مجال التنمية أو قللت من أهميته · وأصبح موضوع السكان ـ أو « الانفجار السكانى » فى التسمية غير الدقيقة ـ أكثر ترددا فى السنوات الاخيرة ، بعد أن لوحظ أن ثمة ضغطا متزايدا على موارد العالم من الغذاء والطاقة ، وبخاصة بعد أزمة البترول وتناقص انتاج العالم من الحبوب والارتفاع الرهيب فى الاسعار ·

ومن أجل طرح موضوع « الزيادة السكانية » ـ فى دول العالم الثالث بالطبع ـ ونتائجها للمناقشة ، و « التوعية » بجوانب « الخطورة » فيها على أوسع نطاق ممكن ، خصصت الامم المتحدة سنة ١٩٧٤ لتكون « سنة عالمية للسكان » تعقد فيها ندوات ومؤتمرات تعرض فيها نتائج دراسات فى الموضوع وحوله ، وتوضع فيها أسس برامج جديدة وتدعم البرامج الموجودة· وتوجت الامم المتحدة جهودها فى هذا الشأن « بالمؤتمر العالمى للسكان » · (وهو المؤتمر الرابع للسكان · فقد عقد الاول فى سنة ١٩٢٧ بمساعدة عصبة الامم ، ونظمت الامم المتحدة المؤتمر الثانى فى روما سنة ١٥٩٤ ، والمؤتمر الثالث فى بلجراد سنة ١٩٦٥) ·

---

* خبير أول ، ورئيس وحدة بحوث التصنيع بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ومعار أستاذا مساعدا لعلم الاجتماع بجامعة صنعاء بالجمهورية العربية اليمنية ·

عقد « المؤتمر » Conference فى المدة من ١٩ الى ٣٠ أغسطس ١٩٧٤ فى مدينة بوخارست عاصمة جمهورية رومانيا الديموقراطية • ودعى لحضوره ممثلون لحوالى ١٣٥ دولة وحوالى ١٠٠ منظمة من المنظمات غير الحكومية المهتمة بالموضوع • وفى الوقت نفسه عقدت بعض المنظمات غير الحكومية « ندوة » tribune ضخمة انفقت عليها المنظمة العالمية لتنظيم الاسرة اجتذبت عددا كبيرا من المتخصصين • وحضر المؤتمر والندوة حوالى سبعة آلاف حسب بعض التقديرات (وهو عدد لم يبلغه مؤتمر من هذا النوع من قبل) •

استعراض لاعمال المؤتمر والندوة

وزعت مهام المؤتمر Conference بين عدة لجان : الاولى لدراسة « التغير السكانى وعلاقته بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، « والثانية لدراسة « السكان والموارد والبيئة » ، والثالثة لدراسة السكان والاسرة »، والرابعة لدراسة « خطة عمل عالمية » •

وعلى مدى حوالى أسبوعين ، وفى الوقت التى شغلت فيه اللجان السابقة بدراسة موضوعاتها ، عقدت « جلسات عامة » صباحية ومسائية القيت فيها كلمات الوفود • وقد تضمنت كلمات كل من الوفود عرض مواقف الدولة من موضوع السكان وجهودها بصدده ، وتراوحت المواقف بين اللامبالاه ، أو على الاقل الاسترخاء ، كما هو الامر فى حالة جمهورية السودان الديموقراطية مثلا ، الى صرخات النجدة قبل فوات الاوان كما هو الحال فى بنجالادش •

أما اللجنة الاولى فقد كلفت بدراسة العلاقات المتبادلة بين السكان والتنمية ومنها الطريقة التى تؤثر بها التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى « العمليات » السكانية والطريقة التى يؤثر بها السكان فى التنمية • وبهذا تعرضت لتأثير التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى النمو السكانى . والخصوبة . والوفيات . وتغيرات التركيب السكانى وتوزيع السكان والهجرة •• وبالنسبة لتاثير العوامل الديموجرافية فى التنمية تعرضت المناقشة لمستويات المعيشة وفرصها ، وتوزيع الدخل ، والغذاء والتنمية الزراعية ، والتنمية الصناعية والعلاقات الاقتصادية الدولية ونظم التبادل التجارى ،

وقد نوقشت هذه النقاط فى ضوء الاوضاع فى كل دولة وكذلك العـــلاقات الدولية ٠

ووكلت الى اللجنة الثانية مهمة دراسة العلاقة بين السكان والموارد والبيئة ، أو بعبارة أوضح كيف تؤثر التغيرات السـكانية فى انتـاج الموارد واستهلاكها ، وكيف يؤثر المتوافر من الموارد فى حجم السكان وتوزيعهم ، والعلاقة بين التغيرات السكانية ونظام الانتاج ونظام التجـــارة ، وتاثير التقدم التكنولوجى فى استغلال الموارد ٠ واهتمت اللجنة كذلك بأســاليب تكيف الانسان مع البيئة الذى يتضمن موضوع الاسكان والعلاقة بين نمو الريف ونمو الحضر ٠

وتولت اللجنة الثالثة دراسة موضوع السكان والاسرة ، وبخاصـــة التأثيرات التى تتركها التغيرات الديموجرافية فى تركيب الاسرة ووظائفها فى النظم الاجتماعية المختلفة . والعلاقة بين الاوضاع الحضارية والاجتماعية والاقتصادية ودورة حياة الاسرة **Famliy Life Cycle** وكذلك وضـع المرأة ودورها ووضع المسنين والشباب ٠

وبالرغم من أن أعمال كل من هذه اللجان أنطوت على مناقشات حادة فان الموضوع الذى آثار أعنف الجدل وظل حديث الناس طوال المؤتمر بل وطغى حتى على أعمال « ندوة السكان » — وهى غير مقيدة بجدول أعمال المؤتمر — هو « مشروع خطة العمل العالمية » التى كلفت بدراستها لجنـة عمل خاصة ٠ وكانت هـــذه أخطر وثيقة صدرت عن المؤتمر ٠ ففى حين تحملت اللجان الثلاث الاولى مسئولية اعداد تصـــور المؤتمر للعـــلاقات المتبادلة بين موضوع السكان والموضوعات الاخرى التى عرضت لها ، وكلت الى هذه اللجنة مهمة اعداد وثيقة تتضمن اســـتراتيجية عمل الامم المتحدة والاجهزة المتخصصة والحكومات والمنظمات غير الحكومية بصـــدد « مشكلة » السكان وخطط العمل فى المجالات المختلفة ٠

وتوفر لــكل من هذه اللجان أوراق عمل أساسية وعدة أوراق أو وثائق ثانوية ، أعدت بتكليف من هيئة الامم المتحـــدة أو تضمنت نتــائج نـــدوات أو اجتماعات لجان خبراء ٠

انتهت جهود كل لجنة بوثيقة تلخص عملها والقرارات والتوصيات التى

استطاعت أن تتفق عليها · وطرحت الوثائق والقرارات والتوصيات على المؤتمر العام لاقرارها · والمفروض أن تقدم قررات المؤتمر وتوصياته ـ مع تقرير عن اعماله ـ الى المجلس الاقتصادى والاجتماعى (وهو من منظمات الامم المتحدة المتخصصة) لمناقشتها ، ثم ترفع للجمعية العمــــومية للامم المتحدة ، التى ستناقشها فى دورة خاصة بموضـــوع التنميــــة والتعاون الاقتصادى الدولى ·

أما ندوة السكان فقد حضرها المهتمون بالموضوع من المنظمـــات غير الحكومية والافـــراد ، وكان من بينهم عدد كبيـــر من أبرز الديموجرافيين والمشتغلين بالعلوم الاجتماعية والمسئولين برامج تنظيم الاسرة · وتضمنت أعمال الدورة أنشطة عديدة ، من أهمها :

أولا : محاضرات لبعض الديموجرافيين والاقتصاديين البارزين بدعوة من :« الاتحاد الدولى للدراسة العلمية للسكان » ومن هذه المحاضرات :

١ ـ التنمية وتلوث البيئة ·

٢ ـ نظرة ديموجرافية الى مشروع خطة العمل ·

٣ ـ النمو السكانى فى الدول المتقدمة ·

٤ ـ التغير السكانى فى الدول المتقدمة ·

٥ ـ تغير السلوك الانجانى والقيم الحضارية ·

وقد طرحت فى كل من هذه المحاضرات أفكار عديدة سمح لجمهـــور الحاضرين بالاشتراك فى مناقشتها ، مما أتاح فرصا عديدة لاثراء المناقشة وعرض وجهات النظر المختلفة ·

ثانيا : لجان مناقشات بمعدل أثنتين كل صباح وكل مساء ، تعرضت لموضوعات عديدة مثل : اتجاهات حديثة فى مسائل منع الحمل ، والشباب والسكان ، واتجاهات جديدة فى تنظيم الاسرة ، والعدالة الاجتماعية والتنمية والسكان ، وبعض الجوانب البيولوجية للسكان ، والسكان كموارد اقتصادية واجتماعية ، والسكان والثورة الزراعية والنتائج الحضـــــارية للتغيرات السكانية ، وبعض المسائل الاخلاقية فى برامج السكان ، ووضع المرأة ودورها فى التنمية القومية والسكان ،وادارة ، البرامج السكانية ، والسياســـية

السكانية ، والهجرة الخارجية ، وقيمة الاطفال بالنسبة للآباء ، ومشكلة الدول الفقيرة ، والمجتمع وتغير الاتجاهات نحو الجنس ، وصحة البيئة ، والقانون والسياسة السكانية واتجاهات الخصوبة فى العالم ، والاجهاض وغيرها .

ولكن أهم هذه المناقشات جميعا كانت تلك التى دارت حول الوضع السكانى والمشكلات التى يمكن أن يتعرض لها مؤتمر عالمى للسكان بعد عشر سنوات .

وقد دارت هذه المناقشات فى شكل حوار بين متحدثين والجمهور لا يأخذ شكل المحاضرات التقليدى وانما يغلب عليه طابع الندوة . وبالرغم من الجدية التى توفرت فى هذه المناقشات ،فانها لم تبلغ عمق المحاضرات التى أشرنا اليها فى الفقرة السابقة .

ثالثا : عروض فلمية ـ بلغت حوالى ٨٠ عرضا ـ حول موضوعات مختلفة لها علاقة بموضوع السكان مثل : السكان والتنمية الاجتماعية والاقتصادية . ومسائل اخلاقية ودقيقة وحضارية ، وتنظيم الاسرة ، والنمو السكانى ، والتغير الاجتماعى ، والسكان والموارد الطبيعية ، وصحة الاسرة ورفاهيتها ، وخطة العمل .

رابعا : كما تضمنت أعمال الندوة استعراضا يوميا لاعمال المؤتمر من كبار المسئولين فيه أو المتخصصين تطرح عناصره المختلفة للمناقشة .

وقد أريد لندوة السكان أن تكون فرصة للمناقشة والا تنتهى الى وثيقة قرارات وتوصيات . غير أن أهمية بعض الموضوعات ـ مثل نقاط الضعف العديدة فى مشروع ورقة العمل ، وسيطرة الاتجاهات المالتوسية على مناقشات المؤتمر ، والمواقف الراديكالية للشباب حول بعض القضايا ـ دفعت البعض الى جمع التوقيعات على « وثيقة مواقف » .

وقد زود جمهور « المؤتمر » و « الندوة » بعدد كبير من الوثائق ، بعضها دراسات جادة أعدت بتكليف من الامم المتحدة أو أجهزة البحث والدراسة فى الدول ، غطت معظم الموضوعات التى طرحت للمناقشة سواء فى المؤتمر أو فى الندوة ، ومن أهمها :

١ ـ أوراق العمل فى لجان المؤتمر الاربع (ومن بينها تقارير ندوات

« السكان والتنمية » (القاهرة ، يونيو ١٩٧٣) ، و « السكان والاسرة » (هونولولو ، أغسطس ١٩٧٣) ، والسكان والموارد والبيئة » (ستوكهولم ، سبتمبر ـ أكتوبر ١٩٧٣) . و « السكان وحقوق الانسان » (أمستردام ، يناير ١٩٧٤) ·

٢ ـ نصوص المحاضرات التى القيت فى الندوة ·

٣ـ دراسات فنية عديدة للاوضاع السكانية فى بعض البلاد ·

وكان من أهم وثائق المؤتمر الصحيفةاليومية التى صدرت خـــلال انعقاده تعرض مختلف الانشطة وبرامج العمل لليوم التالى ، وتعالج بعض الموضوعات معالجة حية · واذا عرفنا أن أعمـــال المؤتمر والندوة تطلبت اجتماع حوالى عشر لجان فى الوقت نفسه لادركنا الاهمية القصوى التى كانت للصحيفة اليومية فى التعريف بسير العمل فى المؤتمر وانجـــازاته المختلفة ·

واذا كان حجم الانجاز الحقيقى للمؤتمر والندوة أمرا يختلف حوله المعلقون ، فان الذى لا خلاف عليه هو أن الجوانب التنظيمية ـ الاسكان ، وقاعات الاجتماعات ، والترجمة الفورية ، والمواصلات والاتصالات وغيرها ـ قد أديرت بكفاءة عالية بل ونادرة ·

ملاحظات حول المناقشات

اولا : شاركت فى « المؤتمر » الوفود الرسمية للدول ـ وهى تضم فى العادة بعض المسئولين من غير المتخصصين وتلزم بمواقف معينة بالنســـبة للقضايا المختلفة · ومن هنا تعثرت مناقشة مشروع ورقة العمل فى توضيح جوهر القضايا المطروحة ، ولم تتسم بالمرونة فى مناقشة بدائل حلها · ولقد ضاع كثير من وقت المؤتمر فى بعض الامور الشكلية ·

أما « ندوة » السكان فقد حضرها ممثلون عن المنظمات غير الحكومية وعدد كبير من الافراد « غير المنتمين » وبصفة عامة ، كان هؤلاء يمثلون أفكارا ومواقف غير ملتزمين بها بالشكل الذى يلتزم به الممثلون الرسميون للدول بسياساتها · ومن هنا ، كانت مناقشات الندوة ـ التى شارك فيهـــا الجمهور ـ أكثر ثراء ·

ثانيا : تزعمت الدول الراسمالية المتقدمة جبهة المنادين بخطورة الوضع

السكانى فى العالم • وأصحاب هذا الاتجـــاه يتبنون موقفـــا معدلا من « المالتوسيه » القديمة التى ترى أن سكان الارض ــ وبخاصة الفقراء منهم ــ يتزايدون بمعدلات تفوق معدلات نمو الموارد الطبيعية • ومعنى هذا ــ فى رأيهم ــ أنه سيأتى وقت تحدث فيه الكارثة حين تعجز الموارد عن كفالة الحد الادنى لمطالب السكان وهذا وضع تؤخر حدوثه الكوارث الطبيعية (الاوبئة والمجاعات وغيرها) والحروب . ويمكن تفاديه عن طريق الحد الاختيارى للنسل • ومن هنا تنطلق دعوتهم الى ضرورة الاخذ الفورى بتحديد النسل ، وهى دعـوة يعتقـدون انهـا يمـكن أن تنجـح فى خفض معـدلات المـواليد وبالتالى الزيادة السكانية بشكل محسوس •

قليـلون من يفكرون أن سكان بعض الدول تنمـو بمعدلات تمثل عبئـا ــ ولو مؤقتا ــ على محاولات التنمية ورفع مستوى المعيشـة ، وقليلون من يفكرون أن حركة واسـعة للدعـوة لتنظيم الاسـرة يمكن أن تحقـق بعـض النتائج • ولكن كثيرين يرفضون تحليل مالتوس والمالتوسية الجديدة للوضع السكانى ويرفضون التسليم بأن خفض معدلات المواليد هو الحل أو أنه يمكن أن يتم بمجرد التوجيه ورفـع الوعى •

ففى منطق التحليـل الماركسى ، مثـــلا . تعد المشـــكلات السكانية « ظواهر ثانية » ترجع الى ظروف اقتصادية • وجوهر المشكلة فى منطق هذا التحليل لا يكمن فى تزايد السكان بمعدلات عالية ولكن فى التخلف الاقتصادى وسوء توزيع الثروة ، أو النمو الاقتصادى بمعدلات منخفضة يعجز معها عن استيعاب السكان . الذين يتزايدون بمعدلات أعلى بانتظام • ومن ثم يكون حل المشكلات السكانية بالعمل على تغيير الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية التى ترجع اليها • ولما كان تخلف الدول المتخلفة والنامية تبعا لهذا المنطلق يرجع الى الاستغلال الذى تعرضت له هذه الدول أبان الاحتلال والى وضعها الذى ما زال غير ملائم فى نظام العلاقات الاقتصادية الدولية (اذ أن اقتصاد معظمها ما زال تابعا للاقتصاد الرأسمالى الذى يحتكر استيراد المواد الاولية باسعار منخفضة وتحكم تصدير المواد المصنعة أسعار عالية) فان الامر يتطلب تغيير نظام العلاقات الاقتصادية الدولية •

• أصحاب هذا الاتجاه ، اذن ، وبعكس ما يفهمه البعض ، لا يفكرون أن

الوضـــع السكانى فى بعض الدول ينطوى على « مشـــكلات » ، ولكنهم لا ينظرون اليه كمتغير منعزل ولا مستقل ، وانما يتصورونه متغيرا تابعا لا يمكن التعامل معه الا من خلال مجموعة الظروف الاقتصادية والاجتماعيـــة التى ينبثق منها : البطالة ، والامية وعدم المساواة بين الرجـل والمرأة ، ومعدلات وفيات الاطفال العالية ، وعدم كفاية الغذاء وما اليها · فالمشكلات السكانية ، التى وجدت ، اذن ، ليست سبب التخلف ، وانما العكس هـــو الصحيح فالتخلف هو مصدر المشكلات السكانية ·

تصارع فى المؤتمروالندوة اذن تياران : أولهما يميل الى النظر الى المتغيرات السكانية فى حد ذاتها والتعامل معها مباشرة ، ويعتبر الوضـــع السكانى فى العالم بعامة خطيرا . ويدعو الى حملة واسعة لخفض معدلات المواليد فى الدول النامية · والاخر لا ينظر بانزعاج الى الوضع السكانى . ويميل الى تصور مشكلاته على انها نتائج للتخلف يمكن التعامل معها من خلال الوضع الاقتصادى والاجتماعى ·

ثالثا : وبجانب هذا الانقسام فى تصور المشكلات السكانية ظهر خلاف آخر · فقد شغلت الدول النامية أو معظمها على الاقل بمشكلة اطراد زيادة سكانها بمعدلات عالية والتركيب غير الملائم للسكان (والذى يتميز بكبـــر نسبة فئات السكان ففى دون العشرين) أما الدول المتقدمة ــ وبخاصـــة الدول الغربية ــ فانها بدأت تقلق من جراء هبوط معدلات نمو ســـكانها الى حد قد تعجز معه عن الاحلال replacement (وهو الوضع السائد فى بعض دول أوربا الغربية وبعض الدول الاسكندنافية) · كما أن بعض هذه الدول بدأت تقلق على زيادة نسبة المسنين . وما قد ينطوى عليه ذلك من تاثيرات «محافظة » فى الطابع العام للحضارة وما يتطلبه من اجراءات أعالة خاصة ·

وقد لام بعض ممثلى الدول الرأسمالية المتقدمة الدول النـــامية التى « قد تتسبب » فى كارثة عالمية نتيجة « لنقص احساسها « بالخطر الكامن فى الوضع السكانى الراهن » وعجزها « عن القيام بعمل فعال بصدده · ولم يتردد بعض المتحدثين فى هذا الاتجاه عن اتهام الدول النامية بالاتكاليـــة والتخاذل والاعتماد على المساعدات الخارجية (وهم يتناســـون أن الدول

المتقدمة التى لا يمثل سكانها أكثر من ١٥٪ من سكان العالم تستهلك ما يزيد على ثلاثة أرباع الموارد المتاحة • ومن ثم فان الازمة تكمن فى الرفاهية التى تتمتع بها بعض الطبقات فيها على حساب الطبقات الاخرى والدول النامية وعليه فان الحل يكون باعادة النظر فى نظام العلاقات الاقتصادية الدولية وفى اعادة توزيع الثورة فى العالم • وان كان ، وهذا لا ينفى ، بالطبع أن المعدلات العالية للنمو السكانى وطبيعة التركيب السكنى وتوزيع السكان فى بعض الدول النامية هى من العوامل التى لا تساعد فى تحقيق أهـداف خطة طموحه للتنمية) •

وكانت هذه النقطة الاخيرة محور مناقشات عديدة فى « مشروع خطة العمل » سواء فى اجتماعات المؤتمر ، وبخاصة اللجنة الرابعة ، أو فى معظم اجتماعات الندوة ، فقد ركز مشروع خطة العمل على برامج تنظيم الاسرة أو تحديد النسل ، وأوصى بتخصيص موارد كافية من ميزانية الامم المتحدة والدول الاعضاء لاعطاء برامج تنظيم الاسرة دفعة الى الامام ، على أساس فهم ـ يبدو لنا غير صحيح ـ بأن تعثر هذه البرامج فى معظم الدول التى تبنت سياسة لتنظيم الاسرة انما يرجع الى عدم كفاية الموارد المتاحة للعمل فيها وليس الى قصور فى الفلسفة التى تقوم عليها •

رابعا : ظهر فى المؤتمر والندوة بوضوح التعارض غيـــر المعلن ـ والارتباط الوثيق فى الوقت نفسه ـ بين المصالح القومية والاوضـــاع العالمية ، « الضجة » التى اثيرت حول مشكلة السكان هى فى أساسها نتيجة احساس الدول الرأسمالية المتقدمة بالخطر من النمو الهائل لدول العـالم الثالث ، والذى تتضاءل معه نسبة سكان العالم المتقدم • واذا كان صحيحا أن نوعية السكان ـ مستوى معيشتهم وامكاناتهم ـ أهم كثيرا من حجمهم ، فان الطغيان العددى لدول العالم الثـــالث يهدد مصـــالح بعض الدول الاستعمارية والامبريالية بالخطر ـ فى المستقبل على الاقل •

غير أن المسألة تخطت حدود التوزيع النسبى لسكان العالم الى نقاط أخرى لا تقل عنه أهمية • ومن هذه النقاط التعارض بين السياسات القومية والمصالح العالمية : فان قرارا للدول المنتجة للحبوب أو اللحوم أو غيـــرها بخفض معدلات انتاجها منها له آثار خطيرة فى المجـال الدولى أبسطها نقص المواد الغذائية وحدوث مجاعات • كما ان سياسة بعض الدول بالنســبة

للهجرة الخارجية لها نتائج هامة بالنسبة لحركة الهجرة العالمية وبخاصة ما يسمى « **هجرة العقول** » ٠

خامسا : وفى مجال استراتيجية العمل ظهرت فكرتان أساسيتان تمثلان موقفين فكريين مختلفين : نادى البعض بان « التعاون الدولى » وزيادة المساعدات التى تقدمها الدول المتقدمة للدول النامية هى من الامور الحاسمة فى حل « المشكلة » السكانية ، ومن ثم فان أى تقدم فى هذا المجال يمكن ان يحقق نتائج طيبة ٠ ومن ناحية أخرى رأى البعض أنه لما كانت المشكلة السكانية ترجع فى أساسها الى التخلف ـ الذى يرد بدوره الى الوضع غير الملائم للدول النامية فى نظام العلاقات الاقتصادية الدولية واستغلال الدول الرأسمالية الغنية لها ـ ولما كان التناقض ليس مجرد تناقض فكرى ولكنه تناقض مصالح ، فإن حله لا يكون بتنازل طوعى للدول الغنية عن استغلال الدول الفقيرة ، وانما يتحقق اذا استطاعت الدول الفقيرة أو النامية أن تضغط لتغير وضعها فى نظام العلاقات الاقتصادية الدولية ، فترغم الدول الاستعمارية والامبريالية على تنازلات ليست على استعداد لتقديمها طواعيه (ومنها أن تدفع اسعارا أعلى للمواد الخام التى تحتكر استغلال معظمها وان تتقاضى أسعارا أقل للسلع المصنعة التى تغمرها أسواق الدول النامية والغذاء الذى تكاد تحتكر انتاجه) ٠

سادسا : هاجم ممثلو كثير من المنظمات غير الحكومية احتكار جهاز الدولة عملية صياغة السياسة السكانية وتحديد الاجراءات اللازمة بصددها وممارستها ، ودعوا الى منح هذه المنظمات دورا أكثر أهمية ٠ وعلى الرغم من البراءة الظاهرة فى هذه الدعوة ، فانها بالغة الخطورة ، لان بعض الدول الاستعمارية والامبريالية التى تعجز عن التأثير فى سياسة الدول الاخرى مباشرة تحاول ذلك عن طريق المنظمات غير الحكومية ٠

سابعا : نشطت بعض المنظمات غير الحكومية فى طرح قضايا على جانب كبير من الاهمية لم تنل ما تستحقه من جهد فى مناقشات المؤتمر ٠ ومن هذه القضايا قضية التحرير الحقيقى للمرأة (من موضوع للجنس الى شريك حقيقى) ونجحت المناقشات فى ابراز حقيقة الوضع غير الملائم الذى تعيش فيه المرأة ـ حتى فى معظم الدول المتقدمة ـ والقيود التى تعترض طريقها نحو مساواة حقيقية فى الحقوق والواجبات وفى صنع

القرار الاجتماعى وتنفيذه · فما زالت معدلات تشغيل المرأة ـ مثلا ـ أقل من معدلات تشغيل الرجل ، وما زالت مركزة فى بعض المهن الاقل أهمية ، وما زال العائد منها أقل من العائد للرجل · ومن جهة أخرى أثار ممثلو بعض المنظمات الشبابية مشكلة احتكار البالغين للمواقع القيادية والتوجيهية وحرمان الشباب من فرص المشاركة فى صنع قرارات يتحدد بها مستقبلهم ، أى حتى المران على المشاركة فى صنع القرار ·

وأثار بعض ممثلى « السكان الاصليين » فى عدد من الدول ـ وبخاصة كندا وبعض دول أمريكا اللاتينية والدول العنصرية فى أفريقيا ـ مشكلة وضعهم المتدهور وحرمانهم من أبسط حقوق الانسان بل واضطهادهم بهدف القضاء عليهم فى النهاية ·

وانطوت اسهامات ممثلى المنظمات النسائية والشبابية والسكان الاصليين فى المناقشات على مرارة شديدة من جراء الاوضاع غير الملائمة السائدة فى معظم دول العالم ، وذهبت الى أنه من تبسيط الامور أن يظن أن الوضع يمكن أن يتغير بمجرد قرار سياسى أو تعديلات تشريعية ، وأصرت على أن التغيير يتطلب تغيرات فى الوضع الاقتصادى الاجتماعى فى المجتمع ·

ثامنا : ترددت الشكوى من عدم كفاية البيانات السكانية ونقص دقتها · ومن جهة أخرى ، رأى البعض أن هذه المشكلة تهون بالقياس الى عدم توافر تحليلات للبيانات السكانية تعطيها معنى هو أساس أية خطة عمل فى مجالها ، على اساس أن الدراسات السكانية هى فى جوهرها شىءأكثر من مجرد حصر للسكان وتوزيعهم ـ حسب اعتبارات معينة ـ فى جداول بنسب ومعدلات · وانطلاقا من هذا نادى كثيرون بالحاجة الى بذل جهد مضاعف لتحسين أساليب جمع البيانات السكانية وتطوير مناهج تحليلها وتفسيرها ·

وهذا سليم ، ولكنه يغفل حقيقة هامة وهى اننا لم نستعمل ما يتوافر لدينا من بيانات وتحليلات سكانية الاستعمال الامثل ، والأصوب هو أن نستعمل نتائج البحوث المتوافرة حتى الان الاستعمال الامثل ، وأن نستمر فى البحث ونرفع دقته وكفاءته · ومن المفيد بل ومن الضرورى ـ أن نهتم بعملية جمع البيانات وحفظها وتبادلها على مستوى عالمى (وهذا لا يتعارض مع حق الدول أن تحتفظ بسرية بعض بياناتها لبعض الوقت على الاقل) ·

تاسعا : وايا كان التصور الذى تتبناه الدولة ـ أية دولة ـ لطبيعة المشكلة » أو « المسألة » السكانية ، وايا كانت الاجراءات التى تتخذها بصددها ، فانه يلزم العمل على توضيح ملامح الاستراتيجية السكانية

وخطط العمل بحيث تكون دليلا للعمل العام فى هذا المجال يعين أهـــدافه ويحدد مسار احتياجاته ٠

ومن أهم عناصر هذه الاستراتيجية ـ السكانية ـ فى تصـــور المؤتمر :

١ ـ رفع المستوى الصحى وبخاصة فى المناطق الريفية وبين الطبقـــات الفقيرة ٠

٢ ـ خفض معدلات الوفيات وبخاصة وفيات الاطفال الرضع ٠

٣ ـ توفير وسائل منع الحمل ٠

٤ ـ توفير فرص عمالة أفضل وبخاصة بالنسبة للمرأة ٠

٥ ـ تخفيض التوازن فى تنمية المناطق المختلفة وقطاعات الاقتصاد بحيث توجد فرص لتوزيع السكان على المكان بشكل يحد من الهجـــرة الداخلية غير المطلوبة ٠

خطة العمل العالمية

انتهت المناقشات الرسمية الحادة الصاخبة والمداولات غير الرسمية الهادئة خارج اجتماعات المؤتمر ـ والتى لعبت دورا هاما فى تحقيـــق الاتفاق حول نص نهائى لخطة العمل ـ نقول انتهت المناقشات والمداولات الى وثيقة من أربعة أقسام ، الاول خاص بالخلفية ، وفيه اشـارة متزنة الوضع السكانى فى العالم وما ينطوى عليه فى المستقبل ، مع دعوة الى تبنى سياسة سكانية تكون جزءا من سياسة شاملة للتنمية والتطوير ٠ والقسم الثانى خاص بالمبادىء والاهداف ، وفيه تأكيد للعلاقة بين السكان والتنمية ولاهمية الاخذ بمبادىء حقوق الانسان ٠ ويتضمن القسم الثالث توصيات محددة لعمل بازاء النمو السكانى ، وفيه دعوة الى ضمان الاتساق بين معدلات النمو السكانى ومعدلات التنمية ، والى خفض معدلات الوفيات، والى توفير المعلومات الضرورية والوسائل اللازمة لضبط النسل ، والى موقف واع واهتمام بتوزيع السكان وحركة الهجرة الداخلية وبخاصـــة بأحوال الريف والحضر ، مشاورات حول حركة الهجرة العالمية ٠ كمـــا يتضمن القسم الثالث اشارة الى العناصر الاساسية لسياسة اجتماعيـــة اقتصادية تمثل السياسة السكانية عنصرا منها ٠ وينتهى بالتأكيد على ضرورة مواصلة البحث والمران فى مجال السكان ٠ أما القسم الرابع ـ والاخير ـ فقد اشتمل على عدد من التوصيات حول الطرق التى يمكن بها وضع خطة العمل موضع التنفيذ وحدد دور المنظمات العالمية والاقليمية والحكومات والافراد فيها ٠

وبالنظر الى الخلافات الواضحة فى المصالح ووجهات النظر . لم يكن من الممكن تفادى النزعة « التوفيقية » التى غلبت على مداولات المؤتمر · فانه لما لم تستطع أى من وجهات النظر أن تفرض نفسها على المؤتمر ، كان الحل أن يتم التوصل الى صيغة تقبلها جميع الاطراف · ومن هنا كانت التنازلات العديدة التى اضطرت اليها الاطراف المتصارعة والجهود المضنية التى بذلت لحل الخلافات ، وهى الجهود التى استهلكت جانبا كبيرا من طاقات المؤتمرين على حساب المشكلات الاساسية ·

وقد انتهزت بعض الوفود والافراد فرصة المؤتمر لعقد صـــــفقات : للحصول على منح أو قروض ، أو ابرام عقود عمل ، أو غير ذلك ، وهى ظاهرة مميزة للمؤتمرات العلمية تستأثر بجانب كبير من الجهد ·

ويبقى بعد هذا سؤال هام ، ما مصير ورقة العمل والتوصيات الاخرى التى انتهت بها مناقشات المؤتمر ، وكم من الوقت سيمضى قبل أن تظهـر آثارها فى تفكير الاجهزة المعنية والافراد وسلوكهم · فى اعتقادنا أن أهم آثارها ستظهر فى نشاط الامم المتحدة ومنظماتها · اما الدول الافراد فمن غير المتوقع أن تستجيب لها الان بشكل جدى · ومن ثم لم يستبعد البعض أن يتضمن جدول أعمال مؤتمر عالمى للسكان بعد عشر سنوات الموضوعات نفسها التى تكون منها جدول أعمال المؤتمر ·

نقطة أخيرة · لقد اريد لجمهورية مصر العربية أن تلعب دورا هاما فى المؤتمر (فقد عقدت فيها احدى ندوات فرعية أربع حضرت للمؤتمر) (ندوة السكان والتنمية ، القاهرة يونيو ١٩٧٣) ومع هذا ركز تمثيل مصر فى المؤتمر على المسئولين الحكوميين على حساب المشتغلين بالبحث والمعنيين حقيقة بالموضوع ولم يكن من بين الاوراق الفنية للمؤتمر شىء هام عن مصر ، والاخطر من هذا ان وسائل الاعلام المصرية لم تكد تشير الى المؤتمر الذى حظى باهتمام واسع فى وسائل الاعلام فى مختلف بلاد العالم ·

خاتمـــة

السؤال الذى يطرح نفسه الان بالحاح شديد هو : هل نجح المؤتمـر فى تحقيق أهدافه ؟ ويظل السؤال بغير جواب حتى تتحدد الاهداف التى قصد اليها . وفى تقديرنا يخطىء الذين يتصورون للمؤتمر اهدافا يتفـق عليها الجميع فقد قصدت به الدول الرأسمالية المتقدمة الى تعبئة طاقات الدول النامية فى سبيل خفض معدلات زيادة سكانها . واراد رواد حركة تنظيم الاسرة أو تحديد النسل من المؤتمر « بيع » الفكرة لعدد أكبر من المسئولين عن العمل الاجتماعى وترسيخ فكرة امكان العمل مع المتغيـــر الديموجرافى كمدخل لحل مشكلة التخلف . وفى هذا نعتقد أنهم لم يحققوا نجاحا يذكر . فحتى الدول الرائدة فى مجال تنظيم الاســرة خرجت من المؤتمر وهى مقتنعة بأن جهودها ستظل عقيمة الى ان تتضمن كأحـــد عناصر خطة شاملة للتنمية الاقتصادية اولاجتماعية .

وحرصت الدول النامية ـ التقدمية منها بصفة خاصة ـ على طرح تصورها للوضع السكانى وعلاقته بالوضع الاجتماعى والاقتصادى ، وابراز مسئولية الدول الاستعمارية والامبريالية عن حـالة التخلف التى تكمن وراء المشكلة السكانية والمشاكل الاجتماعية الاخرى . وفى هذا نعتقد أنها نجحت تماما ، وأنعكس نجاحها فى الصورة التى خرجت بها خطة العمل بعـــد أقرارها .

وبالنسبة للمتخصصين الذين سافروا الى بوخارست وكلهم أمل فى مناقشات رفيعة المستوى ، قدمت أعمال المؤتمر قليلا مما يمكن أن يرضى طموحهم : فانه بالرغم من الحوار الجاد بين الاتجاهات المختلفة ، طغـت على المناقشات الارتباطات القومية . ولقد ترتب على هذا « تسطح ـ فى المناقشات فى بعض الاحيـــان . وأغفـــال لبعض المسائل الهامة (فكيف يستساغ الحديث عن حقوق الانسان فى مجال حق الاسرة فى الاختياريين تنظيم النسل واطلاقه فى الوقت الذى تحرم فيــه قطاعات كثـيرة من السكان كسكان الريف والطبقات الدنيا والمرأة والشباب ، من فرص العيش التى تتاح لغيرهم) .

المؤتمر الدولى الثامن لعلم الاجتماع

« العلم والثورة فى المجتمعات المعاصرة »

تورنتو ١٩ ـــ ٢٤ أغسطس سنة ١٩٧٤

السيد يسين *

يمثل هذا المؤتمر أهمية خاصة بالنسبة لسلسلة المؤتمرات الدولية فى علم الاجتماع ، ولا ترد هذه الاهمية فقط الى أهمية الموضوعات التى طرحت فيه ولا الى ضخامة عدد علماء الاجتماع الذين أسهموا فيه (حوالى ثلاثة الاف عالم اجتماع من جميع أنحاء العالم) ولكن الى اللحظة التاريخية التى ينعقد فيها . وتتسم هذه اللحظة أساسا بعدد من السمات أهمها :

١ ـ بروز الثورة العلمية والتكنولوجية باعتبارها أحد الملامح التى ستكون المعلم البارز للقرن الحادى والعشرين . وبداية ظهور الخلافات الايديولوجية الحادة حول تقييم آثارها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحضارية .

٢ ـ تبلور مشكلة التناقض بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة ويمكن القول أنه بعد عقد التنمية بكل ما دار فيه من صراعات سياسية ودولية وايديولوجية ، يمكن القول أن حدود التقدم أمام الدول النامية قد بانت معالمها ، وأن أسباب التخلف التى ترد أساسا الى بنية هذه المجتمعات ، بما تتضمنه من نوعية النظم السياسية ، وطرق ادارة المجتمع ، وطبيعة الطبقات الحاكمة ، قد اخذت يلقى عليها الضوء ، أكثر من الاسباب الخارجية التى أسهمت فى التخلف (الاستعمار ، والاستقلال الاقتصادى من قبل الدول الاجنبية) .

---

* رئيس وحدة بحوث السلوك الاجرامى بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية . وقد وجهت له الجمعية الدولية لعلم الاجتماع الدعوة لحضور المؤتمر حضره ممثلا للمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية وللجمعية المصرية لعلم الاجتماع .
الاجتماع .

٣ ـ والسمة الاخيرة ، هى تحديد أرضية الصراع بين علم الاجتماع البورجوازى وعلم الاجتماع الثورى الصاعد • ومن المعروف أن هذا الصراع بدأ تاريخيا منذ اللحظات الاولى التى شهدت ميلاد علم الاجتماع فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر • ذلك أن التحديد الدقيق لاسباب نشأة علم الاجتماع على يدى أوجست كونت وغيره من المفكرين المحافظين• يمكن أن ترد ـ اذا طبقنا مناهج وأساليب علم اجتماع المعرفة ـ الى محاولة الطبقة الحاكمة البورجوازية الاوربية تلافى الخلخلة الجسمية التى أصابت بنية المجتمع الاوربى نتيجة للثورة الصناعية وما صاحبها من آثار ، ولعل أهمها بداية ظهور الطبقة العاملة كطبقة اجتماعية مؤثرة ، وبروز التناقض الحتمى بين العمل ورأس المال • أريد لعلم الاجتماع البورجوازى أن يعطى الحلول السلمية للطبقة الحاكمة ، حتى تتلافى الثورة الاجتماعية • فى حين أن علم الاجتماع الثورى ـ ممثلا أساسا فى التيارات الماركسية والاشتراكية بوجه عام ـ حاول أن يقدم حلا آخر ، على نقيض الاول ، مفادة أنه لا مناص من اشعال الثورة الشاملة لتحطيم المجتمع الطبقى الرأسمالى وبناء المجتمع الاشتراكى على أنقاضه •

غير أن علم الاجتماع الثورى هذا ، قنع فى الواقع فى بداياته بالتحليلات العميقة التى قامت بها الماركسية لتحليل بناء المجتمع الرأسمالى فى القرن التاسع عشر • وحين شهد العالم ظهور أول دولة اشتراكية فى التاريخ وهى الاتحاد السوفييتى . اختنق علم الاجتماع الثورى الصاعد تحت تاثير التفسير الجامد للماركسية ، باعتبارها النظرية العلمية التى حلت المجتمع والتاريخ مرة واحدة والى الابد ! •

وقد أدى هذا الوضع الى خفوت صوت علماء الاجتماع الاشتراكيين والى عدم اتاحة الفرصة لهم لتنمية وتطوير الافكار السوسيولوجية الخصبة التى تضمنتها النظرية الماركسية •

غير أن هذا الوضع الذى استمر آجالا من السنين والذى أخلى المسرح لعلم الاجتماع البورجوازى حتى يتضخم خصوصا فى الولايات المتحدة الامريكية ، ويترك بصماته على مفاهيم وممارسة علم الاجتماع

فى عديد من بلاد العالم ، اتيح له أن يتغير تحت تأثير عديد من العوامل المتشابكة ، لعل أهمها ظهور الموجة التحررية الفكرية فى البلاد الاشتراكية التى سمحت لعلم الاجتماع الثورى أن ينمو منذ الخمسينات بصورة بارزة هذا العلم الذى بدأت ملامحه الخاصة تتشكل ، من خلال النقد العميق والتفصيلى الذى وجهه الى علم الاجتماع البورجوازى وممثليه ، وأيضا من خلال تقديمه لنظريته الخاصة فى علم الاجتماع • غير ان عاملا آخر أسهم فى هذا التطور ، بالاضافة الى تدهور علم الاجتماع البورجوازى نفسه ، وظهور عجزه عن مجابهة المشكلات الاجتماعية الجسيمة فى المجتمعات الغربية ، هو ظهور العالم الثالث كقوة سياسية واقتصادية ، وبروز فشل علم الاجتماع البورجوازى فى فهم طابع هذه المجتمعات وتركيبها • ومن ثم شرع علماء الاجتماع فى هذه البلاد ـ خصوصا فى أمريكا اللاتينية ـ فى بناء علم اجتماع قومى ، لا يقنع بمجرد توجيه النقد الى علم الاجتماع البورجوازى ، وانما الى بناء قواعد المنهج لعلم الاجتماع الثورىفى نفس الوقت •

فى ضوء هذه الخلفية ـ التى اسهبنا قليلا فى عرضها ـ يمكن فهم ديناميكية الصراع الحاد الذى دار فى جنبات المؤتمر بين ممثلى علم الاجتماع البورجوازى وممثلى علم الاجتماع الثورى •

جدول أعمال المؤتمر

كان الموضوع الرئيسى للمؤتمر « العلم والثورة فى المجتمعات المعاصرة » وقد خططت الجمعية لتغطية هذا الموضوع المتعدد الجوانب فى ضوء تقسيم العمل بين صيغ تنظيمية متعددة تكفل عرض كافة الاراء ، واثارة المناقشات بصور شتى ، وذلك على الوجه التالى :

عقد جلسات عامة تعرض فيها عدد من البحوث يلقيها بعض علماء البارزين الممثلين للتيارات المختلفة ويعقب ذلك مناقشة عامة

وقد عقدت ٤ جلسات عامة على الوجه التالى :

الجلسة الاولى : الجوانب الاجتماعية للثورة العلمية والتكنولوجية •

الجلسة الثانية : علماء الاجتماع ملاحظون أم مشاركون ؟

الجلسة الثالثة : التغيرات السكانية والتنمية الاجتماعية •

الجلسة الرابعة : العدالة كموضوع سوسيولوجى : المشكلات النظرية والامبيريقية •

وقد عقدت أربعة عشر جماعة من جماعات العمل اجتماعاتها فى الموضوعات التالية :

١ ــ العلم والتكنولوجيا والصور الجديدة للتمايز الاجتماعى والتكامل الاجتماعى ·
٢ ــ وظائف انساق القوة وضروب التغير فيها ·
٣ ــ العلم والتكنولوجيا والمهن الجديدة ·
٤ ــ العلم والتكنولوجيا والمشكلات التربوية ·
٥ ــ سوسيولوجية السياسات العلمية والتكنولوجية ·
٦ ــ العلاقات الاجتماعية ومشكلات الشخصية فى المجتمع التكنولوجى ·
٧ ــ القيادة الصناعية والادارة والتنمية الاقتصادية ·
٨ ــ سوسيولوجية الشيخوخة ·
٩ ــ مشكلات الشباب ·
١٠ ــ الطبقات الاجتماعية البازغة والمستقرة والهابطة فى العالم ·
١١ ــ علم الاجتماع المقارن للحضارات
١٢ ــ دور نقابات العمال فى المجتمعات المعاصرة ·
١٣ ــ تغير الادوار المهنية والاسرية للنساء ·
١٤ ــ مشكلات التحديث التكنولوجى فى الاقطار غير الصناعية ·

وقد عقدت حلقات « **مائدة مستديرة** » فى **الموضوعات التالية** :

١ ــ هل هناك أزمة فى علم الاجتماع ؟
٢ ــ تصميم المؤشرات الاجتماعية ·
٣ ــ التكنولوجيات الجديدة وامكانيات التغير فى ظروف العمل الصناعى ·
٤ ــ نحو علم اجتماع للمثقفين ·
٥ ــ نوعية الحياة ·
٦ ــ بروز الهوية القومية والسلالية ·
٧ ــ التوترات الدولية ونزع السلاح ·
٨ ــ صعوبات البحوث الدولية فى العلوم الاجتماعية ·
٩ ــ وظائف المدرسة ·

وقد عقدت « **لجان البحث** »* التالية اجتماعاتها :

١ ــ القوات المسلحة والمجتمع ·
٢ ــ المطامح والحاجات والتنمية ·

---

* لجان البحث هى الهيئات البحثية التى تتكون داخل اطار الجمعية الدولية حسب الموضوعات المختلفة ·

٣ ـ بحوث المجتمع المحلى ·
٤ ـ علم اجتماع التربية ·
٥ ـ العلاقات السلالية والجنسية والاقليات ·
٦ ـ علم اجتماع الاسرة ·
٧ ـ علم المستقبل ·
٨ ـ تاريخ علم الاجتماع ·
٩ ـ العمليات التجديدية فى التغير الاجتماعى·
١٠ ـ علم اجتماع العلاقات الدولية ·
١١ ـ علم الاجتماع القانونى ·
١٢ ـ الدراسة السوسيولوجية لوقت الفراغ ·
١٣ ـ المنطق ومناهج البحث فى علم الاجتماع ·
١٤ ـ الدراسة السوسيولوجية لوسائل الاتصال الجماهيرية ·
١٥ ـ علم اجتماع الطب ·
١٦ ـ سوسيولوجية الهجرة ·
١٧ ـ الحركات القومية والامبريالية ·
١٨ ـ علم اجتماع التنظيم ·
١٩ ـ علم الاجتماع السياسى ·
٢٠ ـ سوسيولوجية التنمية الاقليمية والحضرية ·
٢١ ـ سوسيولوجية الفقر ·
٢٢ ـ علم اجتماع الطب العقلى ·
٢٣ ـ علم الاجتماع الدينى ·
٢٤ ـ علم اجتماع العلم ·
٢٥ ـ أدوار الجنس فى المجتمع ·
٢٦ ـ الايكولوجيا الاجتماعية ·
٢٧ ـ الدراسة السوسيولوجية للغة ·
٢٨ ـ التكنيكات الاجتماعية ·
٢٩ ـ علم اجتماع الرياضة ·
٣٠ ـ التدريج الاجتماعى ·
٣١ ـ علم اجتماع العمل ·

وقد عقدت « **حلقات المناقشة** » التالية :

١ ـ التحليل المقارن لتطور علم الاجتماع كفرع علمى مستقل ·
٢ ـ ابستمولوجيا المعرفة السوسيولوجية ·
٣ ـ الاستقلال والتبعية القومية ·

٤ ـ دراسة عمليات صنع القرار .
٥ ـ عمليات الصياغة الصورية فى علم الاجتماع .
٦ ـ البرامج والعقول الالكترونية فى علم الاجتماع .

وقد عقدت اجتماعات « **اللجان المؤقتة** » كما يلى :

١ ـ سوسيولوجية الانحراف والضبط الاجتماعى .
٢ ـ صور العالم فى عام ٢٠٠٠ .
٣ ـ الاسكان والعلاقات الاجتماعية .
٤ ـ سوسيولوجية الشباب .
٥ ـ الاغتراب : النظرية والبحث .
٦ ـ سوسيولوجية الكوارث .
٧ ـ مناهج البحث فى مجال خدمة الاحتياجات الاجتماعية .
٨ ـ بحوث العلاقات الاجتماعية المتشابكة .
٩ ـ الاقتصاد والمجتمع .
١٠ ـ ميزانية الوقت .
١١ ـ المفاهيم النسقية للقوة الاجتماعية .
١٢ ـ سوسيولوجية الغنى .
١٣ ـ تحليل النظم الطبيعية .
١٤ ـ الثورة العلمية والتكنولوجية والحضارة الروحية .
١٥ ـ ظروف العمالة فى مجال علم الاجتماع .
١٦ ـ بيئة للفقراء .
١٧ ـ تقويم علم الاجتماع فى المناطق البلقانية والبحر الابيض المتوسط
١٨ ـ علم الاجتماع والبلاد النامية .

كما عقدت سلسلة من الاجتماعات الخاصة بعدد من الجمعيات العالمية

لجنة علم الاجتماع القانونى

بالاضافة الى حضور الجلسات العامة والاسهام فى مناقشاتها ، فقد ركزت اشتراكى العلمى فى المؤتمر فى اطار لجنة علم الاجتماع القانونى التى عرضت فيها البحوث التالية :

أولا : نظرية علم الاجتماع القانونى

١ ـ بعض جوانب القصور فى ابنناء النظرى للانثروبولوجيا القانونية .
٢ ـ القانون باعتباره قيدا وعطاء .
٣ ـ النظرية السوسيولوجية وعلم الاجتماع القانونى .
٤ ـ اين تختلط الانثروبولوجيا القانونية بفلسفة القانون ؟

٥ ـ الانحراف والنظرية الاجتماعية ٠

٦ ـ الضبط الاجتماعى من الدرجة الثالثة ٠

٧ ـ نظرية التنظيمات وعلم الاجتماع القانونى ٠

٨ ـ تطبيق منهج تحليل النظم على العدالة الجنائية ٠

ثانيا : نظرية التنظيمات وفعالية القانون ٠

١ ـ مشكلات القانون والثورة العلمية والتكنولوجية ٠

٢ ـ القانون الادارى ونظرية التنظيم ٠

٣ ـ الشرعية والفعالية فى الهيئات الادارية الفيدرالية ٠

٤ ـ اختيار نماذج تنظيمية بديلة للمحاكم الجنائية ٠

٥ ـ تأثير علم اجتماع التنظيمات على قانون الشركات فى المانيا الغربية ٠

٦ ـ الظروف الاجتماعية الفعالية القانونية ٠

ثالثا : الدراسة المقارنة للانحراف والعنف

رابعا : صنع القرارات القضائية

١ ـ اتجاهات الجمهور تجاه المحكمة العليا فى اليابان ٠

٢ ـ الاختيار بين النزاع والتحكيم ٠

٣ ـ ادارة العدالة الجنائية فى ظل نظام شمولى ٠

ولكى نعطى القارىء فكرة وجيزة عن نوعية المشكلات التى عرضت ونوقشت فى لجنة علم الاجتماع القانونى نقنع بالاشارة الى ثلاثة بحوث رئيسية ٠

البحث الاول قدمه رادى فاسيليف رئيس قسم علم الاجتماع القانونى بالجمعية البلغارية لعلم الاجتماع وكان موضوعه « بعض مشكلات نظرية علم الاجتماع القانونى » ٠

وقد آثر فيه الباحث أن يتعرض بصورة مباشرة للمشكلات « التقليدية » التىجابهت علماء الاجتماع القانونى المعاصرين ، الذين واجهوا مشكلة الصياغ ةالحديثة لهذا العلم ٠ ومن المعروف أن لعلم الاجتماع القانونى

روادا عديدين من أقطاب الفكر الاجتماع مثل مونتسكيو ، والسير هنرى سمنر مين وغيرهم ·

غير ان الاتجاه المعاصر فى علم الاجتماع القانونى يذهب ـ كما يرى عالم الاجتماع القانونى الايطالى تريف ـ الى أن علم الاجتماع القانونى المعاصر ليس هناك روابط مباشرة تربطه بعلم الاجتماع القانونى القديم ، ان صح التعبير · وذلك لان هذا العلم فى صيغته العاصرة يعتمد أساسا على البحوث الامبيريقية ، ولا يقنع بصياغات نظرية تأملية عن العلاقة بين القانون والمجتمع (١) ·

ومن هنا يحاول الباحث مناقشة المشكلات النظرية والمنهجية التالية :

١ ـ هل من حق علم الاجتماع القانونى أن يكون علما مستقلا ؟

٢ ـ ما هو موضوع علم الاجتماع القانونى ؟

٣ ـ ما هى مناهجه ؟

٤ ـ ما هى أغراضه ؟

٥ ـ ما هى علاقته بعلم الاجتماع العام من ناحية وبالقانون من ناحية أخرى ؟

أما **البحث الثانى** فهو لكالمان كولسكار الاستاذ بمعهد علم الاجتماع **بالاكاديمية المجرية للعلوم** وموضوعه : « الشروط الاجتماعية لفعالية القانون » ·

والحقيقة ان الباحث قد اختار مشكلة محورية من بين المشكلات التى يعنى بها اشد عناية علم الاجتماع القانونى المعاصر · واذا كان يمكن التأكيد منذ البداية ، اذ بحث هذه المشكلة ليس وليد التطورات الراهنة فى علم الاجتماع القانونى ، بقدر ما يرتد الى أجيال طويلة ، عرف فيها الفكر القانونى المشكلة وناقشها تحت عنوان « النصوص القانونية الميتة » والمقصود بها غير المطبقة ، الا انه يمكن القول ان صياغة المشكلة فى الوقت الراهن يختلف عن صياغتها فى الماضى · فليس المقصود من عدم فعالية القاعدة القانونية كونهاأن السلطات القائمة على تنفيذ القانون قد هجرت تطبيقها ـ لسبب أو لآخر ـ ولكن المقصود على وجه التحديد أن القاعدة

Citéi in: Toumanov, V., Pensée Juridique Bourgeoise Contemporain. Mosconied: du Progrès, 1974, P. 318.

القانونية المجددة بالرغم من اطراد تطبيقها عاجزة عن تحقيق الاهداف التى وضعت من اجلها ٠

وترد أهمية المشكلة فى الوقت الراهن الى أن هناك اتجاها عالميا نحو استخدام القانون باعتباره الاداة الرئيسية لتنظيم الاقتصادى والادارى والاجتماعى ، بحيث أصبح هو الوسيلة المثلى لدى السلطات فى أى مجتمع لتنظيم المجتمع ٠ فاذا أضفنا الى ذلك اعتماد البلاد النامية على القانون اعتمادا رئيسيا لتنظيم عملية انطلاقها فى سبيل التنمية الشاملة بكل أبعادها لادركنا لماذا تنال هذه المشكلة اهتمام علماء الاجتماع القانونى فى العالم ٠

وقد وفق كالمار فى عرضه المنهجى المتكامل للمشكلة ، الذى بدا بتحديد جوانب ثلاثة اساسية يحسن التمييز بينها فيما يتعلق بعدم فعالية القواعد القانونية :

١ ـ الجانب الاول أشار اليه عالم الاجتماع القانونى الفرنسى المعروف كاوبونييه فى دراسة شهيرة له نشرها فى « الحولية **السوسيولوجية** » الفرنسية عام ١٩٥٧ وعنوانها « فعالية القانون وعدم فعاليته » ٠

ومقتضى هذا الجانب ، ان عدم فعالية القاعدة القانونية هو الذى يستأثر بالاهتمام العلمى أكثر من موضوع فعاليتها ٠

وقد اتجه اهتمام الباحثين الى قياس عدم الفعالية فى مجال القواعد الجنائية على وجه الخصوص ، على اساس السهولة النسبية فى قياسها ، والتى تقوم على قياس تكرارات تطبيق القواعد الجنائية ٠

غير أن عيب هذا الاتجاه ـ ونعنى التركيز فحسب على عدم فعالية القواعد القانونية ـ هو أحادية النظرة وعدم شمولها ذلك أن هناك علاقة وثيقة بين فعالية القواعد القانونية وعدم فعاليتها ، وبالتالى فدراسة الجزء لا تغنى فى فهم الكل ٠

٢ ـ الجانب الاخر اشار اليه ارتست هيرش وتيودور جيجر ومقتضى هذا الاتجاه ان الفعالية يمكن ان تقاس بتحديد **العلاقة بين تكرارات السلوك المطابق للقانون وتكرارات السلوك المخالف له** ٠

وجوهر هذا الرأى اعتبار الفعالية دالة **Function** لاتجـــاه السلوك ٠ غير ان هذا الاتجاه ، قد ضيق فى نطاقه فى ضوء ما أجرى من بحوث امبيريقية فى علم الاجتماع القانونى ، مما أدى الى المادة صياغة المشكلة على الوجه التالى :

ما هى الظروف والتأثيرات التى فى ظلها يطيع الانسان القانون . وما هى تلك الظروف التى لا يطيع فيها الانسان القانون ؟

وجوهر هذا التعديل فى صياغة المشكلة ـ فى نظر كولسكار ـ هو ان مشكلة الفعالية تصبح بذلك متطابقة مع **مشكلة الطاعة الواعية للقانون** على اعتبار ان العلاقة العلمية بين القاعدة القانونية والسلوك هى الشـــرط المبدئى لفعالية القاعدة القانونية ٠

ولعل جزء من الاهتمام المفرط بمشكلة التعرف على آراء الجماهيـر ازاء القانون ، يرد الى الاهتمام بمشكلة الطاعة الواعية لقواعد القانون ٠ ولعل مما يدعم هذه العلاقة ازدياد القواعد القانونية التى تتطلب الوعى بضرورة احترامها ٠ وهذا ما يفسر أن أفضل البحوث الامبيريقية فى مجال فعالية القاعدة القانونية ، هى تلك التى هدفت الى الكشـــف عن المعرفة بالقانون وآراء الجماهير ازاءه ٠

٣ ـ الجانب الثالث والاخير هو انه ـ فى مجال تطبيق القانون ـ **هناك اتجاه يجرى نوعا من المطابقة شبه الكاملة بين القاعدة القانونية وفعاليتها** وهذا الاتجاه متأثر ـ الى حد ما ـ بمدرسة القانون الاجتماعى فى الولايات المتحدة الامريكية ، التى كانت ترى أن القانون هو ما تطبقه المحـــاكم ٠ ويخلص كولسكار فى ذلك الى أن المهم أن فعالية القاعدة القانونية تظهر باعتبارها **مشكلة تحقق القانون فى الواقع** ٠

ومشكلة التحقق الواقعى هذه تثير عدة موضوعات تتعلق بالعـوامل الذاتية والموضوعية التى تؤثر على عمليات صياغة القاعدة القـــانونية

ذاتها ، والتى تحمل فى طياتها مصير القاعدة القانونية فيما يتعلق بفعاليتها اى عدم فعاليتها · فاذا كان المشرع ــ على سبيل المثال ــ يتبنى نظرة مشوهة ومحيرة للواقع الاجتماعى ، نتيجة عوامل ستى ايديولوجية وسياسيه ، فان القاعدة القانونية يمكن ان تولد ميتة وغير قابله للتطبيق · اكثر من ذلك ، اذا لم يقدر المشرع الواقع الاجتماعى الموضوعى بصورة دقيقة بحيث لا يسبقه ولا يتخلف عنه ، فان ذلك يمكن ان يؤدى الى عدم فعالية القاعدة القانونية ·

وخلاصة المنهج الذى يدعو له كولسكار ، أنه ينبغى النظر الى مشكلة فعالية القاعدة القانونية من منظور تاريخى من ناحية تربط بين البناء القانونى وبين البناء الاجتماعى فى تطوره التاريخى ، ووفق منهج تكاملى من ناحية أخرى . لا يقنع بالتركيز على جزئية واحدة من جزئيات البناء القانونى ، وانما يبسط من آفاقه ليدرس فاعلية النظام القانونى فى شموله ·

ونأتى للبحث الثالث والاخير الذى عرضه مارك جالانتر الاستاذ بكلية الحقوق بجامعة ولاية نيويورك فى بافالو ، وموضوعه عن « **أنماط النزاعات القانونية فى الولايات المتحدة الامريكية** » وقد تعرض فيه لنظرة شاملة على أجهزة التقاضى فى مجتمعه ، حكومية كانت ام غير حكومية وكان هدفه فى البداية دراسة أنماط النزاعات فى «القطاع الخاص» غير أن ندرة البيانات منعته من تنفيذ مشروعه · فتحول ليدرس أنماط المتقاضين أمام الجهات القضائية ·

وفرق تفرقة واضحة بين نمطين رئيسيين :

١ ــ النمط الذى لا يتردد على المحاكم الا عرضا ، وقد أطلق عليه **One-Shotters**

٢ ــ والنمط الذى يتكرر تردده على المحاكم ، وقد اطلق عليه **repeat player**

وقام الباحث بعد ذلك بالمقارنة بين الفرص المتاحة أمام كل نمط من هذين النمطين لكى يستمر فى نزاعه ويحقق أهدافه ·

وقد خلص الباحث من دراسته الى سلسلة من الفروض العلمية التى تحتاج لاثباتها الى القيام بدراسات أخرى أكثر عمقا ودقة ·

خاتمـــة

لعله قد اتضح من العرض السابق مدى تنوع المشكلات التى تعرض لها المؤتمر بالبحث والنقاش والدراسة ، وكذلك تنوع الصيغ التنظيمية التى استوعبت كل هذه الجهود العلمية المركزية .

والحقيقة أن ابرز الظواهر التى حفل بها هـــذا المؤتمر هو أن علم الاجتماع الثورى قد كسب فيه نقاطا متعددة ذلك لانه لاول مرة يثبت قدرته. ليس على مجرد النقد للصيغ السائدة فى علم الاجتماع الرســـمى المنهارة ، ولكن على البناء أيضا بتقديمه نظريته الخاصة ، ومناهج بحثه المتميزة . وقدرته على ربط النظرية بالتطبيق ، وصيغه المبتكرة للقضـاء على عزلة العلماء الاجتماعيين وربطهم بحركة الجماهير الواسعة . ان الاطلاع على أعمال هذا المؤتمر المتنوعة من شأنه أن يسهم بصورة ايجابية فى اثراء التطور الصاعد لعلم الاجتماع المصرى الذى ما زال حتى الآن يجهد فى بلورة هويته القومية . والذى شرع هو أيضـــا فى الانتقال من مرحلة النقد الى مرحلة البناء .

كتب جديدة

الايديولوجية والنهضة القومية : مصر الحديثة

تأليف الدكتور أنور عبد الملك

عرض وتحليل

وداد سليمان**

الاطار النظرى الذى تنتمى اليه هذه الدراسة هو اطار علم الاجتماع المقارن للحضارات المختلفة ، ذلك العلم الذى تزداد أهميته فى المرحلة المعاصرة بحيث يبدو وكأنه يفرض نفسه على اهتمام الباحث ، وذلك كلما اتسعت الفجوة بين الدول المتقدمة والدول النامية ، وكلما تعمقت المشاكل التى تفصل بينها •

وترمى هذه الدراسة الى هدف تحليلى هو القاء الضوء على دور الايديولوجية فى النهضة القومية المصرية خلال القرن التاسع عشر ، كما ترمى ايضا الى هدف نظرى هو استنتاج بعض الفروض العامة التى قد تساعد على فهم وتفسير الحركات القومية التى يشهدها معظم دول العالم الثالث فى العصر الحديث ، بل والبحث عن الاسباب التى قد تؤدى الى نجاحها أو فشلها •

فالموضوع الاساسى للكتاب هو دور الايديولوجية فى النهضات القومية وقد اتبع الباحث المنهج التاريخى للوصول الى هذا الهدف ، متخذا من دراسة الحالة أسلوبا له •

ويرى الباحث أن استخدام المنهج التاريخى له شروط لابد أن تتوافر له لكى ياتى بنتائج مثمرة من الناحية السوسيولوجية • فالفكرة التقليديه التى يكونها الباحثون عن المنهج التاريخى هى أن التاريخ يهتم أساسا بالاحداث السياسية دون سواها من الظواهر • وهذه وجهة نظر ضيقة اذ أن التاريخ يمكن أن يكون التاريخ السياسى أو الاقتصادى أو

---

* Anouar Abdel-Malek, Idéologie et Renaissance Nationale. L'Egypoe Moderne, Anohropos, Paris, 1969.

* باحثة بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية •

الإجتماعى أو الايديولوجى لفترة معينة · وتهتم هـذه الدراسة بصـفة أساسية بتاريخ الايديولوجية خـلال فترة معينة ، وذلك دون تجاهل تاريخ الظواهر الاخرى كالظواهر الاقتصادية وانسياسية . لما قد تلقيه من ضـوء على الظواهر الايديولوجية ولتأثرها بها وتاثيرها فيها · أما عن العـلاقة بـين التاريخ وعلم الاجتماع ، فالسؤال الذى يتبادر الى الذهن هو : كيف يمـكن الانتقـال من خصوصية الظواهـر التاريخية الى العمـومية التى يتطلبها علم الاجتماع ؟ ويرى الباحث ـ اجـابة على هذا السـؤال ـ أن تاريخ الظواهر الاجتماعية هو الذى يمـد عـلم الاجتماع بالمـادة التى يستنتج منها الفروض بـل والنظريات العـامة · ولـكن لا يمكن للدراسة التاريخية أن تـكون مفيـدة لعـلم الاجتماع الا اذا توافـر لها شـرطان أسـاسيان : أولهما أنـه يجب ادخال الحوادث التاريخية كعناصر فى اطار سوسيولوجى واسع يقوم على تحليل التفاعل بين عوامل البناء الاجتماعى التحتى وعوامل البناء الاجتماعى الفوقى · وثانى هذه الشروط أن هـذا التحليل ذاته يجب أن يرتبط بالمنهج السوسيولوجى والتاريخى الذى يعتمد على « الخيال السوسيولوجى » ذلك الخيال الذى يهدف الى التأويل الدال للواقع الخاص حتى يمكن ـ انطلاقا منه ـ استنتاج فروض أكثر عمومية ·

أما فيما يتعلق بأسـلوب دراسة الحالة المتبع فى هـذه الدراسة فيرى الباحث أن الانتقال من خصوصية حـالة معينة الى بعض الفروض العامة لا يتم بسهولة وبأمانة الا اذا كانت تتوافر فى هـذه الحالة بعض الظروف التى تجعل منها حـالة نموذجية صالحة الاستنتاجات العامة · وفى نظـر الباحث أن هناك مجموعة من الظروف التى تجعل من مصر حالة مواتيـة لهذه الدراسة ، وأهم هذه الظروف أن مصر تتميز بعمق المجـال التاريخى وكثافته · والعناصر الاساسية المـكونة لهـذا العمـق التاريخى ولهـذه الـكثافة هى كالآتى : قـدم نشأة الوحدة القومية المتماسـكة ، وتماسـك الـكيان القومى من حيث التكامل الاجتماعى وما يصحبه من سلطة سياسية على اتخاذ القـرار ومن بنـاء اجتماعى ، والارادة الواضحة أو الضمنية فى استمرارية وجود الوحدة القومية رغم المتغيرات الرسمية والنظامية ، والعلاقات المتبادلة مع دول أخرى والتاثير عليها ، وأخـيرا تمثيل مصر الى حـد كبير للمجتمعات الاخرى المنتمية لنفس الحضارة ، بـل وللمجتمعات

تنتمى الى حضارات مختلفة • فوجود مجموعة هذه الظواهر فى مصر هو الذى يجعل منها حالة ممتازة صالحة للدراسة الراهنة •

وقد اختار الباحث الفترة الزمنية التى تمتد من عام ١٨٠٥ حتى عام ١٨٧٩ أى من استيلاء محمد على على الحكم حتى نفى الخديوى اسماعيل ، كمجال زمنى للبحث ، ولكن دون الالتزام الدقيق بهذه الحدود ، وتعديها كلما فرضت عليه الاحداث ذلك • وقد اختار دراسة النهضة القومية المصرية خلال القرن التاسع عشر لما تتميز به هذه النهضة من تناقض يصل الى حده الاقصى ، وهو التناقض بين النجاح الباهر الذى حققته فى عهد محمد على والذى جعلها تشبه النهضة التى شهدتها اليابان ، وبين انهيارها السريع الذى جعلها تقترب من الهند أو الصين • فكانت النهضة القومية المصرية أول نهضة من نوعها تشهدها الدول الشرقية فى العصور الحديثة وتميزت بقوة انطلاق واتساع مجال انجازاتها ودرجتها الممتازة . كما تميزت أيضا باتساع نطاق طموحها وتأثيرها على المجتمعات المجاورة • كل هذه الظروف جعلت من النهضة القومية المصرية نموذجا مثيرا وقويا لحركات التقدم والتحديث التى شهدتها الدول غير الاوربية • وكذلك فانهيار هذه الحركة القومية فى أواخر القرن يثير الدهشة ويقتضى دراسة متعمقة للاسباب التى أدت اليها حتى يمكن تجنبها فى المستقبل • وهذا التناقض الحاد بين نجاح الحركة القومية واتساعها ثم انهيارها هو الذى يجعل من هذه الفترة نموذجا ممتازا لدراسة سوسيولوجية النهضات القومية •

وبعد تحديد المنهج والاسلوب والمجال المكانى والزمنى الذى اتبعه الباحث فى دراسته ، يمكن الآن التعرض لجوهر الموضوع • ويقتضى ذلك ملاحظة (مبدئية) حول تكوين الكتاب وطريقة العرض : فيلاحظ أن الباحث يتجه فى عرضه من الخاص الى العام : فيبدأ بعرض تاريخ مصر خلال الفترة المحددة ، ثم ينتهى باستنتاج بعض المفاهيم الجديدة وبعض الفروض العامة التى قد تساعد على تفسير النهضات القومية فى مجتمعات أخرى •

وقبل دراسة النهضة الثقافية فى مصر ـ وهو جوهر اهتمام

البحث ـ يبدأ الباحث بدراسة التطور الاقتصادى والاجتماعى خلال الفترة المدروسة ، لما قد يكون لهذه العوامل من آثار على التطور الثقافى ٠

ويرى الباحث أن المشكلة الاساسية التى كانت تواجه النهضة المصرية فى هذه الفترة تتمثل فى التحديات التى كان يثيرها العالم الأوربى الذى كان يشهد نهضة صناعية وتكنولوجية واسعة ٠ فكيف يمكن مواجهة ذلك العالم الاوربى المتجه بخطوات سريعة نحو التقدم ، دون أن تفقد مصر توازنها الداخلى ؟ تلك هى المعضلة الاساسية التى كانت تواجه النهضة المصرية وخاصة فى نواحيها الثقافية والايديولوجية ٠ وفى رأى الباحث أنه لا يمكن اطلاق مصطلح التكيف الثقافى على النهضة القومية الثقافية فى مصر خلال الفترة المدروسة . لما قد يخفيه هذا المصطلح من علاقات جدلية موجودة خلال هذه الفترة بين الثقافة القومية الاصلية وبين الثقافة الغربيـة ٠

ويحاول الباحث أن يوضح الاشكال التى اتخذتها النهضة القومية فى مواجهة هذا الموقف ، سواء كان ذلك على مستوى الحكومة أو على مستوى الفكر أو على مستوى الاحساس والفن ٠

فيوضح الخطوات التى اتخذتها الحكومة لارساء أسس النهضة الثقافية فى مصر وتدعيم البناء التحتى لهذه النهضة ٠ ومن أهم الاجراءات التى اتخذتها الحكومة فى عهد محمد على من أجل النهوض بالحياة الثقافية المصرية وانفتاحها على العالم الخارجى ولا سيما العالم الاوربى ، ارسال البعثات العلمية الى أوربا وخاصة الى فرنسا ثم الاستفادة من المبعوثين بعد رجوعهم فى تدعيم حركة الترجمة ، مما أتاح للصفوة المثقفة فى مصر أن تكون على دراية بالتقدم العلمى الاوربى ٠ ويلاحظ أن المثقفين التقليديين كانوا يعارضون الى حد ما تغلغل الثقافة الاوربية فى مصر كما يلاحظ أيضا أن اختيار الكتب المترجمة كان يخضع للسلطة الحاكمة وليس لقرار المثقفين القائمين بالترجمة ، ويلاحظ أخيرا أن هذه الكتب المترجمة كانت متداولة بين فئة ضئيلة من المثقفين ، وأن آثارها لم تمس الطبقات الشعبية ٠ ولكن لا يمكن انكار ما كان لهذه الجهود

الكبيرة من آثار على الحياة الثقافية فيما بعد . هذا فيما يتعلق بدور الحكومة فى الانفتاح الثقافى على الخارج .

أما فيما يتعلق بدور الحكومة فى تدعيم البناء التحتى للنهضة القومية الثقافية فيتمثل فى وضع أسس النظام التعليمى الحديث فى مصر ، وفى تدعيم حركة الطبع والنشر . كان النظام التعليمى خاضعا الى حد كبير لاحتياجات الدولة وبالاخص احتياجات الجيش الذى كان محمد على يوليه اهتماما بالغا . غير أن آثار تدعيم النظام التعليمى فى مصر خلال هذه الفترة لم تقتصر على مد الجيش بالفنيين الضروريين للنهوض به ، بل امتدت الى النهضة القومية الثقافية بأسرها . ويجب كذلك عدم اغفال ارادة السلطة الحكومية فى ذلك الحين فى السيطرة على الموقف الثقافى ، رغم تواجد أعداد كبيرة من الخبراء الاجانب . فيبدو اذن أن موقف الحكومة ازاء النظام التعليمى كان يتميز بالرغبة فى الاستفادة من الخبرات الاوربية ولكن دون أن يفلت الزمام من أيدى الحكومة . وكان لابد لهذا المجهود المبذول فى مجال التعليم الرسمى أن يصحبه مجهود مواز له فى مجال الطباعة والنشر . واذا كان هذا المجهود فى بدايته يرجع الى مبادرة السلطة الحاكمة ويضخع لرقابتها الا أن المجال كان مفتوحا أمام الجهود والمبادرات الاهلية التى أسهمت بقدر كبير فى حركة الطباعة والنشر .

وبناء على ما سبق يمكن القول أن مصر كانت الدولة الوحيدة فى اطار الامبراطورية العثمانية – التى تتمتع بالبناء الاجتماعى التحتى الضرورى لامكان ظهور نهضة قومية ثقافية . وكانت مصر فى هذه الفترة بمثابة ملجأ للمثقفين العرب الذين كانوا يرون فيها تربة ممتازة لتنمية قدراتهم الفكرية وحياتهم الثقافية .

واذا كان البناء التحتى للحياة الثقافية يمثل القوالب النظامية التى سوف يندرج فيها الفكر القومى ، أو بعبارة أخرى فاذا كانت الظواهر النظامية التى سبق وصفها تمثل الشكل فى حين أن الفكر الايديولوجى يمثل المضمون ، فما هو مضمون الافكار التى استوعبها المبعوثون فى الخارج ، وما مضمون الكتب المترجمة ، وما مضمون الصحافة والكتب

المنشورة ، ذلك المضمون الذى يمثل تطور الفكر الايديولوجى خلال الفترة المدروسة ؟ ان بعض العوامل التى حددت مضمون الايديولوجية القومية ذو طبيعة خارجية ، والبعض الآخر - وهو الاهم - ذو طبيعة داخلية ٠ أما العوامل التاريخية التى أثرت على الايديولوجية القومية ، فتتمثل بصفة أساسية فى آثار السان سيمونية فى تطور الفكر القومى ٠ وأما العوامل الداخلية فهى منبثقة أساسا الانجازات السياسية التى حققتها الدولة المصرية الحديثة والتى أتاحت ظهور الوعى بالبعد التاريخى لدى المثقفين المصريين ، سواء على مستوى بلدهم أو على مستوى التطورات الاوربية الحديثة ، تلك التطورات التى كانت تمثل التحدى الذى يواجهه المصريون ٠ والوعى بالبعد التاريخى هو الذى أدى الى نضوج وتمايز بعض المفاهيم كالتمييز مثلا بين مفهوم الامة ومفهوم الوطن ٠ ومن ناحية أخرى ، فالجهود السياسية التى كانت تبذلها مصر للحصول على استقلالها الذاتى لم تجد سندا لدى الدول الاوربية التى بدأت تخشى تلك النهضة القومية التى ظهرت فى مصر ٠ فاضطر المثقفون المصريون الى أن يبحثوا عن مصدر القوة والشرعية داخل البلد نفسها ، وهو ما أدى الى نشأة الحركة الدستورية فى البلاد والمطالبة بالحياة النيابية ٠

ويتضح مما سبق أن المشكلة التى كانت تواجه النهضة القومية على المستوى الفكرى هى مشكلة اللحاق بالحياة الحديثة بأسلوب أصيل أو مشكلة التوفيق بين الحداثة والاصالة ٠ وهى مشكلة ما زال يواجهها المثقفون فى العصر الحالى ٠

واذا كان موقف الحكومة فى ذلك الحين هو محاولة استيعاب العلوم والافكار التى أدت الى تقدم أوربا ولكن دون فقدان السيطرة على الموقف الداخلى رغم وجود الخبراء الاجانب ، واذا كان موقف المثقفين والمفكرين هو محاولة اللحاق بالعصر الحديث دون فقدان الاصالة التاريخية ، فما هو موقف الادب والفن أمام التحدى الاوربى ؟ ان الادب والفن يخاطبان الاحساس وبالتالى يمسان جميع مظاهر الحياة اليومية ٠ ان الذى يلفت النظر هو ثنائية الاتجاهات الادبية والفنية ٠ فهناك الاتجاه الرسمى الذى يتبناه كبار رجال الحكومة والذى يميل الى تقليد الادب والفن الاوربى دون محاولة تطويعه لكى يلائم الظروف المصرية ، أما الاتجاه الثانى فهو اتجاه شعبى غير رسمى يميل الى التعبير الصادق

عن الظروف الصعبة التى يعيشها الشعب المصرى تحت وطأة الاستغلال الرهيب الذى يتعرض له · فالتعبير عن الشعور بالتجرد من حقوقه هو فى الوقت نفسه وبطريقة جدلية شعور بالانتماء الاصيل · ولكن أليس هناك بعض نقاط الالتقاء بين هذين الاتجاهين المختلفين قد تؤدى الى وحدة الاحساس القومى بدلا من الثنائية ؟ فى رأى المؤلف أنه خلال هذه الفترة لم تظهر نقاط التقاء بين الاتجاهين الا عند حدود الحياة والموت ، اذ أن احساس جميع المصريين كان وما زال واحدا تقريبا أمام تجارب الموت ، وأن المناسبة الوحيدة تقريبا التى كانت تعتبر نقطة التقاء بين جميع العناصر القومية التقليدية منها والمستحدثة ، هى مناسبة الاحتفال بعيد شم النسيم تلك المناسبة التى تعتبر نشيدا للحياة ·

ولكن ما هو مصير هذه النهضة الثقافية القومية فى مستوياتها الثلاثة الحكومى والفكرى والادبى ؟ يرى الباحث أن انهيار النهضة القومية فى مواجهة وردع الاستعمار ليس الا انهيارا ظاهريا فقط ، لان التعمق الفكرى ما زال يسير فى طريقه خلال الفترة المظلمة التى بدأت عام ١٨٨٢ ، وذلك رغم كل الجهود التى بذلها كرومر للاحاطة بالنهضة الثقافية المصرية عن طريق النظام التعليمى الرجعى الذى فرضه على البلاد · وفى تقدير الباحث ، أن العنصر الاساسى الذى كان ينقض النهضة القومية فى القرن التاسع عشر لكى تكتمل وتصمد أمام خطر الاحتلال ، هو انعدام الرؤية الواضحة لما يجب أن يكون عليه الانسان المصرى فى الفترة المقبلة ، أو بعبارة أخرى عدم وجود فلسفة للثقافة القومية ·

تلك هى بعض الافكار القيمة التى يتضمنها هذا البحث فى اطاره التحلى ، أما فى اطاره النظرى فهو يحاول الانتقال من خصوصية التجربة المصرية الى عمومية النظرية السوسيولوجية · وهو ينتهى الى تحديد بعد المفاهيم المستحدثة التى تلائم الواقع المصرى ، بل والواقع فى الدول النامية الاخرى ، تلك الدول التى ما زالت تحاول استخدام المفاهيم التى تكونت انطلاقا من التجارب الاوربية · ويحاول الباحث فى هذا الجزء أيضا تحليل العوامل التى تحول دون اكتمال الحركات القومية والعوامل التى تؤدى الى تمايز الايديولوجيات فى النطاق القومى ، فهل

هى العوامل الطبقية التقليدية التى تنـادى بها النظـرية الماركسية أم أن هناك عـوامل أخـرى تـؤدى الى تمايز الايديولوجيات ؟ وأخيرا يحـاول الباحث التمييز بين عمـلية التـكيف الثقافى وعملية التحديث ، اذ تتميـز العملية الاولى باستيراد الخصائص الثقـافية للمجتمعات المستخدمة دون محاولة تـكاملها مع الخصائص القومية ، فى حين تحاول الثانية اللحـاق بالعالم المعاصر انطلاقا من العناصر الايجـابية فى الشخصية القـومية ٠ ويبدو من هـذا العرض لابعاد البحوث النظرية أنها تمثـل «احتمـالات نظرية» عـلى حد قول الباحث أكثر من تكوينها نظرية متكاملة ومتماسكة ٠ ولـما كان البحـث فى سوسيولوجية النهضات القـومية ما زال فى مراحـله الاولى ، فانـه لا يتيسر للباحث سـوى الوصـول الى بعض «الاحتمالات النظرية » ٠

ويتميز هـذا البحـث بعمـق الفـكرة وتـكاملها ، بل وبالنظرة الى المستقبل ، فهى نظرة كامنة تتضـمن برنامج عمـل لـكل الذين يريـدون النهوض بالمجتمع المصرى ٠ فباستقراء أسباب نجـاح النهضة القـومية فى عهـد محمد على ، ثم انهيارها فى أواخـر القرن التاسع عشر ، (بحـث) المثقفـين على تدعيم العوامل التى تـؤدى الى نجـاح الحركات القوميـة وتجنب العوامل التى تؤدى الى فشلها ٠

وترجع أهمية هذا البحث الى أنـه يدرس مرحـلة تاريخية من أهـم مراحـل التـاريخ المصرى الحديث ، والى أنـه يعتبر اسهاما هاما فى علم اجتماع الحركات القومية وفى الدراسة الاجتماعية لتكوين الايديولوجيات وأخيرا فهـو يعتبر اسـهاما مهما فى تجـريد عـلم الاجتماع من الاتجـاه النظرى المتمركز حول التجارب التى مرت بهـا الدول الغربية Occiolo centriste- ويعتبر ذلك اسهاما بالغ الاهمية اذ أن علماء الاجتماع المنتمين الى دول العـالم الثـالث كثـيرا ما يشـعرون بضيق وعدم ارتيـاح عند محاولاتهم تطبيـق النظريات والمفاهيم السـائدة فى الدول المتقدمة سـواء الغربية منها أو الشرقية ، ويضطرون أما الى تطبيق هـذه النظريات كمـا هى عـلى الواقـع الذى يواجهونه فى بـلادهم وهو ما يسـتلزم أحيـانا تشـويه الواقع من أجل ادخاله فى القوالب النظرية المتاحـة ، واما أنهـم يضطرون الى الاكتفاء بدراسات تحـليلية جـزئية (تتسـم) غالبا بالنزعة الامبريقية البحتة التى لا تساعد كثيرا على فهم الواقع سواء فى خصوصيته أو فى عموميته ٠

نظريــات الاجتماع المحــافظة وبديــلها الراديــكالى *

دراســـة فى النظـــرية السوســيولوجية

تــأليف ديــك اتكنســون

عــرض وتحليــل

احمـــد عبــد اللــه زايـــد**

يثــير الموقف الراهن لعــلم الاجتماع الـكثير من الجــدل والمناقشات ، الى درجــة أصبح فيها هذا العــلم مجالا للنقــد واعادة النظر من جانب علمــاء الاجتماع أنفسهم . ويمكن أن نقسم علماء الاجتماع المعاصرين ـ اذا لم يكن هــذا التقسيم تعسفيا الى ثلاث فئات رئيسية : فئة ما زالت تتمسك بنظريات تعود الى دوركايــم وماكس فيبر وماركس ، ويعد بارسونز وزملاؤه من أشهر ممثليها . وفئة أخــرى تحــاول أن تتناول التراث السوسيولوجى بالنقــد ، وتوضح الظروف والملابسات التى تحيــط مــوقف عــلم الاجتماع الراهن ، ويعتبر جولدنر Gouldner ونيسبت Nisbet من أشهر ممثليها . أما الفئة الثــالثة فانها لا تــكتفى بالنقــد بــل تحاول تقديم بدائــل لهــذا التراث . وبالرغم من عــدم اكتمال هذه البدائل الا أنها لا تــزال تمثل أكثر المحاولات جــدية نحو تحرير عــلم الاجتماع .

ومــؤلف هذا الكتاب ـ ديــك اتكنسون ـ يعد واحــدا من هذه الفئــة الاخيرة أنــه يؤمن ايمانا راسخا بأهمية المناقشة والنقد فى مجال العــلم . فهو يقــول فى مطلع كتــابه « ان هذه المناقشة توضح لنا العلاقة بين النظرية الاجتماعية والنشاط الانسانى ، كما أنها تميــط اللثــام عن الآراء الجامدة فى النظرية السوسيولوجية » .

لا يطمئن المؤلف لتلك الشهرة الواسعة التى يحظى بهــا عــلم الاجتماع من جراء ارتباطه بالدولة وخدمته للصناعة . ولا يكتفى بهذا الحد بل يعتبــر تلك الشهرة جــزء من المأزق الذى يمــر به عــلم الاجتماع فى هــذا العصــر

* Dick Atkinson. Orthodox Consensus and a Radical Alternative, Heinemann Educational ooks Ltd, London, 1971.

** معيد علم الاجتماع ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة

والـذى يجعله مجـالا لشكوك عديدة ، ينبع بعضها مـن علمـائه أنفسهم ، وينبع بعضها الآخـر من تـلك الاعـداد المتزايدة من الدارسين المقبلين عـلى العلم والذين يأمـلون أن يساعدهم عـلى فهـم فوضى الحيـاة الاجتماعية المعـاصرة ، وأن يقـدم حـلا لمشاكلها • غير أنهم ما يلبثـون أن يكتشفوا أن هـذا العلم لا يـزال يتعثر فى تحقيق كلا الهدفين • والى جانب هذين النوعين من الشـك هناك موقف رجـل الشارع غير المتخصص ، الذى لا يستطيع أن يتعرف على ذاته من خـلال التفسيرات السوسيولوجية ، بـل أنه يعتقد أنـه أقـدر على فهم ذاته من عـلماء الاجتماع أنفسهم •

من خـلال هذه النظـرة الى عـلم الاجتماع يكتب ديك اتكنسون هـذا الـكتاب • فهذه الازمة التى يمر بها عـلم الاجتماع ناشئة من عـدم قـدرة النظريات والمفاهيم السوسيولوجية على تفسير الحياة الاجتماعية المعاصرة • ولذلك فـلابـد من البحث عن بديل جديد لهذه النظريات ، بديل قـادر عـلى فهم واستيعاب هـذه الحياة • ولقد حاول المؤلف أن يقدم فى كتابه هذا البديل الذى يـراه مناسـبا •

ولـكى يكون هذا البديل مستندا الى أساس موضوعى فلابد من عرض النظريات القديمة التى سيحل هذا البديل محـلها • ولا غـرابة اذا رأينـاه يقرر أن هذه النظريات القديمة هى بارسونز وماركس وماكس فيبر • ولذلك فانه يعرض فى الجـزء الاول من كتابه (يتضمن أربعة فصول) لآراء هؤلاء يكتفى بعرض نظرياتهم فقط ، بـل يعرض لبعض من تأثـروا بهم • فبعد أن ينتهى من عـرض ماركس يتناول آراء هربرت ماركيوز Marcuse الـذى يعتبره وريثـا لماركس • ان نظريـات ماركيوز ما هى الا امتـداد لنظـريات ماركس ، غـير أن ماركيوز قـد أولى اهتماما خـاصا للظـروف المتغـيرة فى القرن العشرين ، محاولا القـاء الضوء على طبيعـة البنـاء الاجتمـاعى للمجتمعات الغربية التكنولوجية ، مبينـا أن هـذه المجتمعات قـادرة عـلى احتواء التغيير الى ما لا نهاية فى نفس الوقت الـذى توجـد فيه داخلها قـوى قـادرة على وضع حـد لهذا الاحتواء وتفجير الثورة •

كما أنه بعد أن ينتهى من عرض آراء ماكس فيبر يتعـرض لآراء جـون

ركس Rex ورالف دارندورف Dahrendorf حيث يذهب الى أنهم قد تأثروا بنفس القدر بكل من ماكس فيبر وماركس ذلك أنهما ساهما فى نقد للاتجاه الوظيفى ، وسايرا ماركيوز ورايت ميلز فى القول بأن ادعاء كينجزلى دايفز Davis « أن الوظيفية هى علم الاجتماع » ادعاء ليس له أساس من الصحة • ومن ثم فقد سعيا الى التوفيق بين الماركسية ونظريا كل من فيبر وبارسونز • ان كل هذه النظريات التى ناقشها المؤلف فى الباب الاول يعتبرها نظريات متزمتة orthodox يطلق عليها « الاجماع الحديث » • Modern Consensus

ولكن لماذا قال أنه « اجماع حديث » ؟ يجيب المؤلف على هذا السؤال فى الفصل الرابع من الباب الاول بعنوان « التقاء المفاهيم والنماذج » • لقد كانت الثورة الفرنسية فى عام ١٧٨٩ وثورة عام ١٨٤٨ من أهم الظواهر التى أثرت فى ماركس وماكس فيبر ودوركايم أيضا ، الى جانب تأثير الثورة الصناعية عليهم • فلقد خلقت كل هذه الاحداث ظروفا اجتماعية متشابهة فسرها كل بطريقته الخاصة • أما بارسونز فقد ربط بين كل هذه الاتجاهات جميعا ، وحاول ـ أولا وقبل كل شىء ـ المساهمة فى البناء النظرى لعلم الاجتماع ، الذى اعتبره علم دراسة الفعل الاجتماعى • وأيا كانت التفسيرات التى قدمها كل هؤلاء العلماء للاحداث التى واجهتهم ، فانهم جميعا قد ووجهوا بمشكلة رئيسية هى تفسير طبيعية الحياة الاجتماعية • والاختلاف الوحيد بينهم هو الطريقة التى عالج بها كل منهم هذه الحياة الاجتماعية ، ونوع المفاهيم التى استخدمها فى معالجته هذه • وينعكس التشابه بينهم فى نظرتهم الى الفرد • والفرد فى نظرهم غير حر ، محكوم بشبكة من العلاقات الاجتماعية • انه لا يملك أى اختيار فى توجيه حياته ، وعليه أما أن يعيش فى نظام (كما يذهب فيبر وبارسونز) أو فى صراع (كما يذهب ماركس) • ان هذين النموذجين ـ رغم ما بينهما من خلاف ـ يكشفان عن أوجه شبه عديدة على أساس كليهما ما هو الا صورة مجردة عن كيفية ظهور وكيفية سلوك الافراد داخله • ان القضية الاساسية التى تعالجها هذه النماذج هى : الفعل الاجتماعى وعلاقته بالمعنى • وهكذا يخلص المؤلف الى أن نقط الالتقاء فى النظرية السسيولوجية هى بالفعل أكثر

مما يتصور بعض الافراد ٠ ان نظرية الصراع لم تفشل فى أن تربط فكرة التغير بمشكلة تكامل النسق ، كما أن الوظيفتين لم يتجاهلوا دراسة الصراع والتغير ٠ ولا يرجع هذا التشابه الى طرق التفسير الطوعى التى قدمها بارسونز بقدر ما يرجع الى تشابه أفكار ومشاكل العصر الذى كتبوا عنه ٠ لذلك فلا غرابة فى أن يطلق على كل هذه النظريات « الاجماع الحديث » ٠

وفى الجزء الثانى من الكتاب ينتقل المؤلف الى موضوع البديل الذى يقترحه فيحاول فى الفصل الاول من هذا الجزء ـ بعنوان « مشاكل وامكانيات ـ أن يقدم الاسس التى سيقيم عليها بديله ٠ ويسلم بادىء ذى بدء ، أنه بالرغم من أن العلماء السابقين ما زالوا عمالقة ، الا أن الظروف التى قدموها لم تعد لازمة لفهم الاحداث أو المجتمع الحالى ٠ ولذلك فانه يرى أننا فى أشد الحاجة الى بديل نظرى لتفسير هذه الظروف الجديدة ٠

ولكى يضع الاسس التى يستند اليها هذا البديل نجده يعود مرة أخرى الى التراث القديم محاولا اخضاع الموضوع الاساسى الذى دار حوله هذا التراث للمناقشة ٠ ان هذا الموضوع الاساسى يهتم بتفسير العقل الاجتماعى فى ضوء المعنى الذى يعطيه الناس يكون موجها دائما نحو تحقيق هدف ما ٠ ويناقش هذا الموضوع وما ارتبط به من مفاهيم مثل مفهوم الفاعل ومفهوم الدور ليس على المستوى النظرى فقط ، بل أيضا على المستوى الامبيريقى من خلال بعض أعمال الامبيريقيين من أمثال جروس Gross وجوفمان Goffman ولانج Lang .

والهدف من ذلك هو توضيح كيف أن الموضوع الاساسى قد استمر أيضا حتى فى أعمال الامبيريقيين الذين لم تخرج معالجتهم أو فهمهم لهذا الموضوع الاساسى عن فهم سابقيهم ٠ ويعرض المؤلف هنا لهذه المفاهيم لكى ينطلق منها نحو تكوين البديل الذى يريده لانه لا يريد لهذا البديل أن يقوم من فراغ ٠

والبديل الذى يقدمه المؤلف فى الفصل الثانى من الجزء الثانى من الكتاب هو بديل للتحليلات القديمة فى نظرية الفعل الاجتماعى ، حيث يبدأ المؤلف بالتسليم بحقيقة أساسية هى العلاقة بين الذات والواقع الاجتماعى ٠

فالواقع لا يظهر أمامنا فى صورته الاجتماعية الا اذا نظرنا اليه نظرة ذاتيـة ؟ فهذه النظرة تلغى عملية الفصل بين ما هو اجتماعى وما ليس كذلك · فكل شىء مهما كان هو اجتماعى من ناحية معينـة ، لانه ليس هنـاك جـانب من المعرفة الانسانية لا يختلط بوجودنا الاجتماعى · هذه حقيقة أساسية يبـدأ بهـا المؤلف حديثه عن البديل ·

من خـلال هذه النظرة الذاتيـة والى الواقـع يمكن أن نقسـم عناصر الفعـل الاجتماعى الى العناصر الآتية :

١ ــ المنطق الموقفى　　　٢ ــ الفاعـل ·

٣ ــ الغـايات ــ القيـم　　　٤ ــ العوامل السيكولوجية ·

٥ ــ الاشياء المـادية　　　٦ ــ الآخـرون

اذا كانت هـذه هى عناصر الفعـل الاجتماعى فان المؤلف يركز عـلى العنصر الاول منها (المنطق الموقفى) ويتخذه مدخلا أساسيا لتحليل الفعـل والتفاعل الاجتماعى ؟ لان هذا المدخل يتغلب على الـكثير من المشاكل التى تثيرها نظرية الدور · فهو يمكن أن يستوعب كل الافعال الاجتماعية الموجودة فى الواقع الاجتماعى · فهذا الواقع ذاتى فقط من خـلال ذات الفرد ومنطقـة عن الموقف الذى يواجهه · ويؤمن المؤلف ايمـانا راسـخا بأن تحليل الموقف لا يجب أن يقوم على التجريد ، فنحن لا نستطيع أن نحـلل الموقف الاجتماعى خاصة اذا ما نظرنا اليه من خـلال منطق الفاعل ــ الا بالرجوع الى الواقع الاجتماعى · ومن ثم نجده يقترح كلمة شخص Person لتحل محل كلمـة فاعل Actor لان الـكلمة الاولى أكثر واقعية وأبعد عن التجريد ·

وهكذا يظهر لنا الواقع فى صورة مختلفة عن التفسيرات القديمة له · انـه واقع يحوى عددا لا نهائيا من المواقف ، وأنواعا كثـيرة من النـاس ، وهو فى حـاجة الى نمـوذج مرن لـكن يفسـره · والنموذج الـذى يقـدمه المؤلف هنـا قادر عـلى توضيح كيفية تغـير الموقف وظهـور انساق جـديدة وضروب جديـدة من الصراع فضـلا عن تحـليل مواقف عديـدة وجماعات مختلفة · وهكذا تنقلب مشكلة النظام رأسا على عقب وتصبح المشكلة : كيف يشكل الافراد الظروف التى تحيط بهم وكيف يحافظون عليها أو يغيرونها ·

ولقد أوضح المؤلف فى هذا الفصل العناصر الضرورية لتحليل أى موقف ولكن المواقف كلها تظهر منفصلة · وهنا نجده يحرز شيئا من التقدم توضيح كيف ترتبط كل هذه المواقف فى المجتمعات المختلفة · غير أنه يقرر أننا مازلنا فى حاجة الى الكثير من المفهومات لنحلل الموقف الواحد الى مواقف عديدة · بمعنى آخر نحن فى حاجة الى أن نربط التحليل الموقفى بالبناء الاجتماعى وهذا هو موضوع الجزء الاخير من كتابه ·

وفى هذا الجزء يحلل المؤلف العلاقة بين الفرد والبناء الاجتماعى محاولا فهم مفهوم البناء الاجتماعى نفسه ، ومقدما لبديل جديد ينطلق فيه من نفس فكرته عن التحليل الموقفى · فاذا كان الفرد فى هذا التحليل الموقفى فاذا كان الفرد فى هذا التحليل الموقفى فردا يحتوى العالم فى ذاته ، فاننا لا نستطيع أن نربط هذا الشخص بأى نوع من البناء · وليس معنى هذا أنه لا يوجد بناء على الاطلاق ، بل معناه أن البناء يمكن أن يأخذ أى صورة ممكنة · أما ما هى هذه الصورة ؟ فتلك مسألة يعتبر البحث الامبيريقى كفيلا بالكشف عنها وتوضيحها · فالبناء الاجتماعى يتحدد من خلال الافراد كما يعيشون حياتهم الخاصة عامة ومستقلة فى نفس الوقت · هذا هو المنطق الاساس الذى ينطلق معه المؤلف فى فكرته عن البناء الاجتماعى · ومن خلال هذا المنطق نجده يعيد سياغة مفاهيم كثيرة مثل مفاهيم : الطبقة والصراع ، والتغير ، والضبط الاجتماعى ·

ان المشكلات السوسيولوجية المعاصرة لا تدور حول مفهوم العقلانية Rationality أو النظام Order أو الصراع . ولكنها مشكلات تتعلق بمواجهة الآخرين · ومن ثم فان الافراد لا يشكلون أنساقا ثابتة بل يشكلون أنساقا مرنة · ومن الجدير بالذكر أن المؤلف يفضل استعمال هذا المصطلح الاخير ليعبر عن النسق بدلا من كلمة Kaleidoscope أنه يقول :

« ان الحياة الاجتماعية المعاصرة يمكن أن تفهم على أنها مجموعة متمايزة من الالوان والاشكال الجملية ، فأفعال الافراد والجماعات تخلق من الحياة قطعة فنية ، ونحن لا نقدم هذا البديل لندرك عناصر الفعل الاجتماعى ، ولكن لنحاول أن نشكل ونلون مستقبل حياتنا بصورة أكثر حيوية » ·

رسائل جامعية

العمـر وعلاقته بالابداع لـدى الراشدين *

محيى الـدين أحمـد حسين **

موضوع هذه الدراسة هو « العمر وعـلاقته بالابـداع لدى الراشدين » وقد اختـير هذا الموضوع موضعا للدراسة الحالية لسببين أساسيين :

١) الندرة التى عولج بها هذا الموضوع دون الموضوعات الاخرى ، سواء تلك التى تتدرج فى اطار دراسات العمر أو فى اطار دراسات الابداع ·

٢) التضارب الذى حمـلته نتـائج البحوث القـليلة التى تنـاولت الموضوع عينه بالدراسة ، فبينما تكشف بعض هذه البحوث عن حدوث قمة مبكرة للاداء الابداعى يتلوها انخفاض مستمر بعد ذلك (e.g. Lehman, 1953; Rossman, 1935 & Bjorkston, 1946) يكشف بعضها الآخر عن استمرار هذا الاداء بصورة ثابتة حتى فترة متأخرة من العمر (e.g. Adams, 1946 & Clauge, 19{1)

وحيث أن أحد الاسباب التى روءى احتمال تفسيرها لهذا التعارض هو أن هذه البحوث قد اعتمدت على الانتاج الابداعى كمحك أساسى للقـدرات الابداعية ، وما يتضمنه ذلك من مشكلات تختص باختلاف المجالات موضـع الدراسة ، بالاضافة الى ما تعكسه القدرة على الانتـاج فى معظم الاحيان من تأثير لبعض العوامل الخارجية ، بيئيـة واجتماعية وحضارية فقـد تحددت استراتيجية هذه الدراسة فى دراسة الموضوع محل الاهتمام من خلال الاعتماد على مؤشر الاختبارات السيكولوجية ·

وشروعا فى هذا أمكن الوقوف من خلال ما أبدعته نتائج بعض البحوث على أهمية عامل الدافعية كعامـل يمكن أن يؤثـر عـلى طبيعة العلاقة بـين المتغيرين موضوع الدراسة· فقد كشف بلز على سبيل ا (Pelz, 1957, 1964)

---

* ملخص لرسالة ماجستير فى علم النفس ، اشراف الاستاذ الدكتـور مصطفى سـويف ، كليـة الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٤ ·

** مساعد مدرس ،- قسم الادارة ، الجامعة الامريكية ·

عن قدرة هذا العامل ليس فقط على اظهار انجاز مبكر للعلماء بـل وتمـكين المبدعين أيضا من تحقيق انجازات بارزة فى السنوات المتأخرة رغـم التدهور الذى يطرأ على قـدرات هؤلاء بتقدم العمر ، الامر الذى حـدا بتضمين هـذا العامل فى الدراسـة الحالية .

وتمثلا لهذه الحدود فقـد تحدد هدفان أساسيان حاولت هذه الدراسـة النهوض بها :

١) بحث علاقة كل قـدرة من القدرات الابداعية : الاصالة ، الطلاقة المرونة ، الحساسية للمشـكلات ، الاحتفاظ بالاتجاه ، علاوة على عامـل الدافعية ، بعامل العمر ، بالاضافة الى الوقوف على مـدى التفاعل بـين عاملى العمر والدافعية من حيث تأثيره عـلى اتجاه علاقة العمر بالابـداع . ومن ثم فقد صيغت الفروض الصفرية التالية التى ينتظمها هذا الهدف .

ا) ليس هناك علاقة بين العمر ولابداع .

ب) ليس هناك علاقة بين العمر والدافعية .

جـ) ليس هناك تفاعل بين عاملى العمر والدافعية من حيث امـكانية التأثير على اتجاه العمر .

٢ ــ تحديد شكل البناء العاملى للقدرات الابداعيـة فى كل فتـرة من الفترات العمرية موضع الدراسة وقد نيط الهدف تحقيق التـالى :

ا) الوقوف على مدى صحة ما أثاره جاريت من افتراض مفاده أنه اعتبارا من سنوات المراهقة وحتى أواسط العـمر يـكون هنـاك تمايز متزايد لقدرات الافراد ، حيث تبدأ هذه القدرات بعد ذلك فى التمركز .

ب) الوقوف على مدى امكانية استخلاص عوامل الابداع التى أمكن التحقق من انتظامها فى مجال التفكير الابداعى من خلال البحوث السابقة ، فى نطاق فئات عمرية متقدمة .

المنهـج المسـتخدم

استخدام فى البحث الحالى المنهج العرضى Cross-sestional method

كأسلوب للدراسة ، فقد مثلت عينة الدراسة مجموعة من الافـراد يتـراوح مـداها العمـرى ما بـين سـن العشرين وسـن السـتين ينتظمون فى أربـع فئات عمرية ٠ وقد تراوح المدى العمرى للفئة الاولى فيما بين سن العشـرين الى أقل من الثـلاثين ؤ وللثانية فيما بين الثـلاثين الى أقـل من الاربعين ، وللثالثة فيما بين الاربعين الى أقل من الخمسين ، وللرابعة فيما بين الخمسين الى سـن الستين ٠

العينــــة

اشتملت عينـة الدراسـة على مجمـوعة من ٤٤٤ فـردا من الذكـور الجامعيين من العاملين فى الحكومة والقطاع العـام بالاضافة الى بعض طلاب الليسانس والدبلومات العـليا من أقسام كليـة الآداب ــ جامعة القـاهرة باستثناء قسم علم النفس ، فانتظمتهم الفئات العمرية الاربع السالفة الذكر ، وقد كان عدد أفراد كل فئة ، ومتوسط مـداها العمرى على التوالى كالآتى : الاولى (ن = ١٤٠ ، م = ٢٤ر٨٢ + ٢ر٣٢) ، الثانية (ن = ١٠١ ، م = ٣٢ر٧٤ + ٢ر٠٧) ، (ن = ١٠٣ ، م = ٤٢ر٣٧ + ٢ر٣٨) ، الرابعـة (ن = ١٠٠ ، م = ٥٢ر٣١ + ٢ر٨١) ٠

الادوات المستخـدمـة

تضمنت بطارية الدراسة نوعين من الاختبارات السيكولوجية :

١ ــ اختبارات تقيس القدرات الابداعية ، فقد تم استخدام اثنى عشر اختبارا من بطارية جيلفورد لقياس أربـع قدرات هى : الاصالة والطـلاقة ، والمرونة والحساسية للمشكلات ، بالاضافة الى ثلاثة اختبارات لقياس القدرة على الاحتفاظ بالاتجاه (من تأليف : د٠ سويف ، وصفوت فرج) ٠

٢ ــ اختبارات تقيس الدافعية فى شكلها العـام وهى عبارة عن ثلاثـة اختبارات : اختبار الدافـع الى الانجاز للسـن ، واختبار مستوى النشـاط العـام لجيلفورد ، واختبار شدة الدفع لبرنجلمان ٠

وقد كشف حساب معاملات الثبات لهذه الاختبارات عن صورة أمـكن معها التقـدم باطمئنان الى تجـربة الدراسة ٠

العمليات الاحصائية

لقد اشتمل أسلوب تحليل البيانات الخاصة بهذه الدراسة على الآتى :

١ ـ حساب المتوسط الحسابى والانحراف العيارى لاداء كل مجموعة عمرية على كل اختبار من اختبارات القدرات الابداعية واختبارات الدافعية ، مع حساب الفروق بين متوسطات أداء هذه المجموعات ، وقد نيط بهذه الخطوة الاحصائية التحقق من صحة الغرض الصفرى الاول والثانى ·

٢ ـ أجرى تحليل التباين ذو البعدين على درجات العينة على كل اختبار من اختبارات الابداع مع درجاتها على كل اختبار من اختبارات الدافعية ، وقد مكن هذا من تحديد درجة كل مجموعة عمرية على كل اختبار من اختبارات الابداع فى اطار ثلاثة مستويات مختلفة من الدافعية : المرتفع والمتوسط والمنخفض ·

٣ ـ تلا ذلك حساب الفروق بين متوسطات الخلايا الممثلة لاتجاه العمر فى كل مصفوفة من مصفوفات تحليل التبيان الخمس والاربعين ، وقد حملت هذه الخطوة الاحصائية الحالية والسابقة هدفا مفادة التحقيق من صحة الغرض الصفرى الثالث ·

٤ ـ تم حساب معاملات الارتباط بين اختبارات الابداع والدافعية فى كل فئة عمرية حتى يمكن القاء الضوء على حجم العلاقة بين هذين النوعين من الاختبارات فى كل فئة عمرية على حدة ·

٥ ـ تم حساب معاملات الارتباط بين اختبارات الابداع وبعضها البعض فى كل فئة عمرية كخطوة أولى حيال اجراء التحليل العاملى

٦ ـ أجرى التحليل العاملى بطريقة المكونات الرئيسية لهوتلنج على اختبارات الابداع فى كل مجموعة عمرية حتى يمكن الوقوف على عدد العوامل التى يمكن استخلاصها ـ لكل مجموعة من هذه المجموعات ، بالاضافة الى تحديد شكل وطبيعة هذه العوامل ·

٧ ـ أجرى بعد ذلك التنوير المتعامد للمحاور بطريقة الفاريمكس لكايزر على العوامل المستخلصة لكل مجموعة عمرية حتى يمكن الوصول

بمصفوفات العوامل الى أقرب الحلول للبناء البسيط ، ومن ثم الوصول الى صورة أكثر انتظاما ومطاوعة للتفسير من خلال الاطار السيكلوجى ٠

٨ ــ ثم تلخصت الخطوة الاخيرة من تحليل البيانات فى المقارنة بين الابنية العاملية الخاصة بالمجموعات العمرية الاربعة حتى يمكن القاء الضوء على مدى اتساق هذه الابنية فى الاعمار المختلفة ٠

نتائج الدراسة ومناقشتها

لقد مكنت الخطوات الاحصائية السالفة من تحقيق الهدفين اللذين نهضت بهما هذه الدراسة ٠

ففيما يتعلق بالهدف الاول فقد أمكن الوقوف على عدد من النتائج أمكن من خلالها التحقق من وجود اتجاه واضح محدد لطبيعة الاداء على اختبارات الابداع فى اطار العمر يتمثل فى صورة علاقة سلبية ٠ ومن ثم بدت شرعية **رفض الغرض الصفرى الاول** ٠

نفس الشىء أمكن الوقوف عليه بالنسبة للاداء على اختبارات الدافعية ، وان لم يأخذ اتجاه العمر فى هذا السياق صورة واضحة ملموسة كالاتجاه السابق ، الامر الذى استتبع بالتالى ضرورة **رفض الغرض الصفرى الثانى** ٠

وفيما يتعلق بوجود نوع من التفاعل بين العمر والدافعية يمكن أن يؤثر على اتجاه علاقة العمر بالقدرات الابداعية ، فان النتائج لم تستطع أن تقدم الدليل على هذا ، ومن ثم فقد أمكن **قبول الغرض الصفرى الثالث** ٠

أما فيما يختص بالهدف الثانى والمتعلق بالبناء العاملى فى الفترات العمرية المختلفة وما ينطوى عليه من هدفين فرعيين فقد كشفت النتائج عن التالى :

١ ــ عدم التحقق من صحة فرض جاريت الذى يشير الى امكانية تمركز القدرات الابداعية بتقدم العمر حيث لم تكشف النتائج عن وجود فروق بين شكل الابنية العاملية فى المراحل العمرية المختلفة التى شملتها هذه الدراسة بالبحث ٠

٢ ـ اتساق تنائج هذه الدراسة مع نتائج الدراسات السابقة من حيث عـدد العوامل التى يمكن استخلاصها من مجال التفكير الابداعى ٠

وانتهاء من هذه تمثلت الخطوة الاخيرة فى مناقشة النتائج المشار اليها فى ضوء منظورين :

١ ـ مدى اتساق هذه النتائج مع ما كشفت عنه البحوث السابقة ٠

٢ ـ المدى الذى به أمكن لنتائج البحوث السابقة أن تلقى الضوء على امكانية تنـاول النتائج الحالية بالتفسير ٠

وقـد أمكن فى ثنايا هذه الخطوة الاخيرة اثارة عديد من الفروض التى أوصى بأهمية تناولها بالدراسة فى بحوث تالية ٠

العـوامـل الاجتماعية النفسـية المـؤثـرة
فى الخصـــوبـة *

دكتورة نــادية حــليم **

ترجع أهمية البحث فى هــذا الموضوع الى النمو الســريع والمستمر فى سكان جمهورية مصر العربية ، مع ما يترتب عـليه من مشــاكل ومــا يستلزمه من حــلول عملية عاجلة ٠

ويرجع هذا النمو السكانى الى ثبات معدل المواليد على مستوى مرتفع منــذ بداية القرن الحالى ، والانخفاض التدريجى فى معدل الوفيات ممــا يــؤدى الى زيادة مستمرة وكبيرة سنة بعد أخرى ٠ فــفى فــترة الثلاثينيات حققت الزيادة السنوية فى السكان ٢٦٤٫٠٠٠ نسمة وارتفع هذا الــرقم الى ٤٦٥٫٠٠٠ نسمة ســنويا فيما بين عامى ١٩٦٠ و ١٩٧٠ ٠

ويــكاد يكون تــركيب الســكان حسب فئــات الســن أهــم العــوامل الديموجرافية فى دلالتهاعلى قــوة السكان الانتاجية ٠ كما يؤثر هذا التكوين على خطط العمل والخدمات الاجتماعية والاقتصادية٠ويتميز البناء العمرى للسكان فى مصر بارتفــاع معــدل الاعالة ٠ فيــكون صغار السن ما يقــرب من نصف السكان ، بينما يتركز ٥٠٪ منهم ما بين ١٥ ــ ٥٠ سنة أى فى سن العمــل والانتــاج للسكان عــامة ، وســن الانجاب للمرأة بصفة خاصة ٠

هذه النسب تضع مصــر فى مجمــوعة الــدول النــامية من حيث نمــو السكان ، ولــكنها فى الوقت نفســه تضع عبئا ثقيــلا متزايدا على القطــاع العامل من السكان ٠ فحوالى ثلث الســكان سنهم أقــل من ثلاثين ســنة ٠ واذا اعتبر الاشخاص فى سن العمــل ما بــين ١٥ و ٦٤ ســنة ، فــان نسبتهم تصل الى حوالى ٥٧٪ من عدد السكان ٠ بينما هى ٦٩٪ فى السويد و ٦٧٪ فى

---

* ملخص لرسالة دكتوراه فى عــلم الاجتماع ، اشــراف الاستاذ الدكتور حسن الساعاتى ، كلية الأداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٤ ٠

** خبيرة بالــمركز القومى للبحــوث الاجتماعية والجنائية ٠

كل من فرنسا والولايات المتحدة · والاشخاص الذين هم فى سن العمل لا يعملون جميعا بالفعل · اذ أن نسبة كبيرة من النساء لا تعمل ، ويقع نصف اناث مصر تقريبا فى سن الانجاب · فاذا أضيف الى هذا الانخفاض معدلات وفيات الاناث فى سن الانجاب يتضح أن شعب مصر من أكثر الشعوب انجابا فى العالم · كما أن معدل التعويض العام لكل امرأة فى مصر هو ثلاثة اناث فى المتوسط تعيش منهم اثنتان تحملان رسالة النوع للجيل الجديد ، وهى نسبة تعويض مرتفعة ·

ومن الواضح أنه لو كانت الموارد الاقتصادية المتاحة فى توسع مناظر للنمو المطرد فى عدد السكان لما كانت هناك مشكلة ، الا أن الظروف القائمة ليست كذلك · فالزيادة فى الموارد لا تسير بنفس سرعة الزيادة السكانية بل هى تلهث وراءها لا تكاد تلاحقها · ويترتب على هذه الزيادة السكانية السريعة آثار معوقة لاهداف خطة التنمية الاجتماعية والاقتصادية بالجمهورية · فمن أهم مقومات المعيشة المكان الذى يعيش عليه السكان وهو الكثافة السكانية ·

ومنذ بداية القرن الحالى حتى الآن تطورت الكثافة من ٢٧٥ نسمة فى الكيلو متر المربع عام ١٨٩٧ الى ٩٢٦ نسمة فى الكيلومتر المربع عام ١٩٧٠ وترتفع الكثافة فى المدن الكبرى فتصل الى ٧٫٠٠٠ نسمة فى الكيلو متر المربع فى مدينة الاسكندرية وحوالى ٢٣٫٠٠٠ نسمة فى الكيلو متر المربع فى مدينة القاهرة · فاذا تحولنا الى نصيب الفرد من الارض المزروعة بالفدان لوجدنا أنه فى عام ١٩٣٧ كان يقتسم الفدان ثلاثة أفراد ، أصبح كل خمسة أفراد يقتسمونه عام ١٩٦٦ · فالارض المزروعة ثابتة أو تكاد بينما تضاعف عدد السكان · وبتقدير قيمة ما يخص الفرد من الدخل القومى نجد أنها قد ارتفعت من ٥٠ جنيها عام ٥٩/٦٠ الى ٧٣ جنيها عام ٦٨/٩٦٩ وكذلك ارتفع نصيب الفرد من الاجور سنويا من حوالى ٩٢ جنيها عام ٥٩/ ١٩٦٠ الى ١٣٧ جنيها عام ٦٨/٦٩ · وبرغم هذه الزيادة فى حصة الفرد من الدخل القومى والاجور الا أن التطور الكبير فى نفقات المعيشة وارتفاعها المستمر فى العشر سنوات الاخيرة أدى الى المحافظة على ان لم يكن انخفاض

الحالة الاجتماعية للفرد عما كانت عليه عام ١٩٦٠ . وقصارى ما يمكن أن يقال الآن هو ان كل الجهود الاقتصادية والحضارية التى بذلت خلال نصف القرن الاخير ، قد نجحت بالكاد فى المحافظة على مستوى متوسط الدخل . واذا استمرت الزيادة السكانية على ما هى عليه فلابد من استمرار هذا الانخفاض .

ولا شك أن العوامل الديموجرافية من مواليد ووفيات وفئات السن وتكوين السكان من حيث الجنس هى عوامل متغيرة تتأثر بعدد كبير من العوامل المتغيرة الاخرى ، كما يؤثر بعضها فى البعض الآخر . وقد أجريت العديد من البحوث والدراسات العالمية والمحلية حول العوامل المؤثرة على الخصوبة من جوانبها الاجتماعية والنفسية والنفسية الاجتماعية . ولم تحظ البحوث النفسية والاجتماعية النفسية باهتمام كبير من الباحثين فى جمهورية مصر العربية بل يمكن القول بأنها مهملة من جانب الباحثين فى موضوع الخصوبة .

واذا سلمنا بالتأثير المتبادل للفرد والمجتمع ، فان سلوك الفرد منبعث من قيم الثقافة التى ينشأ فى ظلها ، وهو بالتالى مؤثر عليها ، فاذا ما تعارض سلوك الافراد مع هدف قومى هام ، فالطريق الى احداث أى تغير هو فى فهم العوامل التى تحكم هذا السلك . ولكل سكان من البشر عواطفهم وميولهم وارتباطاتهم بالماضى وآمالهم فى المستقبل ، لهم تقاليدهم ولهم أطماعهم ومآربهم . هذه الجوانب التى تختلف من مكان الى آخر ومن قطر الى آخر ، بل وتختلف من مجموعة سكانية أو طبقة أو طائفة الى أخرى داخل سكان القطر الواحد . ومن ثم كان لابد من اسقاط هذه العوامل والضوابط السكانية على محتواها الاجتماعى للسكان ، وعلى البيئة التى يعيش عليها السكان ويتأثرون بها وتؤثر فيهم . ودراسة الظروف الثقافية والبيئية هامة للوقوف على الظروف التى أدت الى تكوين مجموعة الصفات الخلقية والخصائص النفسية أو القيم الاجتماعية التى تؤثر فى الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريا العلاقة التى تربط سلوكه بأسلوب الحياة فى الوسط الذى ولد فيه . ومن هنا كانت أهمية دراسة عاملى التسلط والمحافظة .

فالتسلط بما يحمله من معانى السلطة والتحكم فى الآخرين والحكم عليهم ، كذا الاحساس بالتميز والتفوق يحدد لنا من بيده سلطة اتخاذ القرارات فى الاسرة بين الزوجين وتأثير ذلك على اتخاذ قرار حجم الاسرة وهو من أخطر ما تتخذه الاسرة من قرارات ٠

أما عامل المحافظة فان اختياره مبنى على الحداثة النسبية التى تتعلق بموضوع الانجاب وحجم الاسرة وتغير قيمة المرأة وقيمة الطفل ٠ فالعادات التقليدية تنحو دائما نحو المحافظة أكثر مما تنحو نحو التجديد ، ولهذا تجعلها طبيعتها المحافظة تقاوم التغيير حيث أنها تمس عواطف الناس ومشاعرهم ومعتقداتهم ٠

ويساعد وجود مجموعة من العوامل الاجتماعية على التحرر ، وبدرجات متفاوتة ، من آثار القديم من العادات والتقاليد ٠ اهتم هذا البحث بدراسة أربعة منها وهى مستوى التعليم ــ والمستوى الاجتماعى الاقتصادى ، والمنشأ الاصلى ، ثم المهنة

ولن يتسنى تغيير سلوك الفرد واتجاهاته الا بتغيير مصدر صفاته الخلقية وقيمه الاجتماعية ، أى تغيير ثقافته وظروف حياته الاجتماعية والاقتصادية ، ذلك التغيير الذى يتيح لغالبية أفراد المجتمع فرص التحرر الفكرى والتخلص بسهولة من القيم والعادات التى لم تعد تساير حاجة العصر ومتطلبات المجتمع ٠ ومن هنا كان الاهتمام بتفسير كل ما وصل اليه البحث من نتائج فى ضوء ثقافة المجتمع وظروفه الاجتماعية والاقتصادية فلم يعد من المتصور البحث فى مسائل السكان بمعزل عن الخطة العامة للتنمية فى المجتمع ٠

بهذا التصور السابق تحددت أهداف البحث فى اختبار صحة الفروض الستة التالية :

١ ــ أن هناك علاقة بين درجة المحافظة والتقدمية والخصوبة ٠

٢ ــ أن هناك علاقة بين السيطرة والخصوبة ٠

٣ ــ أن هناك علاقة بين مستوى التعليم والخصوبة ٠

٤ ـ أن هناك علاقة بين المستوى الاجتماعى الاقتصادى والخصوبة ·

٥ ـ أن هناك علاقة بين المهنة والخصوبة ·

٦ ـ أن هناك علاقة بين المنشأ الاصلى والخصوبة ·

تضمن تقرير البحث بابين يشتملان على ثمانية فصول · يشتمل **الباب الاول** على دراسة نظرية عن الخصوبة وعلاقتها بالنمو السكانى والسياسات السكانية ، وتتوزع مادة هذا الباب على خمسة فصول :

الفصل الاول يتناول المفهومات : مفهوم الخصوبة ومقاييسها ، ثم العوامل التى أثرت فى الخصوبة فى بعض الدول المتقدمة ·

الفصل الثانى : ويتناول العوامل المؤثرة فى الخصوبة كما تناولتها نظريات السكان ·

ثم **الفصل الثالث :** وخصص لعرض العوامل المؤثرة فى الخصوبة كما تناولتها الدراسات والبحوث السابقة التى ساهمت فى تحديد فروض هذا البحث ·

ويوضح **الفصل الرابع** العلاقة بين الخصوبة والنمو السكانى ·

ويتناول **الفصل الخامس** الخصوبة والسياسات السكانية ·

وينفرد **الباب الثانى** بعرض العمل الميدانى الذى يتناول العوامل المؤثرة فى الخصوبة فى ميت عقبة محافظة الجيزة مشتملا على ثلاثة فصول ·

الفصل السادس ويتناول خطة العمل الميدانى ·

ويشتمل **الفصل السابع** على التحليل الاحصائى وعرض البيانات ·

ويتضمن **الفصل الثامن** والاخير الاستنتاجات والاقتراحات

ـ استخدم فى جميع خطوات هذه الدراسة المنهج التجريبى وعولجت البيانات الناتجة عنه بالأسلوب الاحصائى سواء عند اختيار العينة أو عند تصميم أدوات البحث أو عند اختبار مدى صدقها وثباتها أو عند معالجة البيانات ·

ـ طبق البحث على عينة من أسر منطقة ميت عقبة ٠ (جـزيرة ميت عقبة وعـزبة ميت عقبـة) وهى تقـع عـلى مسـاحة قـدرها ٨٠٠ فـدان يسكنها حوالى ٨٠ ألف نسمة ، تضم ميت عقـبة والجزيرة ومدينة المهندسين ومدينة الاطباء والصحفيين والمعلمين ٠

ـ وعن طريق جهـاز السـجل المدنى ،وبالاطـلاع عـلى اسـتمارات البطاقات العائلية أمكن عمل مسح لاسـر المنطقة التى تنطبق عليها شـروط العينة وهى :

أن تـكون من الاسر التى مضى على زواجها ١٥ عاما فأكـثر ، وأن تـكون من الاسر التى لا زالت على علاقة زواجية مستمرة ٠ ومن مجموع هـذه الاسـر تم عشوائيا اختيار ٢٠٠ أسرة هم عينة هذا البحث ٠

طبقت أدوات جمع البيانات على كل من الزوج والزوجة ٠ وبذا يكون مجموع من طبق عليهم البحث ٤٠٠ فـرد ٠ ومن داخل هذه العينة اختيرت عينة أخـرى قوامها ٢٥ أسـرة من أكثر أسر العينة انجابا ، و ٢٥ أسـرة من أقلها انجابا وطبق على هاتين المجموعتين الاخيرتين اختبارى المحـافظة والتقدمية ثم السيطرة ٠

أعتمد فى جمع مادة هـذا البحث على استبيان كما تم تصميم اختبارين للتعرف على درجة كل فـرد بالنسـبة للمحافظة والتقدمية ثم درجة السيطرة ملئت بياناتها أيضا عن طريق المقابـلة الشخصية ٠

وقـد انتهى التحليل الاحصائى للمادة المجموعة الى النتائج التالية :
ما زال الاتجاه نحو الزواج المبـكر من الامور السائدة بل والمرغوبة فى مجتمع هذا البحث ٠ كما أن اختيار الوالدين لـزوج الابنة من الانمـاط الشائعة بين أسر عينة هذا البحث غير أن معايشة أسـر عينـة هـذا البحث لسـكان الحضر أدت الى أحداث بعض التغيرات التى بـدأت تأخـذ طريقها ببطء شـديد الى نمط المعيشة الاسرية كتفضيل المعيشة المستـقلة ، وبدايات تفكك العلاقات القرابية الوثيقة ٠

وتـؤكد نتائج البحث ارتباط معنى الـزواج بالانجاب وفى أقـل زمـن

ممــكن مع استمرار التأكيد على أهمية الابناء الذكور . والقاء مسئولية عدم الانجاب على الزوجــة فى كل الاحــوال ٠

وبالنســبة للاتجاه نحو تنظيم النســل ، فقــد أوضحت النتــائج أن للرجال موقفا ســلبيا أزاء استخدام وسائل تنظيم النسل ٠ فهى مسئوليــة الزوجة فقط ٠ وبرغم المعرفة الواســعة بين أسر عينــة البحث عن وســائل تنظيم النســل ، الا أن نســبة عدم الاستخدام كبيرة بســبب انتهاء الانجــاب فى بعض الحالات ، والمتاعب الصحية المترتبة على الاستخدام فى حالات أخرى ثم اعتبار تحديد النسل حــرام ٠ وهناك تعارض واضح بين الحجم المناسب للاسرة والحجم الفعــلى لها ، مما يوضح الصراع القائم بين الموروث مــن الافــكار والسائد منها حاليا كما ارتبطت الاســر الــكبيرة الحجم بالعــزلة النسبية والانغــلاق وانتشار المعتقدات التى تــدور حول قيمة الانجاب وكثرة عدد أبناء الفقراء وكذا الاعتقاد فى الــكثير من الغيبيات كالحسد ، والسحر ، والالتجاء فى مواجهة المشاكل الى القوى الغيبية والاستعانة فى سبيل حــلها بوسائط غير انسانية ٠

بالنسبة للفروض الرئيسية للبحث :

ـ أســفرت نتائج البحث عن تأثر الخصوبة بشــكل مباشــر بــكل من التعــليم ، والمستوى الاجتماعى الاقتصادى ، ونــوع المهنـــة ، ثم المنشــأ الاصــلى ٠ كذلك وضحت العلاقة بــين الخصوبة ودرجة المحافظة والتقدمية بينما لم تظهر هذه العلاقة بنفس الدرجة بين التسلطية والخصوبة من كافــة الجوانب التى درست منها هــذه العلاقة ٠

ـ وقد تبين من البحث أنــه مع ارتفاع المستوى الاجتماعى الاقتصادى يقــل حجم الاسرة وتتغير قيمة الزوجة ٠ كذا فالابناء يتحولون من مصــادر للرزق الى عبء من الناحية الاقتصادية على الاسرة ٠ بل ويصبح عدم انجاب مزيــد من الابناء يهدف الى تحقيــق مســتوى معيشى مرتفع يقف الابنــاء الكثيرون عقبة فى سبيل تحقيقه ٠

أما العلاقة بين التعــليم والخصوبة ، فقد تبين من البحث أيضا وجود علاقة قوية بينهما ، حيث يــؤثر التعليم على سن الزواج وحجــم الاســرة

واستخدام وسائل تحديد النسل ، والوعى بالمستقبل والتخطيط له ، ودرجة الايمان بالمعتقدات السائدة ، ومدى الالتزام بعادات العائلة الممتدة ٠

ـ وبصدد العلاقة بين الخصوبة والموطن الاصلى ، فقد انتهى البحث الى وجود علاقة بينهما ، فمواليد منطقة ميت عقبة ، يتميزون بالزواج المبكر ، ويميلون الى الاحتفاظ بأسر كبيرة الحجم ، ويفضلون تمركز الاقارب فى منطقة واحـدة ٠

ـ وفيما يتعلق بالعـلاقة بين المهنة والخصوبة ، فقد تبين من تحليـل المادة التى تعرضت الى هـذا الجانب أن حجم الاسرة يقـل بالنسبة لاسـر ذوى المهن العليا ٠ ويأخذ فى الـكبر حتى يصل الى منتهاه بالنسبة للعمـال غير الفنيين ٠ ويبـدو من البحث أن ذوى المهن العليا والمتوسطة أكثر اهتماما بتعليم الابناء ، وأكثر احتراما لادوار الزوجـة داخل المنزل ٠

ـ وترتبط الخصوبة أيضا بالمحافظة والتقدمية ٠ فـكلما زادت درجة المحافظة كلما اتجـه الافراد نحو الزواج المبكر والاسر الكبيرة الحجم ، وعـدم استخدام وسائل منع الحمل والعـادات المتوارثة والمتعلقة باختيـار الآباء لازواج وزوجات الابناء وعـدم الموافقة على اشتغال المرأة والاعتقاد فى الغيبيات والتمسك بعادات وتقاليد الاسرة الممتـدة كما ظهر أيضا أن الاكثر محافظة أقل تعليما ٠

كما تبينمن البحث وجود علاقةبينالتسلط واخصوبة ٠ اذ كلما زادت درجة التسلط زاد حجم الأسرةكما أن الأزواج مواليد الريفـوميت عقبة أكثر تسلطا من الأزواج مواليد الحضر كما أن الأكثر محافظة أكثـر تسـلطا فى نفس الوقت ٠ وارتبط أيضا بمستوى التعليم بالتسلط فـكلما ارتفـع مستوى التعليم كلما اتسم الازواج بالتسامح ٠ غير أن النتـائج لم تسفر عن وجود عـلاقة بين التسلط وموقف الازواج من تقييد الطلاق أو تعـدد الزوجات كذا لم تظهر علاقة بين التسلط ومكانة الطفل أو الزوجـة فى الاسرة ٠

THE NATIONAL REVIEW OF SOCIAL SCIENCES

Volume 12 **January 1975** **No. 1**

CONTENTS

THE NATIONAL REVIEW OF SOCIAL SCIENCES
The National Center for Social and Criminological Research
Gezira P.O., Cairo, Egypt.

Price Per Issue	Issued Three Times Yearly	Annual Subscriptior
U.S. $ 4	January - May - September	U.S. $ 12

THE NATIONAL REVIEW OF SOCIAL SCIENCES



Issued by
The National Center for
Social and Criminological Research,
Egypt

No. 1 **January 1975** **Vol. 12**

بحوث ومقـــالات :

- * الابداع وسمات الشخصية لدى الاناث
- * سمة « المرونة ــ التصلب » لدى العاملات وغير العاملات
- * مكانة المرأة وعلاقتها بالخصوبة وتنظيم الاسرة
- * بعض الخصائص الديموجرافية للمرأة فى مصر
- * المفهوم العـــام للمرأة المصرية المعاصرة
- * دور المرأة فى المجتمع المصرى الحديث
- * الوضع الاجتماعى للمرأة القروية المصرية
- * علم النفس وقضـــايا المرأة
- * تحـــرير المرأة وتطور الانســـــان
- * دور المرأة فى التنميـــة من خـــلال الجهـــود النسائية فى العمل الاجتماعى الشعبى
- * المرأة وقوانين الاحـــوال الشـــخصية
- * تغـــير الوضع الاجتماعى للمرأة فى مصر المعـــاصرة

- * كتب جـــديدة
- * رســـــائل جامعيـــة

عـــدد خاص عن المـــرأة

العـــدد الثـــانى و الثـــالث　　سبتمبر ١٩٧٥　　المجلد الثانى عشر

المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية

رئيس مجلس الادارة
الأستاذ الدكتور احمد محمد خليفة

المجلة الاجتماعية القومية

المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية
بريد الجزيرة — القاهرة

رئيس التحرير
الأستاذ الدكتور أحمد محمد خليفة

نائب رئيس التحرير
الدكتورة ناهد صالح

سكرتير التحرير
محمد هويدى

لجنة النشر
الدكتور سيد عويس ، الدكتور عادل عازر ، الدكتورة ناهد صالح ، الدكتورة نهى فهمى ، عصام الميجى ، محمد هويدى .

ثمن العدد عشرون قرشا — **تصدر ثلاث مرات فى العام** يناير ، مايو ، سبتمبر — **الاشتراك عن سنة** خمسون قرشا

مطبعة دار التاليف بالفنون ٢١٨٢٥ — القاهرة

المجلة الاجتماعية القومية

المجلد الثانى عشر   سبتمبر ١٩٧٥   العدد الثانى والثالث

محتويات العـــــدد

ترجو هيئة تحرير المجلة أن يراعي فيما يرسل اليها من مقالات الاعتبارات الآتية :

١ — أن يذكر عنوان المقال موجزا ، ويتبع باسم كاتبه ومؤهلاته العلمية وخبراته ومؤلفاته في ميدان المقال أو ما يتصل به .

٢ — أن يورد في صدر المقال عرض موجز لرؤوس الموضوعات الكبيرة التي تولجت فيه

٣ — أن يكون الشكل العام للمقال :

— مقدمة للتعريف بالمشكلة وعرض موجز للدراسات السابقة

— خطة البحث أو الدراسة

— عرض البيانات التي توافرت من البحث .

٤ — أن يكون أثبات المصادر على النحو التالي .

للكتب: اسم المؤلف ، اسم الكتاب، بلد النشر : الناشر ، الطبعة مكتبة النشر ، الصفحات .

للمقالات من مجلات : اسم المؤلف، عنوان المقال، اسم المجلة(مختصرا)، السنة ، المجلد ، الصفحة .

للمقالات من الموضوعات : اسم المؤلف ، عنوان المقال (اسم الموسوعة) ، تاريخ النشر .

وتثبت المصادر في نهاية المقال مرتبة حسب الترتيب الهجائي لأسماء المؤلفين وتورد الاحالات الى المصادر في المتن في صورة (اسم المؤلف ، الرقم المسلسل للمصدر الوارد في نهاية المقال ، الصفحات)

٥ — أن يرسل المقال الى سكرتارية تحرير المجلة منسوخا على الآلة الكاتبة من أصل وصورتين على ورق فولسكاب ، مع مراعاة ترك هامشين جانبيين عريضين ومسافة مزدوجة بين السطور .

الابداع وسمات الشخصية لدى الأناث

دراسة تجريبية وعاملية

ناهد رمزى *

يستطيع القارىء أن يلاحظ بغير عناء مدى التفاوت بين اعداد الرجال واعداد النساء ممن بلغوا مراتب التفوق فى مجالات الحياة المختلفة ، ولا تظهر هذه الحقيقة من خلال مراجعة مصدر مسحى شامل مثل الانسكلوبيديا البريطانية فحسب بل تظهر بوضوح شديد من خلال عدد من الدراسات التى تناولت هذه الظاهرة فى مجال البحوث المهتمة بدراسة العبقرية .

فاليس Ellis, 1904 يذكر أنه لم يجد من بين ١٠٣٠ حالة من المتفوقين الذين قام بدراستهم الا ٥٥ امرأة برزت أغلبهن فى مجالات خاصة كانت قاصرة على النساء وحدهن .

وفى حصر مماثل لكاتل فى نفس الفترة تقريبا Cattell, 1905 لم يجد الا ٣٢ امرأة فقط من المشاهير من بين ألف شخص ، ومن بين هؤلاء الاثنتين والثلاثين كانت احدى عشرة امرأة فى منصب الحاكم عن طريق الوراثة ، بالاضافة الى ثمان أخريات لعب الجمال أو بعض الظروف الجانبية الاخرى دورا هاما بالنسبة لهن ، أما الباقيات فكن ممن كسبن شهرتهن من خلال نبوغهن او عبقريتهن .

وتذكر انستازى انها لم تجد الا ٥٥ امرأة فقط من بين ٢٦٠٧ عالما يعملون فى مجال العمل العقلى أمكن حصرهم خلال الفترة من ١٩٠٣ حتى ١٩٤٣ (Anastasi. et al, 1953 , 621) وعلينا أن نلاحظ بالنسبة لهذه الظاهرة بوجه عام أن هناك بعض العوامل الاجتماعية التى تلعب دورا كبيرا فى هذا المضمار مثل انخفاض عدد النساء اللاتى يعملن فى مجالات العلم المختلفة ، حيث تذكر انستازى أن نسبة العاملات فى مجال الطبيعة تصل الى ١ر٢٪ فقط لترتفع فى بعض الفروع العلمية الاخرى لتصل الى اقصى الارتفاع لها فى مجال علم النفس فتصل النسبة الى ٢٢٪ .

---

* باحثة بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية .

وقد تكون هناك عوامل اخرى ترجع اليها ندرة وجود مبـــدعات فى مجالات العلم المختلفة مثل بعض العوامل الحضارية والنفسية أو النفسية الاجتماعية وهى عوامل لم تحظ بالقدر الكافى من الدراسة ســـواء على المستوى العالى أو على المستوى المحلى .

ويتحدد اسهامنا التجريبى فى هذا المجال فى القاء الضوء على العلاقة بين القدرات الابداعية (١) والسمات المزاجية الشخصية (٢) .

واذا ما أردنا أن تبدأ بتحديد الموقع الذى تحتله هذه الدراسة التى نحن بصددها فى خريطة بحوث الابداع ذات التضاريس المتباينة فيمكننـــا أن نتبين أنها تنتمى من حيث موضوعها الى أكبر فئة من فئات بحوث الابداع الحديثة ، فقد أحصيت خلال العشر سنوات الممتدة من عام ١٩٥٠ حتى عام ١٩٥٩ ثمانى فئات من البحوث السيكولوجية تتناول موضوع الابداع عن شتى الجوانب وعلى راس هذه الفئات جميعا فئة البحوث التى تتناول الصلة بين الابداع وسمات الشخصية والتى تستأثر وحدها بما يقرب من مائتى بحث منشور (سويف ١٩٥٩ ص ٤٠١ — ٤٢٠) .

ولم تحظ الاناث بما حظى به الذكور من اهتمام فى هذا المجال وحده بل فى بقية فئات البحوث الاخرى بوجه عام ، فقد أشار جاراى فى مســـح له أجراه فيما بين أعوام ١٩٥٨ ، ١٩٦٠ للبحوث التى نشرت فى مجلة علم النفس المرضى والاجتماعى لمعرفة مدى الاهتمام بدراسة الاناث ، فتوصـــل الى أن البحوث التى هدفت الى دراسة الاناث فقط لا تتعدى نسبتها ٥٪ من اجمالى البحوث المنشورة بينما تمثل البحوث التى أجريت على ذكور فقط ٣٨٪ ، واعتمدت ٣٥٪ منها على الجنسين معا وأغفل فى ٢٢٪ منها اجراء تحليلات مستقلة لكل من الجنسين على حدة (Garal, 1968).

وبفحص التراث نجد أن الدراسات التى تناولت السمات الشخصية للاناث المبدعات تعد قليلة للغاية هذا اذا ما استثنينا بعض الجهود التى

---

(١) يعرف بارتلت Bartlett الابداع Creativity بانه التفكير المغامر الذى يتميز بترك الطريق المرسوم والتخلص من القوالب المصاغة والاقبال على التجربة واتاحة الفرصة للشىء لكى يؤدى الى غيره Torrance, 1969.P.17 وهناك العديد من التعريفات للمصطلح وتتفق جميعها على فكرة الخروج من التقليدى والمعتاد فى السلوك والتفكير وانتاج وابتكار الجديد.

(٢) يقصد بالسمات المزاجية مجموعة الخصال أو الصفات الشخصية التى تتمتع بقدر من الدوام والتى تظهر من خلال سلوك الفرد فى المواقف المختلفة .

بذلت مثل البحوث التى قامت بها هيلسون فى هذا المجال (Helson, 1973 , 1970 , 1966 , 1961) والتى تناولت فيها بالدراسة السمات الشخصية والنمط المعرفى والتاريخ الشخصى للنساء المبدعات فى الفن والعلوم والدراسات الانسانية فى سنواتهن الجامعية الاولى ولمدة خمس سنوات بعد التخرج ، كما تضمنت مقارنة المبدعات فى مجال الرياضة بقريناتهن من النساء الاقل ابداعا وبالمبدعين من الرجال فى نفس المجال ؛ وقد قيست السمات الشخصية فى هذه الدراسات ببطارية كاليفورنيا للشخصية (١) وباختبار المينسوتا المتعدد الاوجه (٢) .

وقد توصلت هيلسون الى بعض النتائج الهامة ، من ذلك أن مرتفعات الابداع قد أظهرن تفوقا على مثيلاتهن من الاناث الاقل ابداعا فى المرونة والاصالة وفى استقلال الحكم والميل الى التعقيد وفى الادراك السيكولوجى كما كن أقل ميلا للنجاح عن طريق المجاراة (٣) كما أظهرت الدراسة التتبعية ارتفاعا فى هذه السمات لدى المبدعات فقط ، ولم يتدخل متغير الزواج فى تغيير شكل النتائج .

كما توصلت هيلسون أيضا الى آن المبدعات من عالمات الرياضة كن اكثر مرونة واقل اجتماعية وامتثالا لمعايير المجتمع من الاقل ابداعا فى مجال الرياضة ، وبمقارنة هذه المجموعة المبدعة من النساء بمجموعة من علماء الرياضة من الذكور اظهرت عينة الاناث درجة أقل من الثقة بالنفس ومن الاجتماعية ، كما كانت مجالات اهتماماتهن محدودة اذا ما قورنت بتعدد مجالات الاهتمام لدى الذكور .

كما توصل كيرتزمان Kurtzman, 1967 الى نفس النتائج فى دراسة له على عينة من الذكور والاناث فى مرحلة الدراسة الثانوية .

ونجد فى نفس المجال عددا محدودا من الدراسات ؛ من ذلك دراسة أن رو Roe, 1953 التى استخدمت فيها مجموعة من الاختبارات الاسقاطية ودراسة دريفدال وكاتل Drevdahl & Cattell, 1955 , 1958 التى استخدما فيها متغيرات البطارية الخاصة بكاتل والتى تتضمن ستة عشر عاملا للشخصية (16 PF) .

---

(1) California Personality Inventory.

(2) Menesota Multiphasic Personality Inventory.

(3) Conformity.

وقد أجريت هذه الدراسة على الذكور أولا ثم أعيدت على الاناث وهناك دراسة أخرى أجريت استنادا لمـــا توصلت اليه روزى Rossi, 1955 عن الهبوط المستمر فى نسبة النساء الحاصلات على درجات مرتفعة فى مجال العلوم الطبيعية أجراها ولبيرج Walberg, 1961 عن الابداع والسمات الانثوية على مجموعة من طلبة وطالبات العلوم الطبيعية فى احدى المدارس العليا ، وأثار ولبيرج فى هذا البحث سؤالا هاما يحتاج الى دراسة عما اذا كانت هناك بعض العوامل تؤدى الى نجاح الاناث فى مجالات معينة وتؤدى فى نفس الوقت الى اعاقتهن عن النجاح أو البزوغ فى مجالات أخرى كمجـــال العلوم الطبيعية مثلا .

أما باتشتولد ووارنر (Bachtold, Werner, 1970) فقد اهتما بتحديد السمات الشخصية للنساء الاكاديميات اللائى وصلن الى قمة نجاحهن فى مجال تخصصهن العلمى بهدف مقارنتهن بالاناث فى المجتمع العام من ناحية وبالنســـاء الجامعيات من ناحية ثانية وبالرجال الاكاديميين الذين حققوا هم أيضا نجاحا مرموقا من ناحية ثالثة بهدف معرفة طبيعة الفروق فى نمط شخصية النساء فى اطار مجالات عملهن واهتماماتهن المهنية وانتاجهن ونشاطهن العام .

وقد توصل باتشتولد ووارنر الى بعض النتائج منها أن الناجحات ممن يعملن فى مجال علم النفس يختلفن عن النساء الراشدات فى المجتمع العام وعن النساء الجامعيات فى كثير من سمات الشخصية ومما يلفت النظر أن هناك قدرا كبيرا من التشابه فى هذه السمات بينهن وبين الاكاديميين من الرجال ، الا أنهن كن بوجه عام أكثر من الرجال ذكاء ومرونة وخيالا ، كما كن مسيطرات جادات وحساسات ، نافذات البصيرة غير تقليديات ، وامنات واجتماعيات بتحفظ ولديهن اكتفاء ذاتى . وعلى الرغم من التشابه الشديد بين أداء كل من الاناث والذكور الاكاديميين الناجحين فى أدائهم على بطارية كاتل للشخصية (16 PF) الا أن درجات عالمـــات النفس أظهرن اتجاها نحو الارتفاع فى الذكاء وفى التحررية كما كن اقل من الرجال الاكاديميين فى درجة العاطفية .

دعتنا هذه النتائج وما توافر فيها من خصائص تثير الانتباه الى القيام بدراستنا لتحقيق هدفين :

الاول : أن نحصل على نتائج محلية يمكن ان تساهم فى التعرف على

طبيعة الصلة بين الابداع وسمات الشخصية لدى الاناث وبصورة تساعد على المقارنة بينها وبين نتائج الباحثين الامريكيين .

الثانى : أن نقوم بالدراسة على عينات من الجمهور العام للاناث لا على عينات من المبدعات ، ولان المنطق السيكولوجى يفترض توافر القدرات المختلفة لدى أفراد المجتمع كله بمقادير متباينة ، ونفس الظاهرة بالنسبة لسمات الشخصية فان حصـولنا على صورة ارتباطية للأداء على هـذه القدرات والسمات يمكن أن يساهم فى القاء الضوء على مشكلتنا الخاصة بالتعرف على العلاقة بين السمات الشخصية والقدرات الابداعية لدى الاناث ..

وقد تناولنا هذه المشكلة على الوجه الآتى :

أولا : القدرات والسمات المقاسة :

أ ــ القدرات الابداعية :

اخترنا مجموعة من القدرات الابداعية لكى ندرس علاقتها بالسمات المزاجية للشخصية وهى الاصالة والطلاقة التصورية والمرونة التلقائية ، الحساسية للمشكلات ، الاحتفاظ بالاتجاه .

ويعتبر جيلفورد أن الاصالة والطلاقة التصورية والمرونة التلقائية هى بمثابة المكونات الاساسية للابداع ، ليس فقط فى العلم والتكنولوجيا ، ولكن فى الفن ايضا ، كما أنه يذهب أبعد من ذلك فيؤكد أنها ليست فقط قدرات ضرورية ولكنها تعد كافية للابداع اذا ما توافرت بنسب معقولة لدى الافراد (Guilford, 1959A) ويقصد بالاصالة (١) كما عرفها جيلفورد فى بادىء الامر ، درجة الجدة التى يمكن أن يظهرها الفرد والتى تبدو فى استجاباته غير المألوفة والمقبولة فى نفس الآن ، وفى ميله الى اعطاء تداعيات بعيـدة (Guilford, 1950A) ، (Wilson, et al, 1953) غير أنه يعـرف الاصالة فى بحوث متقدمة له على أنهـا المرونة التكيفية للمـادة اللفظية فحينما يوجد تغيير فى المعانى توجد الاصالة ، حيث تبدو الافكار هنا على انها جديدة أو ماهرة أو غير معتادة (Guilford, 1953 B)

أما الطلاقة (٢) فيقصد بها القدرة على انتاج أكبر عدد من الافكار ذات الدلالة ، وقد استطاع جيلفورد أن يتوصل من دراساته العاملية الى اربعة

---

(1) originality (2) fluency

عوامل للطلاقة هى طلاقة الكلمات (٣) وطـــلاقة التداعى (٤) والطـــلاقة التعبيرية (٥) والطلاقة التصورية (٦) (Guilforp, 1959) .

اما المرونة (٧) فتعرف أنها القدرة على الانتقال من فئة الى أخرى ، وهذا الانتقال يعبر عن مرونة الفرد العقلية والسهولة التى يغير بها موقفه العقلى (Guilford, 1950) وتوصل جيلفورد الى أن هنـــاك نوعين للمرونة يندرجان تحت هـــذه القـــدرة هما : المرونة التلقائية (٨) والمرونة التكيفية (٩) بنوعيها الشكلية (١٠) والتركيبية (١١) .

وتعرف المرونة التلقائية بأنها القدرة على انتاج عدد متنوع من الافكار مع التحرر من الجمود أو القصور الذاتى (Guilford, 1959) .

اما النوع الثانى من الافكار وهى المرونة التكيفية بنوعيها الشكلى والتركيبى فتعنى القدرة على تسهيل حل المشكلة ، ويظهر ذلك واضحا فى نوع المشكلات التى تتطلب حلولا غير عادية (Guilford, 1950) وتعتبر الحساسية للمشكلات (١٢) احدى القدرات الاساسية فى التفكير الابداعى ويقصد بها قدرة الشخص على رؤية العديد من المشكلات فى الموقف المعطى او المقدم (Guilford, 1950) وكانت هذه القدرة تندرج من قبل فى فئة القدرات التى تختص باكتساب معلومات جديدة ، أو بالتعرف على معلومات قديمة ولكن رؤى فيما بعد أنه من المنطقى أن يضم هذا العامل (١٣) الى مجال القدرات التقيمية لان الفصل فى هذه الحالة يتضمن نوعا من الحكم على الاشياء (Guilford, 1959A) كما أن هنـــاك قدرة اخرى رأينـــا دراستها بهدف استكشافى افترضها الدكتور سويف بوصفها قدرة ابداعية متميزة تســـاهم بشـــكل ظاهر فى تشكيل الاداء الابداعى للفرد هى قدرة الاحتفاظ بالاتجاه (١٤) لمـــا لاحظه من أن العالم المبدع يبدو انه يمتاز بالقدرة على تركيز انتباهه وتفكيره فى مشكلة معينة زمنا طويلا نسبيا (ســـويف ، ١٩٥٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٢) .

---

(3) word fluency
(4) Associational Fluency
(5) expressional Fluency
(6) Ideatonal Flueney
(7) Flexibility
(8) spontaneous flexibility
(9) Adaptive flexibility
(10) figural flexibility
(11) structural flexiblity
(12) senstevity to problems

(١٣) يستخدم تعبير عامل أو قدرة بمعنى واحد وان كانا غير مترادفين فالعامل تعبير رياضى من خصائص معينة يمكن أن تعبر عن قدرات مفترضة أما القدرة فهى تعبير سيكولوجى يمكن أن يعبر عن أشكال معينة من الاداء .

(14) maintaining direction

وقد عرفت هذه القدرة بأنها القدرة على التركيز المصحوب بالانتباه الطويل الامد على هدف معين من خلال مشتتات او معوقات سواء فى المواقف الخارجية او نتيجة لتعديلات حدثت فى مضمون الهدف ، وتظهر هذه القدرة فى امكانية المفحوص متابعة هدف معين وتخطى اية مشتتات والالتفاف حولها باسلوب يتسم بالمرونة (ص. فرج ، ١٩٧١ ، ص ١٢٥) .

ب ــ السمات المزاجية :

اخترنا خمس سمات مزاجية لدراسة علاقتها بالقدرات الابداعية التى ذكرناها من قبل وهى :

١ ــ **النفور من الغموض**(١) ويتمثل فى ميل الشخص الى التطرف فى الاعتقاد والراى وتفضيله للمفاهيم الواضحة القاطعة التى لا تحتمل أكثر من معنى (Eysenck, 1954) وقد توصل دكتور سويف فى دراسة عاملية له باستخدام اختباره للصداقة الشخصية (PFCL) (٢) بابعاده الثلاثة بالاضافة الى مجموعة أخرى من المقاييس الى وجود عامل نقى يتمثل فى التطرف فى مقابل الاعتدال والنفور من الغموض فى مقابل قبول الغموض (Soueif, 1965) .

٢ ــ **الانبســاط** : ويقصد بالانبساط الاندماج وعدم التريث والاهتمام بالعالم الخارجى وحب الاثارة والميل الى الاجتماعية واغتنام الفرص والتصدى للامور والتصرف طبقا للحظة الراهنة .

٣ ــ **الانطــواء** : وهو القطب الثانى للانبساط ويقصد به التريث وتأمل الحالات النفسية الذاتية وتحديد العلاقات الاجتماعية فى أضيق حدودها واخذ الحياة مأخذ الجد . والشخص الانطوائى يميل الى الحياة المنظمة والى التحكم فى مشاعره تحكما وثيقا ونادرا ما يفقد أعصابه او يتصرف بعدوانية (حفنى ، نظمى : ١٩ : ص ٦٢) .

٤ ــ **العصابية** : يعرف الشخص العصابى بأنه شخص يعانى من خوف مرضى قوى لا مبرر له من أشياء معينة كالاماكن او الاشخاص أو الحيوانات . والمريض بالعصابيــة يعرف بالطبع أن خوفه ليس له سبب معقول ويدرك تماما أن سلوكه شاذ ولا مبرر له ومع ذلك فهو

---

(1) Intolerance of Ambiguity

(2) Soueif's personal friend check list

عاجز تماما عن التغلب على مخـاوفه بغض النظر عن الدرجة التى يمكن أن تعوقه بها هذه المخاوف عن ممارسة حياة سوية . (المرجع السابق ص ٩٦) .

ويعد الانبسـاط والعصابيـة من السمات التى تكرر ظهورها فى دراسات عاملية متعددة فى مجتمعات مختلفة .

قوة الانا : توصل كاتل Cattle الى أن قوة الانا هى احـد العوامل الاساسية للشخصية وفى تحليل عاملى من الدرجة الثانية لوحظ تشبع هذا العامل تشبعا دالا على عامل التكامل فى مقابل القلق وهو عامل مشـابه لعامل العصابية عند ايزنك Eysnk (Soueif, Elsayed, 1970)

كذلك فقد اثرنا تضمين قياس السمات الانثوية والذكرية (١) فى بحثنا لاعتقادنا انها تمثل أهمية ما فى بناء الشخصية الابداعية كما جاء فى العديد من الدراسات السابقة التى ربطت بين ارتفاع درجة الابداع من ناحيـة ووضوح السمة الذكرية لدى الاناث أو السمة الانثوية لدى الذكور (Little, 1969) (Mackinnon, 1961)

ثانيا : المقاييس المستخدمة :

اكتفينا بتمثيل كل قدرة ابداعية او سمة مزاجية بمقياس واحد أو مقياسين على الاكثر مستندين الى وجود دراسات عاملية سابقة اثبتت وجود تشبعات عالية للمقاييس المستخدمة على القدرات المقاسة وكانت المقـاييس التى حققت لنا هذه الشروط هى :

١ ــ اختبارات القدرات الابداعية :

١ ــ اختبار الاستعمالات غير المعتادة (٢) . (لقياس عاملى الاصالة والمرونة التلقائية) .

٢ ــ اختبار رؤية المشكلات (٣) ، (لقياس الحساسية للمشكلات) .

٣ ــ اختبار تسمية الاشياء (٤) ، (لقياس عاملى المرونة التلقائية والطلاقة الفكرية) .

---

(1) Masculintly—Femmeninity (2) Unusual uses Test

(3) Seeing problemq Test (4) Object Naming Test

٤ ـــ اختبار الاحتفاظ بالاتجاه اللفظى الاول (٤) ، (لقياس قدرة الاحتفاظ بالاتجاه) .

وبالنسبة للاختبارات الثلاثة الاولى وهى لجيلفورد فقد اجرينا عليها عدة تجارب فى دراسات سابقة لنا عن الفروق الجنسية (ن ، رمزى ١٩٧١، ١٩٧٤) وتوصلنا منها الى أن الاختبارات ببنودها المعروفة كما صممها جيلفورد ليست بالاداة الملائمة لابراز افضل أداء ابداعى لدى كل من الجنسين ذلك أن مضمون بنود هذه الاختبارات كان يثير استجابات لدى جنس دون الآخر بطريقة غير متساوية ولا متسقة ، الامر الذى يشكل تحيزا فى تقييم الاداء يرجع الى طبيعة مضمون البنود وليس الى القدرة ذاتها مما دعانا الى تصميم صور جديدة لاختبارات جيلفورد توخينا فيها أن نقدم لكل جنس بنودا تتصل بطبيعة هذا الجنس مما يجعل الاداء لدى الجنسين مقرونا بالالفة لمضمون البنود ، ومن هنا جاء اعتمادنا فى هذه التجربة على اختباراتنا ذات المضامين الجديدة .

اما بالنسبة للاختبار الرابع وهو الاحتفاظ بالاتجاه فقد صمم بالاضافة الى اختبارين آخرين لقياس قدرة الاحتفاظ بالاتجاه فى دراسة سابقة (ص . فرج ١٩٧١) .

واتساقا مع اسلوبنا فى توفير اختبارات خاصة بكل جنس رأينا أن نصمم صورة انثوية لكى تلائم بقية الاختبارات ذات البنود الانثوية الا أن دراستنا الاستطلاعية (ن ، رمزى ١٩٧١ ص ١٥٢ ــ ١٥٧) أظهرت أن اختبار الاحتفاظ بالاتجاه اللفظى الاول وهو المستخدم فى هذه الدراسة يثير افضل أداء لدى الاناث حينما طبقت عليهن الاختبارات الثلاثة لذا اعتبرناه صورة انثوية بينما أظهر اختبار الاحتفاظ بالاتجاه اللفظى الثانى (١) انه يثير أفضل أداء لدى الذكور لذا اعتبرناه صورة ذكرية ، وكانت الفروق بين أداء الجنسين على الاختبارين دالة احصائيا بينما أظهر الاختبار الثالث وهو اختبار الاحتفاظ بالاتجاه الشكلى انه اختبار محايد .

ثبات الاختبارات وصدقها :

ترتب على تصميم اختبارات ابداعية جديدة ضرورة حساب ثباتها وعدم الاكتفاء بالثبات الخاص بالصور الاصلية لها واستخدمنا فى ذلك طريقة

---

(4) Maintaining Direction verbal I Test
(1) Maintaining Direction Verbal II test ,

القسمة النصفية فيما عدا اختبار الاحتفاظ بالاتجاه فقد حسبنا ثباته بطريقة اعادة الاختبار فلم يكن بناؤه يسمح لنا بقسمته — وقد توصلنا الى معاملات ثبات مرضية هذا بالاضافة الى المعاملات المقبولة لثبات المصححين والتى اجريت لها تجربة خاصة على ١٥ حالة (جدول رقم ١) .

جدول رقم ١ يوضح

ثبات الاختبارات وثبات المصححين

الاختبارات	ثبات الاختبارات (ن ٢٧)	ثبات المصححين (ن ١٥)
١ — الاستعمالات غير المعتادة	٥٥٠ر	٨١ر
٢ — رؤية المشكلات	٧٥٥ر	٩٠ر
٣ — تسمية الاشياء (المرونة)	٦٠٠ر	٨٣ر
٤ — تسمية الاشياء (الطلاقة)	٥٤٠ر	واحد صحيح
٥ — الاحتفاظ بالاتجاه اللفظى الاول (١)	٥٨٧ر	—

ب — مقاييس السمات المزاجية :

أما مقاييس الشخصية فكان اختيارنا لها على الوجه الآتى :

١ — مقياس الصداقة للدكتور سويف(٢) لقياس النفور من الغموض.

٢ — مقياس الانبساط — الانطواء من بطارية ايزنك للشخصية (E P.I)

---

(١) لم ندخل اختبار الاحتفاظ بالاتجاه تجربة ثبات المصححين وذلك لان له قاعدة ثابتة فى التصحيح ولا يحتاج الى تقييم .

(٢) يتكون هذا الاختبار من مجموعة من الصفات التى يمكن أن توجد لدى الاشخاص ويطلب من المفحوص أن يقيمها تبعا لما له من خبرات فى عقد صداقات لافراد من نفس جنسه على أن يعطى + ٢ للصفة التى لا بد من توافرها لقيام الصداقة + ١ للصفات التى يجب أن تتوافر لقيام الصداقة ، صفر للصفات التى لا يهمه أن تتوافر ، — ١ للصفات التى يحسن الا توجد — ٢ للصفات التى يجب الا توجد واذا ما وجدت فلا يمكن أن تقوم الصداقة وقد اثرنا أن نحلل كل فئة على حدة على اعتبار أن — ٢ تمثل التطرف السلبى ، — ١ تمثل الاعتدال السلبى ، الاستجابة الصفرية تمثلان عدم الاكتراث بينما تمثل + ١ الاعتدال الايجابى + ٢ التطرف الايجابى وذلك استنادا لنتائج التى توصلت اليها دراسات سابقة من ظهور نتائج غير متوقعة عندما حللت كل استجابة على حدة (سويف ١٩٥٨ ، ١٩٥٩) .

٣ ـ مقياس الانطواء الاجتماعى (S I) من اختبار الشخصية المتعدد الاوجه (MMPI)

٤ ـ مقياس K من نفس البطارية لقياس قوة الانا .

٥ ـ مقياس العصابية لايزنك (E.P.I)

٦ ـ مقياس C من بطارية الـ STDCR لجيلفورد ويقيس التقلبات الوجدانية .

٧ ـ مقياس الذكورة والانوثة M . F من اختبار الشخصية المتعدد الاوجه ويقيس السمات الذكرية والانثوية .

ثالثا ـ عينة البحث :

قدمت بطارية الاختبارات المكونة من اختبارات الابداع ومقاييس الشخصية الى عينة تتكون من مئة وخمسين (١٥٠) طالبة من طالبات كلية الآداب ، جامعة القاهرة وعين شمس أقسام اللغة العربية والانجليزية والفلسفة والاجتماع والتاريخ والجغرافيا من السنوات الاولى والثانية والثالثة بمتوسط عمرى مقداره ٤٢ر٢٠ وانحراف معيارى مقداره ٣٣ر٢ وكانت جلسة التطبيق لا تزيد عن ٢٥ طالبة فى كل مرة .

رابعا : النتائج :

حسبت المتوسطات والانحرافات المعيارية كما تتضح فى جدول رقم (٢) وكذلك الارتباطات بجميع مقاييس البطارية (جدول ٣) وظهر من الارتباطات أن ٦٠٪ من معاملات ارتباط القدرات الابداعية دالة فيما بعد ٠١ر أما اذا استبعدنا متغير الاحتفاظ بالاتجاه فترتفع النسبة لتصل الى ١٠٠٪ وكلها دالة فيما بعد ٠١ر

أما متغيرات الشخصية فقد ظهر أن ٤٤٪ من ارتباطاتها دال ، ٣٠٪ منها دال فيما بعد مستوى ٠١ر والارتباطات الباقية دالة فيما بعد ٥٪ .

أما الارتباط بين اختبارات الابداع من جهة ومقاييس الشخصية من جهة أخرى فقد بدت ضعيفة للغاية فلم يكن هناك الا ثلاثة ارتباطات دالة بين هذين النوعين من المتغيرات أى بنسبة ٥ر٢٪ تقريبا .

جدول رقم ٢
يوضح المتوسطات والانحرافات المعيارية
للمقاييس المستخدمة

الاختبارات	المتوسط	الانحراف المعيارى
١ – اختبار الاحتفاظ بالاتجاه	١٥٫٥٣	٧٫٧٢
٢ – اختبار الحساسية للمشكلات	٢٢٫٧٧	١٠٫١٦
٣ – اختبار الاستعمالات غير المعتادة	٩٫٢٤	٤٫٣٠
٤ – اختبار تسمية الاشياء (مرونة)	٥٫٧٠	٣٫٠٧
٥ – مقياس التقلبات الوجدانية «٢» لجيلفورد	٥٫٨٩	١٫٥٧
٦ – مقياس قوة الانا من المنيسوتا	١٠٫٨٤	٣٫٣٨
٧ – مقياس العصابية لايزنك	١٣٫٤٠	٣٫٩٦
٨ – مقياس الانبساط لايزنك	١١٫١٠	٣٫٨٨
٩ – مقياس الذكورة والانوثة من المينسوتا	٢٨٫٣٠	٥٫٠٢
١٠ – مقياس الانطواء الاجتماعى من المينسوتا	٣٠٫٢٠	٩٫٣٠
١١ – التطرف الايجابى +٢ من اختبار الصداقة	١٤٫٢٠	٨٫٨٦
١٢ – التطرف السلبى – ٢ من اختبار الصداقة	١٧٫٦٦	٧٫٥٣
١٣ – اختبار تسمية الاشياء (طلاقة)	٢٢٫٥٢	٧٫٥٠
١٤ – الاعتدال الايجابى +١ من اختبار الصداقة	١٢٫٩٢	٥٫٧١
١٥ – الاعتدال السلبى – ١ من اختبار الصداقة	١٠٫٧٧	٥٫٨١
١٦ – الاستجابة الصفرية(صفر)من اختبار الصداقة	١٤٫٦٢	٨٫٢٠

فارتبط اختبار الاحتفاظ بالاتجاه بمقياس العصابية ارتباطا ايجابيا دالا (فيما بعد ١٫ر) كما ارتبط اختبار الاستعمالات غير المعتادة كمقياس الاصالة وللمرونة مع مقياس الانبساط لايزنك بمستوى دلالة (٥٫ر) .

كما ارتبط اختبار الاستعمالات غير المعتادة كممثل للاصالة وللمرونة أيضا بمتغير الاعتدال الايجابى (+ ١) من اختبار الصـــداقة الشخصية بدلالة قدرها ٥٫ر.

ثم أجرينا تحليلا عامليا بطريقة هوتلنج Hotteling واستخرج من مصفوفة الارتباطات سبعة عوامل تضمنت ٤٧٫٥٣٪ من حجم التباين الكلى.

ولاعطاء العوامل الناتجة معنى سيكولوجيا أكثر وضوحا أجرى تدويرا متعامدا للمحاور بطريقة الفاريماكس لكايزر Kaiser. 1959 وأمكن اعادة توزيع التباين بين العوامل السبعة نتيجة للتدوير ولعدم وجود أسلوب معين لتحديد الخطأ المعيارى لتشبع الاختبارات على العوامل ، فقد قبلنا بمحك جيلفورد وهو اعتبار التشبعات التى تصل الى ٣ر أو أكثر تشبعات جوهرية وهو محك معمول به فى الدراسات العاملية المختلفة

(Wilson, et al, 1953) (child, 1970,P.45)

ويوضح جدول رقم ٤ العوامل المستخلصة بعد التدوير المتعامد ،

جدول رقم ٣ يوضح
مصفوفة معاملات الارتباط (ن ١٥٠)

المتغيرات	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	٥
٢	٧٢														
٣	٢٠ —	٣٣٧**													
٤	٢٥	٢٩٧**	٣٢٧**												
٥	٦٩ —	٣٨	٦٩	١١ -											
٦	٢٣٥*	١١٢ -	١٠ -	١٤٧	٢٥٨** —										
٧	٥٦ —	٥٠ -	٢٧ -	٨٣ —	٤٢٩**	٤٠٨									
٨	٤٣ —	٦٠ -	١٨٩*	١١١	١١٥	٢٨	١٠٦ -								
٩	٣٨	٨٥	٧٥	١٣٦	١٦٩*	٥٨	٢١٦**	٥٠							
١٠	٣٤ —	٣٠	١٣٥ -	٩١ —	١٦٨*	١٢٤ -	٢٩٨**	٤٩٠** —	٢٥١**						
١١	١٣٠ -	٣٤ —	١٢٦	٤٨ -	٢٢٦**	١٢٥	١٤٢	٩٠	١٢٢	٤٥					
١٢	٧٤	٣٦ -	١١٢ —	٠٢	٢٩ —	١٨	٨٦	٤٠ -	١٩٩*	١٥٨	٢٦٨**				
١٣	٦٧	٢٨٣**	٣٨٧**	٥٧٤**	٨٩	٤٩	١٠	٨٠	١٠٢	١٦٨ —	٩٨ —	٨٣ -			
١٤	١٤ -	٦١ —	٢٠٠**	١٣٣	١٢٧	٥٧	١٠٧ -	٦٠	١٧٠* —	٢٢٠**	٤٢٦** —	٣١٩** —	١٣٣		
١٥	٣٦	٩٥ —	١١١	٨٢	٠٥	١٢٥	٣٨ —	١٤٠	١٧٨* —	٩١ —	٢٢٦** —	٥١٠** -	١٢	٢٤٥**	
١٦	٥١ -	١١٦	٧٠	٧١ —	٤١ -	٢٥	٨٦ —	١٨٠* -	٢٢	٨٦	٣٥٠**	٥٢٨** -	٥٠	٩٤ -	١٣ —

مستوى الدلالة = ٠٥ر = ١٥٩

٠١ر = ٢٠٨

— أغفلت العلامة العشرية .

جدول رقم ٤

يبين العوامل بعد اجراء التدوير المتعامد بطريقة الفاريماكس

١ —	٠١٥٣٤٩	٠٢٥٣٨٧	٠٠١٠٠٨—	٠٦٦٨٦٦	٠١٣٧١٨—	٢٧٨٩٧—	٤٢٠٧٧٨٧—
٢ —	٠٣٣٧٥٢	١٠٣٠٠٤	٥٦٧٦٢٥	٠٠٤٧٠٠—	١٠٨٠٩٥	٦٧٣١٤	٣٩٥٨٧
٣ —	١١٩٣٢٨—	٠١٢٣٥٤	٦٣١٢٥٠	٠٧٤٨٧٧—	١١١٠٧٨—	٦٨٠٥٩	٢٦٩١٠—
٤ —	٠١٨٦١٤—	٢٢٦٢٩٩—	٥٤٧٠١٧	٠٥٧٣٢٣	٠٣٨٤٢٩	١١٧٧١٩—	٧٠٩٣٢—
٥ —	٠٧٤١٠٥	٠٦٣٩٩٥	٠٣٩٠٧٦	٦٦٨٤١٤—	٠٩٥٩٥٥	٨٦١٨٨	٣٤٠٨
٦ —	٠٧٨٧٠١—	١٠٣٢٩٣—	٠٣٦٨٩٢	٤٤٤٥٧٧	٠٥٢٢٤١	٢٨١٣٨٤—	٣٩٨٩٦٤—
٧ —	٦١٥٣٧٤	٠٦٦٢٢٩—	١٣٤٩٦١	١٦٢٠٦٧—	٢٦٦٨٨٩	٥٧١٥	١٧٥٢٨٢
٨ —	٦٣٢٦٧٨—	١٦٦٦٨٣—	١٧٩٧٤٦	١٤٨٣٥٦—	٠٩٢٣٥٣	٤٧٦٠٠	٤٧٦٣
٩ —	٢٦٢٠٧٢	٠٨٦٣٧٤—	٢١٧٣٦٥	٠٨٣٠٣١—	٣٣٦٥٤٤	٤٤٣٠٠—	٨٣٤٦٠—
١٠ —	٧٢١٠٦٣	٠١٩٦٥٤	٠٧٣٧٦١—	٦٧٨٤٦٦—	١٨٦٦٤٨	٩٢٢٥٦—	٠٢٢١٢—
١١ —	١٣٦٦٩٦—	٦٨٣١٩١—	١٧٦٤٠٦	٢٨٩٦٤٧	٢٧٦٣٦٢	١٣٦٧٩٢	٣٠٢٥٥
١٢ —	٠٤٥٨١٢	٢٧١٥٦٨—	٠٧٠٧٢٣—	٠٥٥٢٦٩—	١٧٦٤٠٩	٨٨٤٥١١	١٠٤٩٨٥—
١٣ —	٠٠١١٢٨—	١٨٦٤٥٩—	٣٦١١١٩	١٢٥٠٨٢—	٠٥٤٧١٩	١٥٩٦٥٦	٣٣٢١٤٩—
١٤ —	١٢٦٣٦٥—	٠٠٠٩٠١—	١٤٤٨٥٩	٠٢٨٦٨٠	٦٧٤٩٠١—	٧١٨٧٤—	٤٠٧٨٤
١٥ —	٧٦٩٥٥٩	٠٦١١٧٣	٠٧٧٢٩٧—	١٨٣٤١٤	٠٨٢٧٣٢	٥٩٨٨٧٦—	٩٩٠١٦—
١٦ —	٠٢٩٧٢٤	٦١٥٩٢٤	٠٧٩٨٤٢	٠٤١٠٨٩	١٧٧٧٤٧	٤٢٢٧٩٤—	١٨٦٩١٦

وبفحص عواملنا يمكننا أن نفسر العامل الاول على انه عامل للعصابية فقد تشبع عليه تشبعا ايجابيا كل من مقياسى الانطواء الاجتماعى (٧٢ر أ والعصابية (٦١ ر) .

أما العامل الثانى فقد فسر على أنه عامل قطبى يمثل الحسم ــ عدم الحسم فقد تشبع عليه المتغير الصغرى من مقياس الاستجابات المتطرفة تشبعا ايجابيا مرتفعا (٦١ر) كما تشبع عليه متغير التطرف الايجابى (+٢) تشبعا سلبيا مرتفعا (ــ ٦٨ر) ولا يكفى بالنسبة لهذا العامل أن نعتبره تطرفا ايجابيا فى الحسم فقط ولكن تطرفا عاما فى الحسم وذلك لوجود تشبع دال (بالتقريب الحسابى قدره ٣ر) لمتغير التطرف السلبى (ــ ٢) فقد تشبع على هذا العامل بمقدار (ــ ٢٧ر) مما يوضح طبيعة الحسم رفضا أو قبولا مع الميل الى الحسم الايجابى .

ويفسر العامل الثالث على أنه عامل ابداعى فقد تشبعت عليه ثلاثة من اختبارات الابداع تشبعات ايجابية مرتفعة وهى الاستعمالات غير المعتادة لقياس الاصالة والمرونة (٦٣ر) والحساسية للمشكلات (٥٧ر) ونسمية الاشياء ممثلا للمرونة (٥٥ر) .

ويفسر العامل الثالث على أنه عامل ابداعى فقد تشبعت عليه ثلاثة من أعلى التشبعات عليه من مقياس التقلبات الوجدانية الذى تشبع عليه تشبعا سلبيا (ــ ٦٧ر) ومقياس قوة الانا الذى تشبع عليه نشبعا ايجابيا(٤٤ر).

أما العامل الخامس فقد فسر مقلوبا على أنه عامل للتطرف العام ، فقد تشبع عليه متغير الاعتدال الايجابى (+ ١) تشبعا سالبا (ــ ٦٧ر) كما تشبع عليه مقياس الذكور والانوثة تشبعا ايجابيا (٣٧ر) وقد يكون أكثر ما يحدد معالم هذا العامل أن هناك تشبعا قريبا من مستوى الدلالة وهو التشبع الايجابى لمتغير التطرف الايجابى (٢٨ر) .

ويمثل العامل السادس بعدى التطرف السلبى فى الحسم ــ الاعتدال السلبى فى الحسم لمـــا نلمحه فيه من تشبع ايجابى مرتفع على متغير التطرف السلبى (ــ ٢) يبلغ (٨٨ر) كما تشبع عليه أيضا متغير الاعتدال السلبى (ــ ١) تشبعا مرتفعا (ــ ٥٩ر) كما تشبع عليه أيضا المتغير الصـــغرى (ــ ٤٢ر) .

أما العامل الســابع والاخير فيمكن أن يفسر مقلوبا على انه عامل للاحتفاظ بالاتجاه ، فقد جاء أعلى تشبع عليه من اختبار الاحتفاظ بالاتجاه الذى تشبع عليه سلبا (ــ ٤٣ر) ، كما تشبع عليه سلبا أيضا مقيــاس قوة الانا (ــ ٤٠ر) واختبار تسمية الاشياء ممثلا للطلاقة (ــ ٣٣ر) .

التحليل العاملى من الدرجة الثانية :

وللوصول الى صورة تلخيصية أكثر تجريدا تجمع خصائص العوامل التى أنتجت فى الدرجة الاولى قمنا باجراء تحليل عاملى من الدرجة الثانية (١) لمصفوفة عواملنا السبعة من الدرجة الاولى بعد أن قمنا بتدويرها تدويرا متعامدا بطريقة هندريكسون ووايت (Henderickson ,white 1964) ثم أجرينا تحليلا بطريقة هو تيلنج لمصفوفة الارتباطات بين العــوامل المائلة وحصلنا من هذه الخطوة على عاملين من الدرجة الثانية تضمنا نســبة ٥٩ر٤٢٪ من حجم التباين الكلى اختص العامل الاول منها نسبة ٣٥ر٢٢٪ وتضمن العامل الثانى نسبة ٤٤ر٢٠٪ من حجم التباين الكلى . أجرى بعد ذلك تدوير متعامد للعاملين المستخرجين بطريقة الفاريماكس لكايزر .

---

(١) تنتج عوامل الدرجة الثانية من عدد من الخطوات الاحصائية تبدأ بتدوير العوامل الدرجة الاولى تدويرا مائلا ثم حساب الارتباط بين هذه العوامل المائلة (وهى عواملنا السبعة فى الدرجة الاولى وحيث يؤدى التدوير المائل الى الغاء الاســتقلال بين العوامل) يلى ذلك ذلك تحليل مصفوفة الارتباط بين العوامل لاستخلاص عوامل جديدة من الدرجة الثانية تصبح تشبعاتها فى هذه الحالة هى متغيرات مصفوفة الارتباط بين عوامل الدرجة الاولى أى عوامل الدرجة الاولى ذاتها .

ويظهر فى جدول رقم (٥) عاملا الدرجة الثانية بعد تدويرها تدويرا متعامدا بطريقة الفاريماكس .

جـــدول رقم (٥)

يوضح عوامل الدرجة الثانية بعد تدويرها تدويرا متعامدا

	العـــامل الاول	العـــامل الثانى
١	- ,٦٦٦٢	,٢٢٢٦
٢	- ,٢٢٧٢	,٥٨٩٥
٣	- ,٢٢٢٥	,١٩٤٣
٤	- ,٥٦٨٨	,٥٣٦٥
٥	- ,٥٧٨٧	,٠٤٨٨
٦	- ,٠١٦٠	,٨٤٩٨ -
٨	- ,٥٦٩٧-	,٠٣٤٥

واذا ما فحصنا عاملى الدرجة الثانية لوجدنا أن بالعامل الاول اربعة تشبعات مرتفعة ، ثلاثة تشبعات ايجابية هى لعامل الانطواء ويبلغ (٦٧ر) وعامل التطرف الايجابى ويبلغ (٥٨ر) وعامل الاحتفاظ بالاتجاه ويبلـــغ (٥٧ر) والتشبع الرابع لعامل العصابية بالسلب (ــ٥٧ر) تقريبا .

اما العامل الثانى فقد تشبع عليه بالايجاب عاملان هما عامل عـــدم الحسم (٥٩ر) وعامل العصابية (٥٤ر) كما تشبع عليه سلبا عامل التطرف السلبى (ــ٨٥) .

مناقشـــة النتائج

يلاحظ من فحص مصفوفة الارتباطات أن الارتباطات الخاصة بالقدرات الابداعية كانت دالة فيما بينها كما تضمنت ارتباطات الســـمات المزاجية مستويات متباينة للدلالة فيما بينها أيضا مما يؤدى الى تأكيد الحقيقة التى سبق أن اشار اليها جيلفورد (Guilford,1959 A) من عـــدم وجود ارتباطات جوهرية بين السمات المزاجية للشخصية وبين القدرات الابداعية وهى النتيجة التى تأدى منها ع.م السيد فى دراسة تجريبية تالية له على عينة من الذكور الى أن هذا الارتباط بين المجالين لا يحكمه الارتباط المستقيم بل الارتباط المنحنى (ع. السيد ، ١٩٧١) (Soueif, Elsayed, 1970)

ومن الملاحظات الجديرة باهتمامنا فيما يتعلق بارتباط القدرات الابداعية بالسمات المزاجية الارتباطات الدالة التى ظهرت بين الاحتفاظ بالاتجاه وبين مقياس العصابية لا يزنك « N » واذا ما رجعنا لطبيعة عامل الاحتفاظ بالاتجاه لنتبين العمليات العقلية التى تمثلها هذه القدرة والمناخ النفسى الذى تدور من خلاله نلاحظ أن الاحتفاظ بالاتجاه يتضمن قدرا من العمل الدائب فى اتجاه معين لتحقيق هدف ما ، ولان الاحتفاظ بالاتجاه ليس مجرد تركيز وقتى على شىء معين بل هو مواصلة واستمرار دائبان فانه يكاد أن يكون مصحوبا بالقدر الضرورى من التوتر الذى يؤدى الى استمرار تميز وظهور الهدف من خلال المشتتات المختلفة ، وهو فى هذا يرتبط بمقياس العصابية فيما يتضمنه من تعبير هذا المقياس الاخير عن القدر الصحى من التوتر ، كما تأخذ الصورة شكلا آخر من خلال فكرة المواصلة والاستمرار ايضا فنحن نعلم مما ورد فى التراث عن العديد من المبدعين مثل انيشتين وكولريدج وبوانكارية أنهم كانوا من خلال انشغالهم الدائب بمشكلتهم الابداعية والذى يستمر معهم لسنوات طويلة (سبع سنوات لدى اينشتين مثلا) كانوا خلال هذا الانشغال تنتابهم لحظات من الكمون أو الابتعاد الشعورى عن الانشغال بالمشكلة التى يتركز حولها التفكير ومثل هذه اللحظات للكمون بتعبير والاس (wallace, 1965) أو النكوص فى الانا بتعبير روجرز أو علماء التحليل النفسى هى ما يمكن أن نعده بشكل أو بآخر الدرجة السلبية على مقياس من مقاييس قوة الانا وهو ما يبدو هنا معبرا عنه فى صورة ارتباط عكسى بين مقياس قوة الانا وبين الاحتفاظ بالاتجاه وليس من العسير أن نتصور مثل هذا الارتباط فى مناخ نفسى معين يتسم بخصائص فريده فمن خلال التوتر الذى يبرز على مقياس العصابية والتقلبات الوجدانية ومن خلال الانخفاض فى مستوى الانتباه الشعورى تحدث عمليات عقلية تهدف للمواصلة والاستمرار فى اتجاه معين والاحتفاظ بهذا الاتجاه دون أن تؤدى هذه السمات اذا وجدت بقدر زائد الى كف القدرة على الاحتفاظ بالاتجاه ، ومن الملاحظات الجديرة باهتمامنا أيضا الارتباط الموجب بين اختبار الاستعمالات غير المعتادة لقياس الاصالة والمرونة وبين متغير الاعتدال الايجابى (+ ١) ويتسق هذا مع ما توصل اليه جيلفورد من ان المرونة هى نقيض للتصلب او للقصور الذاتى (Guilford, 1959, A)

واذا ما فحصنا عوامل الدرجة الاولى بشىء من التفصيل فاننا نلاحظ الاتساق المستمر فى تشبعات العوامل بين متغيرى التطرف الايجابى (+٢) والاعتدال (+١) من جهة والاتساق بين متغيرى التطرف السلبى (-٢) .

والاعتدال السلبى (ـــ١) من جهة اخرى . فعند ما يكون التشبع على أحد العوامل ايجابيا دالا بالنسبة لاحدهما يكون التشبع على الثانى سلبيا دالا، اى أن هناك اتساقا بين التطرف فى الرفض السلبى وفى الاعتدال السلبى ، كما أن هناك اتساقا أيضا بين التطرف فى القبول الايجابى والاعتـــدال فى القبول الايجابى . وقد ظهر ذلك فى بحوث الدكتور سويف (١٩٦٢ ، ١٩٦٥، ١٩٦٨) فاذا ما فحصنا العامل السادس وجدنا أن متغير التطرف السلبى قد تشبع تشبعا ايجابيا مرتفعا (٨٨ر) وعلى العكس منه نجد أن متغير التسامح السلبى قد تشبع تشبعا سلبيا مرتفعا أيضا (ـــ٦٠ر) وتتضـــح نفس الصورة فى العامل الخامس ايضا وان كانت أقل وضوحا فنجد أن متغير الاعتدال الايجابى قد تشبع تشبعا سلبيا على هذا العامل (ـــ٦٧) ورغم أن متغير التطرف الايجابى لم يصل فى تشبعه على هذا العامل الى مستوى الدلالة الا انه اقترب منها (٢٨ر) مما لا يتناقض مع المنطق العـــام للنتـــائج .

وتبين من التحليل العاملى من الدرجة الثانية والذى توصلنا منه الى عاملين أن العامل الاول قد تشبع عليه : الانطواء (٦٦ر) والتطرف الايجابى (٥٧ر) والاحتفاظ بالاتجاه (٥٦ر) كما تشبع عليه بالسلب العصـــابية (ـــ٥٧ر) .

أما العامل الثانى فتشبع عليه بالايجاب عامل عدم الحسم (٥٩ر) والعصابية (٥٤ر) كما تشبع عليه بالسلب متغير التطرف السلبى (ر٨٥ر). والنظرة المباشرة والجزئية لهذه العوامل لا تقدم لنا صـــورة ذات منطق سيكولوجى دقيق أما النظر اليها فى اطار عام يربط بين سمات هذه العوامل الاربعة فيمكنه أن يدلنا على المناخ النفسى الذى يفسر هذه العوامل . فاذا ما اعتبرنا النقطة الثابتة فى تفسيرنا لهذه العوامل هى تشبعات عامل الاحتفاظ بالاتجاه وجدنا التشبعات الايجابية ترتبط معا فى اتجاه واحد فيما نعـــرفه من خصائص وسمات يتميز بها الانطوائيون من داب على العمل ومن تركيز حول الذات ومن تفضيل للتعامل مع الاشياء أكثر من التعامل مع الاشخاص، وهى سمات تؤدى الى قدر من الاصرار يعبر عنه التشبع المرتفع للتطرف الايجابى وعلى ذلك فتشبع التطرف الايجابى هنا يتضمن القدر من التباين فى هذا المقياس الدال على الحسم والاصرار ، وهو يتجه هنا اتجاها واضحا نحو الصحة النفسية مما يجعله يشترك فى تراكم واحد مع القـــدرة على الاحتفاظ بالاتجاه والذى يجعل هذه التشبعات الثلاثة فى تعبيرها عن التركيز والاصرار والاحتفاظ بالاتجاه فى اطار مناخ صحى تقف على الطرف المضاد

للتشبع السلبى على عامل العصابية ، ولعل الموقف يصبح اكثر وضوحا اذا ما كان فى مقدورنا أن نتصور وضعا يسود فيه مناخ نفسى يعبر عن شكل من أشكال عدم السواء ، وطبقا للمنطق السابق الذى امكننا استقراؤه من العامل الاول لا نتوقع أن نجد تشبعات مشتركة بين الاحتفاظ بالاتجاه وبين الانطواء وبين التطرف والعصابية .

أما العامل الثانى من التحليل العاملى من الدرجة الثانيـــة فيعبر فى الواقع عن طبيعة العلاقة الدقيقة بين كل من التطرف والعصابية فمن خلال العرض السابق لهذه العلاقة واختلافها وتغيرها فيما بين مستوى السواء وعدم السواء نجد أن هناك وضعا قد يكون نادرا حيث ترتبط العصـــابية بعدم الاكترات .

الخلاصـــة

أظهرت البحوث المحدودة التى اهتمت بدراسة الابداع فى علاقته بسمات الشخصية لدى الاناث وجود ارتباط بين عدد من القدرات الابداعية وبين بعض السمات المزاجية للشخصية ، وفى تناولنا لهذه المشكلة من خلال أسلوب الدراسة العاملية وباستخدام عينات من الجمهور العام للاناث لم تظهر هذه الارتباطات بين عدد من السمات المزاجية التى سبق ان ظهرت فى بحـوث الشخصية بوضفها محددات رئيسية للسلوك وبين القدرات الابداعية التى أمكن انتاجها فى عدد وفير من الدراسات ، وان كانت دراستنا قد تمكنت من ابراز الارتباط بين عدد من القدرات الابداعية او خصائص التفكير الابداعى لدى الاناث كما ظهر فى شكل عوامل تلخيصية ووصفية لهذه الارتبـاطات بين متغيرات الابداع المستخدمة فى الدراسة .

أما العلاقات الارتباطية بين اختبارات الابداع ومقاييس الســمات المزاجية المتضمنة فى الدراسة والتى بلغت ١٩٠ معامل ارتباط فقد بينت أن هناك منطقتين مستقلتين للارتباطات الدالة ، المنطقة الاولى خاصة بقدرات الابداع وحدها والمنطقة الثانية خاصة بسمات الشخصية على حدة .

وقد انعكست هذه الخصائص الارتباطية المعبرة عن الاستقلال بين المجالين فى مستوى التحليلات العاملية التى أجريناها لمصفوفتنا الارتباطية ، سواء فى تحليلات الدرجة الاولى أوالثانية فى شكل عوامل مستقلة للابداع وأخرى مستقلة لسمات الشخصية ، وهى نتيجة تتفق الى حد كبير مع نتائج باحثين آخرين عن عدم وجود ارتباط بين سمات الشخصية والقـدرات الابداعية لدى الذكور ، كما تؤكد من ناحية أخرى أن نمط الارتباط المستقيم بين المجالين ليس هو النمط المتوقع ، وانما المتوقع نوع آخر من الارتبـاط هو الارتباط المنحنى طبقا لمـا ظهر فى دراسة سابقة للعلاقة بين الابـداع وسمات الشخصية لدى الذكور (ع. السيد ، ١٩٧١)
(Soueif, Elsayed, 1970)

نخرج من هذه النتيجة بحقيقة لها أهميتها وهى اننا لا نستطيع أن نقبل افتراضا عن وجود علاقات معينة بين سمات الشخصية والابداع لـدى الاناث تختلف عما نجده لدى الذكور وبالتالى فلا مبرر لافتراض نوع من العلاقة المعوقة للابداع بين المجالين لدى الاناث .

أ – المراجع العربية

أيزنك (هـ) : **الحقيقة والوهم فى علم النفس** ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٩ (ترجمة قدرى حفنى ، رؤوف نظمى) .

السيد (ع.م) : **الابداع والشخصية ، دراسة سيكولوجية** ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧١ .

خيرى (أ.م) : **الاحصاء فى البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية** ، القاهرة ، دار الفكر العربى ١٩٥٦ ، طبعة ثانية .

سويف (م.أ) : **الاسس النفسية للابداع الفنى فى الشعر الخاصة** ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٩ ، طبعة ثانية .

« « الاستجابات المتطرفة لدى مجموعة من الاحداث الجانحين (٢) **المجلة الجنائية القومية** ، ١٩٥٩ ، ٢ ، ٨٩٠ – ٩٥٠ .

فرج (ص) : **القدرات الابداعية والمرض العقلى ، دراسة للاداء الابداعى لدى الفصاميين** ، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٧١ .

« « **تنقية مقاييس القدرات الابداعية ، دراسة عاملية ومنهجية لاختبارات الابداع** ، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية الآداب – جامعة القاهرة ، ١٩٧٥ .

رمزى (ناهد) : **القدرات الابداعية ، دراسة تجريبية للفروق بين الجنسين** – رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب – جامعة القاهرة ١٩٧١ .

« « مشكلات منهجية فى بحوث الفروق بين الجنسين ، **المجلة الاجتماعية القومية** ١٩٧٤ ، ١١ ، ٣ ، ٤١٣ – ٤٢٩ .

B — Referances

— Anstasi, A., Foley, J. P. Differential Psychology, 2ed Printing, The Macmillan co., New york, 19c3.

— Child, D., The essentials of factor analysis, London, Halt Rinhart and winston Ltd., 1970

— Eysenck, H. J., The psycshology of politics, london, kegen Paul' 1654.

— Garai, J. E, Scheinfeld, A., Sex differences, in mental and behavioral traits, Pratt Institut. Psych Monog.

— Guilford, J. P., Creativiy, American Psych 1950, 444 — 455.

— „ „ Three faces of Intellect. American Psych., 1959,B, 14, 8,466-479.

— „ „ Traits of creativity, from Creativity and its Cultivation, editedby Anderson, H. H, Newyork, Harper broth., 1959, A 1 st ed

— Guilford, J. P., Traits of creativity, from creativity and its Cultivation edited by Anderson, H. H., New york, Harper broth., 1959 A, 1 st edition.

— Helson, R., Creativity, sex and mathematics, in the confrence on The creative person, At the Tohse Alumni center, Oct. 1691, univ. calif.

— Guilford, J P., Personality of women with imaginative and artistic interests : The role of masculinity, originality, and other charcteristits in their creativity, Jour. personality 1966, 34, 1, 1-25.

— Guilford, J. P., Sex differances in creative style, Jour. personality 1967,35, 2, 219-233.

— „ „ Sex Specific Patterns in creative literary fantasy, Jour.Personality, 38,3, 1970, 344 — 394.

— Kaiser, H. F., The varimax criterion for analytic rotation in factor analysis, Psychometrica, 1958, 23, 3, 187-109.

— Little, M. T., Creativity and masculinity—femininity in ninth grades, Jour. Perceptual and Motor skills, 1967,25, 737—743.
— Mackinnon, D.W. creativity in architects, In the confrence on "the creative Person" — at the Tohoe Alumni center, oct. 1961, univ. calif. 1 : 24,
— Soueif, M. I., Response Sets, Neurotisism, and Extraversion: Afactorial study, Acta Psychologica, 1965,24,P,29—40.
— " " , Elsayed, A.M., curve linear relationships between creative thinking abilities and Personality trait variables, Acta Psychologica 1970, 34, 1 — 21.
— Wallace, M. H. some Dimensions of creativity (unpublished Paper) 1965.
— Wilson, R. C., Guilford, J. P., christensen, P. R., the measurment of Individual Differences in originality., Psych, Bull. 1953, 50, 5, 362—370.

سمة المرونة ـ التصلب

لدى السيدات العاملات وغير العاملات

فايزه يوسف عبد المجيد **

الهدف من البحث :

يهدف هذا البحث الى دراسة العلاقة بين عمل المراة فى مصر ، وبعض سمات شخصيتها . ويواجهنا عند دراسة هذه العلاقة ــ **اتجاهان متعارضان :**

الاتجاه الاول : يذهب الى أن ازدياد ثراء الخبرات التى يتعرض لها الافراد يزيد من ثراء سلوكهم بوجه عام ، وسمات شخصيتهم بوجه خاص ، ولا سيما السمات المرتبطة بحسن التكيف مع المواقف الجديدة . حيث ان خروج المراة الى ميدان العمل يؤدى الى اتساع مجال خبراتها سواء عن طريق ازدياد معرفتها ومعلوماتها أو عن طريق اكتسابها لعدد كبير من مهارات التعامل مع افراد كثيرين خارج النطاق الضيق للاسرة والاقارب مثل التعامل مع الزملاء والمرءوسين والرؤساء ومع أفراد الجمهور على اختلاف نوعياتهم . مما يشير الى مزيد من النضج النفسى والاجتماعى .

أما الاتجاه الثانى : فيذهب الى ان خروج المراة الى ميدان العمل وجمعها بين كل من مسئوليات العمل خارج المنزل ، واعباء المنزل والاسرة انما يترتب عليه مزيد من المسئوليات والجهود بل ومزيد من المشكلات التى ينبغى على المراة أن تحسن مواجهتها سواء فى المنزل او فى العمل مما ينعكس بالتالى فى سمات شخصيتها ولا سيما التوتر النفسى . ونظرا لشدة التعارض بين الاتجاهين ، أى بين من يذهبون الى ثراء وخصوبة

(*) تعرب الباحثة عن عظيم شكرها للاستاذ/الدكتور سيد محمد غنيم ـ الذى اشرف عليها فى ايجاز هذا البحث ، الذى يعتمد على دراسة الماجستير ، التى نوقشت بقسم الدراسات النفسية بكلية الآداب جامعة عين شمس فى يونيو سنة ١٩٧٥ .

(**) مدرس مساعد علم النفس بكلية البنات الاسلامية ـ جامعة الازهر

الخبرات التى تتعرض لها المرأة أثناء العمل خارج المنزل ، وبين من يرون ازدياد مشكلاتها ومسئولياتها وتوتراتها عند جمعها بين كل من أعباء العمل وأعباء المنزل ، فقد رؤى أن يتمثل السؤال الرئيسى لهذا البحث ــ فيما يلى:

هل توجد فروق فى سمات الشخصية لدى السيدات المتزوجات (نتيجة) لخبرة العمل ؟ أى هل توجد فروق فى سمات الشخصية بين السيدات المتزوجات العاملات خارج نطاق المنزل ، وبين السيدات المتزوجات غير العاملات ؟

وكان علينا قبل الاجابة على هذا السؤال الرئيسى للبحث ، تحديد سمات الشخصية التى ستؤخذ فى الحسبان ، أو التى ستلاحظ علاقتها بتغير الوضع الاجتماعى للمرأة .

وهنا برزت احدى السمات التى تزايدت أهميتها فى الدراسات الحديثة للشخصية الانسانية ــ ونعنى بها السمة التى تمتد على بعد متصل من المرونة الى التصلب والتى تبين أنها تعكس آثار الخبرات النفسية الاجتماعية للاشخاص ، كما أوضحت هذا دراسات مختلفة (سويف ١٩٦٨)
(Brim & Hoff, 1957, Smock, 1955)

وقد اهتم البحث بمناقشة أهم الاطارات النظرية التى وجهت الدراسات السيكولوجية السابقة ، فيما يتصل بسمة « المرونة ــ التصلب » ومن أهمهــا :

ــ دراسة « ليفين » « Lewin » ــ عن التصلب الطوبولوجى ، وهو ليس سمة سلوكية ــ اذ أن التصلب الطوبولوجى يشير الى نوع من البناء النفسى أو مفهوم على (١) يشير الى خصائص فى بناء الشخصية . أما التعريفات الاجرائية للتصلب التى يستخدمها الباحثون فانها تشير الى أنواع من السلوك النوعى الناتج عن ظروف معينة ، أى انهــا تستخدم مفهوم التصلب بالمعنى الوصفى (٢) .

ومن هنا يرى « ليفين » أنه باستعراض نتائج الخصائص الدينامية للخبرة والسلوك ، يتبين أن هذه الخصائص لا تميز فقط النظم النفسية الداخلية للفرد ، وانما تميز بنفس الدرجة البيئة النفسية وتغيراتها على أساس أن هذه البيئة تصطبغ بطابع نفس **(Lewin, 1935, p.215)**

---

(١) Genotypical   (٢) Phenotypical

وفضلا عن استخدام « ليفين » لصفات متعددة للتصلب الطوبولوجى دون التمييز بينها مثل : أولى ، وبنائى ، ووظيفى ... الخ ، فان أهم صعوبة تواجه الباحث هى تحديد خصائص التصلب الطوبولوجى بطريقة تجريبية تمكنه من مقارنة فرد بآخر ، أو تقارن التصلب لدى الفرد الواحد من عمر لآخر . هذا بالاضافة الى أن تصلب حدود المناطق النفسية تحـدده الوراثة ولا تؤثر فيه الخبـرات التربوية والاجتماعية ، مما يتعارض مع تجارب تغيير السلوك
. (luchins 1959).

— كما اهتم « جولد شتين » Kurt Goldstein — بتعريف التصلب بأنه **عبارة عن نوع من التمسك بنوع من الاداء أو السلوك غير ملائم للموقف الحالى ، أى أن الشخص الذى يقوم بأنواع السلوك المتصلب لا يغير أداءه من نوع لآخر حسب ما يتطلبه العمل . ونلاحظ ظاهرة التصلب كثيرا فى الحالات المرضية** (Goldstein,1943, P 209) **كذلك** يحدث التصلب ، « **اذا وقع نوع من العزل (٣) بين مستويات من الاداء العقلى ، أى اذا ظهر نوع من الاداء العقلى كوحدة منفصلة عن باقى أنواع الاداء .**

ويتصل العزل لدى « جولد شتين » **بنوعين من التصلب :**

أ — **التصلب الاولى (٤)** : وهو عدم القدرة على تغيير زاوية الاداء الى زاوية أخرى جديدة يتطلبها موقف جديد — ويظهر هذا النوع لدى المرضى المصابين فى مناطق تحت اللحاء (٥) حيث يستمر الشخص فى الاداء بنوع مرضى من المداومة (٦) ، مما يجعله يكرر نشاط غير ملائم ، وقد يبدو عاجزا عن التوقف ، وقد يتوقف فجأة اذا كان المنبه الجديد شديد القوة .

ب — **التصلب الثانوى (٧)** : وهو يرجع أساسا الى اصابة فى العمليات العقلية . وهذا النوع من الاصابة يحدث فى حالات اصابة لحاء الدماغ وأنواع التشويه اللحائى والفصام والضعف العقلى ويتميز بضعف الاتجاه للتجريد (٨) الذى يتمثل فى الاستدلال والوعى وحساب النتائج غير المبـاشرة للسلوك ... الخ .

---

(٣) Isolation
(٤) Primary rigidity
(٥) Subcortical
(٦) Perseveration
(٧) Secondary rigidity
(٨) Abstract attitude

ومن أهم ما يؤخذ على نظرية جولدشتين ــ شدة اتساعها مما يؤدى الى الغموض وعدم الحسم فى التمييز بين أنواع مختلفة من التصلب (Meyer, 1980) كما أن هناك أنواع من التصلب فى مواقف الحياة العادية لا تنطبق عليها معايير التصلب الاولى والثانوى لدى جولدشتين ولا ترتبط بأى اصابة عضوية . وقد يخلط جولدشتين بين عدم القدرة على تغيير الاتجاه والسلوك وبين القدرة على « التجريد » وادراك المعنى وراء الجزئيات ــ فى حين قد أوضحت الدراسات الحديثة لجيلفورد مدى استقلالهما عن بعضهما .

ــ ويرى « فيرنر » Heinz werner (1946) ــ أن التصلب « سمة سلوكية تتسبب عن ظروف مختلفة للكائن الحى العضوى ، من ابرزها عدم النضج أو التخلف أو المرض او عدم السواء .

فالسلوك البدائى أكثر تصلبا من السلوك الذى يتسم بمزيد من الارتقاء، والكائن الحى الاقل فى مرتبة الارتقاء لا يكون قادرا الا على أنواع من النشاط البدائى ، بينما الكائن الاكثر ارتقاء لا يستطيع فقط القيام بأنواع النشاط البدائى ، بل يستطيع كذلك القيام بأنواع النشاط الاكثر ارتقاء .

اى انه كلما ارتقى الكائن الحى وتمايز بناؤه العقلى وازداد التمايز بينه وبين البيئة ، قل تصلبه ، أى ازدادت مرونة سلوكه وطواعيته ، واتسم هذا السلوك فى نفس الوقت بالاستقرار (Werner, 1957)

اهتم « فيرنر » بتأكيد اطار نظرى ــ قبلى ــ يفسر من خلال التصلب لدى المرضى والبدائيين والاطفال والمتخلفين ، دون تمييزه لجوانب الاختلاف النوعى بين سلوك كل فئة من الفئات السابقة ، وكذلك دون تمييز بين فئات السلوك مثل السلوك العقلى التجريدى والسمات المزاجية ... مما كشفت عنه بعض الدراسات العاملية .

ــ كذلك استطاع منهج التحليل العاملى ــ أن يجيب على السؤال الذى شغل أذهان كثير من الباحثين ــ وهو : هل التصلب عامل عام أم عامل نوعى ؟ وذلك من خلال دراسات عديدة :

Cattell &Tiner, 1949, Fisher, 1950, Schier, 1951, Thurslon, 1944

أجمعت على رفض القول بوجود عامل واحد للتصلب يشيع خلال المقاييس المختلفة وتؤكد وجود عوامل متعددة تبعا للمظاهر المختلفة من السلوك التى تقيسها أدوات كل دراسة ، حيث ثبت مثلا وجود عوامل للتصلب الحركى وأخرى للتصلب فى الاحساسات والافكار وثالثة للتصلب

فى التفكير فى حل المشـــكلات ، بل ان هذا النوع الاخـــير من التصلب ثبت انقسامه الى عاملين يقابلان كل من « المرونة التـــكيفية » (١) و « المرونة التلقائية » (٢) . ومن اهم نتائج الدراسات الحديثة للتحليل العاملى ابراز وجود عاملين مستقلين للتصلب ــ هما :

(ا) التصلب من خلال التطرف فى الاستجابة .

(ب) التصلب من خلال عدم المرونة فى التفكير والسلوك والعادات المرتبطة بمواقف اجتماعية .

الاول : يتصل « بشكل » الاستجابة المتطرفة الذى يشير الى عدم تحمل الغموض والتوتر .

والثانى : يشير الى « مضـمون » المواقف الذى يتم الاستجابة عليها ، والى المرونة أو قابلية السلوك للتغيير فى المواقف الاجتماعية .

وذلك ممـــا يدعونا الى ضرورة القـــاء الضـــوء على أهم المفاهيـــم السيكولوجية التى لها علاقة بالتصلب ، والتى تلقى الضـــوء بالتالى على مفهوم التصلب كما هو مستخدم فى البحث الحالى . كما أن كثيرا ما يخلط الباحثون بينها من ناحية ، وبين التصلب من ناحية أخرى . مثال ذلك مايحدث من خلط بين كل من مفاهيم التصلب ، والجمود وعدم تحمـــل الغموض ، والتوتر النفسى ، والتطرف فى الاستجابة ، والعصابية والانطواء .

وفيما يلى سنعرض ما نقصده من كل مفهوم على حده ، ثم علاقة كل مفهوم بالمفاهيم الاخرى :

١ ــ التصلب والجمود (٣) :

يرى « ميلتون روكتيش » (Rockeach, M) ــ أن كلا من التصلب والجمود النفسى عبارة عن : « مقاومة للتغيير » ــ الا أنه يميز بينها على أساس أن :

(ا) « الجمود النفسى عبارة عن مقاومة للتغيير فى انساق الاعتقاد ، فى حين أن التصلب يشير الى مقاومة التغيير فى معتقدات مفردة أو مواقف أو عادات » . (Rockeach, et al 1955) ٦

(١) Adaptive flexibility

(٢) Spontaneous flexibility

(٣) Dogmatism

(ب) يتمثل الجمود لدى « روكتيش » أساسا فى طريقة فى التفكير والسلوك تظهر مع أية أيديولوجية ، بغض النظر عن « مضمونها » ، أى أنه يتمثل فى نظرة متسلطة للحياة وفى عدم التسامح ازاء المعتقدات المعارضة ، والتسامح مع المعتقدات المشابهة لما يعتقده الشخص .

(جـ) الجمود لدى « روكيتش » يشير الى تكوين معرفى للأفكار والمعتقدات المنظمة فى نسق مغلق نسبيا — أما التصلب — من الناحية العلية — يشير الى درجة العزل بين المناطق . . . ، أو الى خاصية وجود حدود وظيفية تمنع الاتصال بين المناطق المتجاورة . . . ، أما من الناحية الوصفية — أو (المظهر السلوكى) فانه يرى أن التصلب يتمثل فى الطريقة التى يواجه بها الشخص أو الحيوان احدى المشكلات النوعية أو يحلها أو يتعلمها .

۲ — التصلب وعدم تحمل الغموض (۱) :

ورد مفهوم « عدم تحمل الغموض » لاول مرة لدى «فرنكل‌برونشفيك» عام ١٩٤٩ (Adrono, J W. Frenk!e-Brunswick, 1949) ـ التى أوضحت أن « عدم تحمل الغموض » يتبدى فى الاستجابة لكل من المواقف الاجتماعية والادراكية والانفعالية لدى كل فرد بدرجات مختلفة ، وأن قدرة الشخص على مواجهة مشاعره المتناقضة تمثل أحد المتغيرات الهامة للشخصية وأن عدم تحمل التناقض الوجدانى ينعكس فى المجالات المعرفية حيث يرتبط بعدم القدرة على التمييز بين الخصائص الايجابية والسلبية لنفس الموضوع ، لهذا فان الاشخاص الذين لديهم درجة مرتفعة من « عدم تحمل الغموض » يتسمون بسلوك متصلب يتبدى بتفضيل الالفة والتماثل والتجديد والانتظام، كما يتبدى فى الميل الى الحلول القاطعة التى تختار بين ابيض واسود ، ونحو القسمة الثنائية المبالغ فى بساطتها ، والى التوصل الى اغلاق مبتسر (متسرع وغير ناضج) عند مواجهة جوانب تحتاج الى تقويم ، ويحدث هذا على حساب الواقع لان هذا النوع من الحلول يصحبه حجب لجوانب الواقع،

---

(۱) Intolerance of ambiguity

وهؤلاء الاشخاص يســعون اما الى القبول المطلق أو الى الرفض المطلق الذى لا يشوبه غموض .

٣ ـ التصلب والتطرف (١) :

التطرف فى الاستجــابة هو أحد أنماط الاستجــابة التى عنى بهــا السيكولوجيون فى الفترة الاخيرة (*) ، ويطلق اسم أساليب الاستجابة على الانماط الفريدة المتسقة من الاستجابة لبنود الاختبارات Hamilton ,1968

وقد أكد بيرج (Berg , 1958) ان كثيرا من الدلائل تشير الى أن بعض اشكال الاستجابات المتصلبة ــ ولاسيما الاستجابات المتطرفة ، انما هى انعكاس لسمات فى الشخصية .

وقد لاحظت برونشــفيك « أن الافراد الذين يزعجهم التعرض لاى موضوع يثير انفعالات متعارضة أو يتضمن خصائص تجعله يقع فى طريق وسط بين فئات متعددة ، يستجيبون استجابات « متطرفة » حيث يقومون بتصنيف الكل أو لا شيء بطريقة مبتسرة ومنمطة ، ويغفلون الوقائع التى لا تتفق معهم سواء فى المواقف الاجتماعية أو فى العمليات الادراكية » .

وعلى هذا ، نستطيع أن نلاحظ أن **التصلب كما يتبدى فى عدم تحمل المواقف الغامضة ، يعبر عن نفسه فى شكل استجابات متطرفة فى المواقف المختلفة ، كما أن طبيعة الاستجابات المتطرفة تسمح لنا فيما يبدو بأن نعتبر عدد هذه الاستجابات مقياسا لمــا نسميه بخاصية « عدم تحمل الغموض »**

(Soueif, M I, 1958)

وقد قام برنجلمان بعدد من الدراسات Brengelmann, 1958. 1959 a. 1959 b, 1960 a, 1906 b, **درس فيها العلاقة بين الاستجابات المتطرفة وبين عددمن متغيرات الشخصية وخاصة التصلب . واستنتج من هذه الدراسات : أن الميل الى الاستجابة المتطرفة يمثل أحد السمات الاساسية للشخصية المتصلبة .**

---

(١) Extreme.-Response

(*) يوجد ثلاثة أساليب أخرى للاستجابة ــ عنى الباحثون بالقاء الضوء عليها .

(١) الموافقة Acquiescence

(٢) الانحراف عن المألوف Deviation

(٣) التأثر بالمعايير الاجتماعية Social desirability

٤ ـ عدم تحمل الغموض والتوتر النفسى :

اوضح عدد كبير من الدراسات ، **وجود علاقة وثيقة بين عدم تحمل الغموض ، والتوتر النفسى** ، ونذكر من هذه الدراسات دراستى سموك smock. 1955a, 19.5b, والدراسة التى قاما بها كل من بلوك وبلوك Block, Tack& Block, jeanne, 1951, التى افترضا فيها : أن الافراد الاكثر توترا (الذين يتسمون بقدر شديد من الضبط) لا يتحملون الغموض ؛ وبالتالى فانها أسرع فى تكوين أحكام (عن مسافة الحركة) تستقر وتتسق بعد عدد اقل من مرات التعرض لظاهرة الحركة الذاتية (١) . وقد أيدت التجربة هذا الغرض .

يضاف الى ما سبق ، ما تم اكتشافه من ارتباط ايجابى بين « عدم تحمل الغموض » وبين الثقة بالنفس (أو قوة الانا والاكتفاء الذاتى) فى كل من دراسة جيلفورد Guilford, 1957 ودراسة السيد (عبد الحليم محمود ١٩٧١ ، ص ٣٦٨ ـ ٣٦٩) .

٥ ـ التطرف والتوتر النفسى (٢) :

اجرى سويف عام (١٩٥٨) ـ دراسة : افترض فيها أن الفئـات الاجتماعية ، المتفاوتة من حيث مستويات توترها العام ، تختلف كل منها عن الاخرى من حيث متوسط عدم تحملها للغموض مقدرا بعدد الاستجابات المتطرفة . واذا تساوت سائر الشروط فان الفئة الاجتماعية ذات المستوى المرتفع من التوتر (الذى يرجع اساسا الى الشعور بعدم الطمأنينة) تميل الى اصدار عدد من الاستجابات المتطرفة أكبر مما تميل الى اصداره فئة أخرى ذات مستوى منخفض من التوتر .

وقد أيدت نتائج البحث الفروق الاساسية له اذ تبين ارتفـاع درجة التطرف لدى كل من الاناث ـ (مقارنات بالذكور) ، والمسيحيين (مقارنين بالمسلمين فى مصر) ، وبالمراهقين (مقارنين بالراشدين) .

وقد أوضحت دراسة قامت بها صفاء الاعسر (١٩٦٨) ، وجود علاقة بين التطرف وعضوية الشخص فى بيئة تربوية معنية .

٦ ـ تعقيب :

نستطيع أن نوجز **العلاقة بين التصلب وكل من عدم تحمل الغموض ، والتوتر النفسى والتطرف** ـ فيما يلى :

---

(١) Auto-Kinetic movement (٢) Psychic tension

التصلب وخاصة فى السياق الاجتماعى : سمة أساسية من سمـــات الشخصية ، كما كشف عن ذلك عدد من الدراسات العـــاملية التى سبق الاشارة اليها . بمعنى أنه خاصية للافراد تتبـــدى فى تصرفاتهم فى مواقف متنوعة . اى أنه يمثل مستوى من المفاهيم اكثر تحديدا من مستوى الاستجابة المعتادة . ويمكن اعتبار التطرف وعدم تحمل الغموض بعض مظاهره .

ويشير مفهوم « **التطرف فى الاستجابة** » الى سمة أقل تجريدا . وأقرب ما تكون الى الواقع المباشر الذى يمكن مشاهدته ، وهو كما يمثـــل سمة تتسم بقدر كبير من الثبات .

ويمثل مفهوم « **عدم تحمل الغموض** » : ســـمة أكثر تجـــريدا من التطرف فى الاستجـــابة ، وهى وان كانت تشير احيـــانا الى سلوك يمكن مشاهدته ، (مثل عدم ميـــل بعض الاشـــخاص الى المواقف غير المألوفة والغامضة) الا انه يمثل درجة اعلى فى تجريدها من التطرف ، اذ انه من مشاهدة تكرار الشخص لاستجابات متطرفة يمكن استنتاج « عدم تحمله للغمـــوض .

كما يشير مفهوم « **التوتر النفسى** » ــ غالبا ــ الى الحالة النفسية التى تترتب على عدد من العمليات السيكولوجيـــة أو ظروف عدم الامان ، التى ينتج عنها فى معظم الاحوال (عدم تحمـــل الغموض) أو (تطرف فى الاستجابة) ، أى أن مفهوم التوتر النفسى يعبر عن « العمليات » التى ينبع منها مظاهر التصلب فى السلوك .

ويهمنا أيضا أن نشير الى دراسات هامة قامت بمحاولات للاجابة على السؤال التالى : هل توجد علاقة بين التصلب وكل من العصابية والانطواء ؟

ومن أهم هذه الدراسات : دراسة برنجلمان Brengelmann,1960a و « سويف » Soueif, 1965 ، و « أيزنك Eysenck , 1960

وقد أوضحت نتائج البحوث الثلاثة ــ استقلال سمة التصلب بوجه عام ــ عن كل من العصابية والانطواء .

بعد أن أوضحت البحوث السابقة استقلال سمة التصلب بوجه عام عن كل من العصابية والانطواء ، وكذلك استقـــلال التصلب فى السيـــاق

الاجتماعى عن غيره من أنواع التصلب (ولا سيما التصلب فى العمليـــات العقلية) وبعد أن تبين أن قياس التصلب فى سياق اجتماعى يمكن أن يتم من خلال مقاييس « عدم تحمل الغموض » و « التطرف فى الاستجابة » ، ويمكن لهذا البحث أن يركز عنايته أساسا على « التصلب » كما يتبدى فى المواقف الاجتماعية .

وفى ضوء الدراسات السابقة يمكن **تحديد « التصلب »** فى هذا البحث بالتعريف الإجرائى التالى :

« ميل الشخص الى التطرف فى الاعتداد بالرأى ، وعدم تحمل الغموض وتفضيل الالفة والتماثل والتحديد والانتظام ، والميل الى الحلول القاطعة التى تختار بين أبيض وأسود وتقسيم الامور الى طرفين متعارضين فى قسمة ثنائية مبالغ فى بساطتها ، والسعى اما الى القبول المطلق، والرفض المطلق».

مشكلة البحث :

تتمثل المشكلة الاساسية لهذا البحث فى محاولة الاجابة على سؤال رئيسى هو :

هل توجد فروق بين السيدات العـــاملات وغير العـــاملات فى درجة التصلب ، كما تتبدى فى التطرف فى الاستجابة أو عدم تحمل الغموض فى المواقف ذات الطابع الاجتماعى .

على أن الفروق فى ســـمة « المرونة ـــ التصلب » لا تنتج فقط عن خبرات ، لان هناك عددا من **المتغيرات الشخصية والاجتماعية الاخرى ،** يمكن أن يترتب عليه ظهور هذه الفروق فى درجة التصلب ـــ من ذلك مثلا كل من مستوى : السن ، والتعليم ، ودخل الاسرة ، والمستوى الاجتماعى والاقتصـــادى .

تم اختيار هذه المتغيرات (التعليم والسن والدخل والمستوى الاجتماعى الاقتصادى) على أساس ما يوحى به عدد من الدراسات الحديثة فى علاقة كل منها بالتصلب . وأهم هذه الدراسات : دراسة كيريك Kerrick , 1954 ودراسة لايت Light. et al, 1965 ودراسة كل من :

Hesterly, 1963, light, etal, 1965 Soueif ,1958, Zax, etal, 1964

وقد أمكن تحديد **فروض البحث** كالتالى :

١ ــ **فرض صفرى عام** ــ تم صياغته كالتالى : **لا توجد فروق دالة فى مستوى التصلب بين السيدات العاملات وغير العاملات بوجه عام .**

٢ ــ فروض فرعية :

ــ ويترتب على هذا الفرض الصفرى العام ــ **الفروض الصفرية الفرعية** التالية :

(أولا) **بين المجموعتين :** (العاملة وغير العاملة) :

ــ **لا توجد فروق دالة فى درجة التصلب بين السيدات العاملات وغير العاملات فى مستويات مختلفة لكل من متغيرات :** السن ، والتعليم ، والدخل، والمستوى الاجتماعى الاقتصادى .

(ثانيا) **داخل المجموعتين (العاملة وغير العاملة) :**

(أ) **لا توجد فروق فى درجة التصلب بين العامــلات أنفسهن فى كل مستوى من المستويات المختلفة من: السن ، والتعليم ، والدخل، والمستوى الاجتماعى الاقتصادى .**

(ب) **لا توجد فروق فى درجة التصلب بين السيدات غير العــاملات أنفسهن فى** كل مستوى من المستويات المختلفة من : السن ، والتعليم ، والدخل ، والمستوى الاجتماعى الاقتصادى .

أولا ــ عينة البحث :

ــ **وقد تضمنت عينة البحث :** سيدات يعملن خارج نطاق المنزل . وسيدات لا يعملن خارج نطاق المنزل .

ــ **وروعى عند اختيار هذه العينة :**

(إ) استبعاد السيدات غير العاملات اللاتى سبق لهن العمل ، على اساس أن خبرة العمل السابق قد تســاعد على عدم وضوح الفروق فى سماتهم .

(ب) الاقتصار على السيــدات المتزوجات ، على اســاس افتراض

اكتمال الدور الاجتماعى للمراة بعد الزواج .

(جـ) اشترط فى عينة البحث من السيدات العاملات وغير العاملات ان تكون عضوا فى اسرة كاملة ، ان تعيش مع الزوج (غير مطلقة ولا ارملة) ، على أساس أن اختفاء احد الزوجين أو غيابه عن مسرح الاسرة بسبب الانفصال أو الطلاق أو الوفاة ، من شأنه ان يؤثر فى التكوين الاجتماعى للاسرة وفى وظائفهـا ، وبالتالى فى سـمات أفرادها ولاسيمـا سمات الام التى هى موضوع الدراسة .

(د) كذلك لا يشترط ان تكون السيدة منجبة أو غير منجبة — على أساس ان البحث يتناول بالدراسة علاقة التصلب بالعمل (أو عدم العمل) .

(هـ) روعى عند اختيار كل عينة من السيدات العاملات وغير العاملات تحقيق اكبر قدر ممكن من التماثل بين المجموعتين — فيما يتصل بكل من المتغيرات التالية :

(ا) محل الاقامة .

(ب) مستوى تعليم الزوجة .

(جـ) مستوى تعليم الزوج .

(د) مدة الزواج بالسنوات .

(هـ) عدد أفراد الاسرة .

(و) درجة الوفاق بين الزوجين .

(و) بلغ مجموع السيدات العاملات اللاتى تم دراستهن فى هذا البحث « ١٢٣ » سيدة ، روعى فى اختيارهن توزيعهن على قطاعات العمل المختلفة : القطاع الحكومى والقطاع العام والقطـاع الخاص .

اما عينة السيدات غير العاملات فقد بلغ مجموعهن فى هذا البحث « ١١٤ » سيدة .

(ثانيا) : أدوات البحث :

استخدم فى هذا البحث اربعة أدوات أساسية :

أ ــ مقياس التصلب من خلال التطرف فى الحكم على الاصدقاء *
اعده د . مصطفى سويف .

٢ ــ مقياس للتصلب من خلال التطرف فى تفضيل أنــواع الاطعمة أعده د . محمد فرغلى فراج .

٣ ــ مقياس للتصلب فى المواقف الاجتماعية ــ وقد قامت الباحثة باعداده خصيصا لهذه الدراسة . عن طريق الاستعانة ببعض بنود كل من مقياس « جف » Gough,1970 ــ لقياس المرونة فى الشخصية ، وبعض بنود مقياس « أيزنك » Eysenck ــ لقياس التصلب .

٤ ــ استمارة بيانات شخصية واجتماعية .

وقد تم اختيار هذه الادوات نظرا لمــا تتمتع به من درجة عالية من ثبات وصدق (فرغلى ، ١٩٧٠ ، سويف ، ١٩٦٨) .

(ثالثا) خطة التحليل الاحصائى :

يحتاج التحقق من الغرض العــام لهذا البحث ، وكذلك التحقق من الفروض الفرعية الاخرى ، الى معالجة بياناته بطريقة يستخدم فيها الاسلوب الاحصائى الذى يمكن من خلاله القاء الضوء على هذه الفروض تبعا لاهداف البحث وطبيعة بياناته .

لهذا رؤى أن تتم العمليات الاحصائية التالية :

١ ــ حساب المتوسط والانحراف المعيارى ، بكل من عينة المراة العاملة وغير العاملة على كل متغير من متغيرات البحث ، سواء بالنسبة لكل درجة من درجات مقاييس التصلب المستخدمة أو البيانات الشخصية الاجتماعية .

٢ ــ حساب اختبار « ت » للفروق بين المتوسطات لدرجة كل متغير من المتغيرات السابقة ــ بالنسبة لعينة المراة العــاملة ومتوسط درجة

(*) وتمثلت درجات كل مقياس من مقياس التطرف (الطعام والصداقة) فيما يلى :
(١) التأييد الشديد (+ ٢) . (٢) التأييد (+ ١) .
(٣) الحياء (صفر) . (٤) المعارضة (ــ ١) .
(٥) المعارضة الشديدة (ــ ٢) (٦) التطرف بغض النظر عن اتجاهه (+ ٢)
(٧) الاعتدال بغض النظر عن اتجاهه (+ ١) .

نفس المتغير بالنسبة لعينة المرأة غير العاملة .

٣ — محاولة ادخال مزيد من التحكم ، أو نوع من التصميم التجريبى لاختبار الفروض النوعية لهذا البحث — وذلك باستخدام تحليل التباين (ذى التصنيف فى اتجاهين) (**) وذلك على اساس تصور وجود مصفوفة تنتظم متغيراتها بالشكل التالى :

(ا) **متغيرين مستقلين :**

١ — **فى الصفوف :** حالة العمل (عاملة أو غير عاملة) .

٢ — **فى الاعمدة :** أحد المتغيرات الشخصية الاجتماعية(مستوى التعليم ، أو السن ، أو الدخل ، أو المستوى الاجتماعى الاقتصادى) .

(ب) **متغير تابع واحد هو :**

درجة التصلب (وخاصة على كل من : مقياس + ٢ ، ± ٢ من مقياس الصداقة ، ± ٢ ، + ٢ من مقياس الطعام ، والدرجة على مقياس التصلب فى المواقف الاجتماعية) .

ويترتب على هذا التصنيف وجود ستة خلايا ، كما هو موضح بالشكل التالى :

درجة التعليم / حالة العمل	منخفض (١)	متوسط (٢)	مرتفع (٣)
عاملة	١	٢	٣
غير عاملة	٤	٥	٦

(**) Analysis of variance : two-way classification.

وعلى هذا الاساس فان مقارنة درجات التصلب فى الخلايا الصفية (التى تقع فى صف واحد وأعمدة مختلفة) تشير الى مقارنة درجات التصلب من مستويات من التعليم — او السن — أو الدخل — او المستوى الاجتماعى الاقتصادى مع تثبيت حالة العمل (عاملة أو غير عاملة) .

كما أن المقارنة بين درجات التصلب فى الخلايا العمودية (التى تقع فى عمود واحد وصفين مختلفين) تشير الى مقارنة درجات التصلب فى حالات عمل مختلفة (عاملة أو غير عاملة) مع تثبت مستوى التعليم أو السن او الدخل أو المستوى الاجتماعى الاقتصادى .

ومعنى هذا ، القيام بأربعة أنواع من تحليل التباين « ذى التصنيف فى اتجاهين » ، على أساس كل متغير من المتغيرات الشخصية والاجتماعية وذلك بالنسبة لكل مقياس من مقاييس التصلب الخمس . وبذلك تكون جملة حالات حساب تحليل التباين عشرون حالة .

ومن أهم مميزات استخدام هذا النوع من التحليل الاحصائى هنا ، انه يمكن من ابراز درجة التفاعل بين كل من : عمل المراة أو عدم عملها **خارج المنزل ، ودرجة التصلب ، والمتغيرات الشخصية الاجتماعية (وهى التعليم ، والسن ، والدخل ، والمستوى الاجتماعى الاقتصادى) .**

رابعا : وصف نتائج البحث :

وسنتناول فيما يلى وصف لنتائج البحث :

(أولا) الفرق بين متوسط درجات كل من عينة المرأة العاملة وغير العاملة على متغيرات البحث : وبوجه عام لم تؤيد نتائج هذه الخطوة ، الفرض الصغرى العام ، بل كانت الفروق ذات الدلالة فى ستة مقاييس تشير الى زيادة التصلب لدى السيدات العاملات .

الجـــدول رقم (٢)

يوضح المتوسط والانحراف المعيارى لمقاييس عينة المرأة العاملة وغير العاملة ودلالة الفروق بين المتوسطات فى العينتين .

مسلسل	اسم المقياس	عاملة: المتوسط	عاملة: الانحراف المعيارى	غير عاملة: المتوسط	غير عاملة: الانحراف المعيارى	اختبارات للفرق بين المتوسطين
١	جـ +١، +٢	٥٢,٠٥٧	٨,٦١٤	٤٨,٢٥٤	٩,٥١٢	٣,٢١٦**
٢	-٢، -١	١٠,٧٨١	٧,٤٥٨	١٣,٢٠٢	٧,٧١٩	-٢,٤٤٠*
٣	+٢	٢٧,٩١٩	١٠,٥٥٢	٢٤,٤٩١	٨,٧٢٧	٢,٧٠٠**
٤	-٢	٦,٧٧٢	٤,٧٩١	٨,٩٠٤	٦,١٩١	-٢,٩٦٣**
٥	±٢	٣٤,٤٦٣	١١,٠٧٨	٣٣,٣٠٧	٩,٨١٠	٠,٨٤٥
٦	+١	١٤,٢٠٢	٩,٠٠٠	٢٤,٢٨١	٧,١٧٨	-٠,٠٧٣
٧	-١	٤,٢٢٠	٥,٠٤٧	٤,٢٩٨	٤,٦٤٩	-٠,١٢٤
٨	±١	٢٨,١٥٥	٩,٣١٤	٢٨,٥٧٩	٧,٣٧٣	-٠,٣٨٥
٩	صفر	٨,٩٦٧	٧,٠٣٥	٠,٠١٨	٧,٥١٠	-١,٠٦٩
١٠	و +١، +٢	٣٠,٧٦٤	٧,٠٥٥	٢٩,٣٤٢	٥,٩٢٩	١,٦٦٦
١١	-١، -٢	٢٨,٤٨٠	٥,٩١٢	٢٧,٩٣٠	٦,٢٤٩	٠,٦٩٣
١٢	+٢	٢٠,٥١١	٧,٩٤٩	١٨,٠ ٩	٧,١٨٦	٢,٥٧٤*
١٣	-٢	٢١,٦٨٣	٦,٦٢٦	٢ ,٢٥٤	٧,٠١٢	١,٦٠٦
١٤	±٢	٤٢,١٤٦	١١,٨٨٥	٣٨,٠٩٧	١,٥	٢,٦٥١**
١٥	+١	١٠,١٩٥	٦,٣٥١	١١,١٦٧	٥,٦٣٠	-١,٠٣٧
١٦	-١	٦,٩٥١	٥,٢٥٤	٧,٧٠٤	٦,٣١١	١,٠٦٣
١٧	±١	١٦,٨٦٢	٨,٧٥٦	١٨,٩١٢	٩,٢١٨	-١,٧٤٩
١٨	صفر	١٠,٨٠٥	٨,٢٥٩	١٣,٠٦١	٩,٠٦٧	-١,٩٨٥
١٩	ق التصلب	١٩,٥٧٧	٣,٧٧٩	١٨,٨٥	٤,١٢٩	١,٢٩٠

عدد أفراد العينة : عاملة = ١٢٣ غير عاملة = ١١٤

اجمالى العينتين = ٢٣٧

* ت ١ر٩٧ عند مستوى دلالة ٠٥ر

** ت ٢ر٦٠ عند مستوى دلالة ٠١ر

ونستطيع من ملاحظة الجدول رقم (٢) أن نسجل الملاحظات التالية — التى تتصل بالفرض العام لهذا البحث :

١ — وجود فروق ذات دلالة احصائية بين العينتين (العاملة وغير العاملة) فى عدد من مقاييس التصلب ، ولا سيما فى الدرجات الفرعية التالية:

(أ) بالنسبة لمقياس (الطعام) :

ميزت بين العينتين كل من : الدرجات المتطرفة الموجبة (+ ٢) والسالبة (— ٢) ومجموع الدرجات المتطرفة والمعتدلة الموجبة (+ ٢ ، + ١) ومجموع الدرجات المتطرفة والمعتدلة السالبة (— ٢ ، — ١) . أما درجات الاعتدال فى الاستجابة (+ ١ ، — ١ ، ± ١ ، صفر) أو التطـرف بغض النظر عن اتجاهه (موجب أو سالب) ± ٢ ، فلم تميز بين العينتين .

(ب) أما بالنسبة لمقياس (الصداقة) :

فلم يتبين وجود فروق بين المجموعتين ، الا فى كل من مقياس التطرف (+ ٢) ، ومقياس التطرف بغض النظر عن اتجاه الاستجابة « موجب أو سالب » (± ٢) .

أما باقى درجات مقياس الصداقة التى تميل الى الاعتدال (+ ١ ، — ١ ، ± ١ ، صفر) أو التى تميل الى التطرف السالب ، فلم تميز بين العينتين .

(ج) أما فيما يتصل بمقياس (التصلب) :

كما يتبدى فى « عدم تحمل الغموض » فى المواقف ذات الطابع الاجتماعى، فلم يميز بين المجموعتين تمييزا له دلالة احصائية .

ويوحى تداخل الصورة التى توضحها هذه النتائج وتشابكها ، عند الاستعانة باجمالى العينتين العاملة وغير العاملة ، بأن المقارنة الاجمالية بين كل من العينتين على مقاييس التصلب (كما تتبدى فى التطـرف أو عدم تحمل الغموض) ، تطمس بعض معالم الفروق بين العينتين . لهـذا ، **تم الاستعانة بأسلوب تحليل التباين ذى التصنيف فى اتجاهين — على أساس الطريقة التى وصفها « فرجسون » (Ferguuson, A. 1959) — سعيا وراء مزيد من الكشف عن الظروف الملائمة لابراز معالم الفروق بين العينتين العاملة وغير العـاملة .**

ونستطيع من خلال الجدولين رقم (٣ ، ٤) — أن نوجز **وصف نتائج تحليل التباين ذى التصنيف فى اتجاهين . فيما يلى :**

أولا : فيما يتصل بالفروق بين عينة المرأة العاملة وغير العاملة :

(أ) التصلب فى مستويات **التعليم** المختلفة :

١ — فى المستوى **المنخفض** من التعليم — وجدت فروق دالة بين العينتين ، وكانت درجات المرأة العاملة أكثر ارتفاعا منها لدى غير العاملة .

٢ — فى المستوى **المتوسط** من التعليم : وجد فرق ذو دلالة بين العاملة وغير العاملة فى المقياس طعام (+ ٢) فقط ، وكانت درجات المرأة العاملة أكثر ارتفاعا .

٣ — فى المستوى **المرتفع** من التعليم : وجد فرق ذو دلالة بين العاملة وغير العاملة .

على مقياس الطعام (+ ٢) — الا أن اتجاه الدرجات هنا كان مختلفا عنه فى الحالتين السابقتين ، أى كانت درجة تصلب الجامعيات غير العاملات أكثر ارتفاعا .

جـــدول رقم (٣)

يوضح متوسط درجات مقاييس التصلب الخمس (*)
(فى ظل ثلاثة مستويات من المتغيرات الشخصية والاجتماعية) .

المتغيرات الشخصية الاجتماعية		عـــاملة مقاييس التصلب: طعـــام + ٢ (أ)	طعـــام ± ٢ (ب)	صـــداقة + ٢ (جـ)	صـــداقة ± ٢ (د)	تصلب (هـ)
تعليم الزوجة	تقرأ وتكتب	٣٠,٣٢	٢٧,٦١	٢٣,٢٧	٤٧,٠٠	٢٠,٩٥
	متوسط	٢٩,٥١	٢٤,٦١	٢١,٠٢	٤١,٨٠	٠٨,٠٧
	جامعى	٢٢,٩٣	٣٠,١٧	١٧,١٥	٣٧,٦٣	٩,٧١
السن وقت إجراء البحث	منخفض	٢٩,٦١	٣٧,٢٠	١٩,١٧	٤٠,٢٩	١٩,٢٧
	متوسط	٢٦,٢٧	٣٢,٨٣	٢٠,١٠	٤١,٤٦	٢٠,٢٢
	مرتفع	٢٧,٨٨	٣٣,٣٧	٢٢,٢٧	٤٤,٦٨	١٩,٢٤
إجمالى دخل الاسرة (شهرياً)	منخفض	٢٩,٠٥	٣٧,١٥	٢٠,٠٥	٤٢,٠٥	٢٠,٢٢
	متوسط	٢٩,٩٣	٢٥,٧٢	٢٢,٢٤	٤٣,٧٦	١٩,٦١
	مرتفع	٢٤,٧٨	٣٠,٥١	١٩,٢٤	٤٠,٦٣	١٨,٨٠
المستوى الاجتماعى الاقتصادى	منخفض	٢٩,٣٧	٣٧,٠٠	٢١,٠٠	٤٤,٠٠	٢٠,١٧
	متوسط	٢٨,٤٦	٣٤,٨٨	٢١,٤١	٤١,٩٨	١٩,٤٦
	مرتفع	٢٥,٩٢	٣١,٥١	١٩,١٢	٤٠,٤٦	١٩,١٠

تابع جدول رقم (٣)

المتغيرات الشخصية الاجتماعية		غيــر عاملة (مقاييس التصلب) طعــام		صـداقة		تصلب
		+ ٢ (أ)	± ٢ (ب)	+ (جـ)	± ٢ (د)	(هـ)
تعليم الزوجة	تقرأ وتكتب	٢٥,٠٢	٣٢,٧٦	١٩,١١	٣٨,٤٥	١٨,٤٢
	متوسط	٢٤,٢٦	٣١,٢٤	١٨,٤٥	٣٨,٦١	١٩,٣٧
	جامعى	٢٤,١٨	٣٥,٩٢	١٦,٤٧	٣٧,٢٣	١٨,٧٦
السن وقت إجراء البحث	منخفض	٢٥,٢٦	٣٤,١٣	١٧,٨٩	٣٨,٣٤	٨,٩٥
	متوسط	٢٣,٦٨	٣٤,٣٤	١٥,٣٤	٣٥,٢٤	١٨,٧٩
	مرتفع	٢٣,٦٨	٣١,٤٥	٢٠,٧٩	٤٠,٧١	١٨,٨٢
إجمالى دخل الاسرة (شهرياً)	منخفض	٢٦,٨٢	٢٥,٣٢	١٨,٧٩	٤٠,٥٢	١٩,٨٩
	متوسط	٢٣,٧٦	٣١,٩٥	١٧,٢٦	٣٦,٩٢	١٨,٦٦
	مرتفع	٢٢,٨٩	٣٢,٦٦	١٧,٩٧	٣٦,٨٤	١٨,٠٠
المستوى الاجتماعى الاقتصادى	منخفض	٢٦,٢١	٣٥,٢٩	١٨,١٩	٤١,٢٤	١٩,٢٩
	متوسط	٢٤,١٨	٣٢,٢٩	١٧,٢٠	٣٥,٢٤	١٩,٠٨
	مرتفع	٢٣,٠٨	٣٢,٢٤	١٧,٩٥	٣٧,٧١	٠٨,٢٠

* اقتصر حساب تحليل التباين اكبر خمس مقاييس تمثيلا للتصلب هى : مقياس الطعـام (+ ٢ ، ± ٢) ، مقيـاس الصـداقة (+ ٢ ، ± ٢) ، مقياس التصلب من خلال المواقف الاجتماعية .

جـــدول رقم (٤)

ويوضح قيمة اختبار «ت» للفرق بين عينة المرأة العاملة وغير العاملة في المستويات الثلاثة للمتغيرات الشخصية والاجتماعية

مقاييس التصلب		طعـام		صداقة		تصلب
المتغيرات الشخصية الاجتماعية		+ ٢ (أ ـ أ)	± ٢ (ب ـ ب)	+ ٢ (ج ـ ج)	± ٢ (د ـ د)	(هـ ـ هـ)
تعليم الزوجة	تقرأ وتكتب	*٢,٥١	*٢,١١	*٢,٦١	**٣,٤٢	**٢,٩٥
	متوسط	*٢,٤٩	١,٤٧	١,٥٧	١,٢٨	١,٥١
	جامعى	,١٢	*٢,٠٧	١,٤٠	١٦,	١,١٠
السن وقت إجراء البحث	منخفض	*٢,٠٢	١,٣٢	,٧٧	,٧٧	,٢٧
	متوسط	١,٢٠	,٦٥	**٢,٨٩	**٢,٤٥	١,٦٣
	مرتفع	١,٥٦	,٨٢	,٩٠	١,٥٦	,٤٩
إجمالى دخل الاسرة الشهرى	منخفض	١,٠٦	,٨٠	,٧٥	,٥٨	,٤٩
	متوسط	**٢,٩١	١,٩٥	**٢,٩٦	*٢,٦٧	١,١٠
	مرتفع	,٨٩	,٩٣	,٧٦	١,٤٨	,٩٣
المستوى الاقتصادى الاجتماعى	منخفض	١,٤٧	,٦٩	١,٣١	١,٠٤	١,٠٤
	متوسط	*٢,٠٠	١,١٢	*٢,٤٥	**٢,٦٥	,٤٤
	مرتفع	١,٣٣	,٣١	,٧٠	١,٠٨	١,٠١

* ت ٢٫٠٠ عند مستوى دلالة ٠٫٠٥

** ت ٢٫٦٥ عند مستوى دلالة ٠٫٠١

(ب) التصلب في مستويات **السن** المختلفة :

١ — في مستوى السن **المرتفع** : لم توجد فروق في درجة التصلب بين العينتين .

٢ — في مستوى السن **المتوسط** : وجد فرق ذو دلالة بين العينتين ، على كل من مقياس الصداقة (+ ٢ ، ٢ ± ٢) ، أى أن العاملة أكثر تصلبا .

٣ — في مستوى السن **المنخفض** : وجد فرق دال على مقياس الطعام (+ ٢) ، وقد حصلت العاملة على درجة من التصلب أكبر من غير العاملة.

(جـ) التصلب ومستويات **دخل الاسرة** المختلفة :

١ — لم يوجد فرق بين المرأة العاملة وغير العاملة من مستوى الاسر ذات **الدخل المنخفض** والاسر ذات **الدخل المرتفع** في أى مقياس من مقاييس التصلب .

٢ — وجد فرق بين العاملة وغير العاملة من ذوات **الدخل المتوسط** على **المقاييس** : طعام (+ ٢) ، صداقة (+ ٢ ، ± ١) حيث كانت العاملة اكثر تصلبا .

(د) — التصلب ودرجات **المستوى الاجتماعى الاقتصادى** :

١ — لم يوجد فرق بين العاملة وغير العاملة من **المستوى الادنى والاعلى** .

٢ — تبين وجود فرق ذو دلالة في المستوى الاجتماعى الاقتصادى **الاوسط** ، في درجة التصلب . كما تتمثل في درجتى التطرف (+ ٢) ، (± ٢) على مقياس الصداقة . ودرجة (+ ٢) على مقياس الطعام بين العينتين ، مع ميل المرأة العاملة الى مزيد من التصلب .

ثانيا : الفروق داخل كل عينة :

وفي محاولة لالقاء مزيد من الضوء على بعض الظروف التى ساهمت في النتائج السابقة ، تم حساب الفروق بين متوسط درجات التصلب داخل كل عينة « عاملة » أو غير « عاملة » . في كل من المستوى الاعلى والادنى — من كل متغير من المتغيرات الشخصية الاجتماعية . .

ويوضح الجدول رقم (٥) متوسط درجات التصلب في كل من المستوى الادنى والاعلى لكل من المتغيرات الاجتماعية .

اما الجدول رقم (٦) فانه يوضح دلالة الفروق بين متوسط درجات التصلب في كل من المستويين موضع المقارنة لكل متغير من المتغيرات الشخصية الاجتماعية .

الجدول رقم (٥)

ويوضح متوسط درجات كل من المستوى الادنى والاعلى على المتغيرات الشخصية والاجتماعية على كل مقياس من مقاييس التصلب (*)

المتغيرات الشخصية الاجتماعية		عاملة: طعام +٢	عاملة: طعام ±٢	عاملة: صداقة +٢	عاملة: صداقة ±٢	عاملة: تصلب	غير عاملة: طعام +٢	غير عاملة: طعام ±٢	غير عاملة: صداقة +٢	غير عاملة: صداقة ±٢	غير عاملة: تصلب
تعليم الزوجة	المستوى الأدنى	٣٠,٣٢	٣٧,٦١	٢٣,٢٧	٤٧,٠	٢٠,٩٥	٢٠,٠٣	٣٢,٧٦	١٩,١١	٣٨,٤٠	١٨,٤٢
	المستوى الأعلى	٢٣,٩٣	٣١,١٧	١٧,١٠	٣٧,٦٣	١٩,٧١	٢٤,٢٦	٢٥,٩٢	١٦,٤٧	٣٧,٢٤	١٨,٧٦
السن وقت البحث	المستوى الأدنى	٢٩,٦١	٣٧,٢٠	١٩,١٧	٤٠,٢٩	١٩,٢٠	٢٥,٢٦	٣٤,١٣	١٧,٨٩	٣٨,٣٤	١٨,٩٠
	المستوى الأعلى	٢٧,٨٨	٣٣,٣٧	٢٢,٢٧	٤٤,٦٨	١٩,٢٤	٢٤,٥٣	٣١,٤٥	٢٠,٧١	٤٠,٧١	١٨,٨٢
إجمالى دخل الاسرة	المستوى الأدنى	٢٩,٠٥	٣٧,١٥	٢٠,٠٥	٤٢,٠٥	٢٠,٢٢	٢٦,٨٢	٣٥,٣٢	١٨,٧٩	٤٠,٥٣	١٩,٨٩
	المستوى الأعلى	٢٤,٧٨	٣٠,٥١	١٩,٢٤	٤٠,٦٣	١٨'٨٠	٢٢,٨٩	٣٢,٦٦	١٧,٢٦	٣٦,٨٤	١٨,٠٠
المستوى الاجتماعى الاقتصادى	المستوى الأدنى	٢٩,٣٧	٣٧,٠٠	٢١,٠٠	٤,٠٠	٧٠,١٧	٢٦,٢٠	٣٥,٣٩	١٧,٧٩	٤١,٣٤	١٩,٢٦
	المستوى الأعلى	٢٥,٩٣	٣١,٥١	١٩,١٢	٤٠,٤٦	١٩,١٠	٢٤,١٨	٣٢,٢١	١٧,٧٩	٣٧,١٧	١٨,٢١

(*) المتوسط فى المستوى الاوسط = ٢٤ر٣٥

الجدول رقم (٦)

قيمة (ت) أو مستوى دلالة الفرق بين متوسط درجة التصلب في المستويين الادنى والاعلى بالمتغيرات الشخصية والاجتماعية .

المتغيرات الشخصية الاجتماعية	عاملة					غير عاملة				
	طمام		صداقة		تصلب	طمام		صداقة		تصلب
	+٢	±٢	+٢	±٢		+٢	±٢	+٢	±٢	+٢
١ - تعليم الزوجة	٣،٠٩ **	٣،٨٦ **	٣،٨٨ **	٣،٨٢ **	١،٤٨	٠،٣٩	١،٣٥	١،٥٨	،٤٧	،٣٩
٢ - السن وقت إجراء البحث	،٨٢	١،٦٨	١،٩٢	١،٧٦	،٠٣	٠،٣٤	١،١٣	١،٧٣	،٩١	،١٥
٣ - اجمالى دخل الاسرة الشهرى	٢،٠٦ *	٢،٩٤ **	،٠٩	،٥٦	١،٧٨	١،٨٢	١،١٤	٠،١٨	١،٤١	٢،١٤ *
٤ - المستوى الاجتماعى الاقتصادى	١،٦٤	٢،٤٢ *	١،١٠	١،٤٢	١،٢٥	١،٤٤	١،٣٤	٠،٤٩	٢،٠٥ *	١،٠١

* ت ٢ر٠٠ عند مستوى دلالة ٠ر٠٥

** ت ٢ر٦٥ عند مستوى دلالة ٠ر٠١

ومن ملاحظتنا للجدولين السابقين (٥ ، ٦) يتبين الفروق التالية :

١ ــ التعليم :

توجد داخل عينة المراة العاملة « وحدها » فروقا ذات دلالة فى مستوى التصلب على مقياس الطعام (+ ٢) ، (± ٢) ، وذلك بين المستويين الادنى والاعلى من التعليم ، حيث يرتبط التعليم الادنى بارتفاع درجة التصلب، مما يتفق مع نتائج باحثون آخرون مثل لايت (Light ,etal 1965).

٢ ــ السن :

لم توجد فروق ذات دلالة فى درجة التصلب من المستوى الادنى والاعلى للسن سواء لدى المراة العاملة وغير العاملة . وقد تدل هذه النتيجة على عدم اتساع مدى فئات السن داخل كل عينة ، نظرا لمعارضتها لنتائج الدراسات السابقة :

(soueif , 1958 Hesterley 1963 , Light - 1965)

٣ ــ دخل الاسرة :

توجد فروق ذات دلالة بين المستويين الاعلى والادنى فى «دخل الاسرة»ــ بالنسبة لعينة المراة العاملة على المقياسين طعام (+ ٢ ، ± ٢) وعينة المراة غير العاملة « علىمقياس التصلب » كما تتبدى فى عدم تحمل الغموض فى المواقف الاجتماعية . وقد تمثلت هذه الفروق فى حصول ذوات الدخل الادنى على درجات أعلى فى التصلب .

٤ ــ المستوى الاجتماعى الاقتصادى :

تبين وجود فرق ذو دلالة بين الدرجات الاعلى والادنى من المستوى الاجتماعى والاقتصادى لدى المراة العاملة على مقياس الطعام (± ٢) مع ارتفاع درجة التصلب لدى السيدات من المستوى الاجتماعى الاقتصادى الادنى .

خامسا : مناقشة النتائج :

تدفع نتائج هذا البحث الى افتراض أن **السيدات اللاتى يعانين من ظروف نفسية أو اجتماعية تزيد من مستوى توترهن ، أكثر ميلا للتطرف فى الاستجابة وعدم تحمل الغموض ، أى أكثر ميلا الى ابداء أنواع السلوك المتصلب ازاء المواقف أو المنبهات الاجتماعية .**

وعلى هذا الاساس يمكن أن نفهم كون السيدات العاملات من مستويات تعليمية منخفضة ، أكثر تصلبا من السيدات غير العاملات من نفس مستوى تعليمهن .

بالاضافة الى ذلك ــ **يمكن أن يساعدنا على فهم حصول السيدات غير العاملات اللاتى أتممن مستوى التعليم الجامعى ــ على درجات من التصلب اعلى من السيدات العاملات من نفس مستوى تعليمهن .** ورغم أن ارتفاع درجة التصلب لدى السيدات الجامعيات غير العاملات تحتاج الى دراسة خاصة للكشف عن مختلف الظروف التى وراء هذه الظاهرة ، فاننا قد نستطيع فى ضوء التفسير السابق أن نتصور بعض التأثير

لوجود وقت فراغ كبير ، وكذلك عدم الرضا عن النفس عند مقارنة الذات بباقى العاملات وغير العاملات ، أو الطموح الى السعى نحو تحقيق الذات فى أعمال يعتقد أنها أكثر فاعلية من مجرد رعاية البيت ... الخ .

اما عدم وجود فروق فى مستوى التوتر (أو التصلب) بين العاملات من الاسر ذات الدخل — أو المستوى الاجتماعى الاقتصادى — المنخفض ، وغير العاملات (من نفس مستوى دخل الاسرة والمستوى الاجتماعى والاقتصادى) . وكذلك عدم وجود فروق بين العاملات من الاسر ذات الدخل والمستوى الاجتماعى الاقتصادى المرتفع وغير العاملات من نفس المستوى من الدخل والمستوى الاجتماعى الاقتصادى ، فى حين أن درجة التوتر أو التصلب ، أعلى لدى العاملات ذوات الدخل والمستوى الاجتماعى الاقتصادى . ومن المرجح أن ذلك مرجعه الى انه يزداد طموحهن عن ذوات المستوى الادنى من الدخل ، ومن ينتمين الى المستوى الاجتماعى الاقتصادى الادنى .

كذلك تزداد حدة الشعور بالاحباط لدى السيدات من الاسر متوسطة الدخل أو اللائى ينتمين الى مستوى اجتماعى اقتصادى متوسط اذا قورن بالسيدات اللائى ينتمين لاسر من المستوى الاعلى للدخل .

اما فيما يتصل بتميز السيدات العاملات من مستوى السن **المنخفض او المتوسط بدرجة أعلى من التوتر فربما يرجع هذا الى أن الانجاب لدى المرأة العاملة يمثل قمة المسئولية عن البيت والابناء من ناحية وعن واجبات العمل من ناحية أخرى .**

وتتفق نتائج المقارنة (داخل العينات) فى اطارها العام مع النتائج التى حصل عليها « سويف » (Soueif - 1958) وبرنجلمان Brengelmann, 1959 ، والتى تشير الى ارتفاع مستوى التوتر لدى المستويات الاجتماعية الاقتصادية الدنيا ، وهذا الاتفاق من شأنه أن يعطى منظورا جديدا لصدق النتائج السابقة ، كما أن من شأنه ان يفسر الظروف التى تعمل على ارتفاع درجات التصلب .

كما تؤكد نتائج هذا البحث قيمة استخدام مقاييس التصلب ، على أساس مفهوم التصلب كما يتبدى فى المواقف الاجتماعية (فرغلى ، ١٩٧١ ، سويف ١٩٦٨ ، Eysenck, 1954 , Soueif 1953) .

حيث يمكن ان يرتبط التصلب (بهذا المفهوم) بظروف ثقافية اجتماعية اقتصادية مختلفة ، من شأنها أن تزيد من درجة التصلب أو تقلل من هذه الدرجة مما يساعد على ترشيد الواقع النفس الاجتماعى ، فى ضوء الدراسات النفسية الاجتماعية المتتابعة .

المراجع

— السيد ، ع.م ، تطور تعليم البنات فى مصر ، الباب الاول من : التقرير الاول لهيئة بحث **« تغير الوضع الاجتماعى للمرأة فى مصر المعاصرة »** (المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية) القاهرة ١٩٧٤ ص ص ١٠ — ٨١ .

— السيد ، ع.م ، **الابداع والشخصية** ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧١

— سويف ، م.أ ، **التطرف كاسلوب للاستجابة** ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٨ .

— سويف ، م.أ ، اطار أساسى للشخصية : دراسة حضارية مقارنة على نتائج التحليل العاملى ، **المجلة الجنائية القومية** ، ١٩٦٢ ، ٥ ، ١ — ٤٨

— فراج ، م.ف ، **مرضى النفس فى تطرفهم واعتدالهم** ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١ .

— فراج ، م.ف ، سمات الشخصية وعلاقتها بأساليب الاستجابة ، دراسة بواسطة التحليل العاملى ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب، جامعة القاهرة ، ١٩٧٠ .

— Berg, I. A., & collier, J.S , Personality and grond differnces in extreme response set. Educ Psychol. Measurement, 1958 13-164. (Quoted through, Hamilton., 1968).

— Berg, J. Block, Jeanne H. An investigation of the relation ship between intolerance of ambiguity and ethnocentrism, J. of Pers., 1951, 19, 303—311.

— Brengelmann, J. C. Fxtreme response set, drive level and abnormality in questionnaire rigidity, J. Ment. Sci., 1960 106. 173 — 186. (a).

— Brengelmann, J. C. Differences in questionaire responses between English and Germn nationals· Acta Psychologica, 1959, 61—339-355, (b).

— Brengelmann, J C Abnormal and Personalty correlates of certainty. J Ment Sci. 1959,105,142-192, (a).

— Brengelmann, J. C Anote on questionnaire rigidity and extreme response set J. Ment. S ic, 1960, 187-192.(d)

— Brengelmann, J. C. The effects of exposure time in im ediate recall on abnormal and questionnaire of Personality. J. Ment. Sci. 1957, 101, 665-680.

— Brim, O.G, J. R. &, Hoff, D. B. Individual and situational differences in desire fer certainity. J. Abn rm. and soc. Psychol., 1957. 54, 224-229

— Cattell. R. B. & Tiner, L., The varieties of structural rigidly. J. Pers., 1989, 17 PP. 321-415 (Quoted through, Luchins, 1659).

— Eysenck, H. S. The Structurs of Humen Personality, London, in Methuen & Co., 1960.

— Fisher, S., Patterns of personality rigidity and some of their determinants, Psychol Monogr. 1950, 64, No. I (Whale No 307).

— Ferguson, G A, Statistical Analysis in Psychology, New york, Mc Grow Hill, Co. 1959,ch. 16, PP. 242-262.

— Frenkel-Brunswick, E, Intolerance of ampiguity as an emotional and Perceptual Personality variable. J. Pers., 1949, 18 108 — 143.

— Goldstein, K., Concerning rigidity, character and Personality, 1943. 11. PP. 209 — 226.

— Gough. H. G. The Development of Rigidity Scale Institute of Personality assessment and research, california, Berkeley 1970 (Memeos).

— Guilford, J. P , Frick, J. W. Christensen, P R. Merrifielld, P, R. Afactor analytic study of flexibility in thinking univ

Southern california, Rep. from the Psychol. lab, No. 18. 1957.

— Hamilton, D.L. Personality attributes associated with extreme response style. Psychol. Bull., 1968. 29, 3, 192—203.

— Hesterly, S.O. Deviant response Patternse as function of chronological age Journal of Consulting Psychology, 1963, 27 — 210—214— (Quoted through., Hamilton, 1968).

— Kerrick, J.S. The effects of Intelligence and manifest anxiety on attitude change through communications. unpuplished doctoral disseration, university of illinois, 1954.

— Lewin, K., ADynamic theory of Personality, New York, Mc Graw Hill, 1935.

— Light, C.S. Zax, M., & Cardiner, D.H. Relationship of age, Sex, and Intelligence Level to extreme response style. Jour. of pers and soci Psy. 1965, 2, 907—909.

— Luchins, A.S. Rigidity of Behavior Univ. of oregon books, Eugene, Oregon, 1959.

— Meyer, V., Psychological effects of Brain Damag, ch. 14 in: Eysenck, H., J., (Editor) Handbook of abnor. Psy. an Exp Approach, New York Basic Book, 1960, PP. 529—565.

— Rockeach, M. Warren C. Mc Govney, and M. Ray Denny, A distinction between dogmatic and rigid thinking J. abnor. Soc. Psy. 51, No, 1' July. 1955.

— Smock, C.D, The influence of Psychological stress on the intole-rance of ambiguity, J. abnor. Soc. Psych. 1955, 50, 177-182 (a).

— Smock, C.D., The influence of Psychological stress on the perception of incongruity J. abnor. Soc. Psych 1955 50, 334—356. (b).

— Soueif, M.I. Extreme respsnse sets as ameasure of intolerance of ambiguity, Brit. J. Psych. 1958, 49, 329—334.

— Thurstone, L.L., A Factorial study of Perception, nuiv. of chicago Press, 1944.

— Werner, H., Comparative Psychology of mental development, New York Harper, 1957.

— Werner, H., The Concept of Rigidity, Acritical Evaluation Psych. Rev. 1946 PP 43—53.

— Zax, M., Cardiner, D. H., & Lowy, D. G Extreme response rendency; as a function ef emotional adjustment. Jour. of abnor. and Soc. Psycho. 1964,69, 654—657.

بحث مكانة المرأة وعلاقتها بالخصوبة وتنظيم الأسرة فى مصر

تعتبر المشاكل السكانية من أهم القضايا الرئيسية التى يهتم بها المخططون فى الدول النامية فى الوقت الحاضر . ولذلك وجهت الجهود لمشروعات بحثية عديدة ترمى الى استكشاف الوسائل التى يمكن عن طريقها خفض معدلات النمو السكانى الى ادنى مستوى ممكن . ومما لا شك فيه أن النمو السكانى فى مصر اصبح من المشاكل القومية التى ازداد الاهتمام بها فى الآونة الأخيرة وان كان قد بدأ من بداية العقد الماضى . وقدتميز النمو فى عدد السكان بانخفاض كبير فى نسبة الوفيات دون تغيير يذكرفى الخصوبة ، الامر الذى ترتب عليه تحقيق مصر لمعدل نمو سكانى سنوى يعتبر من بين أعلى المعدلات فى العالم ، وبلغت نسبة الزيادة الطبيعية حوالى ٢ر٥ ٪ سنويا فى متوسط العشر سنوات الماضية . ومن المتوقع أن يبلغ عدد السكان فى مصر ٥٢ مليون نسمة فى عام ١٩٨٥ أى ضعف نظيره لعام ١٩٦٠ . لذلك فان سياسة التحكم فى عدد السكان عن طريق الاساليب والطرق المختلفة لتنظيم الاسرة لا بد أن تهدف الى تخفيض نسبة المواليد .

وفى تحليل معدلات الخصوبة والانجاب تمثل المرأة العنصر الهام ذا الارتباط المباشر بمعدلات الخصوبة . ويهدف بحث مكانة المرأة وعلاقتها بتنظيم الاسرة الى دراسة كافة أوجه الحياة الاجتماعية للمرأة خاصة النواحى الدائمة التغير واثر ذلك فى اتجاهات المرأة نحو تنظيم الاسرة .

ويمكن القول أن الهدف العام لهذا المسح هو دراسة واختبار العلاقة بين مكانة المرأة والمتغيرات الخاصة بتنظيم الاسرة فى المجتمع المصرى ، وبصفة أساسية دراسة تأثير تنظيم الاسرة على مكانة المرأة كذلك دراسة مكانة المرأة كمتغير مؤثر على الخصوبة ، وهذا يعنى أن الشق الاول من الهدف العام لهذا البحث يتناول دراسة مدى تأثير وجود أو غياب تنظيم الاسرة على مكانة المرأة كفرد فى المجتمع بغض النظر عن المشاكل السكانية الاخرى . أما الشق الثانى فيتناول دراسة مدى استخدام المرأة لحقوقها الاجتماعية والسياسية على الخصوبة . وعلى ذلك ، فان هذا البحث يتناول العلاقة بين مكانة المرأة وتنظيم الاسرة والآثار المترتبة التى تؤثر على النمو السكانى .

ويضم البحث اثنى عشر فصلا ، تتناول : المقدمة ، الأهداف الرئيسية للبحث ، الاطار النظرى للبحث ، الأطار المرجعى لموضوع الدراسة، الخلفية التاريخية لمكانة المرأة فى مصر ودور الشريعة الاسلامية والقانون فى ذلك ، الاطار الديمجرافى ، تطور تنظيم الأسرة فى مصر ، تصميم الدراسة الميدانية ، مكانة المرأة والخصوبة وتنظيم الأسرة التباين نتيجة الاختلاف الجغرافى ، العوامل المؤثرة على مكانة المرأة ، مكانة المرأة وأثرها فى تنظيم الأسرة واتجاهات السلوك الانجابى ، الاتجاهات والسلوك الانجابى وممارسة تنظيم الأسرة وعلاقة ذلك بمكانة المرأة ، كما يتضمن البحث الموجز والخاتمة فضلا عن الملاحق الاحصائية .

الأهداف الرئيسية للبحث :

تعتبر دراسة العلاقة بين مكانة المرأة والخصوبة وتنظيم الأسرة هو الهدف الرئيسى لهذا البحث كما ذكرنا سابقا — وتحقيقا لهذا الغرض فقد اعتمد هذا البحث على كل من البيانات المنشورة والميدانية . وبصفة خاصة فقد جمعت بيانات خاصة بدراسة الأهداف الآتية :

١ — اختبار العلاقة بين المستوى التعليمى وكل من الخصوبة وممارسة تنظيم الأسرة اذ من المعتقد أن هناك تلازما بين المستوى التعليمى وفاعلية استخدام وسائل منع الحمل . وقد تضمن هذا الهدف دراسة عدة نقاط تتناول جوانب تلك العلاقة .

٢ — اختبار العلاقة بين العمالة المكتسبة للمرأة وكل من الخصوبة واستعمال اساليب تنظيم الأسرة .

٣ — العلاقة بين السن عند الزواج . وكل من الخصوبة واستعمال وسائل تنظيم الأسرة .

٤ — دراسة المعلومات والاتجاهات الموجودة والقائمة فعلا بين النساء وعلاقة ذلك بتنظيم الأسرة وحقوق المرأة .

٥ — مدى تأثير التقاليد والقيم الحضارية والأنماط والمتغيرات الاجتماعية الاخرى على اتجاهات المرأة نحو تحديد حجم الأسرة .

٦ — تحديد مدى التباعد بين المواليد ومدى فاعلية تنظيم الأسرة .

٧ — تحديد العلاقة بين القانون وكل من الحقوق والواجبات والمسئوليات الوالدية وتعدد الزوجات والطلاق وتكرار الزواج .

٨ — اختبار مدى تأثير ممارسة كل من الوالدين لحقوقهما على التنشئة الاجتماعية للأطفال خاصة فيما يتعلق بمسائل الزواج والحياة الأسرية والخصوبة .

٩ ــ مدى تأثير اشتراك المرأة في الحياة العاملة شاملة الخدمات التطوعية على الخصوبة .

١٠ ــ وفي كل الأهداف السابقة ــ يهدف هذا البحث ايضا الى اجرائه مقارنات هامة خاصة فيما يتعلق بكل من :

الريف والحضر ، محافظات مصر العليا ومصر السفلى ، المجتمعات الريفية الصغيرة والكبيرة ، المجتمعات الصناعية والزراعية .

١١ ــ استنباط توصيات من دراسة الأهداف السابقة خاصة فيما يتعلق بما يلي :

أ ــ الآثار المترتبة المتغيرات السابق الاشارة اليها على التنمية القومية

ب ــ تحديد مدى تأثير الازدحام السكاني على مكانة المرأة ودورها وعلى مستويات خصوبتها واتباع أساليب تنظيم الأسرة .

جـ ــ توصيات عامة فيما يتعلق بالعلاقة بين مكانة المراة وتنظم الأسرة والخصوبة والتنبؤ بتلك العلاقة مستقبلا .

الاطار النظري للبحث :

يضم هذا الفصل جزأين : الأول يتناول المتغيرات المحددة لمكانة المراة والثاني يتناول الخصوبة وتنظيم الأسرة . ومن البديهي أن تتحدد مكانة المراة بعوامل عديدة متشابكة منها ما هو اجتماعي او اقتصادي أو غير ذلك ويعتبر المستوى التعليمي والعمالة ، خاصة العمالة المكتسبة ، من أهم العوامل المحددة لمكانة المراة لما لها من آثار تنعكس على المراة نفسها، وبالتالي تعكس آثارا هامة في تغيير النظرة الى المراة، فضلا عن أن الزواج وتقاليده والقوانين المنظمة له وتكوين الأسرة تعتبر أيضا من المتغيرات المحددة والمؤثرة على مكانة المراة . وقد استعرض البحث الفروض النظرية الواجب اختبارها في هذا الشأن في الدراسة الميدانية .

وقد تضمن دراسة الخصوبة وتنظيم الأسرة والأساليب التي تتبعها الأسرة في تخطيطها وآثارها المتوقعة على الخصوبة فضلا عن العوامل الاجتماعية الأخرى المعوقة الخصوبة . وقد حدد هذا الفصل من البحث الأسباب والدوافع لاستخدام طرق تحديد النسل خاصة فيما يتعلق بالنواحي الايديولوجية والحوافزية والتكنيكية .

الاطار المرجعى للبحث :

استعرض الفصل الرابع الأبحاث التى اجزيت فى مجال مكانة المرأة وآثار ذلك على الخصوبة وتنظيم الأسرة والتغير الاجتماعى فى مصر والدول العربية . وناقش الأبعاد التى يمكن الاستناد اليها والاستفادة منها فى دراسة مكانة المراة وعلاقتها بتنظيم الأسرة .

الخلفية التاريخية لمكانة المرأة فى مصر :

يتناول هذا الفصل من الدراسة الخلفية التاريخية لمكانة المرأة فى مصر ودور الدين الاسلامى والقانون فى ذلك المجـال . ويتضمن هـذا الفصل : الحقوق السياسية للمراة وتطورها منذ الحكم العثمانى خاصة فيمـا يتعلق بمجهود كل من رفاعة الطهطاوى وعلى مبارك وقاسم امين وهدى شعراوى وتكوين الاتحاد النسائى حتى حصولها على حق الانتخـاب فى عام ١٩٥٦ ، وحق الترشيح فى مجلس الأمة فى عام ١٩٦٢ . وقد نص الدسـتور المصرى الصادر فى سبتمبر ١٩٧١ على تكفل الدولة بالتوفيق بين واجبات المرأة نحو الأسرة وعملها فى المجتمع ومساواتها بالرجل فى ميادين الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية دون اخلال بأحكام الشريعة الاسلامية . كما يتناول هذا الفصل دراسة المرأة فى قوانين الأحوال الشخصية خاصة فيما يتعلق بالزواج وحقها فى اختيار الزوج وحقوقها الاقتصادية واستقلالها التام عن الزوج فيما يختص بممتلكاتها الشخصية وحقوق وواجبات الزوج والزوجة كل تجاه الآخر . كما تضمن احكام الطلاق والنفقة والعدة وحضانة الأطفال والميراث وتعدد الزوجات .

وقد تناول هذا الباب ــ فضلا عما سبق ــ دور المرأة فى التشريعات العمالية ونظرة المجتمع لهذا الدور وتحسن ظروف المرأة العاملة بصـدور التشريعات الخاصة بحمايتها وتطور عمالة المرأة فى العشرين سنة الأخيرة وتوزيعها المهنى .

التركيب الديموجرافى المصرى :

تناول البحث دراسة تطور عدد السكان فى مصر منذ تعداد ١٨٨٢ حتى ١٩٦٦ من حيث السن والنوع ومعدلات المواليد والوفيات والتوزيع الحضرى ــ الريفى للسكان وتباين الخصوبة والمستوى التعليمى والتـركيب المهنى والزواجى وتعدد الزوجات .

تنظيم الأسرة فى مصر :

بدات فكرة تنظيم الأسرة فى مصر بمحاولات فردية ، يعتبر كليلاند اول من نادى بذلك فى عام ١٩٣٦ فى دراسته لمشكلة السكان فى مصر . وتبنت هذه الفكرة الجمعيات الأهلية مثل جمعية طفل المعادى فى عام ١٩٤٢ يمنح أساليب تحديد النسل للأمهات اللاتى يزيد عدد أطفالهن عن خمسة . ثم بدات الجهود الحكومية فى عام ١٩٥٣ بتكوين اللجنة القومية لدراسة المشاكل السكانية وتكوين المجلس الدائم للخدمات العامة ويهتم أيضا بالنواحى السكانية . وفى نوفمبر ١٩٥٥ انشئت بعض العيادات الطبية لتجريب وسائل منع الحمل . وفى سنة ١٩٥٧ وضع المجلس الدائم للخدمات العامة فى لجنة التخطيط ، وبناء على ذلك فقد تبعت اللجنة القومية للسكان لجنة التخطيط . وفى سبتمبر ١٩٥٨ ، اصبحت هيئة مستقلة مسجلة فى وزارة الشئون الاجتماعية والعمل كمؤسسة غير حكومية باسم الجمعية المصرية للدراسات السكانية . ومع أن هذه الجمعية ليست حكومية الا انها تمتعت بمساندة الحكومة لاعمالها ونشاطها فى مجال الدراسات الاجتماعية والسكانية وأنشطة تنظيم الأسرة . وقد تغير اسمها مرة اخرى الى الجمعية العامة لتنظيم الأسرة . وفى عام ١٩٦٢ إنشأت وزارة الصحة عيادات لتنظيم الأسرة تضم أطباء وأخصائيين اجتماعيين ومرضعات ، الهدف منها تدريب الأفراد على الدعوة الى تنظيم الأسرة وتجريب وسائل منع الحمل وآثارها على النمو السكانى .

وفى نوفمبر ١٩٦٥ صدر القرار الجمهورى ٤٠٧٥ بانشاء المجلس الأعلى لتنظيم الأسرة فى الحضر والريف لتوزيع وسائل منع الحمل وتشجيع استخدامها . وفى ديسمبر ١٩٧٠ وصل عدد مراكز تنظيم الأسرة ٣٠٣٠

وبدا هذا الجهاز يقوم بدور أكثر فعالية فى تشجيع الدراسات الخاصة بتنظيم الأسرة سواء من الناحية الاجتماعية أو الطبيعية وتأثير ذلك على النمو السكانى ومحاولة الحد منه من خلال دوره الرسمى فى ذلك .

تصميم الدراسة الميدانية :

قسمت الجمهورية الى ٤ مناطق جغرافيـة هى المحافظات الحضرية ومحافظات الوجهين القبلى والبحرى ومحافظات الحدود . وقد اختيرت محافظة الشرقية ممثلة للوجه البحرى ومحافظة قنا ممثلة للوجه القبلى . وقد روعى اختيار عاصمتى المحافظتين ممثلتين للمناطق شبه الحضرية كما روعى تنوع طبيعة الحياة الاجتماعية فاختيرت ثلاث قرى من كل محافظة كل منهـا

تمثل نمطا من الأنماط الريفية فاختيرت قرية زراعية كبيرة تتمثل فيها درجة مرتفعة من التمسك بالتقاليد مما يؤثر على مكانة المرأة ، والأخرى قرية صغيرة بما قد يؤثر على اتجاهات المرأة وسلوكها تجاه أسرتها ويما يؤثر فى مكانتها، أما الثالثة فهى قرية صناعية حتى يمكن اختبار آثار مهنة الصناعة على مكانة المرأة . وقد وزعت القرى المختارة كما يلى :

محافظة الشرقية :

— القرين ، قرية صناعية عدد الأسر فيها ٥٢٦٥ أختير منها ٢٠٠

— بهنيه ، قرية زراعية عدد الأسر فيها ٤٢٣٢ اختير منها ١٠٠

— كفر الحصر ، قرية صغيرة عدد الأسر فيها ٥٩١ أختير منها ٥٠

أما قرى محافظة قنا فهى :

— بهجورة ، وهى قرية صناعية عددالأسر فيها ٤١٣٥ أختير منها ١٠٠

— الدير ، قرية زراعية عدد الأسر فيها ٢٤٥٠ ختير منها ٢٠٠

— الصعايدة قرية صغيرة عدد الأسر فيها ٥٠٨ أختير منها ٥٠

وقد بلغت العينة حوالى ١٢٠٠ سيدة ممن تتراوح أعمارهن بين ١٥ ، ٤٤ سنة وتعيش مع زوجها فى معيشة واحدة أى أن الزوج ليس ممن يعملون خارج نطاق اقامتها ولا من المجندين — وقد اختيرت وحدات العينة بتقسيم القرى الى مربعات سكنية واختيار الوحدات السكنية تبعا لنسبة التمثيل فى كل قرية . واختيار الأسر التى تنطبق عليها المواصفات . وسؤال الزوجة وفى حالة وجود أكثر من سيدة تنطبق عليها المواصفات فى الأسرة الواحدة فى حالات الأسر الممتدة ، وقد بلغت نسبتها ٦ر٧٪ فقط فقد رؤى تقسيم الباحثات الى مجموعتين احداهما تختار اكبر السيدات سنا فى فئة العمر المطلوبة (١٥ — ٤٤) والأخرى تختار السيدات الأصغر سنا . وقد اختيرت محافظة الشرقية من الوجه البحرى لما تتميزبه من ارتفاع معدلات الخصوبة كما انها من أولى المحافظات التى تبنت الدعوة الى تنظيم الأسرة قبل تبنى الدولة رسميا للمشروع .

أما محافظة قنا فقد اختيرت ممثلة الوجه القبلى نظرا لما تشتهر به من التمسك بالتقاليد وحيث يتوقع ان تتمتع المرأة بأقل مكانة ممكنة .

وقد تناول البحث وصفا تفصيليا لتلك المدن والقرى المختارة والخدمات التى تتمتع بها فضلا عن موقعها الجغرافى واهم السمات الاجتماعية

والديمغرافية المميزة لها والنمط السائد للعادات والتقاليد والنظرة العامة لمكانة المرأة ودورها فى كل قرية .

الدراسة الاستطلاعية وصحيفة الاستبيان :

بدأ هذا البحث بتصميم صحيفة الاستبيان متضمنة عددا من الأسئلة التى تجيب على أسئلة البحث وتجمع البيانات الضرورية لاختبار الفروض الواردة فى الاطار النظرى للبحث . وتتضمن الصحيفة ١٢٠ سؤالا .

وقد بدأ تجريب الصحيفة فى أوائل سنة ١٩٧٣ على عينة قوامها ١٢٠ امرأة فى الفئة العمرية ١٥ — ٤٤ سنة فى محافظتى قنا والشرقية — وعلى ضوء نتائج التجربة الاستطلاعية تم تعديل صحيفة الاستبيان حتى أصبحت فى صورتها النهائية مكونة من ١٠٩ أسئلة كما هو موضح بالملحق الاحصائى لهذا البحث . وقد تم استيفاء صحف الاستبيان خلال شهر ينـاير ١٩٧٣، ثم تم التحليل وكتابة التقرير فى أبريل ١٩٧٣

النتائج الرئيسية :

وقد بنيت هذه الدراسـة أن مكونات مكانة المرأة تؤثر معنويـا على التفاوت فى درجات الخصوبة ، وعلى ذلك فان المرأة الأعلى مكـانة تحقق أدنى مستويات للخصوبة بينما المرأةالأدنى مكانة تحقق اعلى درجاتالخصوبة وعموما تفضل الأسرة المصرية الأحجام الصغرى للأسرة وإن تباين ذلك بينها باختلاف مستويات تعليمها وغير ذلك من المتغيرات المحددة لمكانة المرأة .وقد شوهد ميل الخصوبة الزائدة عن العددالأمثل للأسرة وان انخفض ميل المرأة ذات المستوى التعليمى الأعلى عن نظيرتها ذاتالمستوى التعليمى الأقل . والمرأة صغيرة السن اتجاهات حديثة نحو تنظيم الأسرة ويظهر فى الرغبةفى عدد أقل من الأطفال ، وهذا يعنى أن الأجيال الجديدة من الامهات تحبذحجما أصغر للأسرة . ولاشك أن تلك ظاهرة هامة لـما لها من آثار بالغـة على معدلات الخصوبة مستقبلا . كما تبين ان المرأة ذات المكانة المرتفعة تستخدم وسائل منع الحمل بدرجة أكثر انتظاما وفى سن مبكرة عن نظيرتها ذاتالمكانة المنخفضة .

ومن النتائج الهامة لهذه الدراسة أن تفضيل الذكور مازال قائمـا فى المجتمع المصرى بغض النظر عن مكانة المرأة او موقعها الجغرافى او درجـة تعلمها . وقد دلت نتائج هذا البحث على أن المرأة لديها معلومات كافيـة عن وسائل تنظيم النسل خاصة حبوب منع الحمل ، وغالبيتهن يحصلن علىتلك

المعلومات بعد الزواج ، وغالبا ما يكون المصدر هو الأقارب والجيران وليس الزوج أو المدرسة او وسائل الاعلام . وتعتبر المراة الأعلى مكانة أكثر جدية فى استخدام وسائل منع الحمل عن نظيرتها الأقل مكانة والتى قد تعتبر ذلك منافيا لتعاليم الدين والتقاليد اللاتى نشأن عليها .

بعض الخصائص الديموجرافية للمرأة فى مصر

الدكتور عاطف محمد خليفة *

تقـديم :

عندما نتحدث عن الخصائص الديموجرافية للمرأة فاننا نـدرس كـل ما يتعلق بالاناث من السكان على وجه العموم .. من ناحية تكوينهن Compositon وتركيبهن Structure وأيضا توزيعهن distribution

ونتطرق اذن الى خصائص الاناث سواء المكتسبة او الموروثـة . ونقصـد بالخصائص الموروثة تلك الظواهر التى لا دخل خارجى فيها كالديانة والعمر وغيرها .. اما الخصائص المكتسبة فهى التى تعكس تقدم المجتمع ومنهـا نستشف مدى قدرة المجتمع على النمو والتقـدم ودرجـة تقـدمه العلمى والاجتماعى والاقتصادى . فالمرأة بخصائصها المكتسبة ، وبدون خروج عن التعميم ، تمثل مرآة لمجتمعها السـكانى بكـامله . ونقصـد بالخصـائص المكتسبة ، الخصائص التى اكتسبتها والتى ساعدها المجتمع على تحقيقها ، ومن ضمنها التعليم والعمالة وغيرها . وكثير من الخصائص الحيوية تكتسبها المرأة خلال حياتها كالزواج والطلاق . كذلك هناك السلوك الانجابى للمرأة ودرجة تعرضها لأخطار الوفاة وغير ذلك .

وسوف اتعرض بسرعة وبايجاز لأهم خصائص مجتمع الاناث فى مصر من الجوانب التى ذكرتها والتى يهتم بها الديموجرافى عادة . وبطبيعة الحال سوف أستخدم قدر الامكان البيانات المتاحة الى والى الحد الذى يمكننى من اجراء المقارنات المكانية والزمانية . وسوف أقوم بذلك عن طريق استعراض مراحل حياة المرأة المختلفة .

اولا — الاناث فى السنة الأولى من العمر :

نسبة النوع : فى مصر كما فى معظم دول العالم . يولد عدد من الذكور كل عام

---

* خبير السكان بهيئة الأمم المتحدة ، عمان ، الأردن .

اكثر مما يولد من الاناث • فالمتوسط العالمى هـو ميـلاد ١٠٥ من الذكور لكل ١٠٠ فقط من الاناث . وهذه تسمى نسبة النوع عند الميلاد sex ratio وفى مصر وصلت هذه النسبة الى ١٠٦ر٤ من المواليد الذكور فى مقابل كل مائة من الاناث وذلك خلال الفترة ١٩٦٦ الى ١٩٦٩ . وهى نسبة مرتفعـة نسبيا ، ووصلت هذه النسبة الى اقصاها فى الفترة ١٩٥٨ — ١٩٦١ حيث وصلت الى ١١٣ر٧ ذكر لكل ١٠٠ أنثى .. والواقع اننا يجب ان نأخذ هذه البيانات بحذر لأسباب متعددة منها أن تسجيل الذكور يفوق فى دقته تسجيل الاناث خصوصا فى الريف . ولأسباب التقاليد او الخلفية الحضارية اوكليهما معا ما زال الاهتمام بالذكور أكبر • وليس هناك ما يدعو منطقيا الى التسليم بأن الزوج الفلاح ينجب ذكورا أكثر فى المتوسط من انجاب الزوج الموظف فى القاهرة مثلا .. ولحين اثبات ذلك علميا لايسعنا الا الأخذ بالتبرير القـائل بأن تسجيل المواليد الاناث فى الريف أقل منه فى الحضر . فنجد أن نسـبة النوع فى الريف كانت تفوق ١٠٧ فى الفترة ١٩٦٦/١٩٦٩ فى حين وصلت الى ١٠٥ فقط فى الحضر وفى الفترة ١٩٥٨/١٩٦١ وصلت نسبة النوع الى حد اقصى هو ١١٩ فى الريف فى مقابل ١٠٦ فقط فى الحضر .

معدل وفيات حديثى الولادة : والشهر الأول بعد الميلاد هو أخطر شـهر فى حياة المولود حيث تصل معدلات الوفيات الى أقصى حد لها عادة . وكمـا تبين احصاءات معظم دول العالم ، فالأناث اقل تعرضـا لخطر الوفاة من الذكور . وهذه ظاهرة تستمر طوال العمر • وانها العناية الالهية التى تعمل على أن يتساوى عدد الذكور والاناث فيما بعد خلال اعمار التـزاوج بأن يتعـرض الذكور لمعدل وفيات أعلى . وتعكس بيانات مصر هذه الظـاهرة عند حساب معدل وفيات حديثى الولادة Neonatal Mortality لكـل من الذكور والاناث (عدد الوفيات خلال الشهر الأول بعد الميلاد لكـل الف مولود حى لكل جنس على حدة) . ففى الفترة ١٩٦٦ — ١٩٦٩ وصل المعدل فى الحضر بين الذكور الى ٣٣ر٧ فى الالف وبين الانـاث الى ٢٧ر٣ ، أما فى الريف فقد وصل الى ١٨ر٦ فى الالف الذكور و ١٤ر٥ فى الالف للاناث .

وهذه المعدلات تعكس بلا شك عدم دقة البيانات الخاصـة بوفيـات حديثى الولادة فى مصر ، فليس هناك ما يدعو الى الاعتقاد بأن تكون معدلات وفيات حديثى الولادة أعلى فى الحضر منهـا فى الريف . وبذلك ، ومـرة أخرى نميل الى التفسير القائل بأن هناك نسبة قصور فى التسجيل أكبر فى الريف من تلك السائدة فى الحضر .

معدل وفيات الرضع : وبالمثل ، فان الاناث أقل عرضة لخطر الوفاة من

الذكور خلال العام الأول من العمر وكما قلنا طوال العمر . وهذا ما بينته بيانات معظم دول العالم . الا أن بيانات مصر ، بعكس ذلك ، تبين ارتفاع معدلات وفيات ما بعد حديثى الولادة (عدد الوفيات خلال الفترة من الشهر الأول وحتى نهاية العام الأول للولادة لكل ١٠٠٠ مولود حي) بين الاناث عنه بين الذكور وذلك فى كل من الريف والحضر . ففى الفترة ١٩٦١ — ١٩٦٩ وصل هذا المعدل بين ذكور الحضر الى ١٠١٫٨ فى الألف وبين الاناث الى ١١٦٫٩ فى الألف . وتقل معدلات الريف عن ذلك للأسباب التى سبق ذكرها .

وجدول (١) التالى يبين معدلات الوفيات لما بعد حديثى الولادة Post - Neonatal Death Rate لكل من الذكور والاناث فى الريف والحضر فى مصر منذ عام ١٩٥٠ الى عام ١٩٦٩

معدلات وفيات بعد حديثى الولادة لكل من الذكور والاناث فى ريف وحضر مصر فى الفترة ١٩٥٠ — ١٩٦٩

(المعدلات فى الالف)

	١٩٥٠ — ٥٣	٥٤ — ٥٧	٥٨ — ٦١	٦٢ — ٦٥	٦٦ — ٦٩
حضر :					
ذكور	١٣٣٫٣	١٢٥٫٤	١٠٥٫٥	١٠٠٫٠	١٠١٫٨
إناث	١٤١٫٨	١٣٩٫٣	١١٩٫٣	١٢٣٫٠	١١٦٫٩
ريف :					
ذكور	٩٧٫٨	٩٣٫٩	٧١٫٧	٨٤٫١	٨٩٫١
إناث	٩٥٫٢	٦٩٫٠	٨١٫٣	٩٤٫٢	١٠٤٫٤

* **المصدر :** الجهاز المركزى للتعبئة العامة والأحصاء — السكان بحوث ودراسات المجلد الأول ، العدد الاول ، السنة الأولى ، اكتوبر ١٩٧١ .

وكما هو واضح من جدول (١) فقد اكتسبت الاناث — وايضا الذكور — نسبة كبيرة من الانخفاض فى معدلات وفيات ما بعد حديثى الولادة . وكما يتبين فهناك اتجاه تقاربى واضح فى هذه المعدلات

وبطبيعة الحال فان انخفاض المعــدلات فى الريف عنهــا فى الحضر لا يمكن قبوله وانما نرجعه الى عدم دقة التسجيل . (١)

ثانيا : الاناث فى فترة الطفولة :

وفيات الطفولة :

كما ذكرنا فأن اخطر سنوات حياة الأنسان ، هى السنة الأولى من العمر . فمن بين مائة « حالة » وفاة بين الاناث تحدث خــلال عــــام ميــلادى معين فأن ثلثهن اناث لم يبلغن العــام الاول من العمر ، كذلك ربعهن لاناث اكملن العام الأول ولم يبلغن الخامسة من عمرهن. وبعد ذلك يتضائل خطر الوفاة بحدة . ويرتفــع مرة أخرى فى الأعمار المرتفعة كنتيجة لكبر السن والشيخوخة .

وفى عام ١٩٦٥ ، وصل معدل الوفيات التفصيلى للاناث فى فئــة العمر (١ ــ ٤) الى ٤ر٣٠ فى الالف . وفى فئة العمــر (٥ — ٩) وصل معدل وفيات الاناث الى ٧ر١ فى الالف من الاناث فى هذه الفئة من العمر . والى ٤ر١ فى الالف من الأنــاث فى فئــة العمر (١٠ — ١٤) (٢) .

الــتكوين العمــرى :

والاناث فى فئة العمر الأقل من خمسة عشر عاما يمثلن نســبة عالية من جملة الاناث فى المجتمع . فاذا ما طلقنا على الاناث فى هــذه الفئة من العمر « الاناث الإطفال » فسنجد انهن يمثلن نسبة مئوية قدرها حوالى ٤١ ٪ من جملة الأناث حسب تعداد ١٩٦٦ وكما هو واضـــح فهذه نسبة مرتفعة . فمصر ، شأنها فى ذلك شأن باقى الــدول الآخــذة فى النمو **Developing Countries** تتســم بما يســمى بالتكوين العمرى الشاب او المجتمع السكانى الشاب **Young Population**

حيث تزيد نسبة الاطفـــال وتقل نسبة الشــيوخ حيث يكون

---

(١) يمكن الرجوع فى ذلك الى الكثير من البحوث ونخص بالذكــر وعن مصر

Valaoras, V. G., Population Analisys Egypt (1935 - 1995), Occasional Paper No.1, Cairo Demographic Center, Cairo, 1972.

(٢) انظر نفس المرجع السابق ــ للمعدلات المصححة ص ٣٤ .

وسيط العمر منخفضا . فنجد ان وسيط العمر بين اناث مصر حسب تعداد ١٩٦٠ هو ١٩٫٤ سنة . اى ان نصف الاناث فى مصر يقل عمرهن عن ١٩٫٤ سنة (١) . وكما نرى فهى نسبة فى غاية الانخفاض . وهذا احد اسباب ارتفاع نسبة الاعالة فى مصر .

المساهمة فى التعليم : فيما يتعلق بالتعليم ، فقد تحسن الوضع كثيرا خلال العشرين عاما الماضية بالنسبة للاناث . ومازالت الأمية ودخول المدارس احسن حالا بين الذكور منها بين الاناث مما يعكس التفكير التقليدى بأهمية تعليم الذكور اكثر من الاناث . وفى مصر ، نجد ان نسبة الأميات تصل الى حوالى ٧٩٪ (حسب تعداد ١٩٦٦) ، ورغم ارتفاع هذه النسبة فهى تمثل تحسنا عن رقم ١٩٦٠ وهو حوالى ٨٤٪ وعن نسبة ١٩٤٧ وهى اكثر من ٨٨٪ ، وان كان واضحا انه تحسن بطىء جدا ، فخلال عشرين عاما بين ١٩٤٧ / ١٩٦٦ انخفضت نسبة الأمية بنسبة ١٠٪ فقط .

التعليم الابتدائى : أما عن التعليم الابتدائى فرغم انه اجبارى للذكور والاناث على السواء ، فان نسبة الاناث فى فئة العمر (٦ — ١٢) واللائى قد صنفن فى مدارس لم تتعد ٥٦٪ فى الفترة ١٩٦٠ — ١٩٦١ ثم ٦٢٪ فى الفترة ١٩٦٩/١٩٧٠ (٢) ورغم هذا الارتفاع الطفيف فى نسبة الاناث بالمدارس الابتدائية فما زال هناك ٣٨٪ منهن لايدخلن اى مدرسة ابتدائية اطلاقا . وقد تتعدد أسباب ذلك ، فبعضها ناتج عن التقاليد المتأصلة وبعضها ناتج عن الازدحام بالمدارس وغيرها .

التعليم الأعدادى والثانوى : رغم المجهودات التى تبذل لتشجيع تعليم الاناث حتى المرحلة الاعدادية والثانوية فان نسبة مساهمتهن فى هذه المراحل مازالت قاصرة . ولكن الواضح هو أن هناك اتجاها تصاعديا حادا فى اقبالهن على هذه المراحل التعليمية . فقد ارتفع عدد الاناث فى المدارس الإعدادية من ٧٢ الفا فى الفترة ١٩٥٣/١٩٥٤ الى ٢٧٥ الفا فى ١٩٧١/٧٢

---

1 - Khalifa, A. and El Rouby, M, C. populatien aging in Egypt, Past and Future trendes in Egyptian Pop. and Fam, Plan Re - View, Vol, 6 No.1 1973 - PP. 51 - 73

(٢) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، **المرأة المصرية فى عشرين عاما** ، القاهرة ، ١٩٧٢ — ص ٤٢

وهذا يمثل زيادة قدرها ٢٨٢٪ . ونفس الاتجاه موجود فيما يتعلق بالمدارس الثانوية . (١)

عمالة الأطفال من الاناث رغم ان قانون العمل يحرم تشغيل الأطفال تحت سن ١٢ فان هناك نسبة كبيرة من المشتغلين تحت سن ١٢ من الذكور والاناث على السواء . فحسب بيانات ١٩٦٠ . نجد نسبة قدرها ٦٫٧٪ من الاناث تحت سن ١٢ يعملن . وقد انخفضت هذه النسبة الى ٢٪ فقط فى عام ١٩٦٩ . وهذه علامة طيبة . اما بالنسبة للاناث فى فئة العمر (١٢ — ١٤) فان نسبة مساهمتهن فى النشاط الاقتصادى قد انخفضت أيضاً من ٨٫٨٪ عام ١٩٦٠ الى ٢٫٥٪ عام ١٩٦٩ (٢) .

ثالثا : الاناث فى سن الانجاب :

العمر عند الزواج : بمقارنة نتائج تعدادى ١٩٤٧ و ١٩٦٠ نجد ان متوسط عمر المراة عند اول زواج لها قد ارتفع بحوالى ٢ر١ سنة (٣) . فحسب نتائج تعداد ١٩٦٠ فان متوسط عمر المراة عند اول زواج هو٨ر١٩ عاما . وبطبيعة الحال ، فان كان هذا يمثل المتوسط العام لمصر ، فانه يختلف انخفاضا وارتفاعا بحسب العديد من المتغيرات وأهمها التعليم والتحضر (مكان الاقامة : ريف / حضر) .

وجدول (٢) التالى يوضح معدلات الزواج التفصيلية حسب العمر للاناث خلال الفترة ١٩٥٩/١٩٦١ :

---

1 - Ahmad Khalfa and Atef Khalifa. Status of Women in Relation of Ferti li ty and Family Planning in Egypt, National Center for So cial and Crimiuological Reserech, Cairo 1973

٢ ـــ هذه البيانات مأخوذة من جدول رقم (٣/٥) :

Khalifa. Atef, The popu'ation of the Arab Republic of Egypt C. 1. C· R. E. R. Series For worled Population year Paris 1974 PP, 128.

3 -El - Guindy, M. Age at Marriage in Relation to Fertility in Egyp t'in Cdct, Fertlity Trends in Arab Counteries, Research Mcn. Serce 2, Cairo 1961.

جدول (٢)

معدلات الزواج الأول التفصيلية حسب العمر للاناث (١٩٥٩/١٩٦١)
(فى الألف) (١)

فئات العمر	أقل من ٢٠	٢٠ - ٢٤	٢٥ - ٢٩	٣٠ - ٣٤	٣٥ - ٣٩	٤٠ - ٤٤	٤٥ - ٤٩
المعدلات **	٢٣٠,٢	٢٦٥,٩	١٤٩,٥	٧٧,١	٥٢,١	٣٠,٢	٣٨,٨

** المعـدل هنا هو عدد الأناث اللائى تزوجن المرة الأولى سنويا لكـل ١٠٠٠ من غير الزوجات ابدا لكل فئة عمرية .

وجدول (٢) يوضح ان حوالى ٢ر٢٣٠ من كل الف من الاناث الأقـل من عشرين عاما يتزوجن سنويا . ويزيد هذا المعدل الى حوالى ٢٦٦ لفئـة العمر ٢٠ — ٢٤ ثم يبدأ فى الانخفاض تدريجيا بعد ذلك .

وكما ذكرنا فان العمر عند الزواج يتأثر بحالة المراة التعليمية وغيرها من الخصائص الاجتماعية والأقتصادية . وجدول (٣) التالى يبين متوسـط العمر عند الزواج عام ١٩٦٨ فى مصر حسب الحالة التعليمية .

جدول (٣)

جحذعذج

متوسط العمر عند الزواج حسب بيانات ١٩٦٨ فى مصر حسب الحـالة التعليمية *

الحالة التعليمية	اميات	تقرا وتكتب فقط	تعليم متوسط	تعليم عالى	مجموع
المتوسط **	٢١,٨	٢٢,٠	٢٤,٠	٢٥,٨	٢٣,٠

* نفس مصدر الجدول السابق .

** هذا هو متوسط العمر عند الزواج وليس عند اول زواج .

ويبين جدول (٣) اتجاه تصاعدى واضح لسن الزواج مع ارتفاع درجة تعليم المراة . ومعنى ذلك واضح ، فكلما ارتفع المستوى التعليمى المراة ،

كلما ازداد تأجيل زواجها . فعلى حين ان متوسط عمر المراة عند الزواج من الأميات هو ٢١٫٨ فانه يرتفع الى حوالى ٢٦ سنة بين المتعلمات تعليمـــا عاليـــا .

ومن اهم تباينات العمر عند الزواج ايضا ، التفاوت الموجود بين المراة فى الريف وفى الحضر . ففى عام ١٩٦٨ كان متوسط العمر عند اول زواج فى الريف هو ١٩٫٩ يرتفع فى المدن الى ٢١٫٣ سنة .

توزيع الاناث فى مصر حسب الحالة الزوجية : اما توزيع جميـــع الإناث (١٥ فأكثر) فى مصر حسب حالاتهن الزوجية فقد اظهرت نتـــائج تعداد ١٩٦٦ ان حوالى ٧٠٪ من الاناث الأقل من ٢٠ عاما لم يتزوجن ابدا . وتضعف هذه النسبة الى حوالى ١٦٪ فقط بين الانـــاث فى فئـــة العمـــر (٢٠ ـــ ٢٢) ثم الى ٣٪ فقط بين الاناث فى العقد الرابع . وجـــدول (٤) التالى يبين هذه النتائج .

جدول (٤)

النسب المئوية للاناث حسب الحالة الزواجية والعمر

حسب تعداد ١٩٦٦ *

فئات العمر	لم يتزوج ابدا	متزوجات	مطلقات	ارمل	مجموع
أقل من ٢٠	٦٩,٧٨	٢٩,٢٩	٠,٧٦	٠,١٧	١٠٠,٠٠
٢٠ - ٢٩	١٥,٩٦	٨٠,٨٦	١,٩٤	١,٢٤	١٠٠,٠٠
٣٠ - ٣٩	٣,١٤	٨٩,٩١	١,٩٣	٥,٠٢	١٠٠,٠٠
٤٠ - ٤٩	٢,٠٦	٨٠,٠٥	١,٨٤	١٦,٠٥	١٠٠,٠٠

* المصدر : نتائج تعداد ١٩٦٦ .

وجدول (٤) السابق يوضح ان اكثر من ٨٠٪ من الإناث فى فئـــة العمر (٢٠ ـــ ٢٩) متزوجات وتصل هذه النسبة الى حوالى ٩٠ ٪ فى العقد الرابع . وبطبيعة الحال فان نسبة الأرامل تتزايد مع تزايد عمـــر المراة .

وعموما فان معدل الزواج الاجمالى فى مصر يتراوح بين ٩ الى ١٠ فى الألف من الســـكان . اى ان عشر زيجـــات تتم ســـنويا لكل الف من السكان . وبالاضافة الى ذلك فان استقرار الحياة الزوجيـــة يبـــدو فى تحسن فى العشرين عاما السابقة . فان معدلات الطلاق الاجمالية قـــد انخفضت من٣٫٧ الى ١٫٩ بين عام ١٩٥٠ وعام ١٩٦٩ . وهذا الانخفاض

لم يرتبط بأى تغيرات فى قوانين الأحوال الشخصية وانما هو انخفاض تدريجى حقيقى فى المجتمع .

ولعل احدى المشكلات التى طالما نوه بها علماء الاجتماع ، هى مشكلة تعدد الزوجات ولكن البيانات المتاحة توضح ان المشكلة ، رغم وجودها محدودة نسبيا فمعظم الذكور يتزوجن بواحدة فقط . وتتزايد باستمرار نسبة المتزوجين بواحدة ، أى ان نسبة متعددى الزوجات تتناقص تدريجيا فى المجتمع . ونجد من بيانات الفترة ١٩٦٥/١٩٦٩ ان حوالى ٩٢٪ من الذكور كانوا يتزوجون لأول مرة فى حين ان نسبة تصل الى حوالى ٧ر٥٪ فقط كانوا يتزوجون بزوجة ثانية . اما الذين يتزوجون ثالث أو رابع زوجة فام تزد نسبتهم عن ٤١ر٠٪ اى ان البيانات تبين انه مازالت هناك نسبة مرتفعة نسبيا ممن يتزوجون باثنين ولكن مشكلة التعدد لأكثر من زوجتين تكاد أن تكون معدومة .

التعليم الجامعى : مما لاشك فيه ان اقبال الاناث على التعليم الجامعى قد تزايد وبحدة فى السنوات الأخيرة . وهى ظاهرة طيبة . فعلى حين ان ٨ر٤٪ فقط من طلاب الجامعات عام ١٩٥٢/١٩٥٣ كانوا من الاناث فان النسبة ارتفعت الى ٢٨ر٤ ٪ فى العام الجامعى ١٩٧٠/٧١ وهذه زيادة اكثر من ثلاثة الأمثال . وعموما ، فان التباين لايبدو الا بين الكليات الجامعية المختارة ففى الكليات النظرية تصل نسبتهن احيانا الى اكثر من ٥٠ ٪ ، فى حين تتضائل نسبة اقبالهن على الكليات العملية فتصل فى كلية الهندسة الى نسبة ٣ر١١٪ فقط .

الانجاب وتبايناته : وصل معدل المواليد الاجمالى (عدد المواليد احياء لكل ١٠٠٠ من السكان) عام ١٩٧٠ الى ٦ر٣٥ فى الألف مسجلا انخفاضا ملموسا بدا فى الواقع من منتصف الستينات حيث كان قبل ذلك متذبذبا على مستوى . يزيد دائما عن ٤٠ فى الألف وبدا الانخفاض فى معدل المواليد الاجمالى تدريجيا حين انخفض لأول مرة عن ٤٠ فى الألف عام ١٩٦٧ ووصل الى ٢ر٣٩ فى الالف وقد يعكس ذلك حالة الحرب التى كانت سائدة منذ ذلك الوقت او لعله انخفاض حقيقى يعكس المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية .

والواقع فى حديثنا عن الانجاب . وحتى نكون أكثر دقة نقصر المعدلات على الاناث فقط وخاصة المتزوجات منهن - وفى سن الانجاب — حيث ان هذه الفئة ، هى التى تسهم فى عملية الانجاب والتكاثر البشرى . والمعدلات فى مصر مرتفعة الى حد كبير اذا ما قورنت بمعدلات الدول الصناعية المتقدمة . وبجدول (٥) التالى يبين معدلات الانجاب التفصيلية بحسب العمر لجميع الاناث موزعة (حضر/ريف) لعامى ١٩٦٦ ، ١٩٦٩ حتى يمكننا اجراء المقارنات السليمة .

جدول (٥)

معدلات الانجاب التفصيلية حسب العمر (ريف / حضر) فى السنوات

٦٦ و ١٩٦٩ ونسب التغير (فى الألف)

الفئات	١٥ - ١٩	٢٠ - ٢٤	٢٤ ٢٩	٣ ٣٤	٣٥ - ٣٩	٤٠ ٤٤	٤٥ ٤٩	معدل الانجاب الكلى
المعدلات :								
١٩٦٦	٤٢,٦	٣٢٤,٩	٢٧٦,٠	٢٩٠,٤	٢١٥,٨	١١٨,١	٥٤,٨	٦,١٦٢
١٩٦٩	٢٩,٨	٢١١,٣	٢٥١,٦	٢٥٨,٥	١٩٨,٠	١٠,٧	٥٠,٦	٥,٥٥٢
التغير خلال المدة								
المطلق (سالب)	١٢,٨	٢٣,٧	٢٤,٤	٣٢,٠	١٧,٨	٧,٣	٣,٢	—
النسبى (سالب)	٣٠,١	١٠,١	٨,٨	١١,٠	٨,٢	٦,٢	٦,٧	—

* المصدر : الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، السكان : بحوث ودراسات المجلد الأول العدد الاول السنة الاولى ، اكتوبر ١٩٧١ . ص٤٤

وجدول (٥) يبين ان معدلات الانجاب حسب العمــر لا تختلف عن النمط العمرى العالمى ولكنه بطبيعة الحال يرتفع بالمقارنة . وتدل المقارنة بين عامى ١٩٦٦/١٩٦٩ ان هناك انخفاضا ملموسا واضحا يصل الى نسبة ٣٠٪ لفئة العمر (١٥ — ١٩) مما يدل على ان الانجاب المبكر يتضائل .

ويدل معدل الانجاب الكلى على ان متوسط عدد الأطفال المكتمل مع نهاية حياة المراة الانجابية كان يزيد عن ٦ اطفال عام ١٩٦٦ وهو رقم مرتفع جدا ، انخفض الى حوالى ٥ر٥ عام ١٩٦٩ . هذا اذا اخــذنا فى الاعتبار كل الاناث وليس المتزوجات فقط منهن ، وهن المساهمات الفعليات لعملية الانجاب . واذا اخذنا هذه الأخيرة فقط ، فان متوسط عددالمواليد المكتمل مع نهاية فترة حياة المراة المتزوجة الانجابية يرتفع الى ٨ر٧ ثم الى ٦ر٧ للسنوات السابق ذكرها .

وواحد من اهم مقاييس التكاثر البشرى ، هو معــدلات الاحــلال الاجمالية والصافية Gross and Net Reproduction Rates ومعدل الاحلال الاجمالى (متوسط عدد الأناث اللائى يحلان محل الأنثى الواحدة حتى وصولها الى نهاية حياتها الانجابية) فى مصر عام ١٩٦٦ هو ٠ر٣وهو رقم مرتفع . اما معدل الاحلال الصافى (وهو نفس المعدل السابق ولكن نأخذ فى الإعتبار عنصر الوفاة المحتمل ؛ فانه يصل فى نفس الســنة الى ٢٥ر٢ وهو يمثل صافى احلال الاناث محل كل انثى تنهى انجابها ويمكننــا ان نتخيل مدى ارتفاع هذا الرقم آخذين فى الاعتبار ان هذا المعدل يجب ان يكون واحدا صحيحا حتى يصل معدل النمو السكانى بعد فترة جيــل كامل الى الصفر .

وانجاب المراة يختلف باختلاف العــديد من خصائصــها . فالاناث الأكثر تعلما اقل انجابا ويؤيدن فكرة تنظيم الأسرة اكثر من غيرهن كمــا انهن يمارسن بنسب اكبر احدى وسائل تنظيم الأسرة . ونفس النتيجــة يمكن ملاحظتها فيما يتعلق بالمراة العاملة وطبيعة العمل الاقتصادى الذى تؤديه . وجدول (٦) التالى يبين متوسط عدد المواليد احياء للاناث بحسب حالاتهن التعليمية ومدة الحياة الزوجية حسب بيانات تعداد ١٩٦٠ .

جدول (٦)

متوسط عدد المواليد احياء للاناث حسب الحالة التعليمية ومدة الحياة الزوجية * (١٩٦٠)

الحالة التعليمية	متوسط الحياة الزوجية بالسنوات				
	٠ — ٤	٥ — ٩	١٠ ٢٩	٢٠ — ٢٩	٣٠ فأكثر
اميات	٠,٧٤	٢,٥٢	٤,٧٩	٤,٤٦	٦,٩٢
تقرأ وتكتب	٠,٨٣	٢,٨٨	٥,٠٩	٦,٤٩	٧,١٤
ابتدائى	٠,٩٤	٢,٨٠	٤,٥٠	٥,٨١	٦,٢٢
اعدادى	٠,٧٦	٢,٤٣	٣,٥٧	٤,٥١	٤,٨٢
ثانوى	٠,٧٤	٢,١٢	٣,٣٧	٤,٠٧	٤,٠٤
جامعى	٠,٧١	٢,٠٩	٢,٩٤	٣,٢٤	٣,٧٨

* المصدر : المركز الديموجرافى ، المرجع السابق ، ص ٢٢١

يتضح من جدول (٦) وجود تباينات واضحة بين انجاب الانــاث فى الفئات التعليمية المختلفة خصوصا بعد خمس سنوات من الزواج . كما يبدو من الجدول فأن التعليم له تأثير كبير على عدد المواليد احيــاء . فأزدياد التعليم حتى المرحلة الاعدادية تأثيره واضح جدا ، فالامهات ذوات التعليم الاعدادى فأكثر ينجبن عدد اقل من المواليد احياء فى حين ان نتائج جدول (٦) السابق تبين ان تأثير التعليم الابتدائى محدود جداً ويظهر تأثيره العكسى على الانجاب بعد فترة زواج تزيد عن ثلاثين عاما .

وفى دراسة بالعينة لبعض محافظات مصر للاناث المتزوجات فى سن الحمل (١٥ — ٤٩) (١) وجد ان الاناث ذوات التعليم المرتفع يفضلن عددا اقل من المواليد اى يفضلن حجم اسرة اقل من ذوات التعليم المتوسط وهن بدورهن يفضلن عددا اقل من ذوات التعليم المنخفض . كذلك اظهرت نتائج نفس العينة ان التعليم يساعد المراة على ان تزداد معرفتها بوسائل تنظيم الاسرة كما انها اكثر تأييدا للفكرة واكثر ممارسة لهذه الوسائل .

فعلى حين ان ٥١ ٪ من ذوات التعليم المنخفض اعتبرن تنظيم الاسرة ضد الدين فأن ١١ ٪ فقط من ذوات التعليم العالى (ثانوى فأكثر) يعتبرن

1 - Ahmed Khalifa and Atef Khalifa, op. cit.

ذلك . وعلى حين ان حوالى ٤١ ٪ من ذوات التعليم المنخفض يعتبرن أن لدين يؤيد فكرة تنظيم الاسرة فان حوالى ٨٥٪ من ذوات التعليم المرتفع يفكرن بذلك . وفيما يتعلق بممارسة تنظيم الاسرة ، فأن نسبة الاناث ذوات التعليم المرتفع اللائى مارسن او يمارسن تصل الى اكثر من ٧٠٪ فى حين انها لا تتعدى ٢٦ ٪ بين الاناث ذوات التعليم المنخفض .

الوفيات : وخلال فترة حياة المراة الانجابية (١٥ — ٤٩)فان المراة تتعرض للوفيات بمعدلات منخفضة نسبيا عن باقى فترات عمرها . فحسب بيانات عام ١٩٦٥ نجد ان معدل الوفيات بين الاناث فى فئة العمر ١٥ — ١٩ لا يتعدى ٤ر١ فى الألف يتزايد تدريجيا حتى يصل الى ٩ر٦ فى الألف بين الاناث فى فئة العمر ٤٠ — ٤٤ ثم الى ٥ر٩ فى الالف بين الأناث فى فترة العمر ٤٥ — ٤٩ (١) . ومن جدول الحياة المختصر المقدر لمصر لعام ١٩٦٥ نجد ان المراة التى عمرها ١٥ يحتمل ان تصل الى ٥٠ من العمر هو ٨٣ر٠ وهى نسبة تعكس التحسن فى مستويات الوفيات ، فهذا الاحتمال لم يكن يتعدى ٧٥ر٠ عام ١٩٥٠ ولم يكن يصل الى ٦٥ر٠ عام ١٩٤٠ . (٢)

العمالة : فى مصر ، نلاحظ ان مساهمة المراة فى القوة العاملة محدودة جدا . فما زال معظم الاناث فى مصر خارج القوة العاملة . وتتزايد هذه النسبة الى اكثر من الضعف بين المتزوجات منهن وتتزايد اكثر بين من لديهم اطفال فى سن المدارس . فحسب بيانات ١٩٦٩ تصل النسبة الكلية للاناث اللائى يساهمن فى اعمال ذات عائد اقتصادى الى ٥ر٦ فقط (١٢ عاما فأكثر) ترتفع هذه النسبة فى الحضر الى ٦ر١٠٪ وتنخفض فى الريف الى ٤ ٪ وجدول (٧) التالى يبين معدلات المشاركة فى القوة العاملة للاناث كنسبة مئوية حسب فئات العمر عام ١٩٦٩ .

---

1 - Valaoras, V. G. op, cit P, 38

٢ — حسبت هذه الاحتمالات من نفس المرجع السابق ، ص ٥٠ .

جـــــدول (٧)

توزيع الاناث فى مصر حسب معدلات النشاط والعمر *

(فى الالف)

فئات العمر	١٢ – ١٩	٢٠ – ٢٩	٣٠ – ٣٩	٤٠ – ٤٩	٥٠ – ٦٤	الجملة
معدلات النشاط (فى المائة)	٨,٨	١٠٠	٥,٣٦	٤,٥	٤,	٦,٥

* **المصدر** : الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء (المرأة فى عشرين عاما)

ومن جدول (٧) السابق نلاحظ ان معدلات المساهمة تصـل الـى أعلى مستوى لها فى فئة العمر ٢٠ ـــ ٢٩ ثم تأخذ فى الانخفاض بعـد ذلك . وعموما فهذه النسب منخفضة جدا بالمقارنة بمعظم دول العالم . وتصل نسبة مساهمة الاناث فى القوة العاملة فى الدول المتقدمة الى ٣٠ فى المائة من القوة العاملة الكلية .

ونجد ان معظم العاملات يعملن فى قطاع الخـــدمات (٤٧.٨ ٪ حسب بيانات عام ١٩٦٩) ، يلى ذلك قطاع الزراعة حيث يتركز حوالى ٢٢ر٦٪ من العاملات . اما قطاع الصناعات التحويلية فأنه بجـــذب ١٣ر٥٪ فقط من مجموع العاملات .

المفهوم العام للمرأة المصرية المعاصرة

الدكتور سيد عويس *

اذا قرأ شخص من الأشخاص ما يكتبه الكثير من الأدباء المصريين عن المراة المصرية يقرأ عجبا . واذا استمع شخص احر لما يذيعه بعض المذيعين او الاذاعيين المصريين عن المراة المصرية يستمع لأمور لا تتصل بالواقع الحى لمجتمعنا بسبب . ان المراة المصرية فى آراء اولئك وهؤلاء ، كما يقول « فرويد » ، لغز محير . وهى شخص لا يمكن ان يفهم بل يجب الا يفهم . وهى شخص يحاول هؤلاء المصريون الذكور ان يخلعوا عليه صفات الذكاء احيانا والبلاهة احيانا اخرى . وصفات العاطفة النارية احيانا والعاطفة الباردة احيانا اخرى ؛ وصفات الكذب والبهتان احيانا والمراوغة وعدم الصراحة احيانا اخرى ، ولا يقتصر الأمر على هؤلاء ، ولكننا نجد بعض الفنانين المصريين الآخرين فى اعمالهم التشكيلية أو المرئية او المسموعة لا يجدون صفات أخرى تنصف المرأة المصرية . فالكل أى هؤلاء الكتاب والمذيعون والاذاعيون والفنانون المصريون ينعتون المرأة المصرية بصفات يأبونها على أنفسهم ، صفات مطلقة ، اى غير واقعية . وحتى الرجال العاديون نجد الكثير منهم ينحون نفس المنحى . فالمرأة عندهم شيطان رجيم ، ولعن الله النساء ولو نزلن من السماء لأن كيدهن عظيم ، ولا أمان للنساء ، واذا عرف الرجال ماتفعله النساء وهن فى خلوتهن ماتزوجوا قط ! واذا مرضت الزوجة يبلغ زوجها عن ذلك بقوله « الفخذة عيانة » واذا احتاج المرض الى اجراء عملية جراحية مثلا فقد يرى الزوج ان يتزوج من اخرى فهذا اوفر وارخص ! وقد يعلن احدهم عن الزواج فيقول مداعبا او ساخرا « انا رايح البلد اجوز لى جاموسة » . كل هذه حقائق عن المراة المصرية المعاصرة يعرفها كل من يحاول ان يقرأ صفحات كتاب المجتمع المصرى المعاصر فى الاماكن التى يعيش فيها اعضاء المجتمع من القرية والحارة وبعض المنظمات الدينية والمحاكم وفى الاسواق ، او فى محيط الفئات التى تضم الذكور من اعضاء المجتمع وحتى بعض الاناث ! .

---

* مستشار بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية .

والملاحظ ان ظاهرة « الحـريم » قد احتفت مظـاهرها المـادية من المجتمع المصرى المعاصر او كادت ، ومع ذلك فأن المرأة المصرية ما زالت هى الشخص المستضعف فى هذا المجتمع . (١) والادلة على ذلـك كثيرة ، ومصادر ذلك عديدة . ويكفى لتأكيد ذلك ان يزور الشخص منـا جمعيات تدعيم الاسرة او محاكم الاحوال الشـخصية ، او يرجع الـى الشكاوى التى تجأر بها النساء ، وهن يؤدين واجب العزاء او وهن يزرن مقابر الاولياء او القديسين او حتى وهن يزرن مقابر الاعـزاء من الموتى الأقرباء المقربين (مثل الاب والام والأخ والأبن والزوج) ، او مقـابر الموتى الاقرباء من غير المقربين ، او الموتى عامة .

وفى ضوء نتائج دراسة لـ٢٥ اسرة احيلت الى احـدى جمعيـات تدعيم الاسرة فى خلال الفترة من يناير عام ١٩٧٣ حتى ابريل عام ١٩٧٤ ، اتضح ان أكثر من يشكوهن النساء (٢١ حالة ، منهن ١٨ زوجة ، والباقى ارملة وابنة وام زوجة) . اما الحالات الأربع الاخرى فالشكوى فيهـا تأتى من الذكور من ثلاثة ازواج ومن ابن . والملاحظ ان شكاوى الزوجات انواع ، منها مماطلة الزوج فى التوقيع على قـائمة « العفش » (اى الأثاث الذى دخلت به الزوجة بيت الزوجية) ، ومنها أن الزوج لم يدفع المهر او انه بخيل او انه دائم التشاجر مع الزوجة ، او لانه هجرها دون ما رعاية ومنها محاولة الزوج استغلال الزوجة حتى يشبع هوايةلعب القمار او محاولته سرقة اثاث المنزل ، أو تحريض زوجته على الفساد . ومنها الطلاق بدون سبب ظاهر على الرغم من وجود اطفال ، او الطـلاق وهى حامل دون أن تعلم رغم استمرار المعاشرة الزوجية ، ومنها خيانة الزوج وتأكـد الزوجة من ذلك ، ومنها اساءة معاملة الزوجة او محاولة اجهاضها اكثر من مرة ومنها تسلط ام الزوج او شقيقته (بموافقة الزوج) على الحيـاة فى الاسرة .

والسيدة الارملة تشكو من اخت زوجها المتوفى التى تماطل فى دفـع ايجار الحجرة التى هى نصيبها ونصيب اولادها من الميراث عن زوجها بعد وفاته منذ ١٣ عاما ، رغم انها ترعى ثلاثة اولاد قصر . اى اننا فى هـذه الحالة نجد امراة تشكو امراة اخرى . اما الابنة الشاكية فقد كانت تشـكو اباها الذى تركها وهى صغيرة فى حضانة جدتها لوالدتها تحت رعـاية خالها الذى استمر ينفق عليها حتى كون له اخيراسرةتناسلية،فأصبحت مسئولياته اكبر مما ينبغى مما ادى بها الى طلب المساعدة فى الحصـول على نفقة من ابيها الذى يملك ورشة لتصليح سيارات النقل . ومن الغريب

ان نرى ان ام الزوجة الشاكية تؤكد ان زوج ابنتها الذى لم يدخل عليها قد عدل عن هذا الزواج منها هى اى من الام !

والملاحظ ان هؤلاء النساء لا يزيد عمر اكبرهن على ٤٣ عاما ولا يقل اصغرهن عن ٢٣ عاما ، وان معظمهن اميات وان وجدت بينهن واحدة تحمل شهادة متوسطة (الإعدادية) واخرى تحمل الشهادة الأبتدائية ونلاحظ أن ست عشرة منهن لا يعملن . اما اللاتى يعملن فنجد من بينهن بائعة السجائر او بائعة الحلوى او الشغالة ، واثنتين يعملان على الآلة الكاتبة .

وشكوى الرجال قدمها ثلاثة ازواج . منهم اثنان ساورهما الشك فى سلوك زوجتيهما لان الاخيرتين تعملان فى الشقق المفروشة لضيق ذات يد الزوج وكثرة العيال . اما الزوج الثالث فهو يشكو هجران زوجته التى استمعت لحض ابيها على ذلك ، اى اننا فى هذه الحالة نجد رجلا يشكو رجلا آخر ، الاول هو الزوج والثانى هو الأب . والحالة الرابعة نجد فيها ذكرا يشكو ذكرا اخر ، نجد ابنا يشكو والده الذى يسىء معاملته كما يسىء معاملة والدته واخته التى تكبره ، ويذكر الابن ان اباه يتعاطى المخدرات ويشرب الخمر ويضرب الأم ، بل وصل الأمر الى محاولته الاعتداء على الابنة ذات مرة وهو فى غير وعيه ! (٢)

واستمرار هذا المعنى المهين للمفهوم العام المراة المصرية بتجاهل ان المراة فى بلادنا كانت ولاتزال العمود الفقرى للأسرة . وكيان الأسرة الصالح يتوقف الى حد كبير على صلاحية المراة كزوجة وكأم . ومع ذلك فقد لا يرى البعض منا ، كما اوضحنا ، هذا الراى . قد يرى هؤلاء فى المراة عواملها التكوينية فقط . اى انهم يرون تباين هذه العوامل عنها فى الرجل ويرون لذلك ان الرجل هو الاقوى والاعظم وان المراة هى الأضعف والأحقر وما العوامل التكوينية فى رأيى سوى جزء من اجزاء شخصية المراة الدينامية ، فهناك العوامل الاجتماعية والثقافية والعوامل النفسية والعقلية التى تكمل الصورة الحقيقية لهذه الشخصية .

وكما يرى هؤلاء عوامل المراة التكوينية فحسب ، يرون كذلك دورا اجتماعيا واحدا من الادوار الأجتماعية التى تستطيع المراة ان تقوم بها فى المجتمع ، اى مجتمع واقصد بذلك دورها البيولوجى الاجتماعى فحسب . لايرى هؤلاء الأدوار الاجتماعية الأخرى التى قد تؤديها المراة فى محيط الاسرة كأم وكزوجة وكأخت وكابنة ، ولايرون دورها كمدبرة لشئون البيت ودورها كصديقة لأبنائها وبناتها ، ودورها كزميلة لزوجها وينسون فى غمار

تعصبهم الأجوف أدوارها الإجتماعية الهـامة خـارج محيط الأسرة ، وهى الأدوار العديدة التى تستطيع أن تشترك فى ادائها جنبا الى جنب مع الرجل ، فى كل المجالات ، فى سبيل بناء المجتمع (٣) .

ومع ذلك فاننا نلاحظ ان مكانة المراة « كأم » مكانة رفيعة يقدرها ، على وجه العموم ، أعضاء مجتمعنا المعاصر على اختلاف فئاتهم وطبقاتهم ومستوياتهم المـادية ــ حق قدرها . فالأم عند الجميع « تعشش » والأب « يطفش » وعند الجميع نجد المثل السائد « اللى بـلا أم حـاله يغم » ، و « الجنة تحت أقدام الأمهات » ، والام هى اولا وقبل كل شىء كما تقـول الأغنية « ست الحبايب » .

ولكن من اجل شغف البعض بالتعميم الجارف نجد وصف المراة فى العادة وصفا مزريا . ويبدو لى ان المراة المصرية عند الكثير من الكتـاب والمـذيعيين والاذاعيين والفنـانين المصريين ، فى ضـوء هـذا التعميم الجارف ، هى نوع معين من المراة . ربما تكون هذه المـراة من تسـكن الأحياء الراقية فى المدينة ، او ربما تكون هى المراة المتمصرة وليست المراة المصرية ذات الاصالة العتيدة . وينسى هؤلاء مـلايين من الكادحات من الفلاحات والعاملات وربات البيوت . ينسى هؤلاء أو يتناسون كل هـذه الملايين ، كما ينسون أو يتناسون كل الملايين من الأمهـات اللاتى يبذلن حبات قلوبهن فى سبيل صيانة الأسرة وحفظ كيانها على حساب راحتهن واعصابهن . فتعب أعضاء الأسرة عندهن « راحـة » وسـعادتهم لهن « سعادة » ولسان حالهن يقول « اللى يدى بلحة لابنى تنزل حلاوتها فى بطنى » و « ظل راجل ولا ظل حيط » و « قعدتى بين أعتابى ولا قعدتى عند أحبابى » !!

يقول أحد الكتاب بمناسبة عام المراة « عام ١٩٧٥ » :

« كل عام وأنت انيقة وجيهة شبك ! وامام تلك الباروكة الهـائلة التى تكلل راسك الجميل ، وهى من الشعر الطبيعى فى اغلب الظن .هل لى ان اتساءل ما هى المتعة التى تجدينها فى نظرات الاعجاب الموجهة من الناس الى شعر امراة غيرك ؟

وينسى الكاتب أو يتناسى ان نسبة من يلبسن باروكة فى ضـوء خضم السـيدات المصريات فى مجتمعنـا المصرى المعـاصر (حـوالى ١٧٠٦٤٩٠٠ أنثى فى عام ١٩٧٢) نسبة ضئيلة جدا . انهن نادرات .

ويؤكد هذا الكاتب تعميمه فى كل فقرة يتحدث عنها : عن حذاء المراة او بنطلونها « المحزق » أو عن « الريميل الأزرق الفاقع » او عن « الاكوافير »

وكاتب آخر يلوذ أيضا بالتعميمات الجارفة ويقول فى نفس المناسبة، اى مناسبة عام المراة « عام ١٩٧٥ » ، « آخر تقليعة ... والتقليعات عادة لا تخرج الا عن المراة .. التقليعة على مستوى عالمى .. هيئة الأمم المتحدة قررت أن يكون عام ١٩٧٥ هو عام المراة !! .. لماذا ؟ .. ايه السبب ؟؟؟ ماهى المناسبة ؟؟ .. قيل ان المنظمات النسائية — وفى مقدمتها الاتحاد النسائى الديمقراطى العالمى — ضغطت على هيئة الامم المتحدة لكى تتخذ المنظمة العالمية موقفامن قضية المراة ، وتجعل عام ١٩٧٥ عام المطالبة بحقوق المراة !!! .. أكثر من هذا .. تقرر ان يكون شعار عام المراة العالمى عام ١٩٧٥ هو المساواة والتنمية والسلام !! ... وانا لا البس فوق راسى عمة خضراء ، وان كان هذا شرفا كبيرا لى ، فحينما اختفى هذا الجيل الرائع من اجدادى الذين كانوا يلبسون العمة ، اختفى معهم الكثير من المثل والقيم والأخلاقيات الحميدة .. ولكنى فقط اريد أن اسأل المراة : « ماذا تريد اكثر مما اخذت ؟ اية مساواة تطالب بها؟ .. لقد وصلت الى منصب الوزارةومجلس الشعب ورئاسة التحرير ، واذا كان الكلام على المستوى العالمى فقدوصلت الى منصب رئيسة وزراء بل رئيسة جمهورية أيضا !! ثم اقتحمت المراة مجالات جديدة تماما مثل السلك الديبلوماسى والشرطة !! والفضاء والهندسة والزراعة وغيرها ، وتساوت معنا فى المرتبات وان كنا لم نتساو معها فى الاجازات !! ثم أى سلام تطالب به المراة ؟ هل هو السلام العالمى وانسحاب اسرائيل ؟ !! ام السلام فى المنزل ؟ اذا كان السلام فى المنزل فنحن اول من يطالب به !! بقى أن تعرف المراة انها حينما « اغترفت » حقوقها نسيت واجباتها التى لا يمكن أن يقوم بها الا بنات جنسها .. فالواجبات المنزلية ومراعاة الأسرة والأولاد وتهيئة الجو المناسب فى المملكة الصغيرة لكى ينتج افرادها للمجتمع الكبير — مثل النحل تماما — هذه الواجبات نسيتها المراة فى لهثهاولهفتها وجريها وراء حقوق الآخرين لاغتصابها .. !

اننى أطالب هيئة الأمم المتحدة أن تجعل عام ١٩٧٦ عام الرجل !! لكى نثبت للمراة عمليا وبالأرقام كم نكسب وكم ننفق على أنفسنا نحن الرجال وكم ننفق عليهن ؟؟ » (٥)

وقد لاحظت أن المراة المصرية ، بعامة لم تسلم من مغالطات بعض النساء المصريات . ومن هؤلاء من يشغلن مراكز اجتماعية مرموقة فى المجتمع المصرى المعاصر . ترى احداهن مثلا أن مكانة المراة المصرية « عال العال » فالمراة المصرية فى رايها « ارفع من المراة الأوروبية » . وهذا كما يلاحظ القارىء تعميم جارف لا يجدى شيئا فى انصاف المراة المصرية المعاصرة (٦) ولن انسى احدى المفكرات المصريات المرموقات اجتماعيا، وهى فى برنامج من برامج « التليفزيون » المصرى ذات الشهرة العالية — لن انسى وهذه السيدة فى غمار دفاعها عن المراة المصرية المعاصرة فى ضوء مالاقت هى من صنوف العنت و الظلم وهى فى شبابها وحتى الآن ، انها سئلت عما اذاكانت تفضل أن يكون لها حفيد أو حفيدة ، فجاءت اجابتها « حفيد بالطبع وايست حفيدة حتى لاتعانى ما عانيت » ! اجابة لا يمكن أن اصفها الا بأنها « مخيبة للآمال » صدرت عن سيدة يراها الكثيرون قائدة ثقافية كبيرة فى عصرنا الحالى . وكل هذا يؤكد لى ، وارجو أن يؤكد القارىء ايضا ، اهتزاز قيم التدوة الايجابية فى المجتمع المصرى المعاصر . تلك القيم التى نحن فى حاجة ماسة اليها وبخاصة فى ضوء ظروف هذا المجتمع . ومهما كانت الدوافع التى جعلت هذه السيدة ترجح « الحفيد » على « الحفيدة » فانها تدل على العجز والبأس والقنوط ومسايرة مابقى من تراث ثقافى اجتماعى مصرى غير ايجابى . (٧)

ولم تسلم المراة المصرية كأم من التجريح . فهى فى رأى احدى الكاتبات «مصدر كل شىء» و « كل قبيح يرجع اليها» و «كل جميل ينبع منها» . وترى هذه الكاتبة ان جميع ادواء مجتمعنا المصرى المعاصر يرجع الى الأم المصرية ، « ان المجتمع المصرى بكل ما فيه من عادات ومظاهر عبارة عن صورة من الأم ، ونظافة المدن او قذارتها ترجع الى طريقة الأم فى تربية الأولاد ... نشاط الموظفين أو كسلهم يرجع الى بيئته المنزلية قبل التعليم .. كل المساوىء فى اى مجتمع سببها فشل الأم فى تربية الصغار » . وهذا كلام غير علمى ، فالملاحظ ان الأم وحدها لا تكون البيئة المنزلية ، وانه اذا كان لاشىء يأتى من لاشىء ، فالعلم يؤكد تعدد عوامل الظواهر وانماط السلوك وديناميتها . ولا يمكن لعامل واحد « الأم مثلا » أن يخلق وحده كل الظواهر أو انماط السلوك البشريه التى ذكرتها الكاتبة فى مقالها . انننى اوافق على ضرورة وجود « الأمهات الفضليات فى مجتمعنا » ولكن لايمكن ان تعنى هذه الموافقة من كل

المساوىء فى اى مجتمع سببها فشل الأم فى تربيه الصغار ، وأى فضائل فى المجتمع ترجع أولا واخيرا الى الأمهات الفضليات . ان هذا تبسيط لايقره العلم ، وهو تحيز ضد الأم المصرية وليس معها ، وخاصة اذا كان يرى ان عوامل فشل الام ترجع الى الأم وحدها . ويبدو ان الكاتبة ترى ذاك . ويكشف ذلك ما ذكرته الكاتبة نفسها عن التأخير فى الحضور الى موعد طبيب للأسنان لفترة خمس دقائق ، فبدلا من ان ترجع هذا الخطأ الى تهاونها ارجعته الى تهاون امها التى ربتها على عدم الدقة فى المواعيد والاستهتار فى العمل ومزج الجد بالهزل .. الخ .

ان شخصية كل عضو من اعضاء المجتمع هى نتاج اجهزة التنشئة الاجتماعية التى توجد فى هذا المجتمع مثل الأسرة والجيرة والمدرسة والمسجد او الكنيسة والمنظمة الرياضية والمنظمة السياسية واجهزة الاعلام والثقافة ، وان الأسرة فى ضوء الظروف الاجتماعية الثقافية العصرية لا يمكن ان تكون وحدها مسئولة عن تكوين شخصية كل عضو من أعضاء المجتمع . صحيح ان دور الأم فى الأسرة دور اجتماعى هام ما فى ذلك والأم تؤدى عملا رئيسيا فى الوحدة الاجتماعية الأساسية (الأسرة) فى المجتمع ، ولكن فى ضوء المنهج العلمى لا يمكن ان نغفل الأدوارالاجتماعية الهامة الأخرى فى الاجهزة المشار اليها فى شخص المسئولين عنها (٨)

ورغم ذلك فان مكانة المراة المصرية فى مجتمعنا قد تطورت .أصبحت مكانة المراة الاجتماعية قبل عهد رفاعة الطهطاوى ثم عهد قاسم امين غيرها بعد ذلك . واصبحت مكانتها الاجتماعية قبل ثورة ١٩١٩ غيرها بعد ذلك. وقبل ثورة عام ١٩٥٢ نجد ان مكانة المراة الاجتماعية غيرها بعدذلك .ذلك لأن ظروف مجتمعنا قد تطورت فى هذه المراحل تطورا زاد من مكانة المراة الاجتماعية ارتفاعا . فمن مجتمع اقطاعى فى مطلع القرن العشرين تحول مجتمعنا الى مجتمع اقطاعى شبه رأسمالى بعد ثورة عام ١٩١٩ ومن مجتمع اقطاعى شبه راسمالى قبل ثورة عام ١٩٥٢ نرجو ان يتحول مجتمعنا فى الوقت الحاضر ، رغم الصراعات النشافية وغيرها ، الى مجتمع اشتراكى . لانه من الملاحظ ان علاقات الانتاج القديمة ، فى مجتمعنا الحالى ، لم تصف تصفية نهائية حتى الآن . فالرواسب البالية لاتزال تخيم على مناخ مجتمعنا الثقافى الاجتماعى ، ومنها الرواسب التى تتعلق بمعاملة المراة المصرية . فهى فى عقول الكثيرين من رجال المجتمع تنسج خيوطها كالعنكبوت . ومفهوم المراة عند العديدين من هؤلاء الرجال ، مفهوم منحرف . ومفهوم الرجل عند العديدات من النساء ، كما يبدو مفهوم

منحرف كذلك . وصور الانحراف فى كلا المفهومين تبدو واضحة فى الكثير من الأمور .

وتبدو عند اختيار المراة للرجل لتتزوجه وعند اختيار الرجل المراة ليتزوجها . وتبدو عند المغالاة فى طلب المهور أو ما يعادلها . وتبدو عند تصدع الأسرة المصرية بالطلاق دون مبرر ، وتبدو فى تعدد الزوجات دون شرط ، وتبدو فى حجم جناح الأحداث واتجاهاته . كما تبدو ، كماسبق أن اوضحنا ، فيما يكتبه أو يقوله الرجال من الكتاب والمذيعين والاذاعيين والفنانين وغيرهم من الرجال العاديين وبعض النساء .

وصور الانحراف فى كلا المفهومين تبدو جلية واضحة فى الاتجار بالمراة عن طريق تكوينها البيولوجى ، وقد نجد ذلك فى الاعلانات والدعاية للافلام ، وفى الاعلان عن الروائح العطرية وعن « احمر شفاه » . وحتى الاعلان عن شراب « الكوكاكولا » . ونجد هذه الاعلانات فى جريدة اليومية ، وفى الصفحة الأولى للمجلة الاسبوعية ، وعلى الشاشة الكبيرة وعلى الشاشة الصغيرة على السواء . ويتفنن اصحاب هذه الاعلانات ماشاءت لهم عقولهم المملوءة بخيوط الرواسب البالية التى تتعلق بمعاملة المراة أن تفعل . فنجدهم يتملقون شهوات الرجل فيرسمون جسد المراة ، وهو عنصر واحد من عناصر مكونات شخصيتها الاجتماعية عاريا مرة أو شبه عار مرة اخرى . أو يرسمون جزءا من اجزائه فى بعض الأحيان . وهم اذ يفعلون ذلك يروجون لبضاعتهم عن طريق الترويج لجسد المراة دون ما حياء . أو نجدهم يستخدمون الرموز فى بعض الأحيان الأخرى . ولهم من التفاحة المشهورة (تفاحة حواء) مجال واى مجال . وهم اذ يفعلون ذلك يؤكدون ، بوعى وبغير وعى رمز الخطيئة ، خطيئة المراة ، فى كل لحظة وكأنها خطيئة لم تغفرها لها رحمة الله ورضوانه ! بل هى خطيئة ابدية يذكرها لها الرجل وهو شريكها ، فى كل حين ، ويحاول أن ينال منها عن طريقها على الدوام .

وكما تنال الاعلانات بأنماطها وصورها من المراة ، يفعل ذلك تماما ما نجده فى مضمون بعض القصص والتمثيليات المكتوبة أو المعروضة منها . وكل هذه العمليات كما يعلم القارىء عمليات تجارية يقصد بها الربح السحت على حساب المراة كانسان . ومن صور الاتجار بالمراة ، اقصد الاتجار بعوامل شخصيتها التكوينية ، صورة ظاهرة البغاء . والبغايا من النساء يسمون احيانا ، بحق أو دون ما حياء ، بالرقيق الأبيض . وظاهرة البغاء ، كما يعلم القارىء ايضا ، ظاهره اجتماعية قديمة قدم

الدهر . قديمة قدم مهنة الكهانة ومهنة الطب وتوجد في كل المجتمعات . وهى كظاهرة اجتماعية انماط عديدة . توصم بها النساء كما يوصم بها الرجال على السواء ، ولكن يلاحظ فى مجتمعنا ان حجم هذه الظاهرة يكون فى محيط النساء ، عادة ، اكبر منه فى محيط الرجال . وقد وجدت ظاهرة البغاء فى مجتمعنا ، وهى لاتزال موجودة فيه حتى الآن . كانت هذه الظاهرة معترفا بها رسميا حتى عام ١٩٤٩ . ورغم الغاء البغاء العلنى فى مجتمعنا فقد حل محله البغاء السرى . وينتشر بكثرة فى المناطق الحضرية فى المجتمع .

وعندما تصفى علاقات الانتاج الإقطاعى فى مجتمعنا تصفية نهائية، اتوقع وجود جيل من الرجال لاتسنح له الفرص ابدا لشراء استسلام المراة ، سواء بالمال او بأية وسيلة اخرى من وسائل السيطرة الاجتماعية . كما اتوقع ايضا وجود جيل من النساء لا يضطررن ابدا للاستسلام لأى رجل لاى سبب سوى الحب الانسانى الحقيقى . هذا ما أتوقعه ويتوقعه معى المتفائلون على الرغم مما نراه الآن من معاملة المراة الواقعية . فالرجل المصرى يعامل المرأة المصرية ، الا اذا كانت تتؤدى دورها كأم ، معاملة تبدو سيئة فى ضوء مستويات المعاملة الانسانية الرشيدة . ولعل ما أوضحته فى الدراسة الحالية يكفى وزيادة .

والملاحظ ان الرجل المصرى اذ يعامل المراة المصرية معاملة تبدو سيئة فى ضوء مستويات المعاملة الانسانية الرشيدة ، وتراه فى بعض الأحيان يتغنى بكيدها — فانه فى الوقت نفسه يعشقها ويدللها ويذوب من اجلها عشقا وصبابة وهياما . يكتب فى ذلك المواويل والأزجال والأشعار ويحكى القصص والروايات . ويظهر ذلك فعلا وعملا ، وتراه يستخدم اشارات اليد والأصابع والوجه للدلالة على ذلك احيانا ، أو يستخدم الكلمات وهو يعاكس او فى وقت الصفاء أو بعد تلك أحيانا اخرى :

« كيد النسا كيد لو ابو زيد يميل منهم
أو عنتر بن شداد لبشوف العذاب منهم
لهم فعل بطال زالت الجبال منهم
الواحدة منهم فى كل بلوة تلقاها
قاعدة تقلب فتن لأجل الخراب والشر
وتكره الطيبة وفى الردية تلقاها
ومطاوعة ابليس على فعل النكد والشر »
وكل يسيرة مع الخلايق تلقاها

هم النسا على الدوام وجودهم أساس الشر
والعقل لو غاب يكون السبب منهم »
« موال من الجيزة »

***

و « قاضى الغرام فوق جبل عالى ينادينى
قال فين مفارق احبابه قلت انا ودينى
قال لى تعود للحبايب قلت ودينى
دول الحبايب العزاز ولا لهشى فى الجمال وصفة
انا نفسى أزور النبى واقعد حداه واصفى
إن كان قلبى يبيح لغيركم ويصفى
اموت كافر ولا توفانى على دينى »

« موال من الجيزة »

وفى دراسة قمت بها عن « ظاهرة الكتابة على هياكل المركبات فى المجتمع المصرى المعاصر » لاحظت كتابة العديد من عبارات الاغانى المصرية التى تتضمن معانى عديدة . ومن هذه المعانى مايترنم بالحب والهوى ، «الحب كده» و «الهوى هوايا» و «أنت الحب» و «أهل الهوى مساكين » و «أهل الهوى ياليل» و «جددت حبك ليه بعد الفؤاد مارتاح» و «زى الهوى ياحبيبى » و «آه من الهوى» .

ومنها ما يترنم بالشكوى والعتاب والخصام والهجر والفراق واسهاد والوحدة والوداع وكيد العزال ، « اروح لمين ؟ » و « لاش اسبه ارحم عنيه» و « أكتر من مرة عاتبتك وادتلك وقت تفكر» و « تفيد بأيه يانـدم وتعمل ايه يا عتاب» و « كلمونى تانى عنك ــ فكرونى» و « قابته سبت ابى خاصمته» و «هجرتك يمكن أنسى هواك وودع قلبك القاسى» و «ياهاجرنى» و «لانوم ولا دمع مخلاش الفراق فيه» : كان اصل : لانوم ولادمع فى عنيا) و «سهران لوحدى» و « ودع هواك» و «كايدة العزال» و «كايدة العزال انا من يومى» و «كايدة العزال ياسكينة» . ومن معانى عبارات هذه الأغانى نجد ما يترنم بالأمل والفرح والغزل والدعابة والتسامح والسلامة ، «أمل حياتى ياحب غالى» و «من فرحتى تبت مع الفرحة» و « ابو سمرة السكرة» و «ادلع يارشيدى على وش الميه» و «بتبص لى كده ليه ؟» و « على عينى كرملة» و «مخدش العجوز انا»

و «انساك ده كلام انساك ياسلام» و «سالمة ياسلامة» .

وقد كتب آخرون على هياكل مركباتهم تعبيرات شعبية تتضمن معانى الغزل المفتوح والغزل المستور : «آخر طريقك فين باحلو باللى ماشى» و «كده شربات» و «منى عينى هو» و « صباح الفل ياعود الفل» و «أوعى الهوى» .

وقد لاحظت انه فى ضوء نتائج الدراسة المشار اليها وفى ضوء دلالات هذه النتائج ان الكلمات والعبارات المكتوبة على هياكل المركبات موضوع الدراسة ، رغم أن بعضها مكرر ، وان معانى بعضها متشابهة ، وعلى الرغم من أن اشكالها متعددة — قد اختارها كاتبوها انفسهم بمحض ارادتهم وأصروا على كتابتها على هياكل المركبات التى يستخدمونها على رغم من عدم موافقة الدولة على هذه الكتابة .. وانهم اذ يكتبون ، يكتبون بمحض ارادتهم ، فانهم فى حقيقة الأمر يحاولون ان يسمعوا أصواتهم دون ان يراهم احد ، أى انهم فى حقيقة الأمر يحاولون بمحض ارادتهم ان يهتفوا .. ومعانى الحب والهوى والشكوى والعتاب والخصام والهجر والفراق والسهاد والوحدة والوداع وكيد العزال ، فضلا عن معانى الأمن والفرح والغزل والدعابة والتسامح كل هذه المعانى تعكس العديد من العناصر الثقافية غير المادية التى تملأ المناخ الاجتماعى والثقافى لمجتمعنا المصرى المعاصر وهم فى ضوء ظروفهم الاجتماعية الثقافية والاقتصادية قد اختاروا هذه المعانى من هذا المناخ لكى يسمعوا اصواتهم دون أن يراهم احد ، أى لكى يهتفوا هتاف الصامتين . واصطنعوا من أجل ذلك ، دون وعى ، جهازا اعلاميا شعبيا من اجهزة الاعلام فى مجتمعنا المصرى المعاصر يتحرك على امتداد مدن هذا المجتمع وقراه وهو جهاز اعلامى يدعو فى ضوء طبيعته الى تثبيت العديد من المعانى السابق ذكرها والتى لاتزال تعيش فى المناخ الاجتماعى الثقافى المصرى ، ومنها الحب والهوى رغم أن الحب كما يقول المثل الشعبى « عاوز كلفة علشان تدوم ، الألفة » (٩)

ومن الأزجال المشهورة التى شاعت وذاعت نجد :

فى كل عام للورد أوان	الا النســـوان
بقدرتك نابتين الوان	أبيض وأحمــر
وانت اللى تعلم وانا أجهــل	فيه ايــه أجمــل
من دى الخدود اللى لا تدبل	ولا تتغيـــر
ودى العيون اللى اشهد لك	بيهــا واســجد لك

دى خلت الطاغى انقاد لك	و المتكبـــــر
والشفتين اللى فالقهـــم	كنت خالقهـــم
للابتسام ولا رازقهـــم	دانت تحــــير
العبــد يعشــق بالقــوة	وعشــق لجـ ــوه
كمان جهنم ؟ ايه هـــوه	محنـــاش معشر

. . . .

ياسملمين الله داحـــريم	انا مالى غـــــريم
غيركم أروح وياه فى جدى	يــوم المحشـــر
الدنيا والنســوان وخــلاص	والراجل لاص
لا طبلة ينفع ولا بلاص	لو يتكسر (١٠)

ولعل معاملة الرجل المصرى السيئة للمرأة المصرية وتدليلها وعشقها ان تكون أمورا غير متناقضة . فالمراة المصرية فى نظـــر الرجـــل المصرى ، حتى الآن ، لاتزال متاعا . ولعلها أن تكون متاعه الوحيد المرموق . وهى اذا كانت راضية بهذا الوضع الغريب ، فهى تفعل ذلك كما سبق ان اوضحنا ، فى ضوء العلاقات الاجتماعية ، علاقات الانتاج الاقطاعى الرأسمالى التى لمـــا تصف ، وفى ضوء بعض العناصر الثقافية غير المـــادية الباقية لاتزال.

ومهما يكن من الأمر ، فان المرأة المصرية ، رغم كل هـــذه الأمور ، فضلا عن بعض العوامل الأخرى ، قد عصمت الرجل المصرى من الشذوذ الجنسى الذى نرى الوانه العديدة موجـــودة فى العـــديد من المجتمعـــات الأخرى ، وبخاصة فى المجتمعات الغربية حيث الحرية الجنسية (لا التربية الجنسية) تسود . وحيث نجد مكانة المرأة الاجتماعية فيها مكانة تغبطهـــا عليها الكثيرات من النساء المصريات .

المراجع والتعليقات

١ ــ كان قوام مجتمع الحريم ايام وجود تجارة الرقيق ، أى فى زمن الجوارى . وقد تعهدت مصر بالغاء تجارة الرقيق بمعاهدة مصرية انجليزية ابرمت فى عام ١٨٧٧ وتطبيقا لها صدر أمر عال من الخديوى من العـــام نفسه ، ينص على فترة انتقال مدتها اثنتا عشرة سنة يســـمح خـــلالها للأسر التى تملك جوارى أو عبيدا أن تتاجر فيه مع غيرها . «وبعد مضى المدة المحكى عنها اذا كان أحـــد من رعايا الحكومة المحلية يخالف الأمـــر ويتجرأ على بيع الرقيق السودانى أو الحبشى تصير مجـــازاته بالاشـــغال الشاقة لمدة اقلها خمسة أشهر واكثرها خمس سنوات » . وجعل القانون محاكمة المتهمين فى قضايا الرقيق من اختصاص مجالس عسكرية تشـــكل

بأمر السردار ، أى القائد الأنجليزى للجيش المصرى ، ولم يعن القانون بتحرير العبيد الموجودين طرف العائلات فى داخل البلاد ، فما دام العبيد او الجوارى لم يطلبوا عتقهم ومادامت الأسر التى تملكهم لا تتاجر بهم ، فلا موجب لتحريرهم ! وعند تطبيق القانون اكتشفت « مصلحة الغاءالرقيق انالنصوص القانون لا تتضمن نصا صريحا على معاقبه من يشترى الرقيق، ولتلافى هذا النقص اصدرت وزارة الداخلية منشورا تفسر فيه القانون وتقول بأن العقوبة تشمل البائع والمشترى .

ومع ذلك فقد استمرت تجارة الرقيق فى مصر ، واستمر النخاسون يجلبون الجوارى . والتاريخ يذكر انه فى يوم ٤ سبتمبر عام ١٨٩٤ انعقد المجلس العسكرى ، ووقف حسين باشا واصف ومحمد باشا الشواربى والدكتور الشافعى بك فى قفص الاتهام . وكان أحد المتهمين الذى لم يحضر لمرضه على باشا شريف رئيس مجلس الشورى واجلت محاكمته وكان مع هؤلاء النخاسون وشركاؤهم ، وكان التهمة بيع وشراء الجوارى حليمة وفاطمة ومراسيلة وزنوبة وسعيدة ومريم . (انظر صلاح عيسى : حكايات من مصر ، بيروت ، الوطن العربى ١٩٧٢ . صفحات ١٩٤٧ — ١٦٩) .

٢— سيد عويس : دراسة لـ ٢٥ أسرة من الأسرالتى ترعاها جمعية ترعيم الأسرة ، بالدقى ، عام ١٩٧٤ ، دراسه غير منشورة .

٣ — سيد عويس : حديث عن الثقافة ، بعض الحقائق الثقافية المصرية المعاصرة ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٠ا صفحة ٢٣٨

٤ — جريدة الأخبار : فى عالم المرأة ، القاهرة ٦ يناير ١٩٧٥

٥ — جريدة الجمهورية : خواطر سريعة ، القاهرة ١٠ يناير ٧٥

٦ — التليفزيون المصرى : برنامج حوار مفتوح ، ١٩٧٥/٣/١٤

٧ — التليفزيون المصرى :برنامج اثنين على الهوا ، ١٩٧٥/٣/٥

٨ — جريدة الأخبار : فتش عن الأم ، القاهرة ، ١٩ يناير ١٩٧٥

٩ — سيد عويس : هتاف الصامتين ، ظاهرة الكتابة على هياكل المركبات فى المجتمع المجتمع المصرى المعاصر القاهرة ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٧١ .

١٠ — بيرم التونسى : ديوان بيرم التونسى بأجزائه الثلاثة ، القاهرة مكتبة مصر ، ١٩٧٣ ، صفحات ١١ — ١٣

دور المرأة فى المجتمع المصرى الحديث
تحليل اجتماعى ثقافى

الدكتورة سامية الساعاتى*

تمهيد :

ليس من السهل تناول دور المرأة فى المجتمع المصرى الحديث ، لان التنمية الاجتماعية التى بدأت فيه منذ أواخر القرن التاسع عشر ، وسارت فى خطوات وئيدة احيانا ، وسريعة احيانا اخرى ، لم تحدث فى كل جنباته بدرجة واحدة ، ولا بايقاع واحد . ويكفى ما نلحظه من تباين ظاهر واختلاف واضح فى اسلوب الحياة الاجتماعية بين المناطق الريفيه من جهة ، وبين المناطق الحضرية من جهة أخرى . فثقافة المجتمعات الريفية تتناقض الى حد كبير مع الثقافة السائدة فى المجتمعات الحضرية .

ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل ان المجتمعات الحضرية فى مصر اى المدن الكبيرة وعلى رأسها القاهرة والاسكندرية ، توجد فى داخلها ثلاثة انواع من الثقافة وفق المناطق المختلفة فى المدينة . فهناك مناطق مغلقة تسود فيها ثقافة ريفية تكاد تكون خالصة ، وعلى النقيض منها ، هناك مناطق مفتوحة تسود فيها ثقافة عصرية . وهناك مناطق ثالثة بين بين تسود فيها ثقافة ريفية — حضرية ، أى تجمع بين كثير من القيم والمعتقدات ، والعادات ، والتقاليد التى تسود فى الريف ، وبين كثير أيضا من العناصر المادية التى تكون جزءا بارزا من الثقافة الحضرية .

وعند تناول أى نظام اجتماعى فى مصر فى العصر الحديث . لابد أن يضع الباحث فى اعتباره الاختلافات الكبيرة التى اشرنا اليها آنفا بين الريف والحضر من جهة ، وبين المناطق المختلفة فى المدن الكبيرة من جهة أخرى ، فعلى هذا الأساس فقط تكون نظرة الباحث عميقة متنوعة ويكون تحليله دقيقا وشاملا .

وترى الكاتبة بادىء ذى بدء ، أن تحدد تحليلها لدور المرأة فى المجتمع المصرى الحديث ، فتتناوله من منظورين أحدهما ريفى تقليدى يسير فى تنمية بطيئة أشد البطء والآخر حضرى حديث ، يسير فى تنمية سريعة احيانا ، وطفرية احيانا اخرى .

* مدرس علم الاجتماع ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس .

دور المرأة فى الجماعات الريفية التقليدية * :

المرأه فى الجماعات الريفية التقليدية ، كثيرة الذرية ، تحمل القسط الأكبر من تنشئة الأطفال الاجتماعية منذ سن مبكرة . وهى بالاضافة الى ذلك ذات دور بارز فى اقتصاديات الأسرة ، فهى عاملة ، ومشرفة ومدبرة ومسئولة عن جعل البيت فى حالة مستديمة وثابتة من الاكتفاء الذاتى لا ينقصه شئ من المؤونة والمطالب التى تحتاجها الأسرة على مر فصول السنة .

والأسرة فى هذا الإطار الاجتماعى التقليدى معمل بدائى ، تجرى فيه صناعة الاغذية وفى مقدمتها الخبز ، وصناعة الملابس التى يحتاجها أفراد الأسرة ، وبخاصة الإناث وتنظيف وغسل الملابس ، وعمل مواد زينة النساء والقيام بعمليات تجميل المتزوجات منهن ومن هن على اهبة الزواج من الفتيات . هذا فضلا عن تربية الدواجن ، وبعض الحيوانات للافادة من نتاجها ، ولحومها ، وصنع مستخرجات الألبان . وهذه كلها اعمال تضطلع المرأة بها ، وفق ما تمليه التقاليد . واذا ارتأى رب الأسرة أن يمارس فى بيته صناعة من الصناعات التى تعد من اختصاص الرجال اساسا ، فان زوجته وبناته كن ، فى حالات كثيرة ، يساعدونه فى العمليات السهلة التى يستطعن القيام بها . لأنه لم يتصور فى هذا الاطار الاجتماعى لمبسط الحياة ، ان تقبع المرأة فى بيتها دون عمل او حركة وبذلك تعرض نفسها لمفاسد التعطل التى سرعان ما توقعها فى حبائل الشيطان .

فالمرأة فى اية مرحلة من مراحل حياتها ، التى تستطيع فيها العمل بأى شكل ، وعلى اية صورة خادمة البيت سواء كان ذلك فى بيت ابيها ، أم بيت زوجها . وحتى فى حالة ترملها ، او طلاقها ، او انفصالها عن زوجها لفترة من الوقت ، فانها تعود الى بيت أبيها لتخدم فيه مهما كانت سنها ، ومهما كان عدد أطفالها . فهى تربى وتنشوء ، متشربة بهذه القيم والأفكار . وهى تكبر فتجد أمها وأخوتها وقريباتها الكبيرات ... هذا الحال فتألف ذلك وتتعود عليه شيئا فشيئا ، حتى انه ليصبح طبيعة ثابتة لها. فهى تتزوج لتخدم زوجها وبيتها . وتعبر الأمثال الشعبية ، فى الثقافة الريفية ، عن اهمية المهارة فى الخدمة المنزلية بالنسبة للمرأة ، فيقولون «لقمة الراجل مقمرة ما تاكلها الا المشمرة » ، ويقولون « بنت فلان ، نار وشرار » ، « وقلبها حامى » أى انها سريعة فى العمل .

وتأتى بعد المهارة فى قائمة الصفات المرغوب فيها فى المرأة الريفية،

---

* الجماعات الريفية هنا ترجمة لمصطلح rural Communities

الأخلاق الفاضلة مثل الطاعة ، والهدوء ، والوداعة . وهذه الصفات الثلاث الاخيرة ذات قيمة عالية لدى الرجل ، وبالنسبة لتقييم المرأة الريفية ، وهذا امر منطقى جدا ، لانه منسجم كل الانسجام مع الأوضـــاع والنظم التى تسيطر على طريقة الحياة واسلوب المعاملات فى الريف .

ومن الصفات ذات الوزن الكبير ايضا فى نظر الريفيين أن تكون المرأة صغيرة السن . ويعلل الريفيون تمسكهم بهذه القيمة بالنسبة للمرأة حين يفكرون فى اختيارها زوجة ، بأن ذلك يسهل السيطرة عليها ، ويجعلهـــا اسلس قيادا لزوجها مما لو كانت كبيرة .

ويجد الرجل القروى الأمان والاطمئنان فى التمسك بالعصبية ، وهو لا يحب ان يفخر بأصله وحسبه فقط ، بل يجب أن يفخر ايضـــــا بأصل من يصاهره وبحسبه ومكانته الاجتماعية ولذلك تفضل الخطبة فى الريف اذا كان لها « رجالة بارزون مرموقون » .

ومن العوامل المهمة ايضا ، فى اختيار المرأة الريفية كزوجة ، وماتملكه او ماسوف ترثه ، من أرض ، أو عقـــار ، أو حلى ، حتى تســـتطيع أن تساعد زوجها فى حياته المعيشية ، فالملاحظ فى الريف ان ما تملكه الزوجة يستطيع الزوج أن يتصرف فيه ، وتعتبر الزوجة نفســها وما تملكه ملكـــا لزوجها .

اما خصوبة الخطيبة ، واستعدادها للانجـــاب ، فهو أمر كل رجـــل يعيش فى الثقافة الريفية ، هذا الى جانب جمال الفتاة ، وأن كانت هذه الصفة لاتتمتع بمركز الصدارة مثل الصفات السابقة .

التحليل الاجتماعى لدور المرأة فى الثقافة التقليدية الريفية :

اذا ما وضعنا دور المرأة فى الثقافة الريفية التقليدية . تحت الفحص الاجتماعى العلمى بهدف تحليله وتحديد اهم مظاهره وابعاده ، لابد لنـــا بادىء ذى بدء من تحديد مفهومى الذكورة والأنوثة فى تلك الثقافة .

فالذكورة فى الثقافة التقليدية تعنى القوة ، والسطوة ، والسيطرة والسيادة أما الأنوثة فتعنى الضعف ، والخضوع ، والطاعة والاستسلام لسيطرة الرجل .

ان « الدور المعيارى » للمرأة فى التصور التقليدى لهـــا ، فهو — كما رأينا — دور التابعة الضعيفة المقهورة المسحوقة ، امام دور الرجـــل المسيطر القادر ، السيد .

ان المراة تعمل من اجل الرجل ، وتخدم من اجل الرجل ، وتملك من اجل الرجل وتفضل اذا كان لها « رجالة » يرزون أى انها تدور دائما فى فلك « رجولى » .

واذا ما حللنا علاقات القوة(١) بين ، الرجل(٢) والمراة فى الثقافة الريفية التقليدية لوجدنا ان المراة الريفية ضعيفة بوجه عام ، فهى «مكسورة الجناح » على حد قولهم ، تابعة لا حول ولا قوة لها مقابل الرجل الذى نمطته تلك الثقافة السيطرة والحرية فهو السند ذو السيطرة القوية ، وهو كل شىء فى حياة المراة ، وحياتها بدون الرجل لاقيمة لها لأنها لاتكتسب قيمتها الاجتماعية الا من خلاله ، ولا يقيمها الناس الا بعلاقتها به ، ويقول الأمثال فى ذلك « ضل راجل ولا ضل حيط » و « اللى يقول لمراته ياهانم يقابلوها ع السلالم» اى ان المراة الريفية تكتسب قدرا كبيرا من القوة بانتسابها الى الرجل .

ورغم تسليمنا بأن المراة الريفية ضعيفة بوجه عام ، الا اننا نلاحظ أنها تملك عناصر قوة محدودة وكامنة ، تظهر بوضوح عندما تخطب ، وتتزوج وترتبط بالرجل . ولهذا ينشأ عن الموقف العام لدور المراة فى الثقافة التقليدية موقفان متناقضان . الأول موقف أهل الزوج الذين يريدون ان تظل ابنتهم مستضعفة مهما كانت تملك من عناصر قوة مستجلبة اى انهم يشجعون ان تبقى المراة ضعيفة .

الثانى : موقف اهل الزوجة ، الذين يشجعون ابنتهم على أن نظهر عناصر قوتها الكامنة ونسبها ، حفاظا على كيانها لدى زوجها ، وكيان أسرتها الجديدة .

وعناصر القوة المحدودة ، لدى الزوجة الريفية تتلخص فى :

١ — جاه أهلها اى عصبيتهم .

٢ — ممتلكاتها مالا وعقارا .

٣ — ذريتها وبخاصة الذكور .

---

(١) تقصد الكاتبة بالقوة حصيلة جمع مجموعة من الصفات تعنى السيطرة، والسيادة ، والتعبير عن الرأى ونفاذ الكلمة وهى باختصار القدرة الظاهرة او الكامنة لدى كل من الطرفين للتأثير على سلوك الآخر .

(٢) علاقات القوة : اصطلاح وضعته الكاتبة ليعبر عمن يسيطر ومن يخضع ومن يتخذ القرار ومن ينفذ القرار ، ومن له الكلمة النافذة ، والكلمة الأخيرة ومن تكون له القيادة والرئاسة .

ويلاحظ ان عناصر قوة المرأة فى الثقافة الريفية التقليدية ، يشوبها كثير من عدم الوضوح وعدم التحديد ، لان تلك الصورة التى استخلصناها ، والمتعلقة بعناصر قوتها الكامنة والمحدودة ، انما تنطبق فقط على تلك الطبقة الريفية المتميزة بما تملك سواء من ناحية الذكور ، أو من ناحية الاناث . أما بالنسبة للسواد الأعظم من اهل الريف وهم الطبقة الفقيرة الكادحة ، فان صورة القوة عندهم مختلفة ، لأن علاقات القوة بينهم مختلفة ايضا ، فالمرأة فى هذه الطبقة أكثر كدحا من الرجل ، وبالتالى فهى اقل مكانة من الرجل ، فبينما وقت الرجل فى الريف ، فى هذه الطبقة الكادحة ، بوزع بين عمالة قصيرة متكررة ، وبطالة طويلة متكررة أيضا ، فان المرأة على العكس منه لا تنعم بالراحة قط ، اذ أن وقتها مشغول بشتى الاعمال المنزلية ، ورعاية الأطفال ، وتربية الدواجن والأنعام ، هذا فضلا عن مساعدتها لزوجها فى الفلاحة فى كثير من الأحيان .

وفى هذا الاطار من الحياة الكادحة تزيد وطأة استعباد الرجل للمرأة ، وتنكمش قوتها النسبية حيث تتبلور فقط فى كونها منجبة ونافعة للرجل فى بيته ، الا ان هوة القوة (١) التى تفصل بين قوة الرجال الكادحين وقوة النساء الكادحات تكون أكثر اتساعا منها بين قوة الرجال المالكين ، وقوة النساء المالكات فى الطبقة الميسورة المستريحة فى الريف .

اتساق دور المرأة فى الثقافة التقليدية ومطابقته (٢) :

من الأهمية بمكان ، ونحن نحلل دور المرأة فى الثقافة التقليدية فى المجتمع المصرى الحديث تحليلا اجتماعيا وثقافيا ، أن نعرف أن الدور المعيارى لها كامرأة ، وزوجة ، وأم ، أى الدور الذى يتوقعه منها المجتمع وينتظر منها القيام به ، يتفق اتفاقا كبيرا ، ان لم يكن يتطابق مع دورها الفعلى ، أى ما تقوم به فعلا وتؤديه ولهذا لاتجد المرأة الريفية فى الثقافة المصرية التقليدية ، فى نفسها أى صراع بين المتوقع والمتحقق ولا تستشعر فى أدائها لدورها ادنى مشاعر الاغتراب .

---

(١) هوة القوة : اصطلاح وضعته الكاتبة ليعبر عما يلاحظ من تفاوت بين الرجل والمرأة من حيث المركز ، والمكانة ، والتأثير .

(٢) اتساق الدور ومطابقته : role Congeruency اصطلاح يطلق للدلالة على ذلك الموقف الذى يدرك فيه الفاعل كشاغل لمركز أن توقعاته هى نفس توقعات المجموعة بالنسبة له . (الكاتبة)

ان الرجل كامل الارادة والسيطرة ، وان المراة أدنى منه ، واقل فى ارادتها ، وقدرتها وان حياتها تعتمد عليه ، وانه سيدها ، وماهى الاخادمة له

وعلى هذا النحو من التدريب والتعويد ، وغرس الأفكار ، تنشأ الفتاة ، وقد تشربت تشربا وتمثلت تمثلا الايمان بقيمة الطاعة ، وبذلك لا تشعر بأى لون من التأفف ، ولا بأى نوع من الغضاضة ، من سيادة زوجها عليها ، ومن طاعتها له ولأهله ؛ بل أن الغالبية العظمى من النساء انفسهن يكرهن سلوك المرأة القوية الشخصية التى تكثر من الاعتراض والمناقشة ، ويصفنها بأنها « مغافرة » واذا انقاد لها زوجها ، مان ذلك يقلل من قيمته اذ يعد هذا الانقياد للزوجة « منقصة » لأنه ينتقص من رجولته ومكانته ، ومنزلته بين الرجال . ولذلك كثيرا مايتهكمون عليه، رجولته ، ومكانته ، ومنزلته بين الرجال . ولذلك كثيرا ما يتهكمون عليه بعبارات مؤلمة ، كقولهم « دا راجل خنتى ونى » ، أو دا راجل مالوش قيمة راكباه مراته » . (١) بل يكفينا فى النهاية لنعرف قيمة الوعى بمركز الرجل وسيطرته وسيادته فى الثقافة الريفية اذا ما قورن بمركز المراة الأدنى فى كل ذلك ؛ أن نعرف أن اسوأ اهانة توجه لرجل فى ظل الثقافة الريفية التقليدية وصفه بأنه « امراة » .

ونستخلص من كل تلك الاحظات ، ان اساليب المعيشة فى الثقافة الريفية التقليدية هى التى تحدد نماذج السوك والقيم المتصلة بها ، وهى لا ترضى عن المراة الا اذا كانت مطيعة لزوجها ، وتحت سيادته ، ومنقادة اليه ، كما لا ترضى عن الرجل الا اذا كان مسيطرا على زوجته ، وسيدالها.

المراة فى المجتمع المصرى الحديث : نظرة عامة

اذا حاولنا ان نلقى مزيدا من الضوء على ما حدث من تغير فى دور المراة المصرية ، ومكانتها ومركزها فى العصر الحديث ، لابد أن نحدد — ابتداء — المدى الزمنى لمفهوم كلمة « العصر الحديث » ، وقد قصرناه على السنوات التى مرت منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى الآن . وقد راينا ان خير وسيلة لايضاح عملية التغيير الشامل الذى حدث بالنسبة لمراة المصرية فى هذه السنوات الطويلة ، أن نقسمها من حيث مكوناتها الى حقب تمكننا من تتبع ايقاع التغير ومساره ، وابرز المسئولات منه ، والمؤثرات فيه . ولما كانت قضية المرأة ترتبط الى درجة كبيرة بالتغير الجذرى فى النظام الاقتصادى من حيث تشغيل النساء فى شتى المجالات ، وفى نطاق واسع فانه لابد من القول بادىء ذى بدء أن نمو الصناعة فى مصر لم يأخذ

---

(١) انظر : فوزية دياب ، القيم والعادات الاجتماعية ، ص ٢٥٨

شكل ثورة صناعية او انقلاب صناعى كذلك الذى حدث فى انجلترا مثلا ، فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وانما كان بالتدريج البطىء احيانا والسريع نسبيا احيانا اخرى كما حدث فى الخمسينات والستينات من سنوات ثورة ٢٣ يوليو . وعلى الرغم من ذلك فان النمو الصناعى فى مصر وبخاصة فى اطار سياسة التصنيع التى اخذت بها الدولة بعد سنوات قليلة من بدء الثورة سنة ١٩٥٢ ، كانت له كثير من الآثار المماثلة ـ لتلك التى ظهرت فى كثير من الدول الأوربية التى حدث فيها الانقلاب الصناعى وذلك الانقلاب الذى نجم عنه أهم ظاهرة اجتماعية فى العصر الحديث وهى ظاهرة خروج المرأة وبخاصة الأم الى العمل ، لان عملها خارج بيتها لم يعفها من اداء دورها الرئيسى فى الأسرة ، بل انه اضاف الى هذا الدور دورا هاما ، هو دور التكسب من العمل ، الذى كان من قبل وقفا على الذكور وحدهم دون الاناث . وقد واكب هذه الظاهرة ظاهرة أخرى اشد اثرا فى تطوير قضية تحرير المرأة ، تلك هى تعليمها فى مختلف مراحل التعليم وتحررها الفكرى بالتدريج .

ولقد كانت هذه الظواهر الثلاث وهى تعلمها وتحريرها واشتغالها هى المسئولة عما صار يعرف « بالانقلاب النسوى » ، الذى امتاز به القرن العشرون ، والذى ظهرت آثاره واضحة العيان فى كل مكان . ومما لا شك فيه ان تعليم المرأة فى جميع مراحل التعليم بما فى ذلك مرحلة التعليم العالى فى المعاهد والجامعات ، هو الذى دفع عجلة التغيير النسوى فى مصر دفعة قوية : ذلك لانه اوجد عند المرأة وعيا واضحا بذاتها ومركزها ومكانتها ، ودورها فى المجتمع بعامة ، وفى الأسرة بخاصة .

وقد ترتب على تحرير المرأة ، تخلصها تدريجيا وبدرجات متفاوتة من سيطرة الرجل وسلطان التقاليد ، والحرمان السياسى الذى كان مفروضا عليها ، كما ترتب عليه ايضا تشغيلها فى مختلف المهن المتخصصة ، سواء ما كان منها صناعيا بكل اشكاله وتفنيناته ، أو زراعيا بمختلف صوره ، أو تربويا ، أو طبيا ، أو تشريعيا ، أو تنفيذيا ، او قضائيا أو غير ذلك من المهن التى كان يعتقد انها وقف على الرجل وحده .

وقد كان ذلك فى الوقت نفسه مصاحبا لظاهرة الحد من الفروق الطبقية ، لأن التعليم اتيح اول ما اتيح لبنات الطبقات المتوسطة ثم الراقية . وما ان انتشر تعليم الفتيات بين هاتين الطبقتين حتى انتشرت من بعد ذلك ظاهرة اشتغالهن بشتى المهن خارج بيوتهن .

ونجم عن ذلك ان الفجوة التى كانت تفصلهن عن فتيات الطبقة الدنيا

العاملات ، اخذت تضيق شيئا فشيئا على مر السنين . وذلك للتفاعل الاجتماعى الحادث فى المجتمع الجديد ، الذى دفع بكل من الطبقة الدنيا من جهة والطبقتين العليا والوسطى من جهة اخرى ، الى التقارب الى درجة كبيرة فى مستوى وسيط هو مستوى الطبقة العاملة اى الطبقة الدنيا المتطلعة الواعية ، ذلك لأنه لايمكن انكار ان التقدم الاجتماعى الاقتصادى الحديث فى كل المجتمعات المتقدمة ، قد أدخل على الطبقة الوسطى والطبقة العليا : مظاهر معينة ، كانت لحقب كثيرة تعد من خصائص الطبقة العاملة اى الطبقة الدنيا وحدها ، ومن بين هذه الخصائص اشتغال نساء الطبقة الوسطى بالوظائف الكاسبة ، اى التى تدر دخلا منتظما ذا قيمة يعتمد عليه ، وذلك نتيجة ضعف ثم تلاشى ظاهرة توريث المراة دخلا ثابتا من ارض زراعية ، او عقار ، او استثمار مال معين . وهى ظاهرة كانت شائعة ان لم تكن عامة ، بين اسر الطبقتين العليا والوسطى(1) . وهكذا حل محل ظاهرة تأمين مستقبل المراة على هذا النحو تعليمها ، فى مختلف مراحل التعليم وتوظيفها ، وقد اصبح هذا النظام الجديد من الأنظمة الشائعة فى النسق الاجتماعى الشامل فى المجتمع المصرى الحديث .

أما تحرير المراة الذى تمثل فى مساواتها بالرجل فيما يتعلق بممارسة حق الانتخاب فقد كان ثمرة تعليمها وخروجها للعمل واشتغالها بشتى الوظائف .

ومما يلفت النظر أن ماحدث من تغير نتيجة خروج المراة المصرية المتعلمة المتخصصة الواعية من بيتها للعمل فى مختلف ميادين الانتاج والخدمات يشبه ما حدث للمراة فى المجتمع الغربى الحديث ، ولكن مع تفاوت فى الدرجة والشدة .

وفيما يلى عرض تاريخى لقضية تحرير المراة ، ودورها فى بلورة كفاحها وذاتيتها . ولكى يكون هذا العرض واضحا ، قسمناه الى حقب يشتمل كل منها على عدة فترات لكل منها خصائصها من حيث ما بذل فيها من كفاح فى سبيل قضية تحرير المراة المصرية ، وآثار ذلك فى تطورها ودفع عجلة مسيرتها لتحقيق أهدافها .

الحقبة الأولى : (١٨٧٠ — ١٩١٨)

تقع هذه الحقبة فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين

---

(1) أنظر : حسن الساعاتى ، علم الاجتماع الصناعى ، ص ١٧٨—١٧٩

وربما تعد فجر الدعوة لتحرير المرأة المصرية ، وفتح ملف جديد لقضيتها في العصر الحديث ، ولقد قسمناها تبعا لنوع الجهود التي بذلت فيها الى فترتين ، الأولى فترة نيابة الرجال ، والثانية فترة استمرار نيابة الرجال ، مع ظهور أول بادرة نسائية .

الفترة الأولى (١٨٧٠ — ١٩٠٥) نيابة الرجال :

يمكن تحديد هذه الفترة بأنها الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، وقد كان دور المرأة المصرية فيها دورا سلبيا ، اما الرجال وهم الممثلون في شخصيات رفاعة رافع الطهطاوى(١) ومحمد عبده (٢) فكانوا أول من رفعوا لواء تحرير المرأة ولذلك اطلقنا على هذه الفترة الفترة السلبية ، أو فترة نيابة الرجال للمدافعة عن حقوق النساء في مصر .

وكانت صورة المرأة في هذه الفترة ، هي صورة الأم التي تهتم بشئون البيت ، ورعاية الزوج والأطفال ، كما كانت سيدة المنزل المحجبة التي يعولها زوجها ، ويتكفل بمطالبها ، ويجنبها الزوج ، ولو لشراء لوازمها الشخصية ، أمل كل فتاة ومثلها الأعلى ، ويكفي انه كان من أرفع آيات التكريم للمرأة أن يشار اليها حينئذ بأنها « السيدة المصونة والجوهرة المكنونة » . وفي اطار هذه التقاليد والقيم ، كان الجهل ، والأمية والحجاب والتوارى عن أنشطة المجتمع ، حال الأغلبية العظمى من النساء والفتيات

اما من اتيحت لهن فرص الذهاب الى المدارس ، فكن القلة . كانت اغلبيتهن من بنات الطبقة المحدودة الدخل ، اللاتي اقبلن على التعليم الحكومى الموجود حينئذ والذى انحصر في عدد محدود من المدارس الأولية والابتدائية ، ومدارس اعداد المعلمات ، والمرضات بغية تعلم مهنة شريفة تساعدهن على كسب العيش . ولذلك كانت أولى الوظائف التي عملت فيها المرأة المصرية هي مهنة التوليد والتمريض ثم مهنة التدريس .

وكانت الأسر التي تقدر العلم وتنتمي للطبقتين الوسطى والثرية ، قليلة العدد . وكانت تتحرج من تعليم بناتها في مدارس الحكومة ، التي ارتبطت بالاعداد للعمل ، وكسب العيش . ولذلك فضلت تعليمهن ، اما في المنازل على ايدى مدرسات خصوصيات أجنبيات ، أو في مدارس الجاليات والارساليات الأجنبية ، التي أنشىء منها عدد قليل في بعض مدن

---

(١) ولد سنة ١٨٠١ م وتوفى سنة ١٨٧٧ م

(٢) ولد سنة ١٨٤٩ وتوفى سنة ١٩٠٥ م

القطر الرئيسية . وكانت هذه المدارس تعنى بنشر الثقافة الأجنبية الخاصة كما كانت تهتم بتعليم الفتاة للمواد النسوية تمشيا مع القيم السائدة حينئذ، والتي كانت تؤكد اعداد البنت لتكون أما ، وسيدة بيت نافعة .

غير أن هذه الأوضاع ، وتلك القيم المحافظة التي كانت تستحسن الحجاب ، وتستهجن الخروج للعلم ، والعمل ، لم تظل طويلا على ثبوتها، بل أخذت تتزعزع من جذورها بفضل ما كان يتردد في جو المجتمع من صدى للصيحات المتكررة ، التي كان قد اطلقها رواد الفكر المتحرر ، ودعاة التجديد والاصلاح ، وفي مقدمتهم رفاعة رافع الطهطاوى ، الذى عبر عن آرائه التحررية في كتابيه (تخليص الابريز في تلخيص باريز) ، و "المرشد الأمين في تعليم البنات والبنين) ، ونادى في كتابه الأول برفع سن الزواج الى خمس وعشرين سنة حتى يمكن للمرأة أن تتعلم (١) ونادى في كتابه « المرشد الأمين في تعليم البنات والبنين » بوجوب تعليم الفتاة ، وبعدم تعارض هذا التعليم مع التشريعات الاسلامية . (٢) وقال في هذا الصدد « ينبغى صرف الهمة في تعليم البنات والصبيان معا ، لحسن معاشرة الأزواج ، فتتعلم البنات القراءة ، والكتابة والحساب ونحو ذلك فان هذا مما يزيدهن أدبا وعقلا ، ويجعلهن بالمعارف أهلا ، ويصلحن به لمشاركة الرجال في الكلام والرأى ، فيعظمن في قلوبهن ، ويعظم مقامهن لزوال ما فيهن من سخافة العقل والطيش ، مما ينتج من معاشرة المرأة الجاهلة لمرأة مثلها ، وليمكن المرأة عند اقتضاء الحال ، أن تتعاطى من الأشغال والأعمال ، ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها ، وطاقتها، فكل ما يطيقه النساء من العمل يباشرنه بأنفسهن ، وهذا من شأنه ان يشغل النساء عن البطالة ، فان فراغ أيديهن عن العمل بشغل السنتهن بالأباطيل ، وقلوبهن بالأهواء ، وافتعال الاقاويل ، فالعمل يصون المرأة مما لا يليق ، ويقربها من الفضيلة ، واذا كانت البطالة مذمومة في حق الرجال ، فهى مذمة عظيمة في حق النساء . (٣)

---

(١) راجع ذلك في رفاعة الطهطاوى ، تخلص الابريز في تلخيص باريز ، طبعة وزارة الارشاد ٥٨

(٢) انظر محمد على حافظ ، وزينب محرز ، تعليم الفتاة في الجمهورية العربية المتحدة ٢١

(٣) انظر عبد الرحمن الرافعى ، تاريخ الحركة القومية ، وتطور نظام الحكم في مصر ، عصر محمد على ، الجزء الثالث ص ٤٩٣ ، ٤٩٥

ثم جاء بعده الشيخ محمد عبده الذى وصل الى منصب مفتى الديار المصرية ، والـذى دعا الى ضرورة تعليم المـرأة ، وتحسـين ظروفهـا الإجتماعية ، واعتبر ذلك امرا جوهريا فى برنامج النهوض بالمجتمع ، وأيد آراؤه ببيان مركز المرأة الممتاز فى الاسلام (٤) .

الفترة الثانية (١٩٠٦ — ١٩١٨) استمرار فترة نيابة الرجـال مع ظهور اول بادرة نسائية :

لم يتوقف دفاع الرجل عن المرأة بنهاية القرن التاسع عشر ، وانما امتد فى القرن العشرين بمجيء قاسم امين (١) ، الذى جـدد دعوة كل من رفاعة رافع الطهطاوى والشيخ محمد عبده ، ووسع نطاقها ،حتى انه ليعد بحق الرائد الأول ذا الجهد المثمر فى حركة تحرير المرأة المصريه فى ذلك الحين . فقد ناضل من أجل قضيتها نضالا مريرا ، ونشر كتـابيه « تحرير المرأة » و « المرأة الجـديدة » ودافع فيهمـا عن تعليـم البنات وتحريرهن من رق الجهل ، وشقاء الحجاب مبينا أن النساء والرجال فى المجتمع شقان لا يتعارضان ، ونصفان متكاملان ، وان بقـاء النسـاء فى الجهل معناه تعطيل الانتاج نصف المجموع ، بـل للمجموع كلـه ، وأن المرأة هى أم الرجل ، وأم الجيل القادم بأكمله رجالا ونسـاء . كمـا دعا بشدة الى الأخذ بأيدى النساء واعدادهن ليشتغلن مثل الغربيات بالعلوم والفنون للجميلة ، والآداب ، والتجارة ، والصناعة ، ومختلف الأعمـال لينتجن بقدر ما يستهلكن ، وليستطعن كسب معاشهن بدلا من بقـائهن عالة على الرجال وليسهمن ايضا فى ازدياد الثروة العامة لوطنهن (٢) » .

وتتميز هذه الفترة بظهور أول بادرة نسائية للدفاع عن حقوق المرأة متمثلة فى الكاتبة الإجتماعية والشاعرة ملك حفنى ناصف التى اشتهرت باسم « باحثة البادية » فهى تعد بحق واضعة الحجر الأساسى للنهضـة النسائية فى مصر . وقد استفادت هذه السيدة بالجهود التى بذلهـا رواد تحرير المرأة من الرجال الذين أشرنا اليهم ، وفى مقـدمتهم جهـود قاسم أمين .

---

(٤) أنظر مجد الدين حفنى ناصف ، تحرير المرأة فى الاسلام ، ص ٣٦

(١) ولد قاسم امين ، سنة ١٨٦٥ وتوفى سنة ١٩٠٨

(٢) انظر قاسم أمين ، تحرير المرأة ، ص ١٩ ، ٢٠ ، ٥٦ — ٩٢

وانظر ايضا قاسم أمين ، المرأة الجـديدة ، ص ٣٢ — ٤٢ و ١٥٦

وقد كانت ملك حفنى ناصف تمتاز بثقافتها العربية العريضة ، واجادتها فى الوقت ذاته اللغتين الانجليزية والفرنسية ، وسعة اطلاعها على كثير مما كتب فى الموضوعات الاجتماعية (٣) ولم تكن باحثة البادية أول كاتبة فحسب ، بل كانت أيضا أول خطيبة جمعت النساء ، وخطبت فيهن لتوعيتهن ، وحثهن على المطالبة بحقوتهن ، وكانت تنادى بتعليم الإلزامى فى المرحلة الأولى ، وفتح آفاق العلم أمام الفتاة ، ومساواتها بالفتى ، كما كانت تناشد الرجال ان يعزفوا عن الأساليب الرجعية ، والتزمت فى معاملة نسائهم ، حتى يستطعن تنشئة الأجيال الجديدة على الحرية .

الحقبة الثانية (١٩١٩ — ١٩٥٥)

وتقع هذه الحقبة فيما بين ثورة ١٩١٩ وظهور رائدات التحرر حتى انتخاب أول مجلس امة بعض أعضائه من النساء وتنقسم هذه الحقبة الى فترتين :

الفترة الأولى : (١٩١٩ — ١٩٤٥) ظهور رائدات التحرر .

هذه الفترة التى تبدأ منذ ثورة ١٩١٩ ، وتنتهى بالحرب العالمية الثانية يمكن أن نطلق عليها فترة الاعداد ، وتكوين القنوات والمثل الشخصية . فلأول مرة تنفرد النساء بحمل لواء الدفاع عن أنفسهن بأنفسهن وينطلقن بعد ذلك فى هذا المجال مكونات رائدات التحرر النسوى .

فبعد وفاة باحثة البادية سنة ١٩١٨ ، خلفتها هدى شعراوى(١) التى حملت الشعلة وتزعمت النهضة النسائية الى ان توفيت سنة ١٩٤٧ . وكانت هدى شعراوى تنادى بتعليم المراة ومساواتها بالرجل ، وبخاصة فى الحقوق السياسية ، واتاحة الفرصة لها لكى تعمل وتؤدى واجبها نحو الوطن ، كما كانت ترى « أن الاستقلال السياسى لايقوم ولا يؤمن عليه الا بالاستقلال الاقتصادى (٢) ولقد عززت قولها بالعمل ، فأنشأت

---

(٣) كان ذلك بفضل شقيقها مجد الدين حفنى ناصف ، الذى ربما كان أول مصرى متخصص فى الدراسات الاجتماعية فى مدرسة العلوم الاجتماعية العليا فى باريس بعد تخرجه من السربون فى العقد الثانى من القرن العشرين .

(١) هدى شعراوى ولدت سنة ١٨٧٩ وتوفيت سنة ١٩٤٧

(٢) مجد الدين حفنى ناصف ، المصدر السابق ، ص ٨٢

أول مصنع للفخار والزجاج الراقين في روض الفرج بالقاهرة ، ونادت بترويج الصناعات الوطنية النافعة ، وشجعت الجمعيات النسائية الموجودة حينئذ على تعليم الفتاة نسج السجاد ، وأشغال الحياكة والتطريز ، وهكذا يتقن مهنة تدر عليهن الكسب فضلا عن شغل اوقات فراغهن بطريقة نافعة (٥)

وكانت مصر تجتاز بعد الحرب العالمية الأولى ، محنتها الكبرى ، وتصارع من أجل الحصول على الأستقلال وكانت هذه المحنة هي الفرصة الاولى ، التى استطاعت المرأة المصرية أن تظهر فيها كفاءتها ، وتثبت تدرتها على الأسهام فى حل مشكلات وطنها جنبا الى جنب مع الرجل ، وبدرجة لا تقل عنه . ففي ثورة ١٩١٩ ظهرت النساء لأول مرة فى مظاهرات كبيرة يحملن راية الجهاد ويشتركن مع الرجال فى عمل المتاريس ، وقطع طرق المواصلات وينادين بمقاطعة المستعمرين . عندئذ وضحت معالم الحركة النسائية وقوى شأنها ، وكسبت قضية المرأة تأييدا كبيرا ، وأخذت تجتذب اهتمام كثير من رجال الفكر والسياسة ، ونخص بالذكر منهم سعد زغلول ، الذى كان يرى « أن التربية السياسية للنساء يجب أن تعدها الشعوب كأول دور من ادوار الحضارة (١) والذى خطب فى وفد من النساء الوطنيات فى أعقاب حصول البلاد على استقلالها ، قائلا : « أننى من انصار تحرير المرأة ، ومن المقتنعين به لأنه بغير هذا التحرير لا نستطيع بلوغ غايتنا ، ويقينى هذا ليس وليد اليوم ، بل هو قديم العهد . فقد شاركت منذ أمد بعيد ، صديقى المرحوم قاسم أمين افكاره التى ضمنها كتابه الذى أهداه الى (المرأة الجديدة) ، فضلا عن أن الدور الذى قامت به المرأة المصرية فى حركتنا الوطنية ، كان عظيما ونافعا . فاستمررن اذن فى العمل الذى بدأتن فيه وانا ضامن لكن النجاح التام » (٢) .

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نذكر المجاهدة صفية زغلول (٣) زوجة الزعيم سعد زغلول ، فقد شاركت سعدا فى كفاحه الوطنى وكانت له نعم الزوجة المخلصة ، ونعم الصاحب المعين . وقد خلفت سعدا فى اذكاء روح الأمة وشحذ عزائمها بعد نفيه ، مما ارغم المستعمرين على السماح لهاأن

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٧ ، ٣٨
(٢) المصدر نفسه . مكان نفسه
(٣) ولدت سنة ١٨٧٨ وتوفيت سنة ١٩٤٦

نذهب حيث تشاء بعد أن كانوا يأبون عليها الذهاب الى سعد فى منفاه أبت أن تغادر أرض الوطن .

وقد قامت صفية زغلول بدور كبير فى نشر الوعى بين ابناء الشعب ، وبين النساء خاصة . وكان بيتها « بيت الأمة » معقلا من معاقل الوطنية وسميت « أم المصريين » لمواقفها الوطنية الرائعة بجانب زوجها الزعيم العظيم .

وهكذا ، وبفضل ما أتاحته ظروف البلاد السياسية ، ونشاطالحركة القومية فيها من فرص العمل الوطنى الجرىء ، استطاعت المراة ان تطلق امكاناتها وتثبت كفاءتها ونجاحها وكان من آثار ذلك ان زادت ثقتها بنفسها وادركت أنها لا تقل شأنا عن المراة الغربية فى النزول الى معترك النضال . كما كان من آثار ذلك أيضا أن المجتمع بدا يغير نظرته الرجعية نحوها ، ويعترف بأهمية جهودها وقدرتها فى تقدم البلاد ، مما شجع الدولة بعد أن نالت اولى مراحل استقلالها سنة ١٩٢٣ ، على أن توليها عنايتها ، وتحسن اعدادها للعمل ، وتتيح لها مزيدا من فرص التعليم المختلفة . وأخذ المعنون بشئون التعليم يتوسعون نسبيا فى نشر المدارس المخصصة لها فى المراحل الاولية ، والابتدائية والثانوية .

هذا وقد تبلورت الحركة النسائية فى أواخر الربع الأول من القرن العشرين ، فى تأسيس جمعية الاتحاد النسائى المصرى فى مارس ١٩٢٣ برئاسة السيدة هدى شعراوى التى نجحت فى جعل هذه الجمعية منذ نشأتها ، فرعا من الاتحاد النسائى الدولى . وقد انتخت هدى شعراوى وكيلة للاتحاد النسائى الدولى ، وظلت تشغل هذا المركز حيث كان يتجدد انتخابها له كل سنة ، الىأن توفيت (١) .

وكان أهم مطالب الاتحاد النسائى منذ نشأته مساواة المراة بالرجلفى الحقوق السياسية والمدنية لتستطيع ان تسهم بمواهبها الخاصة فى التشريع ، اصلاح الأحوال الاجتماعية والاخلاقية والاقتصادية وبخاصة ما كان منها متصلا بشئون المراة ، والطفل والأسرة . وعلى اثر تكوين الاتحاد النسائى أخذت تنضم اليه كثيرات من سيدات المجتمع المتطوعات للخدمة

---

(١) الاتحاد النسائى المصرى ، موجز سجل عن اعمال جمعية الاتحاد النسائى المصرى من سنة ١٩٢٣ — ١٩٦١ ، القاهرة ، ١٩٦١

الاجتماعية ، واعمال البر ، والمهتمات بقضية المراة وتحريرها ، مما دفع الحركة النسائية دفعة قوية نحو تحقيق أهدافها .

وقد تميزت أواخر هذه الفترة أى الربع الثانى من القرن العشرين ، بتطور كبير وان كان بطيئا فى بدايته ، فى الاتجاه التعليمى لصالح المراة ، وتقبل فكرة اعدادها اعدادا مناسبا يهيئها للخروج للعمل ، والإشتراك جنبا الى جنب مع الرجل فى بناء مستقبل الوطن . واخذت معالم هذا التطور نظهر بالتدريج فى التوسع فى نشر مدارس البنات الأولية ، والابتدائية ، والثانوية ، وكذلك فى انشاء المعاهد الفنية ومعاهد المعلمات المتوسطة والعالية . ولقد كانت نقطة التحول البارزة فى حركة تحرير المراة، وتغيير نظرة المجتمع اليها تغييرا جذريا ، قبول الفتيات لطلب العلم فى أول جامعة حكومية رسمية (جامعة القاهرة حاليا) ، ابتداء من سنة ١٩٢٨ ، حيث ، وكلية العلوم ٨ طالبات ، وفى سنة ١٩٢٩ قبلت كلية الآداب ٤ طالبات قبلت كلية الطب ٥ طالبات ، وتأتها كلية الحقوق فقبلت طالبة واحدة سنة ١٩٣٠ ، ثم كلية التجارة التى قبلت طالبة واحدة كذلك سنة ١٩٣١ (٢) ولم يكن مستغربا كثيرا وقتئذ أن تدخل الطالبات هذه الكليات ، وبخاصة كلية الآداب التى كانت تؤهلن لمهنة التعليم . لكن الذى كان يدعو نغرابة حقا ، هو دخول الطالبات كليتى الهندسة والزراعة سنة ١٩٤٥ ليخرجن مهندسات وزراعيات . هذا وقد حظيت الفتاة بنصيب من التعليم الجامعى اكبر عندما فتحت جامعة الاسكندرية فى سنة ١٩٤٢ .

الفترة الثانية : (١٩٤٦ — ١٩٥٥) الرعيل الأول من النساء المتطورات .

فى هذه الفترة التى بدأت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ،وامتدت حتى سنة ١٩٥٥ ، زاد التوسع فى الاتجاه التعليمى لصالح المرء ، وارسلت دفعات قليلة فى بعثات دراسية الى الخارج ، وعدن يحملن أرقى الشهادات فى تخصصات شتى فى نفس الوقت الذى اتيح فيه للدفعات القليلة الأولى من الفتيات الالتحاق بالجامعه .

واصبحت هؤلاء وهؤلاء ، من قادة الراى فى أماكن عملهن ، ...

---

(٢) انظر كريمة السعيد ، تعليم البنت فى الجمهورية العربية المتحدة ، المؤتمر الأول للجامعيات العربيات ، اتحاد الجامعيات اللبنانيات من ٥ — ٨ مارس سنة ١٩٦٤ بحث مكتوب بالرونيو .

اصبحن طلائع طيبة للمراة المتطورة . وقد كان لنجاح الرعيل الأول من الجامعيات اللائى تخرجن فى مصر ، والمبعوثات اللاتى اتممن دراستهن فى الخارج ، أكبر الأثر فى تشجيع الفتيات على الاقبال على التعليم العالى ، اقتداء بهن ، كما حفز هذا النجاح فى الوقت نفسه اهتمام المسئولين ، وشجعهم على السير بخطى أكثر سرعة ، فى مزيد من التوسع فى تعليم الفتاة في جميع المراحل ، واتاحة الفرصة لها لتخوض غمار الحياة الاجتماعية والعمل فى مختلف المجالات ، لا فى ميادين الآداب والفنون فحسب بل فى ميادين العلوم البحتة ، والعلوم التطبيقية على وجه الخصوص . واصبحت الفتاه أوفر حظا من التعليم الجامعى بانشاء جامعة عين شمس ١٩٥٠ .

ومما هو جدير بالذكر فى هذه الفترة ، ذلك الأثر القوى الذى نجم عن الحرب العالمية الثانية ، والذى ظهر واضحا فى زيادة انفتاح المجتمع المصرى ، الذى تركزت فيه قوات اجنبية كبيرة ، من بينها مجندات من النساء ، من جنسيات مختلفة لمساعدة المجدين فى شتى ميادين القتال ، بخاصة فى العلمين على مقربة من الاسكندرية وفى شمال افريقية . ولقد شجعت هذه الظروف غير العادية كثيرات من النساء على الاشتغال فى مجالات الخدمات الشخصية التى تزايدت زيادة هائلة فى فترة الرواج الكبير اثناء الحرب ، وفى السنوات القليلة التى تلتها . فبينما بلغ عدد المشتغلات فى الخدمات الشخصية فى التعداد العام للسكان لسنة ١٩٣٧ ٥٨٦٢٧ر أنثى ، بلغ عددهن فى التعداد العام للسكان لسنة ١٩٤٧ ، ٢٣٥ر٥٨٨ر٢ انثى أما فى المهن المختلفة الأخرى ، فبعد أن كان مجموع المشتغلات ٢٩٧ر٣٦ أنثى فى سنة ١٩٠٧ ، أصبح ١٦١٨٨٠ر أنثى فى سنة ١٩٤٧ أى انه زاد على المجموع الأصلى بمقدار ٣٤٥٪ .

الحقبة الثالثة : (١٩٥٦ — ١٩٧٥)

وتمتد هذه الحقبة من سنة ١٩٥٦ وهى سنة اعلان الدستور الجديد، بعد قيام ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ ، حتى سنة ١٩٧٥ ، التى وقع عليها الاختيار لتكون « عام المراة العالمى » . وقد قسمنا هذه الحقبة الى ثلاث فترات اساسية .

الفترة الأولى : (١٩٥٦ — ١٩٦٥) طلائع القيادات الشعبية من النساء وظهور أول قيادة رسمية :

تحقيقا لمبدأ اقامة عدالة اجتماعية بين الجنسين ، وهو احد المبادئ

الستة فى دليل عمل الثورة المصرية ١٩٥٢ ، نص فى الدستور الجديد ، الذى أعلن فى مصر فى ٢٣ يوليو ١٩٥٦ ، على منح المرأة حقوقا سياسية أسوة بالرجل (١) ، وبذلك استطاعت المرأة ان تدلى بصوتها فى الاستفتاءات على رئاسة الجمهورية وعلى الدستور ، وفى الانتخابات العامة لمجلس الأمة ، وكذلك انتخابات الاتحاد الإشتراكى ، صار لها الحق فى ترشيح نفسها لمجلس الأمة ، وفى مجالس ولجان أخرى شعبية .

هذا وقد فازت فى انتخابات مجلس الأمة لأول مرة فى عام ١٩٥٥ سيدتان (٢) هما راوية عطية وأمينة شكرى ثم بعد ذلك زاد عدد النساء الأعضاء فى مجلس الأمة ، فى الانتخابات التالية سنة ١٩٦٤ ، وفازت ثمانى سيدات دفعة واحدة بالعضوية وهن نوال عامر ، والفت كامل ، مفيدة عبد الرحمن ، وزهرة رجب ، وكريمة العروسى ، وعائشة محمد حسين وفاطمة دياب (فلاحة) ، وبثينة الطويل . وكان لهن الفضل فى الدفاع عن قضية المرأة ورعايتها ، وتوجيهها الوجهة الصحيحة . وبخاصة فيما يتعلق بتعديل قانون الآحوال الشخصية .

كما أولت الثورة أيضا ، وتحقيقا للمبدأ نفسه وهو اقامة عدالة اجتماعية ، تعليم الفتاة واعدادها للعمل ، عناية فاقت كل ماكان قد بذل فى السنوات العديدة السابقة على قيامها . وان مبادرة الثورة بتعميم مجانية التعليم فى المرحلتين الأعدادية والثانوية قد أتاح فرصة التعليم لآلاف الفتيات اللاتى كانت ظروف أسرهن الاقتصادية لا تسمح لهن بمواصلة التعليم .

وقد نجم عن ذلك اقبال شديد على مواصلة تعليم الفتيات ، بعد اتمام المرحلة الابتدائية ، وهى مرحلة التعليم الالزامى ، ولقد ظهرت نتائج

---

(١) انظر « دستور الجمهورية المصرية الصادر فى ٢٣ يونيو ١٩٥٦ « الموسوعة العربية للدساتير العالمية ، مجلس الأمة ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، المادتان ٣١و٦١

(٢) نود أن نلفت النظر الى أن النيابة الشعبية الأولى للمرأة فى مصر المعاصرة بدأت فى المدينتين الأوليين والكبريين فى مصر وهما القاهرة والاسكندرية . وانه كما سنرى فيما بعد لايزال تركيز النيابة الشعبية للمرأة فى هاتين المدينتين بعينهما .

هذا الاجراء فى احصـــــاء المتعلمات فى التعداد العام للسكان ١٩٦٠ . وتبين منه أن عدد المتعلمات فى ازدياد مطرد بشكل ملحوظ ، وبخاصة أولئك الحاصلات على شهادات ، والتى تراوحت الزيـــادة العشر سنوية فى مجموعهن ما بين ١٥٠٪ و ٣٦٢٪ ما بين سنة ١٩٢٧ ، وسنة ١٩٦٠

ثم اعلنت الدولة مجانية التعليم فى الجامعات قبيل بـــداية العـــام الجامعى فى خريف ١٩٦٢ ، وكان لهذا الاجراء اثر فعال فى اشتداد اقبال الشباب من الجنسين على التعليم الجامعى ، كما نتج عنه تزايد نسبة اعداد المتخرجات ، سواء من الجامعات أو المعاهد العليا تزايدا كبيرا عن السنوات السابقة على هذا الاجراء .

اما التوسع فى توظيف المراة ، والذى ترتب عليه خروجها للعمـــل بشكل لافت عما كان لديه من قبل ، قد بدأ مع حركة التمصير فى الميـــدان الاقتصادى بخاصة ، والميادين الأخرى بعامة ، وذلك فى سنة ١٩٥٧ . كما عمل على توسيع مجال توظف المراة ايضا البدء فى تنفيذ خطة السنوات الخمس الأولى التى وضعتها وزارة الصناعة سنة ١٩٥٧ . اما التوسع الكبير اللافت فى توظيفها ، فقد جاء على اثر اعـــلان قـــرارات يوليـــو الإشتراكية سنة ١٩٦١ ولقد شجع الرواج الاقتصادى والتنمية السريعة اللذان حدثا بعد ذلك ، اولى الأمر على الالتزام سنويا ابتداء من صيف ١٩٦٤ ، بتعيين كل المتخرجين من الجامعات والمعاهد العليا ، فى الوظائف الكثيرة الجديدة التى أوجدها تنفيذ الخطة الخمسية الشـــاملة الأولى فى سنة ١٩٦٠.

وفى الستينات من هذا القرن بدأ نجم المراة المصريـــة الجـــديدة فى التألق وظهرت قيادات نسائية فى كثير من الميـــادين المتخصصـــة . ففى الادب نذكر على سبيل المثال د. بنت الشاطىء ، ود. سهير القلماوى ، د. لطيفة الزيات ، وفى التعليم ظهرت كريمة السعيد ، وفى الصـــحافة امينة السعيد ، وانجى افلاطون ، وسكينة السادات ، وفى الموسيقى رتيبة الحفنى ، وفى المسرح سميحة ايوب وسناء جميل ، وفى الســـينما كانت هناك اسماء لامعة مثل فاتن حمامة ، وفى مجال الغناء ســـطع شـــمس السيدة ام كلثوم سفيرة للفن العربى فقامت بدور قيادى فى الفن والسياسة معـــا .

وكان اختيار سيدة لمنصب وزيرة لأول مرة فى سبتمبر سـنة ١٩٦٢ حدثا بارزا فى تاريخ النهضة النسائية فى مصر ، ودليلا أكيدا على اعتراف الثورة بكفاءة المرأة ، والدعم الكامل لمركزها ومكانتها فى المجتمع . وكان لاختيارها من صفوف سلك هيئة التدريس ــ الهيئة العلمية العليا فى مصر ــ بالجامعة مغزى كبير . وكان أهم ما قامت به الدكتورة حكمت أبو زيـد التى كانت أول سيدة فى تاريخ مصر، تتقلد امور وزارة الشئون الاجتماعية تنظيم مؤتمرين هامين أولهما خاص بشئون المرأة العاملة وعقد فى نوفمبر سنة ١٩٦٣ ، وثانيهما مؤتمر الأسرة الذى عقد فى ديسمبر ١٩٦٤

وقد جعلت السيدة الوزيرة ، التى كانت تخرج للعمل الأكاديمى ، شئون المرأة العاملة ومشكلاتها ، وبخاصة حاجتها الى دور حضانة ترعى أطفالها ــ على رأس قائمة مشروعاتها للاسهام فى التنمية الاجتماعيـة السريعة .

الفترة الثانية : (١٩٦٦ ــ ١٩٧٠) الركود والنكسة والاكتئاب الاجتماعى والسياسى .

تميزت هذه الفترة بأنها كانت فترة تقشـف اقتصـادى ، أعقبهـا النكسة العسكرية سنة ١٩٦٧ ، التى تلتها فترة من الاكتئاب الاجتمـاعى والسياسى ، وانعكس كل ذلك على نشاط المرأة المصرية الحـديثة فبـدا راكدا فاترا غير فعال .

الفترة الثالثة : (١٩٧١ ــ ١٩٧٥) التصحيح والصـحوة والفعـالية على المستوى الشعبى والرسمى .

فى هذه الفترة الثالثة ، التى تبدأ بعام ١٩٧١ ، الذى اشـتهر بأنه عام التصحيح السياسى والاجتماعى اعيد انتخاب اعضاء مجلس الشعب وفاز فى هذا الانتخاب مفيدة عبد الرحمن ، والفت كامل ، وفايدة كامل ، وكريمة العروسى وزهرة رجب ورزقة البلشى ، وفاطمة عنـان ، ونوال عامر التى فازت فى الانتخابات التكميلية ، ثم الدكتورة ليلى تكلا التى فازت بالتعيين .. وواكب فترة الصحوة هذه وعى دافق بقيمة المرأة وكيانها ، كما بدا فى تلك الانتخابات ، التى ظهرت فيها المرأة بشكل واضح .

كما ظهر فيها احترام الشعب للمرأة الفنانة المتعلمة فى شـخص السيدة فايدة كامل ، واختياره لها نائبة عنه فى مجلس الشعب ، وهو دليل مجسم على بداية الاحترام الشعبى للمرأة وذاتها ولذاتها .

وظهرت في هذه الفترة ايضا القيادة النسائية الرسمية المرة الثانية ممثلة في اختيار الدكتورة عائشة راتب وزيرة للشئون الاجتماعية، وهي ايضا قد اختيرت من سلك هيئة التدريس بالجامعة تصحيحا لمسار النهضة الحديثة للمراة المصرية العاملة باعادة الثقة فيها واختبارها لمنصب الوزيرة في ١٧ يناير ١٩٧٢ . وبذلك كانت الدكتورة عائشة راتب ثاني وزيرة في تاريخ الحركة النسائية في مصر الحديثة .

وقد اهتمت الدكتورة عائشة راتب ، بتعديل قانون الأحوال الشخصية ، وذلك باعداد مشروع قانون لازال في مرحلة التجهيز قبل عرضه على مجلس الشعب . كما نفذت مشروعا آخر للاستفادة من جهود الشباب من الجنسين في الخدمة العامة ، كان محوره الأصلي تكليف الشابات من خريجات الجامعات والمعاهد العليا بهذه الخدمة .

ولأول مرة تظهر سيدة مصر الأولى ، وهي السيدة جيهان السادات حرم السيد رئيس الجمهورية ، كقيادة شعبية ، لتعبر عن المراة في شتى ادوارها كأم ، واخت وزوجة وزميلة ولتعمل في جهات متعددة ، ويتأكد ظهورها في سنة العبور ١٩٧٣ ، فنراها تشجع الضباط والجنود في القوات المسلحة وتشد من أزرهم ، كما نراها في ميادين الخدمات أيضا وبخاصة في المستشفيات تواسي جرحى الحرب وتشجعهم ، وتتصل بأسرهم تمدهم بشتى الوان العون المادي والمعنوي . ثم يمتد نشاطها بعد سنة العبور الى الاهتمام بالنشىء والشباب وميادين الخدمة الاجتماعية المختلفة ولا يفوتنا أن نذكر في هذا المقام دعوتها لعقد كثير من المؤتمرات التي تبحث قضايا المراة ، كان من أهمها المؤتمر البرلماني النسائي الأول لدول افريقيا والدول العربية ، الذى عقد في القاهرة في مايو ١٩٧٤ ، واشترك في هذا المؤتمر ٣٥ دولة عربية وأفريقية .

وكان مما ذكرته السيدة جيهان السادات في كلمة الافتتاح ، « أن المراة يمكن أن تسهم بدور كبير في رفع العالم العربي الافريقي الى موقعه اللائق بعد أن أصبحنا قوة عالمية مؤثرة » . وهكذا أصبحت جيهان السادات الرمز البارز للنهضة النسائية في مصر في العصر الحاضر .

التحليل الاجتماعي لدور المراة في المجتمع المصري الحديث :

يهمنا ونحن نتتبع دور المراة المصرية في المجتمع المصري الحديث ، أن نضع في اعتبارنا ذلك التداخل الكبير بين الثقافة الريفية التقليدية ، وبين الثقافة الحضرية الحديثة مع ما بين الثقافتين من اختلاف واضح يصل احيانا الى درجة التناقض . وتأسيسا على ذلك فأن الدور الذى ترسمه الثقافة المصرية الحديثة للمراة المصرية دور خاط المعالم أو لنقل انه جماع ادوار يصعب التوفيق بينها ، والدليل على

ذلك ان المـــرأة المتعلمة التى تخرج للعمل اصـــبحت تقوم بعدة ادوار فى المجتمع . فهى تؤدى دورهـــا الجديد فى الاســـــهام فى اى ميدان من ميادين الانتاج أو الخدمات خارج بيتها ، مدفوعة الى ذلك بالقيم الاجتماعية الجديدة التى تقدر تعليم الفتاة بالتالى واشتغالها ، وبرغبـــة الشـــباب أنفسهم فى شريكة حياة متعلمة ذات دخل (١) وبالفلسفة الاشتراكية التى تبنتها الدولة والتى تجعل اسهام المرأة المصرية فى عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية السريعة لتحقيق مجتمع الرفاهية ضرورة اجتماعية ، ورغبة الفتاة نفسها فى أن تعيش فى مستوى اجتماعى واقتصـــادى كريم بعجز الزوج الشاب عن توفيره لها بأمكاناته المادية المحدودة . وهى تؤدى فضلا عن ذلك ادوارها التقليدية فى الأسرة كزوجة ، وأم ومدبرة بيت . وبخاصة ان الشباب المصرى رغم تعلمه لا يزال يفضل أن تكون شريكة حياته ماهرة فى أعمال المنزل (٢) .

واصبحت المرأة العاملة متزوجة كانت ام غير متزوجة ، منجبة كانت ام غير منجبة تحمل عبئا آخـــر ذلك العبء منحصر فى الاهتمـــام بالدور الثانى ، اى العمل خارج البيت والنظر اليه نظرة جد واهتمام رســـــمى بحت ، ويطالبها بالتزامات محددة لا يمكن التهاون فيهـــا ، حتى لا ترتبك العمل الذى صار فى تنظيمه الحديث يرتبط بعضه ببعض اشد الارتباط ، ويتوقف بعضه على بعض بشكل دقيق .

وتجازى المرأة التى تقصر فى اداء دورها فى عملها بانقاص علاواتها ، أو تأخيرها أو حرمانها منها ، او تفويت دورها فى الترقية . وهذه جزاءات تكرهها العاملة تماما كما يكرهها الرجل (٣) ولذلك احيانا ما نجد الكثيرات ينظرن الى دورهن الثانى وهو العمل خارج البيت بنظرة أعلى من نظرتهن الى دورهن الأول والأساسى ، وهو رعاية شئونهن وشـــئون باقى افراد الاسرة ، وتدبير البيت ، وربما كان ذلك لان دور المرأة فى بيتها دور غير رسمى ، ولا تطالب فيه بالتزامات محددة ، لأن التنظيم الاجتماعى داخل البيت ، يعكس التنظيم الاجتماعى فى محل العمل ، غير رسمى ، وتسوده علاقات حميمة ويغلب فيه التســـامح ، ويمكن تلافى اى نوع من التقصير من جانب الزوجة عن طريق الخدمة المنزلية ، أو بواسطة الزوج اذا كان متعاونا ، والاطفال ان كانوا فى سن تمكنهم من المساعدة ، أو عن طريق

(١) انظر سامية الســـاعاتى ، الاختيـــار للزواج والتغير الاجتمـــاعى ، ص ٣٢٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣١٢

(٣) انظر حسن الساعاتى ، المصدر السابق ، ص ١٨٤

الهيئات الكثيرة الموجودة فى المجتمع . وللمرأة العاملة دور نحو نفسها كمشتغلة تخرج كل يوم للعمل ، ولا بد أن تبدو فى مظهر لائق يكسبها احترام من تتعامل معهم فى عملها ، وحب زوجها وتقديره الذى يتعامل بدوره مع مشتغلات مهتمات بأنفسهن . ولذلك اصبحت المراة العاملة تعتمد اعتمادا كليا على خدمات التجميل والخياطات لمعاونتها فى أداء دورها نحو نفسها ، ويستنفذ ذلك من ميزانية الاسرة نسبة لا يستهان بها .

ولئن كان العمل قد جعل المراة المصرية الحديثة تشعر بالرضا النفسى ، وربما يمكن أن نسميه الاعتداد الاقتصادى بالذات ، الا أنها تشعر بارهاق شديد لكثرة ما تتحمله من اعباء ومسئوليات داخل البيت وخارجه .

ورغم أن كل شاب وفتاة قد اصبحا يفضلان الاستقلال فى معيشتهما الزوجية فى مسكن خاص بهما ، حتى لا يتدخل فى شئونهما احد من الاقارب ، فانهما سرعان ما يحتاجان الى من يعاونهما فى رعاية ما ينجبان من اطفال . واقامة قريبة معهما ، سواء اكانت من ناحية الزوجة أو من ناحية الزوج ، أمر مرهق للأعصاب من جرء ما يحدثه التعامل المستمر من احتكاك يؤدى الى مشكلات متنوعة تنعكس على الزوجين ، ومما يزيد هذا الاحتكاك حدة أن قيم ثقافتنا تنمى فى النفوس ميلا الى التدخل فى شئون الآخرين ، فضلا عن اختلاف وجهتى النظر فى تربية الأطفال بين الجيلين . جيل الزوجين ، وجيل القريبة . وعلى اية حال فان مساعدة القريبات ليست متوافرة فى كل اسرة .

اما اعتماد الأم التى تخرج للعمل على الخادمات ، فمشكلة أخرى بذاتها ، فجذب العمالة فى المصانع قد قلل المعروض فى السوق للخدمة المنزلية ، كما أن كثيرات من الأمهات المتعلمات اللاتى يخرجن للعمل لا يثقن بطريقة الخادمات فى رعاية الأطفال ، ولا يأمن لهن فى القيام بهذه المهمة الدقيقة ، التى تقدرها المراة المتعلمة ، وتعرف مبلغ تأثيرها فى شخصية الطفل ، وبخاصة فى طفولته المبكرة ، هذا فضلا عن مشكلات الخدم التقليدية المعروفة التى تجعل بعض النساء يستغنين عن خدماتهن البتة (١) .

---

(١) تنوى الكاتبة أن تخصص بحثا مستقلا عن هذه المشكلة الهامة ، وتقترح ابتداء أن تنشىء الدولة مدرسة متخصصة لتخريج أمينات (شغالات) من الفتيات اللاتى يعددن اعدادا خاصا ، وتنظيم تشغيلهن بواسطة الدولة عن طريق مكاتب للتشغيل فى وزارة العمل .

أما عن افادة المراة المصرية الحديثة من التكنولوجيا المتقدمة ، في تدبير شئون بيتها كاستعمال مواقد البوتاجاز ، والغسالات الكهربائية ، والسخانات ، والمكانس الكهربائية وأدوات الطهو العاجل التى تجعل الحياة جد ميسرة ، فان ذلك في نطاق ضيق ، وفى بعض الأدوات دون البعض الآخر . وقد وجد من بحث مشكلات المراة العاملة ، الذى قدم في مؤتمر شئون المراة العاملة ، في نوفمبر ١٩٦٢ ، أن الغالبية العظمى من عينة البحث لاتعتمد على هذه الأجهزة والأدوات ، كما اتضح من البحث أيضا ، انه كلما زاد الأجر الشهرى للمراة العاملة زاد استعمالها اياها. وقد ظهر أن موقد البوتاجاز هو اكثر الأجهزة استخداما اذ وجد أن اللاتي يستخدمنه ٩١٪ من مجموع اللاتى يستخدمن الأدوات والأجهزة الحديثة.

وربما يرجع ذلك الى ان الدولة لاتزال تعد هذه الأجهزة من الكماليات ، ولذلك فانها تفرض عليها رسوما جمركية عالية ، هذا بالاضافة الى أن المراة المصرية الحديثة مازالت تعانى من نقص امكانيات الطهو السريع التى تمكنها من اعداد وجبات مغذية وشهية فى دقائق ، مثل التى تتوافر لزميلتها فى المجتمع الغربى الحديث ، مما يوفر على المراة العاملة كثيرا من الوقت والجهد .

الظواهر الاجتماعية المصاحبة لدور المراة فى المجتمع المصرى الحديث :

١ — الاغتراب :

والاغتراب ببساطة هو أن يفقد الانسان ذاته ، أى ان يصبح غريبا عنها (١) .

والمراة فى المجتمع المصرى الحديث تعانى اغترابا شديدا ، فهى تنتقل اليوم من عهد التبعية الضعيفة المسحوقة المقهورة الى عهد التبعية المبدعة القوية . وهى فى حيرة وأزمة ازاء خلط الادوار الذى وضعت فيه ، فمطلوب منها ان تستخدم أسلحة التحرير والقوة نفسها التى يستخدمها الرجل ، فتتعلم ، وتعمل ، وتستقل وتحمى نفسها ، أى ان المراة فى المجتمع المصرى الحديث قد أصبح لها ثلاث مراحل من النضج الحسى ، والنضج التعليمى ، ثم النضج الاقتصادى ، وهذا جعلها تتشابه مع الشباب ومع ذلك ، فالمتوقع منها هو التبعية لزوجها وطاعته ، والرضوخ لرغباته .

(١) انتهى ماركس الى هذا المعنى للاغتراب فى كتابه مخطوطات اقتصادية وفلسفية عام ١٨٤٤ ، حين كان بصدد الفحص النقدى لوضع العامل فى المجتمع الراسمالى . (الكاتبة) .

ان المرأة المصرية الحديثة ، تقع في حيرة شديدة واغتراب اشد لانها تجد نفسها مطالبة بالشيء وعكسه ، مطلوب منها ان تتعلم وتكسب وتستقل ، ولكن اذا ابدت اية ممارسة حقيقية لهذا الاستقلال فانها تعاقب أشد عقوبة . (٢)

انها تتعلم وتقضي سنوات وسنوات في التحصيل ، لانها مطالبة بذلك ، ولكنها في الوقت نفسه تقيم كزميلتها من حيث تفضيل كونها صغيرة السن ، فرغم علمها وتفوقها وعملها ، الا انها تتزوج أحيانا بلا ارادة ولا اختيار قبل ان يفوتها القطار ، وتصبح « بايرة » ، لانها تتلق على نفسها قلق المرأة الريفية التي لم تتعلم . انها تعمل مثل الرجل تماما ولكنها مازالت تقيم من حيث هي جسد ناقص ، او عاجز او فاتن (١)

انها ليست واثقة نتيجة لذلك — مما تريده فعلا ، فهي من ناحية تريد الحصول على تعليم عال ، ووظيفة متخصصة بعد الجامعة ، ومن ناحية أخرى ، فهي تريد الزوج وتكوين الأسرة في مقتبل عمرها . وهي حين تتلقى قدرا عاليا من التعليم ، مساويا للقدر الذي تلقاه زوجها فانها تملك عناصر من القوة تتلخص في :

١ — الدرجة العلمية

٢ — الوظيفة

٣ — المرتب الشهري

وهذه العناصر الثلاثة الهامة اخذت في تضييق هوة القوة التي بينها وبين زوجها ، فهي لاتملك حينئذ الا انظر اليه كرفيق وصاحب وصديق ، اكثر من كونه سيدا ورئيسا ، لكن ذلك يمثل تحديدا للمعايير التقليدية المختلطة الى حد كبير بالمعايير الحديثة في الثقافة السائدة في المدينة التي لاتزال فيها عناصر ريفية كثيرة .

٢ — صراع الادوار :

يطلق هذا الاصطلاح ليعني تلك الصراعات التي يدركها الأفراد المتعرضون لها ، كما انه يعني ذلك الموقف الذي يدرك فيه شاغل مركز

(٢) انظر محمد شعلان ، المراة والثورة ، الطليعة ، السنة الحادية عشرة عدد ٢٤ ، ١٩٧٥ ، ص ١٨٤

(١) انظر فرج احمد فرج ، المراة والرجل والمجتمع ، المصدر نفسه ، ص ١٨٨ .

معين ، أو لاعب دور بعينه انه مواجـــه بتوقعـات متبـاينة . ويـرى « شيتجل » أن هذا الاصطلاح يشير الى ذلك الموقف الذي تقع فيه الأنا في اختيار صعب أو مستحيل بين دورين مختلفين .

كل هذه التعريفات لصراع الأدوار تنطبق على المـرأة المصرية في المجتمع الحديث . فهي تدرك أنها في صراع ، كما انها مواجهة بتوقعات متباينة من زوجها ، ومن رؤسائها في العمل ، كما أنها تقع في اختيـار صعب بين دورها كامرأة ، وزوجة وعاملة .

والأدوار ما هي الا نتاج لتفاعل اجتماعي سابق ، لكنها توجه التفاعل الحالي ، وفي المجتمع التقليدى ، حيث التغير الاجتماعي في أدنى حدوده كان الجيل الأصغر يتقبل توقعات الجيل الأكبر دون مناقشـة . أما في المجتمع الحديث ، فان كثيرا من النـاس غير قادرين على العيش وفق متطلبات أدوارهم ، فقد تغيرت مواقف الحياة بشكل يجعـل كثيرا من انماط الدور غير ملائمة .

ولقد كانت واجبات وحقوق المرأة في المجتمع التقليـدى واضـحة التحديد في المـاضى ، اما اليوم فقد اعتراها كثير من الخلط ، مما جعل الكثير من النساء في مصر اليوم غير متأكدات من أدوارهن الفعلية .

ان المرأة المصرية الحديثة هي التي نراجه ذلك القـدر الكبير من الخلط والفوضى فيما يتعلق بدورها ، وذلك يعود ، ببساطة الى ان دورها هو الذى تغير تغيرا جذريا اذا ما قورن بدور الرجل . فلم يعد للمـرأة المصرية الحديثة كزوجة وأم ذلك الاستمرار المحدد في الدور ، فبالاضافة الى أدوارها التقليدية ، أصبح يتوقع منها أن تكون ، صديقة لزوجها ، وخليلة ومستشارة ، ومربية اطفال .

لذلك فان المرأة المصرية الحديثة تواجه صراعا في الأدوار يمكن ارجاعه الى ما يأتي :

(أ) تعدد الأدوار : فأمام الكثير من الأدوار المتـاحة للمـرأة ، واكثرها ادوار متعارضة ، تجد المرأة نفسـها عاجـزة عن اختيار دور واحد فقط واتبـاعه . ففى المجتمـع المصرى التقليدى كانت هناك ادوار انثوية قليلة نسبيا ، ومتفق عليها . أما اليوم فان تعدد ادوار المرأة المصرية كرفيقـة ، وشريكة ، وكاسبة ، وأم ، تؤدى الى زيادة مشكلة التكيف لديها .

(ب) الخلط فى تعريف الأدوار : ذلك أن التعريفات الجديدة لدور المرأة ، وبخاصة كزوجة وأم ، تتطلب تكيفا مصاحبا من الرجل ، وبخاصة الزوج والأب . وقد تشكل هذه التعريفات تهديدا لأنا الرجل ، وخصوصا أن أنماط الدور التى بقيت قرونا طوالا ، كانت مبينة على قوة الذكر القانونية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، ولما أصبحت المرأة تمارس قوة أكبر من تلك التى كانت لها من قبل (١) ، أضحى الكثير من النساء والرجال يجدون مشقة فى تقبل الأدوار الجديدة.

وترى الكاتبة أن ازالة الاغتراب ، وحز صراع الأدوار ، انما يتحقق اذا ما توافرت الاعتبارات الآتية :

١ ـ وضع حدود واضحة لأدوار كل من الجنسين ، أى المرأة والرجل ، حدود تعرف المرأة فيها قيمة أدوارها وأن من هذه الأدوار ما يكون فوق قدرة الرجل . وعلى الرجل أيضا أن يعرف فيها أهمية أدواره ومسئولياتها .

٢ ـ غرس أيديولوجية جديدة فى النظر الى كل من الرجل والمرأة ، وتنشئة كل من الولد والبنت تنشئة متساوية فى القيم والوعى ، وتعريفهما بأن تحرير المرأة ما هو الا الوجه الآخر من تحرير الرجل ، فبقدر ما تتحرر المرأة من عبوديتها للرجل بقدر ما يتحرر الانسان فى كليهما ، فتحرير المرأة انما هو تحرير الانسان من أجل الانسان .

٣ ـ تضييق هوة القوة بين الرجل والمرأة ، فى اطار من التسامح والحنان ، بمعنى ألا تكون علاقات الدور بين الرجل والمرأة علاقة السيد بالمسود ، ولا المسيطر بالمسيطر عليه ، وانما تتكامل الأدوار بينهما ، ليلعب كل منهما دوره المحدد والمكمل للآخر فى الحياة .

---

(١) يتجلى ذلك فى الأسرة الحضرية فى حدوث نوع من الاتفاق الودى ، والالتقاء فى منتصف الطريق فيكون اتخاذ قرار نهائى . هو نتاج قرار الزوجين معا فى أغلب الأحيان .

انظر سامية الساعاتى ، الدور الوظيفى للزوجين فى الأسرة المصرية ، دراسة ميدانية فى الريف والحضر ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٢ ص ٢٧٩.

ويتسجم مع هذا الخط الفكرى ذلك الـــراى الذى اخـــذ يتردد فى المجتمع المصرى الحديث بأن الرجل والمراة وجهـــان لشىء واحـــد ، فقدر المراة الوجه الآخر لقدر الرجل كما ان قدر الرجل هو الوجه الآخر لقدر المراة ، وان قضية تحرير المراة تتضمن تحول القضية من أن المراة جسد فحسب الى الطور الذى تصبح فيه « المراة انسان له جسد » والمراة لا تصبح كذلك ، ولا يكتسب جسدها بعده الانسانى العميق الا بقدر ما يحقق المجتمع تطورا انسانيا عميقا ، وبقدر ما يصبح الرجل انسانا كذلك . وحركة تحرير المراة وجه من وجوه تحرير الانسان ، تحرير فكره كما في الحركات الديمقراطية ، وتحرير عمله كما فى الحركت العمالية والاشتراكية ، وتحرير جسده كما فى الحركات النسائية (1) .

٤ — ان المراة والرجل ما هما الا وجها الارادة الانسانية ، وكمـــا قيل ان وراء كل عظيم امراة ، فكذلك يصدق القول أن وراء كل عظيمة رجلا ، يشد ازرها ، ويعينها على الكفاح ، فاينما كان هنـــاك ســـعى وكفاح ، وابداع ، فلا بد من تعاون بين المراة والرجل .

---

(1) فرج احمد فرج ، المصدر السابق ، ص ١٨٨ .

المراجع

مراجع عامة :

١ — الاتحاد النسائى المصرى ، موجز سجل عن اعمال جمعيه الاتحاد النسائى المصرى من سنة ١٩٢٣ — ١٩٦١ ، القاهرة ، ١٩٦١ .

٢ — مجلس الأمة ، دستور الجمهورية المصرية الصادر فى ٢٣ يونيو ١٩٥٦ « الموسوعة العربية للدساتير العالمية » ، القاهرة ، ١٩٦٦

كتب ودوريات :

(٣) حسن الساعاتى ، **علم الاجتماع الصناعى** ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧١ .

(٤) رفاعة رافع الطهطاوى ، **تخليص الابريز فى تلخيص باريز** ، طبعة وزارة الارشاد ، ١٩٥٨ .

(٥) سامية الساعاتى ، **الاختيار للزواج والتغير الاجتماعى** ، دار انجاح ، بيروت ، ١٩٧٣ .

(٦) سامية الساعاتى ، **الدور الوظيفى للزوجين فى الأسرة المصرية**، دراسة ميدانية فى الريف والحضر ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٢

(٧) صبحى تادرس فريصة ومحمد على الليثى ، **مقدمة فى الاقتصاد**، دار الجامعات المصرية ، الاسكندرية ، ١٩٦٩ .

(٨) عبد الرحمن الرافعى ، **تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر** ، عصر محمد على ، الجزء الثالث، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة ، ١٩٥١.

(٩) فرج أحمد فرج ، المرأة والرجل والمجتمع ، **مجلة الطليعة** ، السنة الحادية عشرة عدد ٢٤ ، ١٩٧٥ .

(١٠) فوزية دياب ، **القيم والعادات الاجتماعية مع بحث ميدانى** لبعض العادات الاجتماعية فى الجمهورية العربية المتحده ، دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

(١١) قاسم أمين ، تحرير المرأة ، مكتبة الرقى ، القاهرة ، ١٨٩٩ .

(١٢) قاسم ، **المرأة الجديدة** ، مطبعة الشعب ، القاهرة ، ١٩١١ .

(١٣) كريمة السعيد ، تعليم البنت في الجمهورية العربية المتحدة ، المؤتمر الأول للجامعيات العربيات ، اتحـــــاد الجامعيات اللبنانيات من ٥ - ٨ مارس سنة ١٩٦٤ .

(١٤) محمد شعلان ، المرأة والثورة ، **مجلة الطليعة** ، السنة الحادية عشرة ، عدد ٢٤ — ١٩٧٥

(١٥) محمد على حافظ وزينب محرز ، **تعليم الفتاة فى الجمهورية العربية المتحدة** ، وزارة التربية والتعليم ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

(١٦) مجد الدين حفنى ناصف ، **تحرير المرأة فى الاسلام** ، مطبعة أبى الهول ، القاهرة ١٩٢٤ .

Gross, N, Mc Eachsın, A, W., Mason, W.S.' Explorations in' Role Analysis., Studies of the School Superintendency Role Wiley, New york, 1957,

الوضع الاجتماعي للمرأة القروية المصرية

تحليل تاريخي ومعاصر

دكتور عبد الباسط محمد عبد المعطي *

مقـدمة :

يكاد سكان المجتمع القروى يشكلون ما يقرب من ٦٠ ٪ من سكان المجتمع المصرى ، كمـا تمثل النســاء حوالى ٥٠٪ من هــذه النســبة . وهذا يعنى ان جماهير القرية المصرية هم القطاع الاكبر من المجتمع ، وأن المراة القروية تمثل ثلث المجتمع . واذا كان لهذه النسب دلالات ، فمن بينها ما يلزم أى استراتيجية لتنمية مجتمعنا ، أن نضع فى أولويات هذه التنمية ، ضرورة البدء بالقرية المصرية . لا لان القرية هى الكم السكانى الاكبر فحسب ولكن أيضا للتناقضات الحادة بين القرية والمدينــة ، وللتخلف التــاريخى والمعاصر ، الذى عاش ، وما يزال يعيش فيه الانسان القروى ، واقعا ، ووعيا ، وسلوكا . وتزداد اهمية القرية اذا ما تم ادراك أن التنمية الزراعية القوية والحقيقية — وموضعها القرية — تعد أساسا للتنمية الاجتماعيــة الشاملة ، وضمانا لدعم واستمرار التنمية الاقتصادية عامة ، والصناعية على وجه التحديد .

من هذا المنطلق كان تحديد المجال المكانى لهذا المقال بالقرية المصرية . واما التركيز على المراة القروية ، فلا يأتى فقط من أنها نصف المجتمع القروى تقريبا ، وأن اغفالها يفضى الى عقبات فى طريق التنمية ، وانما يأتى أيضا من أن معظم من اهتموا بالمسألة النسائية فى مصر ، اما أنهم تناولوها تناولا عاما ، الامر الذى يعنى اغفال الفروق النوعية بين قطاعات النساء ، خاصة الفروق الحادة بين نساء القرية ونساء المدينة ، واما أنهم ركزوا على المراة الحضرية ، ومشكلاتها ، وحقوقهــا ، وهذا يعنى تأكيدا لتجــاهل القرية وسكانها ، والاهتمام بالمدينة وسكانها ، اذا ما قورن الجهد المبذول فيهمــا بذلك الجهد الموجه نحو القرية . ويضاف الى هذا وذاك اهتمام عدد غير قليل من الدراسات الخاصة بالمراة ، بالجوانب الكمية والاحصائية ، دون ابراز للطابع الكيفى لقضايا المراة ، فضلا عن عزل هذه البيانات الرقمية عن الظروف التاريخية والابعاد البنائية للمجتمع .

---

* مدرس علم الاجتماع بكلية البنات جامعة عين شمس .

فى ضوء ما سبق ركزنا هدف مقالنا هذا فى محاولة القاء بعض الضوء على الوضع الاجتماعى للمراة القروية ، من خلال ابراز مؤشرات هذا الوضع فى علاقتها بالظروف البنائية للمجتمع فى فترة تاريخية معينة . وهذا بقصد التمهيد لتفسير هذا الوضع ، وربما بالتالى الاسهام فى تغييره وتنميته .

ولتحقيق هذا الهدف وجد أنه من الضرورى — علميا — أن يشتمل المقال على النقاط أو الابعاد التالية :

اولا : الاطار الموجه للمقال .

ثانيا : ارتباط الوضع الاجتماعى للمراة المصرية بالظروف البنائية .
ثالثا : مؤشرات الوضع الاجتماعى الحديث والمعاصر للمراة القروية .
رابعا : المحددات البنائية للوضع الاجتماعى للمراة القروية .

اولا : الاطار الموجه :

حاولت بعض الدراسات التى ارادت تفسير الوضع الاجتماعى للمراة فى مجتمع من المجتمعات ، أن تبعد عن الاطار البنائى للمجتمع وعن اعتبار وضع المراة نتاجا ، وانعكاسا لهذا البناء وحالة مكوناته . ولذلك لم تجد ما يسعفها سوى التبريرات — وليس التفسيرات — الفسيولوجية والبيولوجية ، أو السلفية المرتكزة الى حكم الماضى والانتقاء العمرى المغرض من النصوص الدينية (٢) . ولا يعنى هذا أن كل من حاولوا تفسير الوضع الاجتماعى للمراة فى ضوء البناء قدموا تفسيرا علميا بالمعنى المعروف من خلال تحديد المتغيرات المستقلة المؤثرة فى وضع المراة ، لان هناك من يحتمون بمظلة البناء الاجتماعى ، ثم يقومون بتقديم تبريرات آنية ، كما هو الحال فى البنائية الوظيفية التى يمكن أن تفسر وضع المراة فى بناء معين باعتبار هذا الوضع — متقدما أو متخلفا — ضرورة خلقها البناء لتحقيق وظائف معينة يحتاجها البناء كى يستمر ويحافظ على توازنه . فمثلا تفسر تبعية المراة للرجل فى ضوء هذا الاتجاه على أنها حالة سوية ضرورية ولازمة لكى يحقق البناء وظائف معينة «٣» .

ولكى يتلافى المقال هذه التبريرات والتأويلات ، وجد أنه من المفيد الاسترشاد بالمادية التاريخية ، باعتبارها أكثر النظريات السوسيولوجية دقة علمية ، حيث يمكن صوغ فروض بالاستناد اليها ، وحيث تقدم التفسيرات من خلال عامل اساسى متمثل فى الاساس الاقتصادى للمجتمع وما يرتبط به من علاقات اجتماعية ، دون اغفال للعوامل الفرعية الاخرى المتمثلة فى البناء الفوقى وما يحتويه من جوانب فكرية وقانونية وسياسية وما الى ذلك .

وسوف يتضح هذا الاسترشاد فى تحديد مفهوم الوضع الاجتماعى ، الذى افاد بجانب تصــورات المــادية التــاريخية بالتراث العلمى المنطقى حول هذا المفهوم .

ورغبة فى البعد عن المناقشات ولاتحديدات المتنائية والمتدانية لمفهوم الوضع الاجتماعى ، وما يرتبط به من مفهومات كالدور والمركز والمكانة . استخدم المفهوم هنا ليشير الى جماع واجبات المراة وتوقعات ادائهــا ، وحقوقها ، ووعيها ، ووعى الآخرين بهذه الحقوق والواجبات «٤» على أن تعتبر هذه الإبعاد مؤشرات ظاهرية تتحدد بحالة البناء الاجتماعى للمجتمع فى مرحلة تاريخية محددة ، وما يترتب على هــذه الحالة من تفاعل جدلى بين أساس المجتمع وبنائه الفوقى «٥» . والذى تجدر الاشارة اليه فى هذا الصدد أن هذا المفهوم يوضح ما يلى :

١ ـ ان هناك فرقا بين مؤشرات الوضع الاجتماعى للمراة باعتبارها مظاهر توضح حالة هذا الوضع ، وبين محددات الوضع الاجتمــاعى التى تتفاعل لكى تحدث هذا الوضع .

٢ ـ اذا كان وضع المراة يتحدد بالحالة البنائية للمجتمع ، فان هذا يعنى أن حالة وضع المراة تتباين بتباين حالة البناء ، أو بعبارة أخرى تتباين وتتابع المراحل التاريخية التى يمر بها البناء الاجتماعى .

٣ ـ يتحدد وضع المراة فى كل مرحلة بنائية تاريخية بالتفاعل الجدلى بين العامل الاساسى ـ اساس المجتمع ـ والعامل الفرعى ـ البنــاء الفوقى ـ دون اغفال للبناء الفوقى ومكوناته . ويتأسس على هذا أن مؤشرات وضع المراة نتاج للوجود الاجتماعى وما يضمه من علاقات للانتــاج ، وقوى للانتــاج ، وما يترتب على هذا الوجود من وعى للمراة وبالمراة .

واذا كان ما سبق يحدد اطار المقال ، فقد اعتمد فى جمع البيــانات على الدراسات والبحوث السابقة ، النظرية ، والتاريخية والميدانية ، وتم التعامل مع هذه البيانات من خلال الافادة منها باعادة تحليلها وتفسيرها ، بما يفى بتحقيق هدف المقال المعلن آنفا ، وتحقيق بعض المقارنات بين وضع المراة فى ظروف بنائية متباينة .

ثانيا : الوضع الاجتماعى للمراة المصرية والظروف البنائية التاريخية :

لكى يتم توضيح مؤشرات وضع المراة وارتباطها بأساس المجتمع ، سوف تتم مقارنة هذه المؤشرات بين حقبتين تاريخيتين من تاريخ المجتمع المصرى ، لمعرفة ما طرا على المؤشرات من تغير ، وارتباط هذا التغير بحالة

البناء الاجتماعي . وقد تحددت هاتان الحقبتان بالدولة الفرعونية القديمة التي استمرت حتى الاسرة الرابعة ، وبالحقبة التي تلت هذه الدولة والتي مهدت للدولة الوسطى ابتداء من الاسرة السادسة .

ومن تحليل البيانات والشواهد الخاصة بهاتين المرحلتين — حسب ما هو متاح من بيانات — وجد أن المراة كانت في الدولة القديمة ذات وضع تقدمي ، مازلنا نحاول الآن الوصول الى بعض مؤشراته . فقد كان للمراة حقوق وواجبات تعادل — تقريبا — حقوق وواجبات الرجل ، بما في ذلك حقوق الميراث . فقد جاء في وصية « نيكاورع » انه ترك للبنات نصيبا يعادل نصيب الذكور . كما اعتبرت المراة شخصا كامل الاهلية ، من حقه أن يبيع ويشترى ويقاضي ، دون اذن من أب او زوج «٦» . ولعل من بين المؤشرات على وضع المراة والوعي الحقيقي بها وبأدوارها الاجتماعية ، نظرة المجتمع الى قضايا الطلاق وتعدد الزوجات نظرة تقدمية . فقد كان تعدد الزوجات نادر الحدوث كما كان الطلاق من الامور المرذولة . وفي هذا كانوا يقولون انه اذا راى الانسان في رؤياه نارا تحرق فراشه فذلك شر وتأويله طلاق الزوجة ، واذا راى وجهه في مرآة ، فذلك شر أيضـــا ، وتأويله زواجه بأخرى «٧» . ويضاف الى هذا ان أمتن روابط الاسرة هي تلك الروابط الخاصة بالام حيث كان الشخص يفضل اللجوء الى جده عن أمه عن أى شخص آخر ، حتى الاب «٨» وهذا تأكيد للنظرة الى المراة والوعي بها . واذا كانت المراة قد تمتعت بحق مساو للرجل في الميراث ، فقد تمتعت ايضا بالحقوق السياسية ، بما في ذلك حكم البلاد . فقـــد انتهت وراثة عرش الاسرة الرابعة الى الملكة « خنت كاوس » كما حكمت الملكة « نيت اقرنى » البلاد اثناء حكم الاسرة السادسة الفرعونية «٩» .

هذه هي بعض المؤشرات التي تدلل وبوضوح على ان المراة المصرية في الدولة الفرعونية القديمة ، كانت في وضع يمكن أن نسميه متقدما ، اذا ما قورن بوضعها الاجتماعي في عهود تالية . فمع بداية الاسرة الخامسة الفرعونية ، طرأ على المؤشرات السابقة قدر من التعديل . فقد أبيح تعدد الزوجات ، وأضحت المراة تخضع للرجل المتمثل في زوجها باعتباره وصيا عليها ، ومن بعده تخضع لاكبر ابنائها الذكور أو لوصى الزوج . ولعل من شواهد اهتزاز وضعها بعد الدولة القديمة ، انه عثر في بعض النقوش على ابن بكر يرفع عصا التأديب على رأس أمه ، كما انها بدأت تظهر في النقوش صغيرة الحجم ، امعانا في تصغير وضعها ، كما اعتبرت المراة ايضا شخصا

ناقص الاهلية ، وزادت الامور حدة نحرمت من الميراث كما جاء فى نص « حر خوف » «١٠» .

وبمقارنة مؤشرات وضع المرأة فى هاتين الحقبتين ، يتضح أنه قد طرأ على وضعها تبدل واضح ، بل نكاد نقول أن مؤشرات وضعها فى هذه الحقبة او تلك تبدو مؤشرات متنائية . والسؤال الذى يطرح نفسه الآن مؤداه : لماذا هذا التبدل والتغير فى وضع المراة ؟ . فى ضوء منطلق المقال نستطيع القول ان ذلك يرجع الى تغير حالة بناء المجتمع المصرى ، لان وضع المرأة هو محصلة لهذه الحالة البنائية أو تلك . ولكى تتبلور الاجابة سوف نشير الى الابعاد البنائية الاساسية وما طرأ عليها من تعديل بين المرحلتين المذكورتين .

توضح لنا الشواهد التاريخية أن المجتمع المصرى ابتداء من عصر الاسرات ، وحتى الاسرة الرابعة تقريبا ، كانت تلوح فى أفقه بدايات تشير الى حلول نظام الرق . فاثناء الاسرات الاربع الاولى كان الملك الفرعون هو المالك الوحيد للأرض . وكان يحرص على تجزئة هباته على اقاليم متفرقة لا تتكتل فى مجموعات . وكانت ملكية أمراء الاقاليم وقتية لا تورث ، تكون فى حوزة الامير طوال حيساته فقط «١١» . وأما عن التركيب الطبقى ، فباستثناء الملك الفرعون ، كان على رأس هذا التركيب الامراء والكهنة ، ثم الصناع ، واخيرا الشعب المتمثل فى جموع الفلاحين «١٢» . والذى يجدر ذكره بصدد هذا التركيب انه لم يكن ثابتا دائما ، وبالتالى لم تتبلور المصالح الطبقية بشكل يصل بها الى التناقض ، لان الامراء والكهنة كانوا فئة موظفة لدى الملك يغير فيها حسبما تقتضى مصالحه «١٣» وفيما يتعلق بالمستوى الانتاجى فقد كان لا يتعدى الزراعة البدائية التى تستخدم فيها ادوات بسيطة . وحالة البناء هذه توضح أن الملكية الخاصة بمعناها التقليدى لم تكن قد ظهرت بعد ، وبالتالى لم يكن انقسام المجتمع ، وقواه الاجتماعية، قد تبلور بعد ، بشكل يجعل فيه تمايزا اجتماعيا متناقضا . فقد كان الرجل من عامة الشعب ، لا يملك شيئا ، شأنه فى ذلك شأن المراة ، بل انه كانت هناك بقايا لنظام الميراث والتوريث عن طريق الام «١٤» ، وهذا فى جملته يؤكد ان المجتمع لم يكن مستغلا او مقسما ، باستثناء تقسيم العمل بين الرجل والمراة .

واما عن حالة البناء وأساسه فى المرحلة التالية ، فالشواهد التاريخية تدلل على أن الملوك بداوا من الاسرة الخامسة يعتمدون على امراء الاقاليم ، حتى ان بعضا من الاقاليم بدأ ينافس العاصمة ، وبدأت ملكية الارض

تخضع للتوريث ، خاصة ارض الامراء ، كما بدأت تظهر عمليات مقايضة الارض وبيعها ، مما ساعد على بدء تكون الاقطاعيات لدى حكام الاقاليم ، كما ان بعض الوظائف بدات تخضـــع هى الاخرى للتوريث «١٥» وبهـــذا استطاع الامراء ان يتجهوا نحو الملكية الخاصـــة ، ممـــا اسهم فى بلورة مصالحهم ، ووعيهم بهذه المصالح . وكان هؤلاء الامراء بحكم هذا الانجاز منفصلين عن الفلاحين ، كما ظهرت طبقـــة اخرى بين الامراء والفلاحين تتألف من صغار التجار والحرفيين «١٦» . والمهم فى كل هذا ان حالة البناء تغيرت بين المرحلة الاولى والثانية ، وظهرت الملكية الخاصـــة ، وتبلورت الطبقات الاجتماعية ، وازداد المجتمع انقساما وتناقضـــا . وبدأت علاقة الرجل بالمرأة هى الاخرى تتناقض ، بعد ان زاد ربح الرجل ، واصبحت له ملكيته الخاصة ، ممـــا جعله اكثر منهـــا تميزا ، وبالتـــالى بدأ فى قهرها واستغلالها والسيطرة عليها «١٦» ، لان الذى يملك وسائل الانتاج يمارس قوة وسيطرة على الواقع المـــادى وعلى الآخرين «١٧» . وهو ما حدث بالنسبة لامراء الاقاليم الذين زادت سطوتهم بعد ذلك حتى ثاروا على الملك فى اواخر الاسرة السادسة ، وهو نفس ما حدث بالنسبة للرجل الذى بدأ يتميز على المرأة ويسيطر عليها وينسج لها من الحقوق والواجبات ما يوائم مصالحه الخاصة .

من العرض السابق يتبين ان وضع المرأة يرتبط بحالة البناء الاجتماعى، وانه يتغير ويتباين ، بتغير وتباين هذه الحالة البنائية ، وبخاصة ما يطرأ على اساس المجتمع من تباينات وتناقضات اجتماعية .

ثالثا : مؤشرات الوضع الاجتماعى الحديث والمعاصر للمرأة القروية :

هناك عدد من المؤشرات التى تدلل على الوضع الاجتمـــاعى للمرأة القروية ، يتعلق بعض منها بحقوق المرأة وواجباتها ، ويتعلق بعض ثان بنظرة الرجل والمجتمع القروى عادة اليها ، ويتعلق بعض ثالث بنظرتها الى نفسها ووعيها بذاتها ، ويمكن ايجاز بعض هذه المؤشرات على النحو التالى:

١ ــ فيما يتعلق بحق المرأة القروية فى الزواج واختيار القرين ، نجد انها محرومة من هذا الحق ، لان أمر الزواج متروك للاسرة التى يرأسها الاب . فالزواج فى القرية المصرية ــ والى درجة واضحة ــ اتحاد بين اسرتين أكثر منه اتحاد بين فردين . ويشكل حياة الزوجين نفوذ الجيل القديم ، من خلال رغبات وقيم الرجال المفروضة على رغبات وقيم النساء «١٨» « أ » .

٢ ــ للرجل القروى كل الحق فى طلاق زوجته ، فى اى وقت يشاء ، ولاى

سبب يراه ، فى حين أن ليس من حقها المقاومة ، أو ما يشبه هذا الحق .

٣ — يعد تعدد الزوجات من الظاهرات التى تدلل على تحكم الرجل فى المراة . وتشير البيانات الخاصة بتعدد الزوجات فى مصر سنة ١٩٧٠ الى أن العاملين بالزراعة هم اكثر الفئات اتجاها نحو تعدد الزوجات «١٩» . واذا كانت بعض الدراسات القروية فى مصر تشير الى اتجاه معدلات تعدد الزوجات نحو الانخفاض ، فانها تشير أيضا الى اتجاه معدلات الطلاق نحو الارتفاع ، بشكل جعل الطلاق هو الاسلوب المفضل للزواج من اخرى ، نتيجة لضغط الظروف الاقتصادية «٢٠» * «ب» .

٤ — النظرة الى المراة القروية من خلال الجنس وانجاب الاطفال ، وذلك لان القروى ومجتمعه ، يرون فى عقم الزوجة أمرا مهينا ، ومن ثم يرفعون من قيمة المراة الولود «٢١» .

٥ — يفضل القرويون الذكر على الانثى ، ويجعلونها أقل منه فى الحقوق . وهذا التفضيل يأخذ مظاهر وصور تتعدد بتعدد النشاطات المختلفة للانسان القروى ، فغالبا ما تتناول المراة طعامها بعد الرجل ، بل ان طعامها غالبا ما يكون أقل منه فى المقدار «٢٢» . هذا ويقوم القرويون بالباس الذكور من الاطفال ملابس الاناث من الاطفال ، حتى لايصاب الذكور بالحسد ، للاعتقاد بأن الاناث أقل تعرضا للحسد ، وحتى أن تعرضن له ، فالضرر فيهن اقل جسامة مما لو حدث فى الذكر «٢٣» كما يلاحظ على القرويين فى ذهابهم للحقل أو للسوق أو لزيارة الاقارب ، أنهم يجعلون النساء تسير خلف الرجال وليس بجوارهم «٢٤» ، وهناك عدد غير قليل من الامثال الشعبية المنتشرة فى العرف القروى ، تدل على افضلية الذكر على الانثى ، بل ان بعضها يذهب الى ان انجاب الرجل للاناث يقلل من هيبته ، فى الوقت الذى يرفع فيه انجاب الذكور من قدر الرجل ، بل ومن قدر المراة التى تنجب ذكورا * « جـ » ، وبعد انتشار التعليم فى القرية المصرية ، نلاحظ أن الآباء يفضلون تعليم الذكور على تعليم الاناث ، ففى دراسة — لصاحب المقال — تبين من خلالها أن العمال الأجراء فى القرى التى اجريت عليها الدراسة يفضلون تعليم الذكور بنسبة ٨٦٪ فى مقابل ٣٦٪ من الاناث ، ويفضل صغار الحائزين والملاك تعليم الذكور بنسبة ٩٤ر٤٪ فى مقابل ٤٨ر٤٪ من الاناث ، وأما كبار الحائزين والملاك فيفضلون تعليم الذكور بنسبة ٩٨ر٦٪ فى مقابل ٦٤ر٩٪ من الاناث «٢٥» . وهذه النسب توضح لنا أن القرويين مازالوا يتحفظون فى

تعليم البنت ، فى الوقت الذى يمنحون فيه هذا الحق للذكر ، هذا فضلا عن اختلاف تفضيل تعليم البنت باختلاف الموقع الطبقى للاب ، مما يؤكد ارتباط النظرة للبنت والوعى بها ، بالوضع الطبقى ، وهذه نقطة سوف نعود اليها عند تفسير مؤشرات وضع المراة .

٦ — ينظر المجتمع القروى الى المراة نظرة تجعلها ادنى من الرجل ، ويؤكد هذا المجتمع أن المراة شخص يجب الا يثق به أو يعتمد عليه ، ومن ثم يجب الا يستشار فى امر من الامور ، أو يوكل اليه عمل من الاعمال ، لانه لو أدى عملا فان أداءه يكون ناقصا ، بما فى ذلك تربية الاولاد وتنشئتهم ، ولذلك يطالب المجتمع بضرورة استخدام القوة والعنف معها منذ الصغر * «د» .

٧ — يفضل القرويون عدم خروج المراة خارج منزلها ، وتضع بعض الاسر قيودا على ذلك لضمان تبعيتها ، كما يوحى لها المجتمع القروى بأن عدم خروجها افضل لها ، بل انه يرفع من شأنها لدى الآخرين*«هـ» .

٨ — تتجمع كل المؤشرات السابقة لتصب عند وعى المراة بذاتها ونظرتها الى العالم الذى يحيط بها وخاصة الرجل ، حتى اننا نجدها تسلم بتبعيتها للرجل وانها اقل منه قدرا وكفاءة ، وانه الملاذ الذى لا تجد المراة سبيلا سوى اللجوء اليه ، وانه صاحب الكلمة الاولى والاخيرة فى معظم الامور * « و » .

رابعا : المحددات البنائية للوضع الاجتماعى للمراة القروية :

اتضح من قبل أن الوضع الاجتماعى للمراة المصرية نتاج للظروف البنائية للمجتمع ، وبتطبيق هذا على القرية المصرية ، نجد أيضا أن الوضع الاجتماعى للمراة القروية يرتبط بالظروف البنائية النوعية للقرية المصرية ، وبخاصة حالة الاساس الاقتصادى وما يترتب عليه من علاقات اجتماعية ، وما بين هذا الاساس والبناء الفوقى من تفاعل جدلى . وتجدر الاشارة منذ البداية الى أن العلاقة بين هذا الاساس والبناء الفوقى ليست علاقة ميكانيكية احادية الجانب لان للبناء الفوقى أيضا دوره وتأثيره ، واستقلاله النسبى ، وما يضمه بين مكوناته من رواسب ناتجة عن تكوينات اجتماعية سابقة على الأوضاع المعاصرة للقرية المصرية . ولو حاولنا الاقتراب من الملامح الاساسية للبناء الاجتماعى للقرية المصرية يمكن الاشارة الى ما يلى :

١ — يعد الانتاج الزراعى النشاط الاقتصادى الأساسى فى القرية المصرية ، ويترتب على هذا أن الارض الزراعية هى وسيلة الانتاج الاساسية بجوار الماء والحيوان ، ومن ثم فخط تقسيم هذه الارض وتوزيعها

بين القرويين يلعب دورا حاسما فى علاقات الانتاج ، وفى التركيب الطبقى للقرية المصرية .

٢ — مع التسليم بوجود تغييرات هامة فى بناء الملكية الزراعية منذ سنة ١٩٥٢ ، وحتى الآن ، الا أن هناك ظاهرات ما زالت قائمة ، تؤثر فى الانتاج الزراعى وتكسبه طابعه النوعى فى مسيرة تطور الانتاج الاقتصادى المصرى . لقد ترتب على قوانين الاصلاح الزراعى تحويل كم واضح من المعدمين الى ملاك وحائزين ، كما تأثر حجم الملكيات الكبرى التى كانت مركزة ، وانكمش — نسبيا — عما كان عليه الامر قبل سنة ١٩٥٢ ، هذا بجانب التيسيرات التعاونية والائتمانية والخدمات الفنية والمادية للقرويين ، ومع ذلك تبقى بعض الظاهرات التى يجب علينا — موضوعيا — أن نلقى عليها الضوء ، فربما ساعد هذا فى تحديد استراتيجية للتنمية الاجتماعية الشاملة للقرية المصرية . وسوف نشير فيما يلى الى بعض هذه الظاهرات التى تشخص نوعية الانتاج الزراعى المصرى .

٣ — لعل من ابرز ملامح الانتاج الاقتصادى القروى المصرى وجود ازدواج فى النمط الانتاجى السائد . فالانتاج يجمع بين بعض الخصائص الاقطاعية والراسمالية والتعاونية ، الامر الذى يترتب عليه ازدواج فى مكونات البناء الفوقى ، هذا فضلا عن وجود مكونات خاصة بالبناء الفوقى مرتبطة بمراحل تاريخية سابقة ، خاصة ما يتعلق منها ببعض المسائل التشريعية والقيمية والغيبية وما الى ذلك . على أن ثمة قسمة أساسية تبرز العلاقات الانتاجية مؤداها : أن الملكية الفردية ما زالت هى النمط الاساسى للملكية الزراعية فى المجتمع القروى المصرى . ويمكن الاشارة فى هذا الصدد الى أن دور القطاع العام فى الزراعة يكاد يكون معدوما «٢٦» . المهم انه ترتب على هذه الملكية الفردية بعض صور التناقض بين الذين يملكون والذين لا يملكون ، أفضى بعضها الى وجود صور مختلفة للصراع الاجتماعى بالقرية المصرية . فضلا عن وجود تفتت فى الارض الزراعية ووجود ظاهرة الملكية القزمية .

٤ — من الملامح الاخرى للارض الزراعية المصرية وجود تفتت فى الملكية وهى ظاهرة تاريخية فى القرية المصرية ، مازالت مستمرة ومتجهة نحو مزيد من الملكية القزمية . فقبل الحرب العالمية الاولى كان عدد الملاك مليونا وستمائة الف ، وصلوا عند نشوب الحرب الثانية الى

مليونين ونصف ، جاء جانب من هذه الزيادة نتيجة لتفتيت الارض بين الورثة «٢٧» . ولقد سارت ظاهرة التفتت فى اتجاهها نحو الزيادة ، لاننا لو نظرنا الى نسب الاراضى الاقل من خمسة افدنة ، فنجدها بعد الاصلاح الزراعى الاول سنة ١٩٥٢ « ٤٦ر٦٪ ، ارتفعت بعد عام ١٩٦١ الى ٥٢ر١٪ » ووصلت عام ١٩٦٥ الى ٥٨ر١٪ ، حتى أصبحت الآن حوالى ٦٠٪ من الاراضى المملوكة «٢٨» . حقيقة أن هذه النسب تشير الى زيادة عدد الملاك فى مقابل تعويض الجوع التاريخى للمعدمين الا أنه يترتب على هذا التفتت بعض الآثار التى من بينها زيادة الفقد فى المساحة الزراعية بسبب كثرة الحواجز والحدود بين القطع المتناثرة وما تتطلبه من مراو وقنوات وارتفاع تكلفة الانتاج ، والتقليل من استخدام الفن الانتاجى الحديث ، مما يفض فى النهاية الى أن يظل الانتاج الزراعى محكوما عليه بالبدائية فى الادوات والجهود وما شابه ذلك «٢٩» .

٥ — انخفاض نصيب الفرد من الارض الزراعية ، بشكل يعوق تطوير الانتاج وتنميته ، ويفضى الى انخفاض الدخل الفردى . وتشير البيانات الاحصائية الى أن نصيب الفرد فى اتجاه مستمر نحو الانخفاض . فعلى مستوى مجموع السكان فى مصر انخفض هذا النصيب من ٢٦ر٠ سنة ١٩٣٧ الى ٢٠ر٠ سنة ١٩٦٦ «٣٠» ، ولو قصرنا الحساب على القرويين فقط لتبين لنا أن نصيب القروى — بما فى ذلك الذكور والاناث والاطفال — سنة ١٩٦٦ حوالى ٣٥ر٠ من الفدان ، واذا أضفنا الى هذا عدد الملاك الذين يقيمون بالحضر ، فسوف تنخفض هذه النسبة عما هو مبين .

٦ — وجود ظاهرة الملكية الغائبة ، اى الملاك الذين لا يقيمون بالقرى قريبا من الانتاج ، الامر الذى يترتب عليه عدم اقبال هؤلاء الملاك على تحسين وسائل الانتاج ، بل تحويل قدر من فائض الانتاج الزراعى الى المدينة ، مع انه من المفروض استثماره فى القرية وفى تطوير الانتاج «٣١» .

وايجازا لكل الملامح السابقة يمكن القول انه يترد بعليها تخلف الانتاج الزراعى وانخفاض مستوى المعيشة نتيجة لانخفاض دخول الأفراد ، والمضاربة على الارض الزراعية ، ووجود صور متعددة للاستغلال فى القرية المصرية ابرزها ارتفاع أثمان الارض الزراعية ، وارتفاع ايجارها وتنوع صور الايجار ، كالايجار بالزرعة وبالمشاركة ومن الباطن وما شابه ذلك . على أن المهم فى الامر انه ترتب على هذا التخلف فى الزراعة القروية بناء

نوقى متخلف ايضا حدد حقوق المراة وواجباتها والنظرة اليها والوعى بها ، بل ومحاولة تزييف وعى المراة بذاتها وبحقوقها . ويدلل على هذا أن التراث السوسيولوجى فى الدراسات القروية يؤكد على ان وضع المراة فى الاقتصاد الزراعى يترتب عليه ما يلى :

أ ــ سيادة الذكر على الانثى «٣٢» نتيجة للاعتماد على الجهد البشرى فى الزراعة المتخلفة ، لان الذكر يستطيع أن يقوم بجهد فى هذا العمل العضلى اكثر من جهد المراة .

ب ــ سيادة نمط الملكية الفردية ، ومعظمها فى جانب الرجل ، وما يترتب عليه من تبعية المراة للرجل تبعية اقتصادية .

جـ ــ ضيق الفرصة المتاحة أمام المراة للمشاركة فى العمل المنتج ، وذلك لانخفاض نصيب الفرد من الارض ، ولعدم وجود أعمال خارج نطاق الزراعة لانها النشاط الاقتصادى الاساسى ، ولغيبة نشاطات أخرى كالتصنيع الذى اثبتت بعض الدراسات أنه غير من تبعية المراة للرجل ونظرته اليها «٣٣» .

د ــ وجود بعض الظاهرات المترتبة على الانتاج الزراعى المتخلف ، كوجود الاسرة الممتدة ، ووجود العصبية ، وما يستتبعها من تفضيل للذكور الذين يقوون عصبية العائلة وعزوتها داخل القرية .

هـ ــ يصاحب تخلف الانتاج الزراعى واعتماده على الطبيعة وقوى خارجة عن ارادة القروى كالماء والرياح والصقيع ، انتشار التفكير السلفى والغيبى ومعظمه ، يؤكد على تبعية المراة للرجل وانها أقل منه قدرة وكفاءة .

و ــ يرتبط بالزراعة البدائية اعتبار الارض والماء والحيوان وسائل اساسية فى الانتاج ، الامر الذى يصحبه ارتباط وعى القروى وثقافته وقيمه بهذه الوسائل * «ز» ومجىء المراة فى مرتبة تالية لها لانها أقل منها من حيث العائد الاقتصادى .

ز ــ يتأسس على الملكية الفردية ، تناقض فى العلاقات الانتاجية ، وفى القوى الاجتماعية الامر الذى يربط الوعى بالمراة بالوضع الطبقى لها ، ولاسرتها ، وللرجل . فقد تبين فيما سبق أن تعليم البنت يرتبط بالملكية والحيازة ، واذا كان منحها حق التعليم يتجه نحو الزيادة ، باتجاه الملكية والحيازة نحو الكبر ، فقد أوضح هؤلاء الذين يوافقون على تعليم البنت ، أن ذلك التعليم من أجل تحقيق مصالح اقتصادية ،

ابرزها التوظف ، والزواج زواجا ملائما «٣٤» .

اذن ينتج عن تخلف الانتاج الزراعى ، تخلف وضع المراة القروية وتخلف وعى الرجل بها ، وتخلف وعيها بذاتها . على أن هناك بعض مكونات البناء الفوقى تؤكد على تخلف الوضع الاجتماعى للمراة واستمراره . ومن بين هذه المكونات :

١ — أن التشريعات الخاصة بالزواج والطلاق مازالت جميعها تقف بجوار الرجل ، وتترك الغلبة والسيطرة والتحكم فى المراة .

٢ — ما زالت قواعد الميراث تؤكد على أن نصيب الرجل ضعف نصيب المراة ، مما يترتب عليه ارتفاع مكانة الرجل عن مكانة المراة .

٣ — يؤكد العرف السلفى المتوارث على تبعية المراة للرجل ، وهذا مايتضح جانب منه خلال الحكم والامثال السائدة والمنتشرة فى القرية المصرية ، والتى ورد بعضها فى هوامش هذا المقال .

٤ — عمل الرجل على تزييف وعى المراة القروية بحقوقها وواجباتها ، وتأكيد تبعيتها . وعملية التزييف هذه تأخذ صورا عديدة ابرزها :

أ — تأكيد التنشئة الاجتماعية فى القرية — باعتبارها عملية بنائية تبرز التفاعل الجدلى بين الاساس والبناء الفوقى — على تبعية المراة للرجل . فالبنت تنشأ على احترام الرجل وتعود على أفضلية الذكر عليها ، ومن الامثلة على ذلك احتفال الاسرة بميلاد الذكر بقدر أوضح واكبر من ميلاد الانثى . والاحتفال بختان الذكر فى الوقت الذى تخفى فيه ختان الانثى ، والسماح للذكر بالخروج الى القرية ، فى الوقت الذى تحدد فيه خروج الانثى وتقيده . وحتى العاب الاطفال تؤكد للانثى أن مكانها الطبيعى هو البيت والاعمال المنزلية ، فى حين أن العاب الذكور، تدربهم على تنمية قواهم العضلية والجسمية وافضليتهم على الاناث «٣٥» .

ب — الايعاز للنساء بالاعتقاد أن تبعيتهن ناتجة عن اسباب لا دخل للرجل فيها ويحدث هذا عندما ينتقى الرجال بعض النصوص الدينية والامثال الشعبية المتوارثة من العرف السلفى والتى تؤكد على تبعية المراة للرجل ، كما يحدث مثل هذا عندما يؤكد الرجال للنساء أن تبعيتهن ناتجة عن عيوب جسمية وعضلية وعقلية ناتجة عن طبيعتهن .

جـ ــ محاولة اقناع النساء بأن تغيير وضعهن سوف تصاحبه نتائج سيئة ، كأن تنخفض مكانتهن ، أو يواجهن بمشكلات وصعوبات كالتى تواجهها المرأة الحضرية . ولعل من الادلة على هــذا ، انتشار المثل القائل « اللى تخرج من دارها يتقــل مقدارها » بمعنى أن خروج المرأة من منزلها سوف يسبب لها ضررا .

خاتمــة :

من كل ما سبق يمكن الوصول الى بعض النتائج النى تشير الى ما يلى:

١ ــ أن المرأة القروية المصرية تحتل وضعا اجتماعيا متخلفا بكل المقاييس الاجتماعية والانسانية والحضرية . ويزداد هذا الوضع الاجتماعى وضوحا بمقارنته بوضــع المرأة الحضرية المصرية برغم وجود بعض مظاهر تخلفها هى الاخرى .

٢ ــ اذا كان قد طرأ على مؤشرات وضع المرأة القروية بعض التغيير من خلال بدء الاتجاه نحو تعليمها أو ما شابه ذلك ، فان هذا التغير كمى أكثر منه كيفى ، بمعنى أنه لم يحــدث تغييرات جوهرية فى النظرة للمرأة القروية ، أو فى وعيها بذاتها .

٣ ــ يرتبط تخلف الوضع الاجتماعى للمرأة ، بتخلف الرجل ، وتخلفهما معا هو نتاج لتخلف القرية المصرية .

٤ ــ مع التسليم بأهميــة التشريعات والقــوانين التى يمكن أن ترتقى بحقوق المرأة ، الا أن مجال عمل هــذه القوانين ، ومدى تأثيرها يتوقف على الظروف البنائية للقرية المصرية .

٥ ــ اذا أردنا التأثير فى بعض الظواهر السلبية فى القرية المصرية كالوضع الاجتماعى للمرأة والامية والزيادة السكانية ، فان المدخل الطبيعى يأتى من تنمية القرية ، تنمية اجتماعية شاملة .

٦ ــ مع الاعتراف بأهمية الارتقــاء بالخدمات المختلفــة المقدمة للقرية المصرية سواء كانت تعليمية أو صحية أو ما الى ذلك ، فان دور هذه الخدمات دور محدود ووقتى ، ما لم تحدث تغيــيرات اساسية فى الجوانب الجوهرية المفضية الى تخلف القرية المصرية ، خاصــة ما يتعلق من هذه الجوانب الجوهرية بالانتاج الاقتصادى وعلاقاته ، وما يترتب عليه من ظواهر معوقة للتنمية كتفتت الارض الزراعية والملكية الغائبــة والاقتصار على الزراعة وحــدها دون اهتمــام بفروع الاقتصاد الزراعى الاخرى .

المراجع والهوامش :

١ — تشير بيانات تعداد ١٩٦٦ العينــة الى أن ســكان القرية المصرية حوالى ١٧ مليون نسمة من جملة عدد السكان البالغ ٣٠ مليونا . وأن عدد النساء فى المجتمع ككل حوالى ١٥ مليون نسمة . « أنظر الكتاب السنوى للاحصاءات العــامة من ١٩٥٢ — ١٩٧٠ ، الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، يونيو ١٩٧١ ، ص ١٣ — ١٥أ » .

٢ — د . ساوى الخماش ، المراة العربية والمجتمع التقليدى المتخلف ، دار الحقيقة ، بيروت ، ١٩٧٣ ، من المقدمة بقلم د . ابراهيم بدران.

٣ — نظر مثالا على التبرير الوظيفى فى كتــاب « دفيد ريدل ، مرجريت كولسون ، مقدمة نقدية فى علم الاجتماع ، ترجمة د . غريب سيد ، د . عبد الباسط عبــد المعطى ، دار الكتب الجامعيــة ، ١٩٧٢ ، ص ٨٢ — ٨٤ » .

٤ — د . محمد فرغلى وآخرين ، تغير الوضع الاجتماعى للمراة فى مصر المعاصرة ، التقرير الاول للبحث ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية يناير ١٩٧٤ ، من المقدمة بقلم د . مصطفى سويف .

M. Rosenthal, S, P. Yudin, (eds) Dictionary of Philosophy, Progress Publishers, Moscow, 1967, P. 419 (ه.

٦ — كامل الشافعى ، تطور المراة ، دار الكتاب العربى « ؟ » ، ص ٢٠

٧ — د . عبد العزيز صالح ، الاسرة فى المجتمع المصرى القديم ، المكتبة الثقافية ، رقم ٤٤ سبتمبر ١٩٦١ ، ص ٦ — ٩ .

٨ — جيمس هنرى برستيد ، تاريخ مصر منذ أقدم العصور ، ترجمة د. حسن كمال ، الطبعة الاولى ، المطبعة الاميرية ، ١٩٢٩ ، ص٥٦

٩ — د. عبد العزيز صالح ، المصدر المذكور ، ص ٧٣ .

١٠ — كامل الشافعى ، المصدر المذكور ، ص ٢٢ — ٢٣ .

١١ — جان يويورث ، مصر الفرعونية ، ترجمة سعد زهران ، سلسلة الالف كتاب ، رقم ٦٠١ سجل العرب ، ١٩٦١ ، ص ٤٦ .

١٢ — الن شورتر ، الحياة المصرية فى مصر القديمة ، ترجمة د . ابراهيم نجيب ، سلسلة الالف كتــاب ، رقم ٤٩ ، الانجــلو ، ١٩٥٦ ، ص ٢٤٠ .

١٣ ــ أدولف ارمان ، هرمان رانكه ، مصر والحياة المصرية ، ترجمة د . عبد المنعم أبو بكر محرم كامل ، النهضة المصرية « ؟ » ، ص ٤٠ ــ ٤١ .

١٤ ــ كامل الشافعى ، المصدر المذكور ، ص ٢٠ .

١٥ ــ الكسندر شارف ، تاريخ مصر منذ فجر التاريخ ، ترجمة د. عبد المنعم أبو بكر ، سلسلة الالف كتاب ، رقم ٢٥٢ « ؟ » ص ٢٥ ــ ٢٦ .

١٦ ــ انظر فى هذا الصدد « فردريك انجلز » أصل نظام الاسرة والدولة والملكية الفردية ، دار الفارابى ، بيروت « ؟ » ، ص ٥٩ .

١٧ ــ د. فرج أحمد فرج ، « الشخصية القروية » بحث منشور بالحلقة الدراسية لعلم الاجتماع الريفى فى ج.ع.م. ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية ، ١٩٧١ ، ص ١٩٤ ــ ٢٠٦ .

١٨ ــ موروبيرجر ، العالم العربى اليوم ، ترجمة محيى الدين محمد ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦٣ ، ص ١١٢ .

x « أ » وفى هذا يردد القرويون المثل القائل « أخطب لبنتك ولا تخطبش لابنك » .

١٩ ــ الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، الزواج والطلاق فى مصر ، ملحق الاهرام الاقتصادى ، أول نوفمبر ١٩٧٤ ، ص ١٣ .

٢٠ ــ د. محمد عاطف غيث ، دراسات فى علم الاجتماع القروى ، دار المعارف ، ١٩٦٧ ، ص ٣٠٤ .

x «ب» ومن الامثلة التى توضح الاعتقاد بأن التعدد أمر طبيعى وأن الزواج من أخرى يساعد على اصلاح أمر الاولى ، المثل الذى يشير الى أن « الضرة تعدل العاصية » .

٢١ ــ د. محمد عاطف غيث ، المصدر السابق ، ص ٥٧ .

٢٢ ــ ادوارد وليم لين ، المصريون المحدثون ، نقله الى العربية عدلى طاهر نور ، مطبعة الرسالة ، الاولى ، ١٩٥٠ ، ص ص ١٢٣ ــ ١٢٤ .

٢٣ ، ٢٤ ــ د. سيد عويس « المعوقات الثقافية والتنمية » مؤتمر علم الاجتماع والتنمية ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، مايو ١٩٧٣ ، ص ١٨ ــ ٢١ .

x « جـ » ومن الامثلة التى تدلل على ذلك « من كترت بناته صارت

الكلاب صهراته ـــ يجعل عزوته رجاله ـــ أم الغلام تستأهل الاكرام» .

٢٥ ـــ عبد الباسط محمد عبد المعطى ، الاتجاهات النظرية فى دراسة الصراع الاجتماعى ، دراسة تجريبية فى ثلاث قرى مصرية ، رسالة دكتوراه غير منشوره ، كلية آداب القاهرة ١٩٧٢ ، ص ٤٠٣ ـــ ٤٠٦ .

x « د » من الامثلة الشعبية التى تؤكد على هذا ما يلى : «الراجل ابن الراجل اللى عمره ما يشاور مرة ـــ عمر المراة ما تربى طـــور ويحرث ـــ لا تأمن للمراة اذا صلت ولا للخيل اذا وطت ولا للشمس اذا ولت » ، موت البنات سترة ، اكسر للبنت ضلع يطلع لهـــا ٢٤ ضلع .

x « هـ » وفى هذا يذهب المثل الشعبى الى أن : « اللى تخرج من دارها يتقل مقدارها ـــ قعدتى بين أعتابى » داخل المنزل ـــ « ولا قعدتى بين أحبابى » .

x « و » من الامثلة التى ترددها النساء « ضل راجل ولا ضل حيطة ـــ عيب الرجالة قلتهم ـــ اللى مالهوش كبير يشترى له كبير» .

(٢٦) L. Tyagunenko, et al., (eds), Industrialization of Developing Countries, Progress Publishers ,Moscew 1973, P. 83,

٢٧ ـــ ز . ى. هرشلاغ ، مدخل الى التاريخ الاقتصادى الحديث للشرق الاوسط . نقله الى العربية مصطفى الحسينى ، دار الحقيقية ، بيروت ، ١٩٧٣ ص ٢٨٤ .

٢٨ ، ٢٩ ـــ د. عبد الباسط عبد المعطى « تفتت الملكية الزراعية » دراسات اشتراكية ، يوليو ١٩٧٣ ، ص ٢٥ ـــ ٣٠ .

٣٠ ـــ د. جمال حمدان ، شخصية مصر ، النهضة المصرية ، ١٩٧٠ ، ص ٢٥٦ .

٣١ ـــ فتحى عبد الفتاح ، القرية المصرية ، دار الثقافة الجديدة ، ١٩٧٣ ، ص ١٤٨ ، ص ١٩٤ .

٣٢ ـــ S. C. Dube, Indian Village, Routledge & Kegan Paul, London, 1955, p. 38

٣٣ — R. Blood, Impact of Industrialization on American Family in Sociology and Social Research, Vol. 49, No. 1, 1969. P. 5

× « ز » وهناك أمثلة ترتبط بهذه الوسائل مثل « امشى سنة ولا تخطى قنا (قناة) الفرن فرن ولو بنى فى الجرن — لما أنت أمير وانا امير ، أمال مين يسوق الحمير » .

٣٤ — عبد الباسط محمد عبد المعطى ، الاتجاهات النظرية فى دراسة الصراع الاجتماعى ، المصدر المذكور ، ص ٤٠٧ .

٣٥ — عبد الباسط محمد عبد المعطى ، صراع القيم وآثاره فى بناء الاسرة ووظائفها ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٢٧٧ — ٢٧٩ .

المجلة الاجتماعية القومية

العدد الأول يناير ١٩٧٥

صدر العدد الأول من المجلد الثانى عشر من المجلة الاجتماعية القومية ويتضمن البحوث والدراسات التالية :

☐ الأساليب الشائعة للتنشئة الاجتماعية فى الريف المصرى .
(الدكتور محمود عبد القادر ، والأستاذه إلهام عفيفى)

☐ أوضاع عمال التراحيل ومشاكلهم فى مصر .
(الدكتوره رقية المرشدى)

☐ دراسة استطلاعية لبعض خصائص الشخصية المميزة للمدمنين على تعاطى المخدرات .
(الدكتور فتحى السيد عبد الرحيم)

☐ النموذج وبناء النظرية السوسيولوجية .
(الدكتوره ناهد صالح)

☐ كفاءة الاتجاه الوظيفى فى دراسات التغير الاجتماعى
(الأستاذ على ليلة)

☐ متغير الترييف / التحضر
(الأستاذ عاطف فؤاد)

إلى جانب الأبواب الثابتة : عرض الكتب . رسائل جامعية ، أنباء علمية .

علم النفس وقضايا المرأة

الدكتور فرج أحمد فرج *

تمهيــد وتقــديم

اصبح من الواضح للمشتغلين بالعلوم الانسانية مبلغ ما يواجهونه من عقبات وما يعترض طريقهم من صعاب . فطريق المعرفة طريق محفوف بالمخاطر والمعوقات ويصح ذلك أكثر ما يصح وبأعنف الدرجات وأقساها فى مجال العلوم الانسانية .

فالمعرفة فى واقع الامر نضال ضد الجهلة وكفاح من أجل مغالبتها والظهور عليها ، هذا الكفاح وذلك النضال لا بد أن يدور فى جبهتين فى آن واحد أولاهما عقل الباحث نفسه ، حيث يناضل ضد مارسخ فى ذهنه من افكار ، وما استقر فى عقله من سوابق الراى والمعتقدات ، وهو نضال يمكن ان يهز كيانه كله هزا عنيفا قد لا يطيقه فلا يقدر عليه . وثانيتهما زمانه ومكانه ، أى عصره وجيله ومجتمعه وطبقته ... الى آخر هذه القوى جميعها ، ولا شك فى الارتباط المتبادل أو الجدلى بين ما فى داخل الباحث وما فى داخل مجتمعه وعصره وطبقته .

ومع ذلك فبقدر ما كانت هذه العقبات هى الداء ، كان فى معرفتها الدواء .

نعم فقد وضح بما لا يقبل الشك أن زعما علميا ما لا ينفصل عن سياقه التاريخى صياغة وابرازا لبعض جوانب الحقيقة ، واهدارا ، أو تشويها او تجنبا للبعض الآخر من جوانبها . مثال ذلك ما ابرزته دراسات الذكاء وحركة قياسه فى الولايات المتحدة الامريكية من ارتفاع ذكاء البيض عن ذكاء السود . أنها حقيقة ، لكنها حقيقة جزئية . ومن ثمة فهى ناقصة ، ومرجع ذلك غض البصر عن دور الظروف الاجتماعية الاقتصادية فى اتاحة الفرصة لاستخدام الطاقات العقلية والامكانيات الذهنية ، بحيث يصبح ما يتحقق بالفعل بالقياس بما يوجد بالقوة من طاقات عقلية رهنا بالسياق الاجتماعى المواتى .

الامر اذن يمكن أن يكون كما يلى : يتساوى البيض والسود فى

* أستاذ علم النفس المساعد بكلية الآداب ، جامعة عين شمس .

قدراتهم الفعلية التى يولدون بها ، لكن الفرص المتاحة للبيض تتيح لهم استخدام القدر الاكبر من هذه القدرات بينما لا تسمح الفرص المتاحة للسود الا باستخدام قدر أدنى .

ان فصل القدرات العقلية وعزلها من سياقها الاجتماعى ، لم يكن مصادفة ترجع لاهواء الباحثين وانحيازهم الشخصى . ان ذلك يرجع فى المقام الاول لطبيعة المجتمع وبنائه الطبقى وبناء السلطة فيه بالتالى . ببساطة شديدة ، أن من المستحيل ارجاع تخلف الزنوج الى ما يقع عليهم من اضطهاد ففى ذلك فضح لنظام بأسره وتهديد له . اننا هنا بازاء كشف الحقيقة واخفاء لها فى نفس الآن . وهذا الكشف المزيف أمر حتمى ولا مفر منه فى ظل هذا السياق الاجتماعى الطبقى التاريخى .

ويقودنا هذا الى نماذج اخرى تتصل بموضوعنا وهو المراة .

تشير دراسات القياس العقلى كما ذكرت « آن أنستازى » فى كتابها « علم النفس الفارقى » الى انه بالرغم من تساوى الجنسين فى متوسط الذكاء ، الا أن منحنى التوزيع غير متماثل بين الجنسين ، فنسبة العباقرة وضعاف العقول أعلى بين الذكور منها بين الاناث . ان هذه حقيقة لا شك فيها ، لكنها حقيقة جزئية أو نسبية ، بمعنى أنها ترتبط بمكان وزمان وظروف معينة . أن تصدى الذكور لاعباء العمل والانتاج بدرجة تفوق درجة الاناث بخاصة فى الولايات المتحدة الامريكية ـــ تضعهم فى ظروف من الضغط والحفز الامر الذى يكشف بحدة عن ذوى المستويات العقلية المنخفضة ويعرضهم للضغط ولمشاعر العجز والاحباط الامر الذى يعطل ويعوق بل ويؤدى الى كف قدر من ذلك المستوى العقلى المنخفض أساسا ، ومن ثمة يصبح مستوى أدائهم العقلى الوظيفى اقل مما هم عليه فى الاصل . والامــر بالمثل لذوى الذكاء العالى ، أن تفوقهم العقلى الاساسى يتيح لهم فرص الترقى والكسب ومن ثمة تعمل العوامل الانفعالية والخبرات المتــاحة على اقتراب ادائهم الوظيفى العقلى من الحد الاقصى لقدراتهم الفعلية .

أما بالنسبة للمراة والتى يتركز نشاطها فى مجمله فى الحياة العائلية فانها لا تتعرض عندما ما يكون ذكاؤها منخفضا للمهانة والاحبــاط الذى يتعرض له العامل ومن ثمة لا تعانى كفا وتعطيلا عقليا مماثلا ، أنها تظل الى حد كبير تحتفظ بذلك القدر المتواضع من الذكاء دون انخفاض وظيفى . كذلك بالنسبة للمراة ذات الذكاء العالى لا تتيح لها حياتها الهادئة المتواضعة داخل جدران المنزل ما يتاح للرجل من شحذ واستثارة للهمة والمنافسة ، وأهم من ذلك لا تتاح لها الخبرات الثقافية والحضارية والادارية التى تتاح

للرجل . أن الامتيازات المتاحة للرجال . والتى لا يتاح مثلها للنساء هى التى تفسر لنا تلك الفروق .

مثال ثانى : تكشف لنا اختبارات القدرات العقلية عن اختلاف كيفى بين الذكور والاناث اذ تتفوق الاناث فى مجال القدرات اللفظية «اللغة» بينما يتفوق الذكور فى مجال القدرات الرياضية . الامر هنا أيضا واضح . أن عملية التربية تدفع الذكور الى مجال الحياة العملية الخارجية ، بينما تظل الاناث اكثر ارتباطا بمجال العلاقات الانسانية ، عالم الرجل هو العالم الخارجى المادى وعالم المراة هو العالم الانسانى الاسرى . هذا الفرق هو الآخر يرجع الى طبيعة الحياة الاجتماعية ، والى اختلاف عالم المراة عن عالم الرجل ، لا الى اختلاف عقل المراة عن عقل الرجل .

مثال ثالث : ثمة فقرة فى واحد من أشهر اختبارات الشخصية M. M. P I تقول « احب قراءة مجلات الميكانيكا » وعلى المستجيب أن يجيب بنعم أولا ، وتكشف هذه الفقرة ، ضمن فقرات أخرى عن ميل ذكرى ، فعدد الذين يجيبون بالايجاب على هذه الفقرة من الذكور أعلى من عدد اللاتى يجبن عليها بالايجاب من الاناث ، ومن ثمة فهى احصائيا فقرة صالحة للكشف عن الميول الذكرية . كل هذا لا غبار عليه لان الذكور بالفعل يميلون الى قراءة مجلات الميكانيكا وممارستها . لكن ذلك لا يرجع بالقطع الى ميل أصيل دفين وطبيعى لدى الذكور ، لا وجود له لدى الاناث الا أن يكون شاهدا على ميول ذكرية مرضية . أن التطور الاجتماعى يدفع الذكور الى طريق والاناث الى طريق آخر ، ويأتى غض البصر عن الحقيقة عندما يصور الامر على انه يعكس طبيعة الاشياء التى يغيرها لا تكون . ماذا عن المراة فى مصر فى مصانع النصر للتليفزيون ، ماذا عنها محاربة فى جهة التحرير الجزائرية . وفى فيتنام وصانعة فى كوبا وفى الصين .. الخ ان قدرها الذى لا فكاك منه أن تظل بعيدة عن الميكانيكا قراءة وممارسة ؟ .

انها فى زمان ومكان وفى سياق اجتماعى تاريخى بعينه تدفع دفعا الى ضروب من الحياة والنشاط ، ويستقر فى أعماقها الاندفاع الى ما سبق أن دفعت اليه قهرا وتحت ضغوط خارجية ، بحيث يبدو الامر وكأننا بازاء ميل أصيل عميق وداخلى الى هذا السبيل لا يحيد عنه ويقاوم كل محاولة للدفع بعيدا عن طريقه .

الا يجيز هذا للبعض ان يرى أنه كما ان الولايات المتحدة الامريكية عالم البيض فان عالمنا المعاصر فى مجملة عالم الرجال ؟ هذا ما تذهب اليه الكثيرات من رائدات حركات التحرير النسائية فى كثير من بلدان العالم ، بل وما يذهب

اليه الكثيرون من علماء الانسانيات أيضا . هذا ما سنحاول فى الصفحات التالية تناوله بمزيد من التفصيل على أن ما يهمنا أن نتبينه أن المعرفة العلمية الحقة هى التى تدخل فى اعتبارها ما تتميز به الظاهرات من كلية وشمول ، فلقد وضح لنا أن كشف جانب من الحقيقة بقدر ما يعرفنا بها ، بقدر ما يشوه ويزور معرفتنا بها ، بحيث تصبح فى النهاية معرفة مجهلة . هــذا وجه ، لكن ثمة وجه آخر لا ينفصل عنه هذا الوجه ، وهو الحركة الدائمة والتحول المستمر ، أو ما درجنا على وصفه « بالصيرورة » Becoming أن الحركة الدائمة هى حقيقة الحقائق والتى هى جوهر جميع الظاهرات فلكية وطبيعية وحيوية واجتماعية ونفسية فكرية .

ما يوجد الآن لم يكن كذلك فيما مضى ولن يكون كذلك فيما بعد ، بل ان مفهوم المــاضى الحاضر والمستقبل لا منطق له ان لم يختلف الحاضر عن المــاضى ، وان لم يختلف المستقبل عن الحاضر .

ويجب الا يغرب عن بالنا ان ذلك لا ينطبق على الوقائــع المــادية العيانية الملموسة وانما ينطبق حتما وبالضرورة على ادراكنا لها وموقفنا منها وحكمنا عليها . ما نراه اليوم نراه نحن اليوم ، وسيرى غيرنا فى الغد غيره ، والا لكنا بحياتنا وفكرنا نهاية التاريخ .

الرجل والمــرأة

قد يبدو للوهلة الاولى أننا بازاء كيانين مختلفين ، لكل منهما عالمه وحياته ومصيره : عالم للذكور ، وعالم آخر مختلف ومستقل عنه هو عالم الاناث . على أن الامر فى الحقيقة غير ذلك ، نحن بازاء وجهين لشىء واحد ، تماما كوجهى العملة الواحدة فرغم اختلافهما فلا انفصال بينهما ولا فكاك لاحدهما عن الآخر ، الرجل والمرأة هما وجها الوجود الانسانى ، بل ان الذكر والانثى همــا وجها الوجود الحى ، أو وجها الحيــاة ذاتها ابتداء من عالم النبات وصولا الى عالم الانسان . لا وجود للحياة بغير وجهيها ، بل لا وجود لوجه دون الوجه الآخر ، بعبارة أخرى يمكننــا القول بأن الذكورة هى خالقة الانوثة مثلما يمكننا القول بأن الانوثة هى خالقة الذكور ، ان وجود أحــد الجنسين لا يتحقق ولا يكتســب شرعيته ومبرر وجــوده دون وجود الجنس الآخر . وعلى هــذا فالرجل لا يصبح رجلا إلا فى مواجهة امرأة ولا يشعر برجولتــه إلا بقــدر جاذبيته لهــا واعترافها به . ويتجلى فى حالات العجــز الجنسى لدى الذكور ، حيث يشعر المريض بدمار هويته من حيث هو رجل ، وبالمثل لا تشعر المرأة بأنوثتها الا فى حضور الرجل وانجذابه اليها . الموقف اذن موقف جدلى تماما بالمعنى الجدلى الكامل ، حيث لا وجود للذات الا من خلال

الآخر ، حتى ليصبح الآخر هو الصانع الحقيقى للذات والمرآة التى تتجلى من خلالها وجود الذات .

المراة والرجل هما وحدة الوجـــود الانسانى ، وهى وحدة قوامهـــا التناقض ، أو التقابل الخارجى بين الرجل والمراة ، يقابله تقابل داخلى بين الذكر والانثى ، او بين الخصائص الذكرية والخصائص الانثوية لدى الانسان الفرد ، فالذكر هو فى حقيقة الامر مزيج أو وحدة بين الانوثة والذكورة مـــع غلبة الذكور ، كما أن الانثى وحدة بين الانوثة والذكورة مع غلبة الانوثة ، وهو ما يطلق عليه فى علم الحياة « ثنائية الجنسية » نحن اذن جميعا ذكورا وأناثا نجمع بين خصائص الجنسين مع غلبة احدهما على الآخر ، وعندما ما تهتز هذه الغلبة تبدأ خصائص الجنس الآخر فى الظهور والبروز حتى تصل الى ما يسمى « الخنثى » . كما بينت التجارب الخاصة باستئصال الغـــدد الجنسية فاستئصال الغدد الذكرية ، مثلا لا يؤدى الى اختفاء الخصائص الذكرية فحسب . بل ، وبالاضـــافة الى ذلك ظهور الخصائص الانثوية ، والامر بالمثل فى حالة الانثى اذ يؤدى استئصال الغدد الجنسية الانثوية لا فقط الى ضمور الخصائص الانثوية ، بل والى ظهور الخصائص الذكرية ايضا . ثمة تداخل اذن بين الجنســـين ، واذا كان هذا على المســـتوى البيولوجى فلا بد أن يقابل هذا المســـتوى تداخل مماثل على المســـتوى السيكولوجى ، ولقد ابرز التحليل النفسى هذا التداخل موضحا كيف انه فى الحالات السوية يسمح للانسان باقامة علاقات الصداقة والعمل مع أفراد جنسه ومع افراد الجنس الآخر ايضا .

على ان ما يهمنا هنـــا بصفة خاصـــة ، لا تلك الخواص الجســـمية التشريحية التى تفرق بين الجنسين ، أو تجمع بينهما ، وانما يهمنا ما تتخذه هذاه الخواص من مغزى نفسى ، وما تلعبه من دور اجتماعى حضـــارى . يجب ان نلاحظ هنا أننا بازاء أمر يتطلب أكبر قدر من الفطنة الى أمر رغم اهميته البالغة كثيرا ما يفوت على الكثير من المفكرين والمشـــتغلين بعلوم الانسان وقضاياه .

هذا هو مشروعية وعلمية اختزال ما هو انسانى حضارى الى ما هو جسمى بيولوجى ، ونوضح ذلك ببعض الامثلة ، ولنأخذ السمنة والنحـــافة لدى المراة :

نجد أن السمنة كانت تعتبر فى مصر فيما مضى ، وحتى أوائل هـــذا القرن علامة من علامات الجمال لدى المراة ، بينما كانت النحافة علامة من علامات الدمامة ، ثم شرعت الامور فى التحول الى النقيض ، وواضح أن

السمنة كانت علامة على الجمال فى عصر لم تكن المراة تعمل فيه ، وانما كانت تلازم الدار ، وبقدر ثراء ذويها يكون اعفاؤها من الاعمال المنزلية ويكون دسامة غذائها وبالتالى تزايد سمنتها ، اما الفقيرة العاملة الجائعة فكانت اميل الى النحافة ، اما الآن وقد خرجت المراة الى طلب العلم والعمل ، وزادت حركتها ونمت عضلاتها وتناقصت سمنتها ، فقد ولدت قيمة جمالية جديدة هى الرشاقة وهكذا اصبحت النحافة قيمة جمالية ايجابية . واضح اذن أن الخصائص الجسمية تستمد معناها من ظروف تاريخية اجتماعية اقتصادية ، وانها لا تتضمن فى ذاتها معنى أو دلالة مطلقة خارج نطاق الزمان والمكان .

والامر بالمثل عندما تقارن مظاهر الشيخوخة والشيب لدى الرجل فى مجتمع قبلى رعوى ، ولدى المراة فى مجتمع صناعى حضرى معاصر ، لدى الرجل يقابل المشيب والشيخوخة بمظاهر الاحترام والتبجيل ، أن عددا كبيرا من الابناء والاطفال وابناء الاخوة والاخوات يظهرون له من الاحترام اعظمه واقصاه ، اما المراة ، فعلى العكس من ذلك تفزع من مظاهر التقدم فى السن وتحاول اخفاءه انها تواجه الوحدة من تقدمها فى السن ، وتواجه انخفاض المكانة والمنزلة ، فلقد كان جمالها ، وكانت جاذبيتها وفتنتها راسمالها فى هذا النوع من المجتمعات وها هو راسمالها يتناقص .

ليست اذن الخصائص الجسمية مطلقة المعنى او القيمة أو الدلالة ، وانما هى تستمد دلالتها وقيمتها ومعناها من سياق اجتماعى تاريخى ، على أن الاسهل والايسر ، والاكثر اتساقا مع بناء القوة فى المجتمع — فى حالة المراة بالذات — أن يتم الربط بين القيمة أو الصفة أو التصرف وبين الخصائص الجسمية ، فالمراة تتزين ، وترتدى ملابس من نوع معين وعلى صورة معينة وتتصرف بصورة معينة وتتسم بكذا وبكذا من السمات النفسية والوجدانية لانها « امراة » أن هذه العلاقة البادية بين الجسم وخصائصه من جانب والسمات النفسية والاجتماعية والسلوكية من جانب آخر « ربط خاطىء ». فنحن مهما أمعنا فى دراسة جسم المراة تشريحيا وفسيولوجيا لن تستطيع أن نجد الاجابة عن استخدامها للطلاء وادوات الزينة أو ابراز جمال الوجه والعينين ، أو اطالتها لشعرها أو ارتدائها احذية ذات كعب عال . ان هذه جميعا مظاهر حضارية ، اى نتيجة لظروف اجتماعية معينة ، أن ظروفا تاريخية دفعت المراة الى اتخاذ هذا الموقف من جسمها ، ولقد اوضحت دراسات الانثروبولوجيا الحديثة وبخاصة دراسات العالمة الامريكية « مرجريت ميد » كيف تقوم المراة فى بعض هذه القبائل بأدوار هى عندنا

قاصرة على الرجال ، بينما يقوم الرجل بأعمال لا يتصور صدورها عن غير النساء . ومع ذلك فهاهى المراة فى بلادنا وفى غيرها من بلاد العالم لا تكاد تترك عملا لا تقوم بها ابتداء من رئاسة الدولة او الوزارة حتى ادنى الاعمال شأنا . الخلاصة اذن أن الكثير مما يبدو لنا أنه من خصائص النساء ، أو من خصائص الرجال ، هو فى حقيقة الامر نتاج لدور اجتماعى انتاجى يقوم به المرء رجلا كان او امراة .

اكثر من ذلك لو وضح لنا أن الخصائص الجسمية صحية ومرضية تلعب الظروف الخارجية المادية دورا كبيرا فى ظهورها ، مثال ذلك أن الفرق الكبير فى القوة واللياقة البدنية بين الرجل والمراة يختلف باختلاف الظروف المادية ، بمعنى ان النساء العاملات فى المصانع والحقول عندما تقارنهن بالرجال الذين يقومون بأعمال ذهنية لا يظهرن اقل قوة بالمقارنة بهؤلاء الرجال ، ولقد أصبحنا نرى اقبال الفتيات والنساء على الوان من الرياضة العنيفة يكتسبن بسببها قوى ولياقة بدنية لم تكن مألوفة بين اسلافهن منذ جيل او جيلين .

العلاقة هنا أن نشاطا معينا تغير من شكل الجسم ، لا أن خصائص جسمية معينة تفترض سلفا ومقدما ضروبا بعينها من النشاط لا يمكن تجاوزه أو الخروج عليه .

ويقودنا هذا الى كشف بالغ الخطورة : لقد أصبح الرجل على ما هو عليه — نفسيا واجتماعيا وعقليا — بفضل دوره الانتاجى ، كما أصبحت المراة على ما هى عليه بسبب دورها الانتاجى . بل أن هذا الدور الانتاجى يعكس آثاره على كثير من الخصائص الجسمية والبيولوجية ونوضح ذلك بنماذج من المجال المرضى كانت ولا زالت جميع الاحصائيات تشير الى انتشار الكثير من الامراض الخطيرة كأمراض الجهاز الدورى مثلا بين الرجال بنسبة اعلى مما هى عليه بين النساء وسارع العلماء بتقديم تفسيرات بيولوجية حول أهمية دور المراة فى الحفاظ على الحياة . وظائف الحمل والولادة وما اليها . مما جعل الطبيعة توفر لها من القوة والحماية ما لم توفره للرجل، ثم بدأ خروج المراة للعمل ، وحمل الاعباء والتعرض للضغوط القاسية ، واذا بنسب هذه الامراض تأخذ فى الظهور ، وفى الارتفاع بين النساء العاملات ، مثال قرحة المعدة ، وهى مرض سيكوسوماتى — اى مرض جسمى الصورة نفسى المنشأ ، كانت تكاد تكون قاصرة على فئة بعينها من الرجال هى فئة ذوى المهن الفنية العليا ممن يحتلون المناصب والمراكز المرموقة ، وبالتالى يتعرضون لصراع بين طموح لا يعرف حدا يقف عنده ، وميلا مقابلا الى الارتخاء والاقبال الكسول الهادى على متع الحياة ومباهجها . واضح أن

مثل هذا كان لا بد وأن يكون بالضرورة مرض هذه الفئة وحدها من الرجال، وها هو الآن يزحف الى صفوف النســاء صفوف العامــلات الطموحات النشاطات . الصحة واللياقة ، والمرض والضعف اذن ليست أمورا بمعزل عن الواقع المعاش . أن اقبال المرأة على العمل وما يصــاحبه من تدخين وشرب للمنبهات والمكيفات وسهر وتوتر ... يدفع بالتدريج الى ارتفــاع نسب الكثير من الامراض بين العاملات من النساء لتقترب من نسبها بين العاملين من الرجال .

ان العامل الحاسم الذى جعل الانسان انسانا هو نوعية علاقته بالعالم المــادى وهى نوعية قوامها العمل ، أو بعبارة أخرى العمل الاجتمــاعى المنتج . أن عملية الانتاج هى العملية التى أدت الى تلك التطورات الهائلة فى حياة الانسان ، فقد أدت الى ظهور الحياة الاجتماعية ، وذلك لما يحتاجه الانتاج من تعاون بين الافراد كما أن الحياة الاجتمــاعية التى هى ضرورة اقتضاها الانتاج كان لها آثار نفسية واجتماعية هائلة ، لقد نشأت اللغــة عندما أصبح التواصل ضرورة اجتماعية انتاجية .

ان اختلاف علاقة الحيوان بعالمه ، تلك العلاقة البسيطة ذات الاتجاه الواحد ، والتى تقوم على تكيف الحيوان لهذا العالم ومواءمة نفسه له ، عن علاقة الانسان بهذا العالم اختلافا كيفيا ، يتمثل فى تغيير هذا العالم بواسطة العمل . هذا الاختلاف الكيفى الحاسم كان ايذانا بتحول فى وجود الانسان . تحول من مجرد الوجود البيولوجى الى طور أرقى من الوجود ، هو الوجود الاجتماعى . وهكذا لم يعد المستوى البيولوجى ، المستوى الادنى كافيــا لتفسير لظاهرات الانسانية ، أن فلاسفة العلوم يلفتون النظر الى ما يسمى بالطبيعة النوعية للظاهر ، والتى تعنى أن المستوى الادنى وان كان شرطا ضروريا لظهور هذا المستوى الا انه ليس شرطا كافيا . أن الجهاز الصوتى شرط ضرورى لظهور اللغة ، لكنه ليس كافيا لتفســير ظهورها وتطويرها وليس كافيا بحال من الاحوال مثلا مهمــا تعمقنا لدراسته فسيولوجيــا وتشريحيا للاجابة على سبب اختلاف اللغات واللهجات ، وجود الجهــاز الصوتى ضرورى لكن الحياة الاجتماعية وتطور العمل وتخصصه وتقسيمه ... الخ هذه جميعها هى الشروط الاجتماعية التاريخيــة لنشأة وتطور اللغات .

وفى النهاية لابد أن نشــير فى ايجــاز الى ما أبرزته الدراســات الانثرولوجية الحديثة من أن الانتقال من المجتمع الاموى ـ حيث كانت المرأة تحتل المكانة الاولى الى المجتمع الابوى ـ حيث تمت تنحيتها ، أو كما تقول ســيمون دى بوفوار فى كتابها « الجنس الثانى » حيث تلقت المرأة الضربة

القاضية ، ليس مجرد تبادل فى مراكز القوى حل فيه الرجل محل المراة ، يمكن النظر اليه وتفسيره تفسيرا بيولوجيا سيكولوجيا ، اى انه لا يجب أن نتصور فى سطحية وسذاجة ان الامر لا يعدو تحولا فى مكانة الجنسين لتفوق الرجل على المراة ، او لميل سيكولوجى لدى الرجل فى التحكم والتسلط، او لانه فى نهاية الامر مخلوق « ميال » للتحكم نزاع الى التسلط أو لانه فى التحليل الاخير « شرير » .

لقد كان المجتمع الاموى نتاج مرحلة من مراحل التطور الاجتماعى الاقتصادى . لقد كان ظاهره حتمية مستقلة عن ارادات الافراد وأمزجتهم وأهوائهم . وادى تطور نفس هذا المجتمع وتقدمه الى تحولات تدريجية توجت باكتشاف البرنز الذى احدث انقلابا هائلا فى علاقة الانسان بالطبيعة وبالتالى فى علاقته بنفسه . لقد استخدم المحراث المعدنى وبالتالى تحولت الزراعة من زراعة بدائية بسيطة الى زراعة كثيفة ولمحاصيل اكثر تطورا واقتصادية . كذلك تطورت أسلحة الحرب والدفاع ، بعبارة أخرى ، بدأ استخدام الادوات الجديدة يحتاج لمزيد من التخصص ولكثير من التدريب ، ولقوة بدنية ، وهى جميعها أمور متاحة بقدر أكبر للرجال ، وبقدر اقل كثيرا للنساء ، وبخاصة اذا ما تذكرنا أن المراة ما أن تصل الى سن البلوغ حتى يستنفذ القدر الاكبر من وقتها للحمل والولادة ورعاية الاطفال ، بينما ينصرف الرجال منذ مطلع البلوغ الى استخدام هذه الادوات والاسلحة مما يؤدى الى مزيد من المهارة والقدرة والى تطور مستمر فى قدرتهم العضلية .

وهكذا بدأ عهد جديد بالنسبة للرجل عهد المقدرة والاكتشاف والسيطرة والقوة والتحكم .

على أن من أهم الامور فى هذا الصدد هى زيادة انتاجية الفرد بحيث أصبح من الممكن ان يظهر للمرة الاولى فى التاريخ الانسانى « فائض » عن حاجة الافراد الاستهلاكية المباشرة . زاد الانتاج ، تطورت الاسلحة ، تمايزت قدرة الرجال . ظهرت على نطاق واسع الحروب بين الجماعات والقبائل البدائية ، وولد تحول جديد . لم يعد « الاسرى » عبئا لابد من التخلص منه بالتحرير او القتل ، وانما اصبحوا قوة يمكن استخدامها فى مجال الانتاج . وهكذا ولد نظام العبيد . وفى ظل تطور ادوات الانتاج فى هذه المرحلة وما ترتب عليها من زيادة الانتاجية بدات الملكية الخاصة تحتل المكانة المرموقة التى لا تزال تحتلها حتى عصرنا هذا ، وعلى راس هذه الملكية ملكية العبيد . ان من يملك عبدا منتجا يصبح فى امكانه اعتمادا على

طاقته الانتاجية أن يعفى نفسه من عبء النشاط الانتاجى وأن يعفى زوجته أيضا ، وهكذا كانت تلك « الضربة القاضية » التى وجهها الرجل للمرأة وجها من وجوه التطور الجديد . لم يستعبد الرجل المرأة وعيا واختيارا ، وانما تطور المجتمع البشرى فى جميع مظاهر حياته فظهرت العبودية والملكية الخاصة والفوارق الطبقية ومع ذلك ايضا تنحية المرأة عن مجال الانتاج الاجتماعى والعودة بها الى مجرد الدور البيولوجى / الانجاب ، ان الاستعباد اذن استعباد فئة قليلة لفئة كبيرة (كما فى روما حيث كان العبيد عشرة أمثال الاحرار) . صاحب وهىء لاستعباد الرجل للمرأة .

وهكذا نتبين عقم وسطحية وزيف النظرة الخاطئة نحو تحرير المرأة من ظلم الرجل ، ان تحرير المجتمع بأسره تحرير للمرأة والرجل معـــا . ان قدر المرأة فى المجتمع الانسانى لا ينفصل عن قدر الرجل .

المرأة والجنس

لا يخفى على أحد انه كثيرا ما يقال أن موضـــوع الجنس والحيـــاة الجنسية عند الانسان من أكثر الامور تعقيدا واثارة للحرج ، ويبلغ فى ذلك اقصـــاه لمن يحـــاول الاحاطة بالموضـــوع احاطة شاملة تســـتهدف النفاذ الى اصوله الاجتماعية الاقتصادية من خلال تصور تاريخى شامل .

ولقد مرت دراسة الحياة الجنسية عامة والحيـــاة الجنسية للمرأة خاصة بمراحل وتقلبات عديدة لعل أبرزها حالة التحريم والتجريم والتخويف، وغض النظر عن الامر كله وكأنه خارج نطاق المعرفة العلميـــة والتنـــاول الموضوعى ، وينظر الى هذا فى المراجع الاوربية بوصفه مظهرا من مظاهر العصر الفيكتورى وأثرا متخلفا من آثاره . لذلك كانت دراسات هافلوك أليس وكرافت ابنج وفرويد بدايات الثورة على هـــذا العصر والخروج من أسره ، وكان لفرويد أعظم الاثر فى تناول الحياة الجنسية كاشفا النقـــاب عن دورها فى حياة الانسان ومغزاها العميق والشامل ، كما كان لتوالى كشوف التحليل ودراساته واجتهاداته رغم تباين هذه الدراسات وتعارضها وتناقضها أيضا ، كان لها أعمق الاثر فى كشف الغموض عن ذلك الجانب من حياة الانسان .

كان للتحليل النفسى فضل فى كشف جانبين للحياة الجنسية ، جانبين متناقضين متحدين فى آن واحد ، الجانب البيولوجى للجنس من حيث هو « حاجة » Need غفل من المعنى والدلالة ، والجانب الانسانى من الجنس من حيث هو « رغبة » Desire لها بناؤها وشكلها ومعناها وسياقها

التاريخى . الحاجة هى الاساس والمستوى الادنى ، هى الطاقة الخام . والرغبة هى الشكل الانسانى التاريخى ، هى رغبة واعية فى . . . . . فى موضوع بعينه . الموقف هنا مماثل للحاجة الى الطعام ، وهى حاجة بيولوجية غفل ، والنشاط الانتاجى الاجتماعى وهو النشاط المحدد تاريخيا والشرط الانسانى الضرورى الذى من خلاله وبوساطته تأخذ الحاجة الى الطعام شكل الرغبة المحددة تاريخيا وشكل اشباعها وتحقيقها . وعلى هذا فكما أن عملية الانتاج هى الصورة التى يحقق من خلالها الانسان الحفاظ على حياته فهناك بالمثل نظام اجتماعى يحقق الانسان من خلاله الحفاظ على نوعه (أى يشبع رغباته الجنسية) هذا النظام هو « نظام القرابة » كما يسميه عالم الانثروبولوجيا الفرنسى كلود ليفى شتراوس Structures de La Parenté ان العجز عن ادراك هذه الوحدة الجدلية بين الاساس البيولوجى « للحاجة والشكل الاجتماعى التى يشكلها « رغبة » متعينة يعطل الفهم الحقيقى للحياة الجنسية لدى الانسان . ولقد كانت نقطة البدء فى هذا الاتجاه دراسة نظام « المحارم » Ifnceste وأصوله التاريخية . ان تأكيد العوامل الاجتماعية على حساب الاساس البويولوجى يحول بيننا وبين المصادر العميقة للحياة الجنسية والعاطفية للانسان ، كما أن عكس ذلك ، أى تأكيد الجانب البيولوجى للحياة الجنسية يجردها من انسانيتها ويعود بالظاهرة الانسانية بأسرها الى مستوى بيولوجى حيوانى تجاوزه الانسان منذ أصبح انسانا .

الجدير بالذكر أن هذه الدراسات الحديثة قد كشفت عن تلك العلاقة الجدلية الخصبة بين « الانتاج والانجاب » على هذا لم نعد كما كان الامر فى المراحل الاولى من تاريخ التحليل النفسى — نرى الجنس قوة تفرض بصماتها على جميع مظاهر الحياة ، وانما اصبحنا على العكس من ذلك نرى الجنس قوة غفلا تتلون وتتشكل وتتحدد صورها تحت تأثير الاشكال الاجتماعية الاقتصادية . وقد يرى البعض فى دراسات المحلل النفسى المرموق « فيلهم رايخ » تلك الدراسات التى تتخذ من المنظور المادى التاريخى اطار تبلور من خلاله مفهومات التحليل النفسى الاساسية ، ومن دراسات عالم الانثرويولوجى الانجليزى الاشهر مالينوفسكى على قبائل « التروبريانذ » مادة خام يستشهد بها ويعتمد عليها فى اقامة البرهان على ما ينتهى اليه من تفسيرات ، قد يرى البعض فى هذه الدراسات مبالغة وجموحا ، لسنا بصدد الحكم عليه فى هذا المقال ، لكنه يقدم لنا تفسيرا اقتصاديا سياسيا للجنس أو بعبارة أدق للقيود الجنسية وخاصة على المرأة من حيث هى قيود ذات أهداف سياسية نهائية ، هى بايجاز اقصاء المرأة بعيدا عن ميدان الانتاج الاجتماعى .

كما يرى فى جموح القيود الجنسية على الاطفال والمراهقين والشباب من الجنسين أدوات قهر سياسى ، وأن الامر فى نهاية المطاف هو تكوين شخصية معادية للمطالب الشـــهوية الجنسية ينظر اليهـــا بوجل وخوف وتستشعر الاثم والندم . وهذا التكوين هو بعينه ما يجعل القهر السياسى من قبل السلطات الحاكمة أمرا بالغ اليسر والسهولة .

والطريف أن محللا نفسيا آخر مخالفا لرايخ فى منطلقاته الاساسية وهو المحلل النفسى الفرنسى اليسارى Beruand Moldweif برنار مولدورف يذهب فى كتاب له نشر عام ١٩٧٢ وهو « Vers la Société Ereotibue الى أن الكبت الجنسى يخدم القهر السياسى ويمكن له ويدعمـــه . ويدلل على ذلك بأن كل تغير اجتماعى لا بد بالضرورة أن يلازم تغير أخلاقيا يشمل مجال القيم بأسرها بما فى ذلك القيم الجنسية .

ان الصورة المعاصرة بأسرها ـــ بخاصة فى أوربا الغربية والولايات المتحدة الامريكية واليابان ـــ حيث حركات تحرير المراة تبلغ ذروتها ، حيث التحولات الصناعية الحضرية تتزايد فى سرعة لا مثيل لها من قبل عبر التاريخ، يظهر فيها موضوع الحرية الجنسية بعامة والحرية الجنسية للمراة بخاصة.

على أن ثمة ملاحظة جديرة بالذكر لم يعد المشتغلون بالعلوم الانسانية يساورهم أقل الشك فى وحدة الحياة الانسانية ، وفى ذلك التفاعل الجدلى بين الانتاج والانجاب وبالتالى فنحن معشر المشتغلين بعلوم الانسان على اختلاف مواقفنا ومدارسنا لم نتردد فى قبول الطابع الاجتمـــاعى للحيـــاة الجنسية قيما وعادات وتقاليد وممارسات . لذلك فالكثيرون منا يتساءلون اذا ما كان الكبت الجنسى هو المدخل الى القهر السياسى للمراة أفلا يكون نقيضه المتطرف مدخلا له نفس الهدف وان اختلف طريق الوصول .

بعبارة أخرى اذا كانت بعض الاشكال الاجتماعية الاقتصادية تجرد المراة من انسانيتها أى قدراتها الانتاجية ـــ وتردها الى مستوى بيولوجى بدائى ، مستخدمة فى تحقيق ذلك مختلف أشكال القهر والمهانة الايديولوجية، بحيث يستقر فى وجدان المراة انها مجرد جسد يجب احكام الرقابة وفرض القيود عليه ، فان نقيض ذلك لا يختلف عنه . انها مجرد جسد ، صحيح انه جسد جميل ومثير وجذاب يجب كشفه واظهار محاسنه ومفاتنه ولا بأس فى أن تنشط أجهزة الصناعة والتجارة والاعلام فى ترويج ذلك والاتجار به وتحقيق الكسب من ورائه . انها فى نهاية الامر جسد فقط .

واذا كانت طبيعة العصر هى فضح القهر القديم وانهاؤه فان القهر الحديث أكثر خطرا وأشد ضررا . . ولعـــل فى دراســـات المحلل النفسى الامريكى « اريك فروم » ما يلقى الاضواء على هذه الصورة الجديدة من

الاغتراب أو الاستلاب ، اذ تغترب المراة عن أدوارها الانسانية العــديدة والثرية بكل مافيها من خصوبة لتصبح مجرد دمية جميلة للعرض على الرجال واثارة اعجابهم . ان النساء يصبحن بهذه الصورة «جوارى العصر الحديث» ومع ذلك فهذا أمر نستطيع فهمه اذا ما كان الاطار الجدلى واضحا فى اذهاننا فنحن هنا بازاء حركة جدلية تسير بالموضوع الى نقيضه ثم الى الجمع بينهما ، ففى العصور السابقة كان القانون نفى الجسد وتأثيمه ، ثم فى عصر التطور الراسمالى يأتى النقيض حيث تأكيد الجسد على حساب غيره من جوانب الوجود ، ثم يعقب هذا مرحلة يحتل فيها الجسد مكانه بجانب العقل والعمــل .

ان تحرير المراة تحريرا حقيقيــا لا يأتى الا بتحرير المجتمع بأسره ، رجالا ونساءا وتحرير الحياة بجميع جوانبها جسدا وعقلا وعملا منتجا .

المراة والزواج والامومة

لعل من أجدر الامور بالتأمل الجاد والمتأنى ذلك التصور الذى استقر فى أعماق وعى الانسان المعاصر وبخاصة الرجل ، وان كانت المراة تشاركه فيه بحكم انتمائهما معا الى نفس العصر ونفس النظام الاجتماعى ، ذلك التصور الذى يقوم على المطابقة الكاملة بين المراة والزواج والامومة بحيث لا نستطيع أن نتصور المراة دون أن تكون زوجة وأما . انه دورها وقدرها ، بينما يختلف الامر تمام الاختلاف بالنسبة للرجل . اننا نتصوره من خلال عمله ومكانته وثرائه . الى آخر هذه الادوار الاجتماعية . اننا اذن دون وعى ننظر الى الرجل من حيث هو كائن اجتماعى فى المقام الاول ، بينما ننظر الى المراة من حيث هى كائن بيولوجى فى المقام الاول ، اجتماعى فى المقام الثانى . والى عهد قريب وربما حتى الآن داخل قطاعات كبيرة من مجتمعنا المصرى كان الشعار السائد بالنسبة للفتاة هو « بيت العــدل » ولازال المجتمع حتى الآن يؤكد هذا الامر عن طريق مختلف أجهزته ومؤسساته الاعلامية والجماهيرية . ولو أننا وقفنا أمام ذلك التقليد الشائع فى ريف مصر اذ يطلق على الزوجة اسم ابنها الاكبر فتنادى « بأم فلان » . وعلى هذا فالفتاة المصرية تعد ــ بخاصة فى قطاع الريف ــ لدور الام بينما نجد الزوجة الاوربية تأخذ اسم زوجها فتصبح « مدام فلان » ان المجتمع الغربى يؤكد دور الزوجة الانثى بينما يؤكد مجتمعنا دور الزوجة ــ الام ولذلك نجد الزوجة الاوربية اكثر حرصا على أمومتها وعلى مظاهر هذه الانوثة ، فى الوقت التى نجــد فيه الزوجة المصرية ــ ومن فى مثل ظروف مجتمعهــا الاقتصادية الاجتماعية ــ اكثر حرصا على أمومتها على حساب أنوثتها .

وليس سرا ما يعرفه معظم المشتغلين بالطب النفسى والعلاج النفسى من تفشى « البرود الجنسى » بين نسبة بالغة الارتفاع من الزوجات ، وبخاصة فى الاجيال القديمة . وجدير بالذكر المقابلة الواضحة بين الامومة والانوثة ، واجلال الامومة وتكريمها والغض من شأن الانوثة وكفها .

ونشير هنا الى رأى يبدو — بالنسبة للرجال — غريبا فى نطرفه ، تعلنه جماعات النساء المطالبات بتحرير المرأة مؤداه ان حرية المرأة لا تصبح حقيقة الا عندما يصبح العمل بالنسبة لها يفوق فى الاهمية الزوج والابناء ، واذا بدا هذا غريبا فهذا هو موقف الرجل فهو يضع عمله فى المقام الاول ، يعقبه حياته الزوجية ، ونحن نقبل أن يطرح الزوج على زوجته العاملة فكرة ترك العمل والتفرغ للاسرة ، بينما لا يخطر على بالنا أن تطرح الزوجة على زوجها مثل هذه الفكرة .

وهنا يبرز تساؤل : وماذا عن الاسرة ؟ ويعنى هذا التساؤل أن الاسرة بالفعل فى حاجة الى من يتفرغ لها ، وأن من تقوم بالعبء الاكبر ، الحمل والولادة ورعاية الاطفال وارضاعهم هى المؤهلة بيولوجيا وسيكولوجيا لتحمل هذه الاعباء . ان فى الامر قدرا من المبالغة ، أو سوء النية . فالرجل يشارك فى عملية الانجاب وعليه أن يشارك فى تحمل بعض العبء فيما يتعلق برعاية الاطفال وتربيتهم ، ربما فى سن متأخرة بعض الشىء ، لكن فى امكانه بل ومن واجبه المشاركة . ومع ذلك فان ظروف الحياة المعاصرة وبخاصة مشاكل الانفجار السكانى وأخطاره تجعل تحديد عدد الابناء ضرورة ملزمة . وعلى هذا فعدد مرات الحمل طفلين أو ثلاثة ، لا يمكن أن يكون مبررا لاعتقال المرأة داخل جدار المنزل بحجة الحمل والولادة هذا بالاضافة الى أن المرأة أثناء الحمل قادرة على ممارسة القدر الاكبر من الاعمال طوال فترة الحمل كلها أو معظمها ولا يستثنى من ذلك الا الاعمال الشاقة والعنيفة وهى بطبيعتها أعمال محددة كما أن تطور استخدام الطاقة ، كهربائية وميكانيكية وذرية يجعل الحاجة الى القوة البدنية فى تناقص مستمر . بعبارة موجزة أن وهم عجز المرأة أثناء الحمل هدفه الحقيقى استبعادها عن مجال الانتاج ، ومع ذلك وعلى أسوأ الفروض فان امتناع المرأة عن العمل أثناء الحمل لا يقوم مبررا لاستبعادها عن مجال الانتاج طول حياتها ، ويمكن اعتبار جزء من فترة الحمل اجازة ، فالابناء فى نهاية الامر هم جيش العمل المقبل وحشود المنتجين . اما عن فترة الحضانة فان حاجة الطفل الى رعاية الام لا يستوجب بالضرورة حرمانها وحرمان المجتمع من قدراتها الانتاجية . ان علم النفس الحديث يؤكد حاجة الطفل الى حنان الام ، لكن الام المحرومة من حقها فى اكتشاف وممارسة قدراتها الخلاقة ، وتطوير امكانياتها لاحتا

بتطور امكانيات زوجها لا تستطيع وقد امتلأت ضيقا وكمدا بما وقع عليها من غبن وظلم ، لا تستطيع أن تمنح حنانا حقيقيا لطفلها . ان الابناء فى حاجة الى حنان الام الراضية السعيدة الناضجة . واذا كانت ظروف العمل قد تم تشكيلها بما يتفق وظروف الرجال ، فليس هذا الشكل الرجالى هو الشكل الوحيد الممكن ، ان اسهام النساء جميعهن فى عملية الانتاج سيفتح الطريق أمام اشكال جديدة لتنظيم العمل بما ينفق وظروف المراة . على أن الطفل لا يلبث أن يصبح ـ وفق قوانين النمو النفسى . ابتداء من النصف الثانى من العام الثانى فى حاجة الى التحرر من قبضة الام ولعل فى دور الحضانة ومعسكرات الاطفال وغير ذلك من التنظيمات التى تتيح للاطفال فرصة حياة اجتماعية أكثر رحابة وتحررا واتساعا ، لا ما يعوض انصراف الام لعملها فقط ، بل يحمى الطفل من غوائل حياة أسرية ضيقة ومغلقة داخل جدران منزل يضمه ووالديه يعانى فيه من ضيق المكان وعدم توافر الاقران، وهو أمر بالغ الاهمية فى تطوير نموه الاجتماعى . ان الاسرة المحدودة يمكن أن تكون سجنا حقيقيا يفرض فيه على الاطفال ظروف الوالدان وعيوبهم وقصورهم . أما فى المؤسسات الاجتماعية الرحبة فان الحياة الجماعية تحت اشراف أحد الاخصائيين المؤهلين لفترات طويلة من النهار ما يحقق للطفل تحررا ونضجا اجتماعيا مناسبا لاعباء العصر بعيدا عن السلطة الوالدية التى كثيرا ما نكون خانقة سواء فى تحكمها أو تخوفها ومبالغتها فى فرض الحماية والرعاية .

واضح أن افكارا من هذا النوع يمكن أن تحرك مخاوف الكثيرين وتدفعهم الى كيل الاتهامات ، ومع ذلك فقد وضحت لنا الطبيعة التاريخية للأسرة وتحولاتها التاريخية فقد تعددت أشكال الزواج من جمعى الى تعدد للازواج الى تعدد للزوجات الى أحادية الزواج ، ولقد تحولت الاسرة من اسرة ممتدة كما هو الحال فى الكثير من الاسر الريفية فى المجتمعات الزراعية، الى الاسرة « النووية » أو المحدودة التى تضم الزوج والزوجة والابناء القصر . كما أن كثيرا من وظائف الاسرة تولتها المؤسسات الاجتماعية المتخصصة ، فقد كانت الاسرة فى نظام الطبقات المغلقة Caste Systsm وحدة تربوية انتاجية تعليمية ، ثم بدأت هذه الوظائف فى الانتقال من الاسرة الى المؤسسات الاجتماعية ، ولعل فى دور الحضانة مظهرا من مظاهر انتقال وظيفة من وظائف الاسرة الى مؤسسة متخصصة ، كما أن تقسيم العمل داخل الاسرة ، حيث الزوج للانتاج والزوجة للانجاب قد بدأت فى التغيير . بل ان الوظيفة الاساسية للاسرة ذاتها وهى الانجاب اصبحت مهددة فى بعض دول شمال أوربا التى يتناقص عدد سكانها .

خلاصة القول أن فجر عهد جديد يشرق على الانسانية ، وهو عهد يكتشف فيه الانسان ذاته ويصنع بوعى تاريخه ويدير ظهره الى ما غير رجعة لقيود التخلف ومعوقاته ، ولعل من أهم معالم هذا العهد ميلاد الحرية من حيث سلطة العقل والمعرفة العلمية ولقد دفع العمل التطور الانسانى لاستشراق آفاق جديدة . ولعل أهم هذه الآفاق اكتشاف المراة لانسانيتها ، واكتشاف الرجل أنه لا يصبح انسانا الا بقدر اكتشافه لانسانيته فى انسانية المراة .

ان استرداد المراة لهذه الانسانية هو الوسيلة التى يكتمل بها وعى الرجل بانسانيته بحيث يواصل ارتقاءه حرا من قيود التخلف .

المراة والعمل

لم يعد ثمة مجال للشك ولا موضع للخلاف حول دور العمل فى تطور الانسان وارتقائه وتحوله من كائن بيولوجى الى كائن اجتماعى ، وبالتالى ميلاد الحياة الاجتماعية واللغة والفكر .

وعلى هذا فاسترداد المراة لانسانيتها المفقودة لا يكون الا باسترداد هذا المقوم الرئيسى وهو العمل ، ان خروج النساء جميعهن الى مجال الانتاج الاجتماعى هو طريق التحرر ، وليس ثمة طريق آخر غيره ، وجميع مظاهر الوجود الاخرى نتائج تترتب على هذا الجانب وتتبعه . ان خروج المراة الى الانتاج هو الذى سيغير من مكانتها الاجتماعية والتشريعية ، ومن السذاجة ان نطالب بثورة تشريعية قانونية تسترد بها المراة حقوقها ، ان هذه الثورة نتيجة تعقب ولا تسبق بحال من الاحوال التغير المادى الفعلى فى موقع المراة من عملية الانتاج . ان المشاركة فى الانتاج تفجر الطاقات الخلاقة الكامنة للمراة ، وتعيد خلقها وتكوينها وتطويرها . لقد اكتشف الرجل ذاته واكتشف جسمه ومهاراته وقدراته النفسية الحركية Psychom o:or abı i :es من خلال النشاط الانتاجى العملى ، لقد أصبح جسمه أداة عمل ، وقوة تتحكم فى أدوات العمل . اما المراة فعبر عشرات القرون وابتداء من التحول من المجتمع الاموى الى المجتمع الابوى ، حيث نحيت عن عملية الانتاج ، بدأت علاقتها بجسدها فى المرور بتحول تدريجى بطىء أصبح فيه هذا الجسد أداة للاثارة والغواية الجنسية . ان الرجل يسيطر على العالم بجسمه من حيث هو قوى انتاجية عضلية وعقلية ، كما يسيطر بهذا الجسم وبهذا المعنى أيضا على المراة . اما المراة فقد اصبح جسمها بما له من قوة خاصة تتمثل فى المفاتن المثيرة عندها فى التعامل مع الرجل والسيطرة عليه ، ومن هنا اصبح على الرجل لكى تكتمل له جميع حلقات السيطرة ان يسيطر

على هذه الطاقات الفاتنة المثيرة لحسابه الشخصى . وبدأ يطور ايديولوجيته الخاصة به والتى تمكنه من أن يحكم قبضته على مفاتن هذا الجسم وعلى كيفية استخدام هذه المفاتن .

وعلى هذا فخروج المرأة الى العمل لابد أن يغير بالتدريج — وهو تدريج سيستغرق حقبا طويلة — من علاقتها بجسمها ومعنى هذا الجسم ودلالته . سيتحول هذا الجسم من جسم « سلعة وعبء » غريب عليها يحمل فى ثناياه عبوديتها أو بعبارة مستمدة من فلسفة سارتر ومصطلحاته الوجودية — سيتحول من جسم يوجد فى ذاته en -Soi الى جسم يوجد « لذاته » Pour - soi اى ببساطة شديدة ستوجد المرأة لذاتها بعد أن ظلت توجد للآخرين وسيستمد جسمها بالنسبة لها معانيه من ظروف حياتها الجديدة التى تعيشها هى بحريتها من خلال الانتاج . وهنا تولد علاقة جديدة بين المرأة وجسمها . علاقة قوامها المعايشة الحرة والخلاقة لامكانيتها الانسانية الحقة .

اى أن المرأة تتحول من كيان جنسى مغترب الى كيان انسانى ممتلىء ومكتمل . وهذا التحول لابد أن ينعكس على علاقتها بالرجل انعكاسا من شأنه أن ينتزعه من اسار وعيه الزائف بذاته . وهو وعى وجه الزيف فيه أنه يقوم على نفس الاسس التى يقوم عليها ذلك الجدل الشهير « جدل » العبد والسيد الذى تناوله هيجل فى كتابه الاشهر « فنومينولوجيا الروح » فكما أن الزيف فى جدل العبد والسيد هو فيما يبدو عليه حال السيد فى أول الامر من تحكم فى عبده وسيادة عليه الا أن الامر لا يلبث أن يتكشف عن نقيض ذلك وعكسه اذ يصبح السيد عبدا لتحكمه فى عبده حتى ليصبح العبد سيدا لسيده هكذا الحال فى وعى الرجل الزائف الذى يتخلق فى خضم العلاقة المغتربة بالمرأة ، جسدا جرده من انسانيته وسعى الى امتلاكه وتكبيله وتجريده من حريته ، فاذا به وقد صار عبدا لهذا الذى كبله بقيود من أوهامه الا نجد فيما يتردد على السنة العامة من أغان شعبية فلكلورية مازالت دارجة هذا الخوف العميق فى نفس الرجل من المرأة . ها هو السجان يرتعد خوفا من انتقام السجين . ان عديدا من الامثلة والمردودات الدارجة تدور حول « غدر النساء » وعن « تغرير حواء بآدم حتى طرد من الجنة » .

ان هذه الحرية الجديدة ستغير اذن من علاقة المرأة بذاتها وبالتالى من علاقتها بالرجل وفى المقابل من ادراك الرجل لها وما يترتب على ذلك من تحول فى ادراكه لنفسه لا بوصفه سيدا مهددا فى سيادته ، وانما بوصفه « شقا » لا يجد كماله الا فى التقاء الحر ووحدته الخلاقة ، بشقه الآخر .

الخلاصــــة

حاولنا فى هذه الصفحات القليلة أن نقدم معالم موجزة وعامة لما يمكن أن تلقيه العلوم الانسانية المعاصرة من أضواء على قضية المرأة المعاصرة وسعيها نحو تحرير الانسان من خلال تحريرها لنفسها . او قل سعيها نحو تحريرها لنفسها هدفا نحو تحرير أوسع وأرحب افقا يمتد ليشمل الوجود الانسانى بأسره . ولعلنا استطعنا من خلال تصور أكثر شمولا يأخذ بالوحدة ويستلهم النظرة التاريخية التى ترى الاشياء جميعها فى حركة دائبة وصيرورة لا تتوقف ــ أن نضع قضية المرأة والحرية داخل اطارها الصحيح ، وهو تاريخ الانسان فى سعيه الذى لا يتوقف نحو التطور والى الامام . ولما كانت هذه المسيرة تتبع ايقاعا جدليا ثلاثى الخطى ، يبدأ بالايجاب ثم يعقبه السلب ثم يعود فيجمع بين الخطوتين فى خطوة ثالثة تتجاوزهما معا . فقد أشرنا الى طور من تاريخ المجتمع أخذت فيه المرأة المكانة الاولى ثم أعقبه طور سالب نحيت فيه عن مكانتها السابقة وما زال عصرنا يعيش قضايا هذا التطور ، ولا ريب أن طلائع طور جديد يشرق فجره على البشرية ، يتجاوز حدود السيطرة والتبعية ، ويفتح الطريق الى « مستقبل » يتجاوز حدود المــاضى ويتخطى قيوده وعقباته . لقد مضى عصر المرأة وأعقبه عصر الرجل ولعلنا على موعد مع عصر جديد أو قل **فجر جديد هو « فجر الانسان الحق والحر »** .

نظرة بيولوجية :

تحرير المرأة.. وتطور الإنسان

د يحيى الرخاوى *

لاشك ان الدراسات الانسانية عامة ، والدراسات النفسية بوجه خاص قد اضافت بعدا علميا لقضية المراة بحتاج الى عمق نظر ، حتى نخلص منه الى ماهو خليق بدفع عجلة الانسانية الى التقدم ، اذ نتخلص مما قد يضللنا عن طريق التطور الانسانى .

ومصدر الضلال يأتى من التركيز على دراسات مستعرضة تعمق الفروق بين الرجل والمراة او تمحوها تماما ، وكلا النقيضين له نفس الخطر ، ولذلك ينبغى أن نستلهم التاريخ ونحن نقيم الحاضر ونرسم للمستقبل ، كما ينبغى أن نواجه مضاعفات انحراف المسار وخداع الفكر التى تصرخ فى وجوهنا فى كل لحظة ، نواجهها بشجاعة المؤمن بالاستمرار بيقين الفيروس وهو يتحصن متبلورا كالجماد ثم تدب فيه الحياة ليصعد انسلم الى الاميبا حتى يصنع الانسان (!) وهذه المضاعفات قد تركزت حاليا — كعينة — فى العيادات النفسية فى صورة أعراض وأمراض ، فجسدت المشكلة بأبعادها الواقعية واثرها على هذا الجيل ، وربما الأجيال اللاحقة .

وفى هذا البحث سوف احاول ان اجمع الخيوط من التاريخ البيولوجى، حتى نعرف أبعاد الحاضر ، عسى أن تكون هذه النظرة الطولية مكملة للتفاصيل المستعرضة — التى لن اعرج اليها — وموحية وموجهة الى طريق المستقبل ، ثم نلقى نظرة بعد ذلك الى المشاكل اليومية الملحة .

ولنسمح للأسئلة الآن ان تطرح نفسها :

اولا : اين تقع قضية المراة فى مشكلة التطور الانسانى — باعتبار الانسان ممثل للكائن الذى يقف على قمة الهرم الحيوى ؟

---

* استاذ الطب النفسى المساعد . كلية الطب ، جامعة القاهرة

ثانيا : ماهى حقيقة الفروق الفردية بين الجنسين ؟

ثالثا : ما هى قضية الرجل وأين تقع من قضية المرأة تطوريا ؟

رابعا : ما هى صور المشكلة كما تلح علينا فى الممارسة اليومية ؟

ولنبدأ بالسؤال الاول : **أين تقع قضية المرأة من مشكلة تطور الانسان ؟**

وللاجابة على هذا السؤال لابد أن نحدد ابتداء مفهوما لكلمة التطور نتصور من خلاله أين نقف ، وقد فضلت ان أستعمل هذه الكلمة — تحديدا — حتى اقترب من الفكر البيولوجى من ناحية ، وأعلن مسار فكرى المرتبط برؤية الانسان طوليا فى تحول مطرد نحو التكامل حتى فى تاريخه الفردى القصير (٢) من ناحية اخرى ، والمعنى الذى التزم به هنا فى استعمال كلمة التطور هو انه ، « العملية التى ينمو بها العضو أو الكائن نموا يجعله أكثر تعقيدا ولكنه أكثر تكاملا فى نفس الوقت فهى عملية تستلزم تغيرا مستمرا مطردا نحو وجود أعمق وارقى معا » ومن هنا كان التطور غير مقتصر على عضو أو جنس وانما هو دليل الحياة وقانونها الاساسى.

ومن هذا المنطلق نبدأ فنحدد موقع المرأة على سلم التطور :

لاشك أن المرأة — مثلها مثل الرجل — كائن ناقص ، بمقاييس التكامل البشرى ، وهذه الحقيقة لا تهز موقف الأنسان على سلم الحياة وانما تحفزه الى التكامل .

ونحن نعرف « التكامل » — رغم كونه مستقبلا فعلا — أما بتصور نظرى يتم رسمه بأمتداد الخطوط الطبيعية فى اتجاه الرقى ، واما بعينة حاضرةتدلعلى المستقبل،تتمثل هذهالعينة فى الخبرة— المؤقتة فى العادة— التى يمر بها الفنان أو الصوفى (واحيانا المضطرب عقليا فى أولى مراحل اضطرابه) وأحيانا تتحقق لفترات أطول واثبت فيما اسماه ابراهام ماسلو (٣) خبرات القمة **Peak experieuce** أو تحقيق الذات **self actualisation**

وقد ركز اغلب المشتغلين بما يسمى حاليا علم النفس الانسانى *
Humansric Psychology
على مثل هذه الخبرات ، تأكيدا لقدرة الانسان على التكامل .

---

* يطلق هذا التعبير على الحركة الثالثة فى تطور علم النفس بعد حركة التحليل النفسى ثم علم النفس السلوكى وهى تهتم بالاتجاه الانسانى التكاملى والوجودى .

على ان نقص المراة يختلف عن نقص الرجـــل نوعيـــا ، وان كانا يسيران الى نفس الهدف المشترك بطبيعة افتراض ان التطـــور هـــو الحياة ذاتها .

ولكن يبدو أن القيم التى وضعت لتعريف التكامل الانسانى كما يبدوفى خبرات القمة قيما ناقصة أو متحيزة فلو راجعنا رؤية ماسلو للمراة لاصابنا نوع من الدهشة أو الجزع اذ يقول فى مقـــالة عن الـــدوافع الفوقيـــة أو البعدية) (٣) Meta - Motives « ... ولا بد من القول بأن ما سبق ذكره (عن الرجال ينطبق على النساء ، ولكن ربما بطريقـــة مختلفة » ... ثم هو لايشرح تصوره لهذا الاختلاف ، حين يصف المراة التى تمثل ما يعتقده حول طبيعة هذاالاختلاف ، يصف امراة تقوم بدور ربة العائلة فى ايمان وصدق ونجاح وعطاء ، وينهى هذه الفقرة بقوله بأمانة علمية متواضعة « ... وعلى كل حال فانه ينبغى على ان أقول انى اشعر بأنى اقل ثقة حين اتكلم عن « تحقيق الذات عند النساء » .

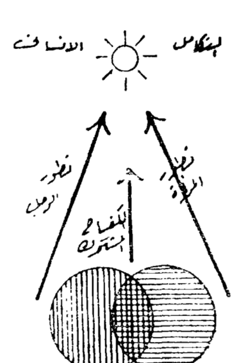
وعلينا أن نقف هنا لحظة قبل ان ندمغ المراة بقصورها عن التواجد الانسانى الأرقى فنضع لهذا الاتجاه تفسيرات محتملة :

فاما اننا لم نهتد بعد الى طبيعة خطوات المراة على طريق التطورفنحاسبها — دون أن ندرى — بمقاييس الرجل .

واما أن القهر الذى لحق — ويلحق — بالمراة هو التفســـير لهـــذا التخلف الظاهرى وفى المثال الذى أورده ماسلو اشارة الى احتمـــال ان خطوات المراة الى التكامل تبدأ بتحقيق تكاملها كأنثى ... ثم تنطلـــق من هذا الموقع الى تحقيق قدراتها المتصاعدة لتحقق كانسان متكامل .

ومن هنا يتكون الفرض الذى نطرحه فى هذه الصـــورة « ان نقص المراة يختلف عن نقص الرجل رغم أنهما يهدفان الى الالتقاء فى « هدف ما» يقع فى المستقبل ، مهما اختلف موقع كل منهما حاليا من هذا الهدف »

فاذا كان التطور مسيرة متصلة طوليا — وهو كذلك — فانهما دائمى الاقتراب من بعضهما البعض لتوحد الهدف واستمرار التقدم



شكل (١) يبين الاتجاه الموحد للتطور رغم اختلاف المسارات

فقضية المرأة اذن ليست إلا أحد شقى قضية سعى الانسان الى الكمال — أو التكامل — وليست قضية سعى المرأة الى المساواة بالرجل أو التحرر منه ، اذ انه هو ذاته بنقائصه واغترابه وشقاءه ليس مثلا يحتذى كما انه — لذلك — دائم السعى نحو التكامل .

ولكن لاننسى أن نؤكد أن هاتين القضيتين — المرأة والرجل — رغم اختلافهما فى كثير من التفاصيل ما هما الا قضية واحدة ، وكلما اقترب الرجل والمرأة من الهدف ، كلما تقاربت دائرتهما حتى تتداخلا رويدا رويدا ، ولنا أن نأمل أن تنطبقا عند الهدف ، والتشابه والمشاركة موجودان منذ البداية وهما فى تزايد دائم ، والصراع المشترك ضد الطغيان والجمود والتدهور ، هو اعظم صور التشابه ، واخيرا فان الشكل (١) يوضح أن البعد عن الهدف المشترك لايعنى الا التدهور والجمود ، وبالتالى فانه كلما اختلف الرجل عن المرأة فى السعى الانسانى كلما كان التخلف سائدا فى مجتمع ما ، فى وقت ما .

ثانيا : ماهى الحقيقة البيولوجية وراء الفرق بين الجنسين ؟

والآن : نستلهم التاريخ لنعرف متى نشأ تقسيم الكائنات الى جنسين ؟ (ولماذا)

كان النمو هو الـدافع الطبيعي للتناسل في بـداية الأمر ، وكان التناسل يتم في أبسط صوره بالانقسام لحفظ النوع .

ثم يظهر اول أنواع التناسل «بالاتحادالمؤقت» بين اثنين من البروتوزوا الضعيفة التي سبق أن كررت الانقسام حتى انهكت ، فتتحد اثنتـان من البروتوزوا ضعيفتان وتصب كل منهما من نواتها تيارا من البروتوبلازم ينفذ الى جسم الاخرى ثم تنفصلان ، ويظهر انهما قد قويتا بهذا التزاوج«المجدد للشباب » اذ تنقسم كل منهما بعد ذلك بقوة تختلف عن الضعف السابق، وبحقق الانقسام مرة أخرى اغراض استمرار الحياة (ولعل هذا هو اول ما عرفه بيولوجيا عما يقابل الجنسية الذكية !) .

وننتقل بعد ذلك الى التناسل بالاندماج « وليس بمجـرد الاتحـاد المؤقت حيث لاينشأ في البندورينا Pandorina (مستعمرة برتوزوية) كائن جديد الا باتحاد جرثومتين متناهيتين فى الصغر .

أما في مستعمرة البروتوزوا المسماة بالايدورينا Eudorina فيظهر أول تمييز بين الجنسين حيث تنقسم الخلية الى جراثيم بعضها كبير وساكن - الأنثى - وبعضها صغير ونشط - الذكر - ولا يتكون كائنجديد الا عندما تنفذ جرثومة صغيرة في داخل جرثومة كبيرة (وهذا أول تفـوق للأنثى عن الذكر بالحجم والاستقرار) .

على ان هذه الخطوة (التناسل بالاندماج) لاتطرد على سلم التطور بالضرورة ، فنجد أن كائنات أرقى (الفطريات) تتناسل جيلا بالانقسـام وجيلا بالاتحاد بين جرثومتين فيتكون الجيل الثـالث ... وهكـذا (وكأن الحاجة الى الذكر لم تتأكد بعد) ونفس الظاهرة نجدها في كائنات أرقى : اذ نجد بق النبات المسمى Aphis يمر بطور تخرج منه بويضـة كبيرة اناثا فقط رغم انه سبق تلقيحها بذكور ، وتستمر اجيـال الاناث تتـلاحق دون ذكور حتى فصل الصيف حيث يخرج فجأة ذكورا تلقح اناث جيلهـا التي تضع البيضة الشتوية ... وهكذا .

من كل ذلك نستطيع أن نخلص الى المشـاهدات والاسـتنتاجات التالية :

١ — ان تميز الكائنات الى جنسين انما قصد منه التهجين Cross fertilisation أساسا لتحسين النسل وارتقاء النوع بالتالى .

٢ — ان الذكر ليس لازما - دائما - للتناسل ، وانه حتى بعـد ظهوره تطوريا أمكن الاستغناء عنه بضعة أجيال (وهذه الحقيقـة ثبتت

تجريبيا ايضا حيث نجح كثير من العلماء مثل جاك بوب في أن يفقس البيض غير الملقح لأصداف البحر Sea Urichns ونجمة البحر Star Fish بأن وضع البيض في مواد كيمائية معينة حتى فقست .

٣ — ان الانثى — حتى هذه الاطوار البدائية على الاقل — كانت هي اساس الحياة وصلبها كما كان حجمها يجعلها تتفوق بلا جدال على الذكر .

وقد كانت الطبيعة سخية مع الاناث الى حد مفرط ، مستهينة بالذكور الى حد ملفت ، ونظرة من الرجال الى هذه الحقائق لابد وان تكسر غرورهم وان تفيق بها النساء اللاتى ينادين بالمساواة بهم ، فنحن نجد أن الذكر أصغر واضعف من الانثى في كثير من الأحوال ، ونجد وجوده احيانا مستمدا من حاجة الانثى اليه وموقوتا بأداء مهمته التلقيحية احيانا (مثل النحل والعناكب) ونرى اول دليل على تفاهة دور الذكر في السنجام Syngame (وهو طفيلي يعيش داخل الطيور) حيث نجد كائنا كبيرا يفرز بويضة (أنثى) ثم كائنا أصغر منه يعيش متصلا به على الدوام (ذكر) وكأنه طفيلي عليه ، كما يلاحظ ان انثى الفراشة أطول من الذكر خمس عشرة مرة وتزن عشرات أضعاف وزنه ، ويبلغ الذكر في بعض انواع الحشرات حدا يكون فيه أشبه بالنملة التي تدب على ظهر الخوخة .

والذكر يقوم برعاية الصغار من قديم ، حيث نجد ذكر الزقزوق مثلا (نوع من السمك) يحمل البيض الذى تفقسه الانثى في جراب على بدنه ويعنى به حتى يفقس (وكأنه « حامل » بدلا منها » . . .)

وهكذا نؤكد ما سبق أن أشرنا اليه من أن تميز الانثى في المراحل الاولى كان مؤكدا ، فماذا حدث في تاريخ الحياة حتى تفوق الذكر في الحجم والقوة (في الانسان واغلب الثدييات وبعض الطيور مثلا) .

يقول التفسير البيولوجي التطوري انه بعد تعقد الحياة واخذها صورة الصراع الدموى بين الأنواع ، وحتى بين أفراد النوع الواحد ، بدأ الذكر النشط يأخذ مسئوليته لحماية الانثى المستقرة ، وبدأ العدوان يصبح الصفة المميزة لحفظ النوع ، ومن هنا كان الذكر الاقوى هو الذى يحتفظ بحقه في التلقيح بأن يقضى على كل الذكور الاخرى في القطيع ، ومن خلال هذه النقلة الخطيرة في تاريخ التطور اخذ الذكر يزهو بقوته ويتفوق في حجمه (٤) (ونظرة الى الكباش والأسود والديكة كافية لاظهار هذه الحقيقة واصبحت الانثى تستكين في حماية الذكر لفترة طويلة الا ان الذكر الذى عانى من التفاهة والاهمال فترة طويلة من تاريخ التطور بدء

امامه الفرصة ليعوض ما كان ، فيفرض مكانته البيولوجية ويزهو بأهمية عدوانه فى تحسين النسل ، حتى ارتبط العدوان تماما بهرمون الذكورة التستسترون Testesteron (٥) وانتقلت هذه النزعة الى الانسان الذى اخذ يبالغ فيها بشكل يبدو وكأنه تعويضى اوحتى انتقامى

ثم تختفى الحاجة الى العدوان الجسدى كعنصر ضرورى لبقاء النوع ويكاد يحل محله ما يمكن أن نسميه العدوان العقلى فى صورة التفوق الاكاديمى والثروة والسلطة السياسية والمكانة الاجتماعية (٤) وحتى الخلق الفنى (٦) ويستمر الرجل فى استحواذه على هذه الادوات دون المرأة — ويحاول تحت تأثير تبريرات مستعرضة ان يثبت الفروق بينه وبين المرأة وكأنها ازلية ، فى حين انها ما ظهرت الا حين كان العدوان ضرورة بقائية حيث يقتل الذكر الأقوى الاضعف ، حتى يأتى الجيل القادم من صلب الأقوى دائما (وقد سبق أن استعملت الانثى عدوانها لنفس السبب حين كانت تأكل (أو تقتل) الذكر بعد التلقيح (العناكب مثلا) حتى تضمن نسلا قويا من ذكر شاب لايكرر التلقيح حتى ينهك) .

وقبل أن نستطرد فى تقييم الموقف الحالى نقف وقفة يسيرة أمام سؤالين لابد وان نطرحهما فى هذه المرحلة من النقاش هما :

أ — الى اى مدى نستطيع الاعتماد على الأصل البيولوجى لسلوك الحيوان فى دراسة سلوك الانسان ؟ وهل الاختلاف بينهما هو اختلاف فى الدرجة ام فى النوع ؟

وقد طرح هذا السؤال معظم المشتغلين بعلم النفس المقارن ، وعلى سبيل المثال روبرت هند فى كتابه السلوك الحيوانى (٧) ، ولم تتحدد الاجابة بشكل قاطع وان كان الاتجاه الغالب الذى يؤمن بالتطور يقول بأن وجه الشبه - وان بدا ضئيلا — الا أن ارجاع السلوك الى اصله يهدى المشتغلين بعلم السلوك الانسانى الى طبيعته ووظيفته فى نفس الوقت .

ب — اذا كان انقسام النوع الى جنسين قد نشأ تطوريا لمصلحة التهجين ، ثم تميزت الصفات لصلحة بقاء النوع وانتقاء الأقوى ، فماهو دور البيئة وتفاعلها مع الوراثة فى هذا التفاعل ، أو بشكل آخر كيف تنتقل الصفات التى نشأت لحاجة مرحلية الى الأجيال القادمة بطريقة شبه ثابتة ؟ .

وللاجابة على هذا السؤال لابد أن نثير قضية قديمة جديدة — وهى

امكان انتقال الصفات المكتسبة بالوراثة » فبالرغم من ان لامارك قد نادى بهذا الراى طويلا منذ اواخر القرن الثامن عشر ، فى حين وقف تشارلس دارون موقفا محايدا منه (١) فان أغلب الادلة الصادرة من علماء الوراثة نفت هذا الاحتمال نفيا قاطعا ، الأمر الذى لم يرق لكثير من الفلاسفة والمفكرين من أمثال هربرت سبنسر ، وقد استمرت الأدلة الوراثية تدمغ احلام المصلحين حتى بداية الخمسينات من هذا القرن حيث بدأت دراسة ظاهرة البصم Imprinting فقام لورنز ، وتينبرجن Lorenz & Tenbergen فى الخمسينات (٨) ببحثها حتى انتهيا الى أنه « لم يعد من الصحيح ان نتعامل مع السلوك الغريزى (المحدد بالوراثة) وكأنه مختلف عن السلوك المكتسب (غير الوراثى) كما أشارا الى أن السلوك المكتسب يصبح وراثيا من خلال عملية الانتقاء الطبيعى (٩) » وهكذا بدأنا نتعامل مع الذاكرة على مستويات أعمق ، وظهر تعبير « ذاكرة النوع » لتفسير انتقال السلوك من جيل الى جيل حسب النظرية الجزيئية الكيمائية (٩) .

والآن ، كيف يمكن أن نستفيد من هذه الحقائق فى بحث الفروق بين الرجل والمرأة :

نستطيع القول حاليا بطريقة اكثر حسما ألا أن معظم — أو كل — ما توصمت به المرأة حاليا من سلبيات لابد ان يعاد تقييمه ، فقد يثبت أنه ليس سلبيا أصلا الا لأنه قاس بالنسبة الى ما يسمى ايجابيات الرجل ، أما السلبيات فى صورة الجمود والتوقف عن النمو النفسى فقد يثبت أنها ليست الا نتيجة لخطأ بيئى فى محيطها عبر التاريخ ، وقد انزلق الجنس البشرى الى هذا الخطأ أثناء تطوره نتيجة لدعوى لم تعد صالحة بشكلها البدائى المطلق تقول « ان العدوان لازم للبقاء واساسى للانتقاء » ونتيجة أيضا لحركة لولبية تعويضية قام بها الذكر بعد تاريخ من الاهمال والتفاهة.

ومن خلال هذه المحاذير يمكن اعادة النظر فى تقييم الفروق والتشابه بين الرجل والمرأة بالتمييز بين ثلاثة ابعاد :

١ — هناك تشابه اصيل بين الجنسين فى الصفات البشرية المميزة للنوع الانسانى ككل ، وتشمل المشاركة فى السعى نحو التكامل الانسانى بالاسهام فى الصراع ضد قوى القهر والجمود والتدهور .

٢ — هناك فروق بين الجنسين «صالحة» وتطورية وهى الفروق

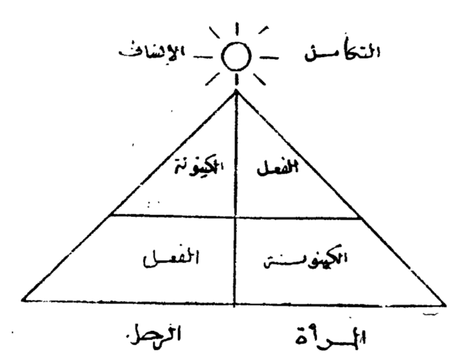
الـــلازمة لاداء كل منهمـــا وظيفته البيولوجية بشكل مختلف عن الآخـــر حتى يشتركا فى النهاية فى عملية التهجين ، ما دام افتراقهما فى البداية كان لصالح تحسين النوع ، ويمكن أن نرى هـــذه الفروق فى مجـــال علم النفس أصيلة وعميقة حتى نسميها« **الفروق النفسية الاساسية** »، وطبيعة هذه الفروق وعمقها تظهر من خلال بحثها من منظور علم نفس الاعماق ومن خلال تتبع الحركة التاريخية البيولوجية .

يقتطف جانترب (١٠) ما قاله دونالد وينيكوت **Donald Winnicot** وهو محلل نفسى عميق من خلال خبرته "الأكلينيكية مقولة ان الفرق الاساسى بين الرجل والمرأة هو أن وجود المرأة هو فى الاصل كينونى **Verb to be** فى حين أن وجـــود الرجـــل فاعلى **Verb to do** ويعنى ذلك أن المـــرأة كائن بالطبيعة ، وان فعلها ناتج من هذه الكينونة ولاحق لها ، أما الرجـــل فهو فاعل بالطبيعة ، وانما تتحقق كينونته من ممارسة فعله بنجاح يحقق وجوده .

وهنا لابد أن تثار تخوفات من قبل المرأة وهى تحذر هذا الطعم الجديد الذى يلقيه اليها الرجل ، وكأنه يعفيها من ضرورة « الفعل » ، حتى تكتفى بأن كيانها متحقق بدونه (بالحمل والولادةمثلا) فى حين أنه ـــ الرجل ـــ لابد له من الفعل حتى يتحقق وجوده .

الا أن هذه التخوفات تذوب اذ نتعمق هرمية السلوك منطلقين من بداية وينيكوت .. لنجد أن وجود المرأة اذا تحقق من خلال تقبلها لدورها الكينونى ، فانه يخرج عنه فعل تلقائى بناء تكتمل به انسانيتها ، أو بمعنى آخر « اذا كان كيانها كأنثى يتحقق بمجرد التواجد فان كيانها كأنسان لا يكتمل الا بالفعل من خلال كمال كينونتها » .

وبالمثل فأن وجود الرجل ـــ الاكثر اهتزازا وقلقا ـــ انما يبدأ بالفعل ولكنه اذا توقف عند هذا الحد فانه يتحقق كرجل وليس كانسان ، وانما تكتمل انسانيته بالكينونة المستقرة نتيجة للفعل شكل (٢) ويمكن أن نضع هذا المفهوم فى صورة أخرى هكذا .



شكل (٢) يبين هرمية السلوك المميز بين الجنسين والتقائهما عند التكامل

الرجل : فاعل ــــــــ ← كائن ــــــــ ← انسان

المراة : كائن ــــــــ ← فاعل ــــــــ ← انسان

وكأننا بذلك لا نجد مجالاً للقول بأنه لأبد أن تكمل المراة الرجل أو العكس ، اذ حتى لو احتاج كل منهما للآخر مرحليا فالهدف النهائى ان يكمل كل منهما نفسه .

وكأن الاختلاف فى ما نسميناه « الفروق النفسية الأساسية » هو فى « نقطة البداية» فى الوجود ، وليس أبدا فى مجمل نوع الوجود .

وكأن انتقاء الرجل والمراة متميزين لم يعد يهدف التهجين التناسلى فحسب ولكنه يتيح تفاعلا بينهما خلال عمر الفرد ذاته ، بدرجة حيوية تسمح أن يرى كل منهما ما ينقصه فى الآخر فيسعى الى سد نقصه مرحليا بتكوين علاقة به حتى يكتمل وجوده الانسانى الخاص ، وبعدها يصبح تواجد الكلين معا هو تعاون أكثر منه اكمال للنقص ، ويتقدم النوع البشرى من خلال الاتصال البيولوجى الحر الكامل الى مراتب أرقى على سلم التطور .

٣ ــ **هناك فروق نفسية ثانوية ،** نشأت من تجميد الموقف التطورى عند التمييز بين الجنسين ، وهى تظهر فى التفاصيل السطحية فى دراسة الفروق بين الرجل والمراة ، وهى تدفع المراة ــ عادة ــ بمقاييس وضعها فى أغلب الامر رجال وهى تركز (مثلا) على ندرة العباقرة والفنانات بين النساء وعلينا أن نعيد النظر فى هذه النتائج من خلال محاذير ثلاثة .

الأول : الا ننسى أنها تصف نقصاً مرحليا وليس نقصاً مطلقاً .

الثانى : انها لا تبحث جذور هـذا النقص ، ولو فعلت ، لوجدته مفروضـا على المرأة فى الاغلب وليس من صلب تكوينها البيولوجى .

الثالث : أن تميز الرجل بالخلق والابداع قد يكون له دلالة تعويضية وليس مزية فى ذاته .

وعلى أى حال ، فان هذه الفروق ليست أساسية أو عمقية ، حيث انه فى خلال الاربعة جيال الاخيرة قـامت « ثورة التصـنيع واكتشـاف حبوب منع الحمل » بتغيير جذرى فى النزعات السلبية للمرأة ، بل وفى تكوينها الجسمى كذلك (قارن أرداف جداتنا وراء المشربيـات برشـاقة العاملات فى الحقل والمصـنع) ونتذكر هنا اعادة تأكيد احتمـال انتقال الصفات المكتسبة بالوراثة حتى تتحمل بذلك المرأة (والرجل) مسئولية الاجيال القادمة وهم يرتقون بانسانيتهم فى السعى الجاد الى التكامل .

ثالثا : ما هى قضية الرجل ، واين تقع من قضية المرأة تطوريا ؟

لا يمكن ان نفهم قضية المرأة وما نتصوره فيها من نقص وما تدعيه الأوهام الحالية من قصور الا اذا فهمنا قضية الرجل ونقصه وقصـوره كذلك ، وفهمنا وظيفة قصور المرأة فى اخفاء قصوره ، فالرجل مسـئول عن تعويق مسيرة التطور أكثر من المرأة حاليا لانه هو الذى يملك السلطة بكل انواعها ، وهو فى مبالغته فى تعميق نقص المـرأة وتثبيته تارة وفى تجاهله لنقصه الذاتى تارة أخرى يوقف المسيرة ، ويثير فى المـرأة تحديا يدفعها لدخول صراع تنافسى معه ، فتصبح المعركة مستعرضـة بدلا من الكفاح الطولى معا نحو الهدف المشترك .

ولن نعدد نقائص الرجل عن التكامل تفصيلا — فهذا البحث منـذ البداية ملتزم بتجنب التفاصيل، مكتف بطرح الفروض ذات الجذور التاريخية حتى تتحقق — الا ان علينا أن نراجع الدافع الى قلق الرجـل الذى اظهره بمظهر المتفوق لنجد أن ايجابيته ومبادأته وحتى قدراته الفائقة فى الخلق والابداع ما هى الا سعى حثيث يعوض به ما يفتقر اليه من استقرار وثقة اساسية — ما دام قد حرم المساهمة المتأنية فى الخلق البيولوجى ، وعليه أن يتذكر ان كل هذا النشاط «الفاعل» القلق ، لا يكمل وجوده الانسانى الا اذا حقق به الصفات الانثوية الكامنة فيه ، أما التوقف عنـد الفخـر «بفعل» (رجولى) لم يحقق كيانا « انثويا » ومن ثم انسانيا فهو جمـود فى حركة التطور وقصور من التكامل كما ذكرنا .

وعند هذه الانحناءة نتوقف لندقق النظر فى مفهوم « الثنائية » الجنسية Bisexuality ونتذكر جذورها فى التراث الشعبى حين يتكلم العامة عن قرين لكل شخص تحت الأرض من الجنس الآخر (اسم الله عليك وقعت على أختك أحسن منك — لاحظ «أحسن منك» وبالعكس وكأن القرين أحسن من ذات الشخص الظاهرة لانه يكملها ويرتقى بها اذا ما التحم الاثنان) ثم يجىء كارل جوستاف يونج ليعلن هذه الثنائية الجنسية ويؤكدها فى مجال علم النفس التحليلى (وليس التدليل النفسى) ولكنه فى تطبيقها المرحلى يكاد يدعو لتثبيتها رغم فكرة التكاملى الخلاق فقد أوضح فيما اقتطفه ستور (٤) « أن الرجل حين يسقط أنوثته على محبوبته والمرأة حين تسقط ذكورتها على حبيبها انما ينشئان علاقة سليمة » ونقول أن هذا الرأى قد يكون صحيحا مرحليا لانه يعلن عجزا مؤقتا عن التكامل ، ولكنه اذا استمر وكأنه الحل النهائى فانه يلغى أى حاجة الى التكامل الذاتى ، لان اقتراب الرجل والمرأة من بعضهما البعض بهذا الاسقاط ماهو الا حب الفرد لنصفه الآخر ، وليس لرفيق طريق التكامل ، وعادة ما يفشل هذا الاسقاط بمرور الزمن لان قوة التطور قد تقبل التسكين ولكنها لاتستسلم للجمود فاذا بدأت المرأة سعيها الى تحقيق ايجابيتها الخاصة (تحررها) ومن ثم انطلاق ذكورتها لحسابها غير مكتفية باسقاطها على حبيبها ، أصيب الرجل برعب حقيقى له ما يبرره اذ أن تحرر المرأة لذاتها يفوت على الرجل فرصة استعمالها « مسقطا » لأنثويته وبالتالى فهو دائم التمسك بالعالم ككيان مستقل قابل للتحرر والتكامل فى ذاته ، حتى يعفى نفسه من مسئولية التحرر لذاته .

من هنا يمكن القول أن مشكلة الرجل هى فى نقصه الانسانى ، وهى تتضخم اضعافا مضاعفة بتجاهله هذا النقص وانكاره ، ثم محاولة حله باسقاطه على أنثى يمتلكها فيعوقها ... فتعوقه (أو تبرر اعاقته) وبألفاظ أخرى نقول . ان الرجل لن يكتمل اذ يطلق سراح المرأة من سجن مخاوفه الا حين يسمح للأنثى فى داخله أن تتحسس طريقها الى التعبير أى حين يدرك أن كل محاولات فعله « الرجولى » لابد أن توصله فى النهاية الى استقرار « أنثوى » كينونى ، والا فان وجوده ناقص لامحالة .

والمرأة مسئولة عن هذه الوقفة والاعاقة ، ولكنا لانهاجمها لذلك حاليا لانها لاتمتلك السلطة ، نحن فقط نحذرها من التمادى فى المطالبة

بالمســاواة ، أو إستمراء لعبــة الاعاقة المتبادلة بخوض معركة المساواة الجانبية بديلا عن معركة التطور الأساسية .

على أن الوقت قد آن لتوضيح بجلاء ان كل هذه الدعاوى والتحذيرات ليست مجرد ارادة ووعى ومحاولة ، فالتطور لايتم بالنصيحة أو حســن النية ، ولكن تحرر المرأة فى هذا العصر قــد فرض على الرجــل فى نفس الوقت أن يحرر نفسه من الفخر بنقصه والتوقف عنــد رجولتــه دون انسانيته المتكاملة ، فهى يشكل ما قد واجهته بمشكلة وجوده واقحمتــه امتحان التطور رغم أنفه ، ومهما كانت صعوبات هذه المرحلة الانتقــالية التى يمر بها كل منهما فى نفس الوقت فان ضرورة المسيرة التطــورية هى المبرر الصحى لاحتمال آلام الانفصال الحالية .

رابعا : ما هى صور المشكلة كما تلح علينا فى الممارسة اليومية ؟

اذا كان التاريخ البيولوجى صادقا فيما يوحى به ، فلابد أن نجــد آثاره ، ومضاعفات مخالفة قوانينه معا ، فى واقع حياتنا اليومية ، وقد ظهرت هذه المضاعفات بصورة ملحة وصارخة فى عيادات الطب النفسى بخاصة ، ولكنها موجودة بصورة أشمل (وربما أخفى وربما أخف) فى المجتمع الاوسع ، ولست بصدد تعدادها ، ولكن لابد من الاشــارة الى بعض مظاهرها ، واحتمالات حلها بعرض بعض الأمثلة :

١ ــ الارتباط الثنائى (الزواج) : لاشك أن علاقة الرجل بالمــرأة : طبيعتها ونتائجها ، هى من أهم مايميزها وتقيم كل منهما ويحــدد شكل ارتباطهما فى نفس الوقت ، وأهم علاقة تمكننا من دراسة تواجدهمــا معا هى الارتباط الثنائى الذى تعرفه فى أغلب المجتمعات باسم «الزواج»

ونظرة الى التاريخ البيولوجى ثم أنــواع الارتبــاط الثنــائى بين الكائنات المختلفة تعرف من خلالها الأشكال المحتملة لهذه المعايشــة ، وقد صنفها دورلاند (١١) بيولوجيا فى تعريف مختصر الى خمسة أقســام (جدول ١) نحاول تقديمها هنا ـدون التزام بترجمة حرفيةـ مع مقابلاتها المفترضة من أشكال الزواج :

أطرافه / نوع الارتباط	الطرف الأول	الطرف الثانى
التكاملى	يستفيد	يستفيد
الارتزاقى	يستفيد	لايتأثر
التطفيلى	يستفيد	يصيبه الضرر
السلبى	يصيبه الضرر	لا يتأثر
التحطيمى	يصيبه الضرر	يصيبه الضرر

جدول (١) يبين أنواع الارتباطات الثنائية بيولوجيا

أ ـ الارتباط التكاملى Mutualism

وهنا يكون الارتباط مفيدا للكائنين معا فيأخذ كل منهما احتياجه من الآخر دون أن يضر بالآخر أو يعوق نموه ذاته .

وفى الزواج نجد أن هذا النوع من الارتباط هو أنجح أنواع الزواج اذ تبدأ المشاركة بتأكيد رجولة الرجل ، وأنوثة المرأة ، حتى اذا اطمأن كل منهما على كمال «فعله» واصالة «كينونته» (على التوالى) انفتح الطريق الى اكتمال انسانية كل منهما حسب ما ذكرنا فى التسلسل الهرمى للنمو، ص ١٦٦ (شكل٢) ولكن الزواج قد يبدأ تكامليا ثم ينقلب الى صورة من صور الارتباط التالية مما سيرد ذكره حالا ـ (وسوف نجعل المرأة غالبا فى الوضع الأضعف حسب طبيعة المرحلة الا انه يمكن أن تنقلب الآية ولو بطريقة غير شعورية فى أى نوع من الأنواع التالية)

ب ـ الارتباط الارتزاقى : **Commensalism** وهو ارتباط يكون فيه أحد الكائنين عالة على وجود الآخر ، الا ان الآخر لايصاب بأدنى ضرر اذ يستمر فى طريقه دون اعتبار لما يأخذه منه الآخر لانه فى الواقع لا يأخذ شيئا ينقصه . ونجد هذه الصورة فيما يمكن أن نسميه الزواج من جانب واحد بمعنى أن يمضى الرجل (عادة) فى حياته اذ ينمى قدرته على الفعل لتحقيق رجولته ، دون الوصول الى كمال انسانيته رغم أن هذا الاحتمال قائم دائما طالما لم تتأثر مسيرته الانسانية بهذا الارتباط السطحى) من

حين تتمتع المرأة بالاعتماد الكامل على هذا الكيان النامى ، دون الحاق ضرر به أو محاولة الانفصال عنه ، ونجد هــذا النوع فى أغلب انواع الزواج بالمرأة غير العاملة ــ ست البيت ــ وتكون صورته أوضـــح ما ما تكون فى زواج الرجال الناجحين (أو حتى العباقرة) من نســـاء ليس لهن الا انوثتهن ، اذ يعشن حياتهن فى دعة وانوثة دون تطـــور انسانى ، ودون تشوه فى نفس الوقت ودون اعاقة لشريك اصلا .

وهذا النوع ناجح تماما لولا انه لايستمر عادة ، فكثيرا ما يتسبب عند اول محاولة تطور من أى من الجانبين فى اعاقة الرجل بعد فترة (الطفيلى) او فى الاضرار بالمرأة (السلبى) أو فى الاثنين معا (التحطيمى) .

جـ ــ الارتباط الطفيلى : Parasitism : وهنا يكون ارتبــاط الكائنين ارتباطا يفيد أحدهما على حساب الآخر بحيث تكون حياةالطفيلى (المســتفيد) ضـــارة بالعـــائل (المتضرر) ونجــد هــذه الصــورة حيــن يعــوق الــزواج قــدرات الرجـــل الفعـــاله أو الخـــلاقة واحتمالات تطوره نتيجة لارتباطه بشريكته العالة على وجوده وكيـانه ، فى حين يتحقق للمرأة وجودها كانثى (وليس كانسان) من خلال هـــذا الارتباط ، وقد ينتهى هذا الزواج عادة بحــرمان الرجل ليس فقط من السعى لاستكمال انسانيته . بل من رجولته ذاتها (بمـــا يشـــمل ذلك المشاكل الجنسية) .

د ــ الارتباط السـلبى : Amensalism وهنـــا يلحق الضرر أحد الكائنين من خـــلال هذه العلاقة دون أن يتأثر الآخـــر وفى الزواج نجد أن أحد الطرفين (المرأة عادة) يصاب بالأذى حتى الموت ــ موت الأنوثة أو موت الانسان فيها ــ وعادة ما يتطور النوع الثانى (الارتزاقى) الى هذا النوع بمرور الزمن .

هـ ــ الارتباط التحطيمى : Synnecrosis وهنا يكـــون ارتباط الكائنين ببعضهما البعض ضارا بكليهما حتى الموت (التدهور) .

ونجد هذه الصورة فى الزواج الفاشل اذا ما إعاق قدرة الرجل عن الفعل ، وفى نفس الوقت حرم المرأة من استقرارها الانثوى فلم تتحقق رجولة الرجل أو انوثة المرأة «فعلا أو كينونة» ــ على التوالى ــ نتيجة لهذا الارتباط ، ولعل تعبيرات الحب الشائعة (أموت فيك) تشير الى مصير هذه العلاقة بشكل ما .

هذا،ولا يمكن — بداهة — وضع حد فاصل بين كل نوع وآخر في تطبيقاته الانسانية ، كما لا يمكن دمغ أى نوع بالاستمرار الى ما لا نهاية ، والانتقال من نوع لآخر كما بينا يتم عبر السنين ، فقد يبدأ الزواج تكافليا وينتهى طفيليا .. أو سلبيا ، وقد يحدث العكس .

وظهور الاعراض النفسية ، أو وضوح الجمود والملل ، فى أى نوع من أنواع الزواج يعتبر البشير أو النذير للانتقال الى نواع أرقى أو أدنى من الارتداد حسب الظروف المحيطة ومجال اطلاق طاقة التطور .

وينبغى اعادة التأكيد فى هذا الصدد على أن المقصود هنا بالفائدة أو الضرر ليس أوهام البيت السعيد (أو الغيبوبة الآمنة) ، وانما نعنى « بالفائدة » اطلاق قدرات كل من الرجل والمرأة فى طريق النمو الى التكامل الانسانى ، « وبالضرر » تعويق هذه الانطلاقة أو عكس اتجاهها .

وخلاصة القول أن النظرة الى مشاكل الزواج من خلال منظار حتمية التطور الذى يتمثل حاليا فى حركة تحرير المرأة والرجل معا ، خليقة بأن تسهم ايجابيا فى اكمال المسيرة لاطلاق قدرات كل من الرجل والمرأة ، فتختفى المشاكل تلقائيا .

٢ — **الحياة الجنسية** : اذا كنت قد ركزت على الزواج فى الفقرة السابقة كعلاقة شاملة : عاطفيا واجتماعيا وجنسيا ، فانى اركز فى هذه الفقرة على مقياس حساس وخطير فى العلاقة بين الرجل والمرأة ، ولا بد من الاعتراف أن الدافع الجنسى قد نشأ كضرورة بيولوجية لاستمرار النوع ، ولكنه يقوم الآن بوظائف تطورية أخرى يبدو من أهمها تأكيد واختبار العلاقة الثنائية ، اذ أن الالتحام الجسدى مع آخر ، هو صورة عميقة لموقف الرجل من المرأة وبالعكس ، فاذا كان ثمة الغاء للآخر فان الوضع سوف يشبه الاستمناء الذاتى للشريك مع نصف « ذاته » المسقط على الآخر (كما سبق أن أشرنا فى نقد مقولة يونج) — وقد نقبل هذا الوضع لفترة معينة نهيىء لنقلة تطورية تالية ، ولكن ما أن تظهر فى الحياة الجنسية اعراض الضعف أو الاعراض أو البرود حتى تعلن الحاجة الى اعادة النظر فى العلاقة برمتها .

فالعلاقة بين الرجل والمرأة تبدأ — فى ظل الاوهام الحالية — بتأكيد

الفروق بينهما ، ولكنها تتطور بتطور مواقف كل منهما حتى ليتشابها حتى فى المشاعر الجنسية ، فاذا عجزت عن هـذا التطور فأنها تتوقف او تتصدع .

وقد اثبتت الأبحاث الحديثة — منذ ثورة ماسترز وجونسون — أن الفروق التى كانت شائعة عن اختلاف المشاعر الجنسية — وخاصة فيما يتعلق بذروة اللذة — بين الرجل والمرأة ما هى الا اختلافات مرحلية سرعان ما تتضاءل بنضجهما معا ، فبالنسبة لذروة اللذة عند المرأة وجد انه يوجد ثلاث انواع يبدو انها تتلاحق مع نضج المرأة وهى : الذروة الطفيفة والذروة الوسطى ثم القصوى (١٢) وهذه الاخيرة تشبه الى حد كبير ذروة الرجل فى عنفها وما يليها من تفريغ كامل ، كما أن بعض الرجال الذين مروا بخبرات علاجية من النوع الاطلاقى مثل علاج «الصرخة البدائية » Primal Screem (١٣) قد وصفوا تغيرا فى طبيعة الذروة حيث انتقل الشعور من التركيز فى نهاية العضو التناسلى حتى شمل الجسم كله باستيعاب مسترخ ، الأمر الذى يشبه بشكل ما « ذروة المرأة » .

وعلى ذلك يمكن القول انه فى أدق تفاصيل الحياة الجنسية تقترب نوعية وجود المرأة من نوعية وجود الرجل وبالعكس ، ويرتبط هـذا الاقتراب بتحرر كل منهما ونضجه ، أى بأقترابه من الهدف المشترك .

ويمكن من خلال هذا المنظور التطورى أن نواجه المشاكل الجنسية لا بوصفها مشاكل جنسية ولكن بوصفها انذارا بأنتهاء المرحلة السابقة واعلانا للحاجة الى طفرة جديدة ، ويصبح حلها الحقيقى فى اكمال الطريق ويصبح الجنس تعبيرا عن نبض الحياة الازلى ، لا مجرد وسيلة للتناسل اذ يمثل « الاندماج دون فناء ثم الانفصال دون اختفاء » .

وهكذا نناقض مقولة فرويد بقولنا « ان المشكلة الجنسية — بما فيها من كبت جزء من مشاعرنا الصادقة — هى نتيجة العجز عن الارتقاء والتطور » « وليس الارتقاء (أو الحضارة) نتيجة لاعلاء جنس مكبوت » — ويصبح الحديث عن كبت تطورى أكثر أصالة واعمق انسانية من الحديث عن كبت جنسى دون الغض من اهمية الاخير .

٣ — **الأطفال** : حين تبدأ الحياة الزوجية فى التصدع بعد فشل الارتباط الثنائي بأي صورة من صوره السلبية أو الايجابية،تظهر الأعراض

مبشرة بأمل ارقى او منذرة بفشل اعم ، وهنا يصبح الاختيار للرجل والمراة معا مطروحا بين : مزيد من التطور « نحو التكامل الذاتى » بديلا عن «التكامل بالاندماج» ، وبين البحث عن مهدىء جديد يخمد ثورة التطور ، ولما كان هذا الوقت ـ حين تظهر اعراض التصدع ـ متفقا مع دخول الأولاد كطرف ثالث فى القضية ، فانهم يمثلون مهدئا مغريا اسلس قيادا واقل وعيا (مرحليا) ويكرر الارتباط الثنائى وجوده ليؤدى وظيفته الدبوية مرة ثانية فى الحفاظ على الأطفال وتنشئتهم ، واعطاء معنى لحياة الأم والأب على السواء .

ولكن مهما امتد الاجل بهذه المرحلة فانها معرضة للانتهاء : اما بيقظة جديدة عند الرجل والمراة لاكمال طريق الأرتقاء « بالنمو الذاتى » دون الحاجة الى نصف آخر (أو عدة كسور عشرية اى الاطفال) واما بانتقال الارتباط بالاطفال الثنائى الى ارتباطات بديلة تتناسب مع تقدمهم فى السن وحاجاتهم الجديدة ، وهكذا نضطر للعودة الى نقطة البداية حين يفرض التطور نفسه على الرجل والمراة على حد سواء بظهور اعراض جديدة ، وان كانت فى سن متأخرة نوعا ، مع فرص أقل ويأس أقرب .

ومن خلال هذه الرؤية الاكلينيكية من واقع المرض النفسى يمكن القول بأن تحرر المراة ـ ومن ثم الرجل ـ بالتطور والانتقال مبكرا من مرحلة « التكامل بالاندماج » الى « التكامل بالنمو الذاتى » لازم ومنذ البداية ، وذلك حتى يتجنبا معا ، ويجنبا ، مستقبلا ، أولادهما مخاطر مضاعفات التدهور أو الجمود التى تظهر فى صورة المرض النفسى ، بذلك تصبح الدعوة الى تحرر المراة دعوة ضمنية الى تحرر الرجل وتحرر الجيل الجديد ، وهى دعوة وقائية من المرض النفسى فى نفس الوقت .

ولا بد من التأكيد ثانية أن الانسان بتكوينه الناقص الحالى يحتاج باستمرار الى الارتباط الثنائى بشرط أن يكون مرحليا ، وأن يهيىء الى التحرر الذاتى فى النهاية .

وهكذا تأخذ قضية تحرر المراة قيمتها الحقيقيةفى تطور الانسان والمجتمع وتخطيط المستقبل .

٤ ـ **العمل** : اذا كان التقارب بين الجنسين يتم ـ او يتوقع أن يتم ـ من خلال المسيرة التطورية نحو التكامل فى مجالات شديدة التعقيد

مثل الفروق البيولوجية اللازمة مرحليا للارتباط الثنائى ، ومثل الحيـــاة الجنسية بكل مضاعفاتها ومخاطرها ، فان مجال العمل ــ صانع الانسان ــ هو أرحب المجالات للتقارب ، والعمل فى تفاعله مع الوجود الانسانى قادر على تذليل الصعوبات الحالية النابعة من أوهام التناقض أو التمايز الأبدى بين الجنسين .

على انه ليس كل عمل صانعا للانسان ــ رجلا او امراة ــ فالعمل بصفته اثراء للوجود يتصل اتصالا مباشرا بكيان الانسان فيعطى للحيـــاة معنى ارتقائيا ، ويجرى الاستمرار ويؤكده ، أما النشـــاط القهرى المفضى للاغتراب فهو عائق على طريق المسيرة .

وهنا ينبغى الانتباه الى أن المراة فى سعيها المتخبط للمساوة بالرجل فى مجالات العمل ليست مدركة بصورة كافية أن علاقة الرجل بعمله فى العصر الحاضر علاقة تدهورية معطلة نتيجة للاغتراب عن عائده ـــ اقتصاديا واجتماعيا وعاطفيا ــ وبذلك اصبح العمل عبئا على وجود الرجل وليس مجالا لنموه ، واصرار المراة على المناداة بالمساواة بالرجل فى هذا المجال لن ينتج عنه الا تكرار للاغتراب ومزيد من الصراع ومن ثم التدهور الانسانى بكل صوره الحالية ــ مضاعفا .

فعلى المراة اذن ــ وهى لم تتشوه بعد بنفس القدر الذى تشوه به الرجل ــ أن تؤلف علاقة جديدة بالعمل ، مستقلة عن التشبه بالرجل ، لعلها تسبقه على الطريق الانسانى من خلال تفجير وعيها واثراء وجودها ، وبذا تضرب له مثلا أكمل وتتيح له طريقا أسرع للنمو .

ولا بد من تذكرة هنا بوظيفة العمل عند الرجل والمراة التى سبق أن شرحناها تفصيلا ، فالعمل الصحى والصحيح عند المراة هو نتاج اكتمـــال كينونتها الانثوية وبالتالى فالمنتظر منه أن يكون ذا اتصال مباشر بالحياة والواقع ، وان يكون هادئا مثابرا مستقرا وفعالا فعـــلا مباشرا ، أمـــا العمل عند الرجل فهو نقطة البداية وتعويض لافتقـــاره الى القـــدرة على الخـــلق البيولوجى ، ومن ثم كان أميـــل الى الخـــلق الفلق ، والتطلع للمستقبل فى صور الفن والفكر .

ولعل فى هذا التفسير شرحا لندرة الخالقين بين النســـاء ، حيث الحاجة الى الخلق أقل لان القدرة على الحياة أكثر واشمل ، ولابـــد أن

نتذكر هنا انا اضفنا — فى غمرة الزهو والغرور الرجالى (الذى تجسد — بنلا — فى مزاعم نيتشة وحقد شوبنهور على المراة — وكلاهما محب مهجور (١٤) ، أضفنا على الفكر الخلاق والابداع الفنى بصورهما الرجولية الحالية قيمة أكبر من قدرهما ، وينبغى ان نتراجع لندرك ان التفكير الخلاق ما هو الا وسيلة للحياة وليس هدفا فى ذاته ، وانه يعلن النقص فى الحياة ويرسم البديل ، ولكنه لا يحققه بالضرورة ، ولا ينبغى أن ننتقص — ونحن نعلى من شأن الفن — من القيمة البيولوجية لمن يمارس عمله اليومى العادى بتكامل وثراء يؤكد به قيمة الوجود ويسهم مباشرة — دون تأجيل — فى مسيرة الحياة المتطورة ، ولعل هذا هو ما تقوم به المــراة فعلا اذا اتقنت دورها وقبلت اختلافها وانطلقت منه ، وهكذا تنكسر حدة غرور الرجل اذ يزهو بالخلق الفنى — حين يتذكر مقولة أفلاطون — رغم مبالغته — فى جمهوريته (١٥) بأن الفنان لايحقق الكمال فى الواقع ولكنه لايفعل الا أن يقوم بتقليد التقليد : فى مثال السرير ، أما المــراة فلعلهــا تنفض عن كيانها الشعور بالنقص من جراء ندرة العباقرة بين جنسها ، وأن تؤكد وجودها النوعى حتى يخرج منها فنها الجديد الخاص بها الذى قد يكون أقل بريقا ، ولكنه يمكن أن يكون — حسب التفكير البيولوجى — أكثر استقرارا ونفاذا وبناء ، اذ أنه افراز للحياة وليس بديلا عنها ، وعلينا أن نتذكر أن الفنانات اللاتى أخرجن فنا رجوليا كن فى ثورة رجولية أكثر منهن على طريق التكامل الانسانى ، وقد ظهرت مظاهر هذه الرجولة فى تاريخ حياة بعضهن وانتاجهن مثل جورج صاند وجورج اليوت (لاحظ الاسماء) .

الخلاصة والخاتمــة

أستطيع أن أوجز ما أردت تقديمه من فــروض — مســتمدة من التاريخ وقابلة للتحقق فى الحاضر والمستقبل — فيما يلى :

١ — تختلف المرأة عن الرجل تاريخا وحاضرا اختلافا ذا فائــدة مرحلية ولا مجال ولا معنى للمفاضلة بينهما .

٢ — تتفق المرأة مع الرجل فى كل من الاصل وهو « بداية الحياة » والهدف الانسانى الأبعد وهو « التكامل » .

٣ — كلما سعى الرجل والمرأة — وليس أى منهما على حدة — الى الاقتراب من هدف التكامل كلما ضاقت الهوة بينهما لانهما يقتــربان من المثال الانسانى الأسمى ■

٤ – أن تحرر المرأة لا يتم –اذن– بمحاولة المساواة بالرجل (وهو فى نقصه المرحلى يتخبط ولكنه يتم بالتكامل الذاتى بعد تخطى مرحلة التكامل بالاندماج أو التكامل بالاعتماد .

٥ – أن كمال الرجل هو أن يقبل الانثى فى داخله ليصنع جماعا مؤلفا من ذكورته الظاهرة وانوثته الكامنة فتتحقق كينونته ، وكمال المرأة هو بالمثل ان تقبل الرجل فى داخلها فتطلق قدرات فعلها الايجابى بعد تحقيق انوثتها .. فتصنع جماعا جديدا متكاملا .. واختلاف الرجل عن المرأة حاليا ليس الا اختلافا فى نقطة البداية ولكنه ليس اختلافا فى الشكل النهائى للتواجد الانسانى المتكامل .

تحذير : أن كل هذه الفروض لاتتحقق بمجرد الوعى بها ، ولا بالمحاولة الشعورية لتحقيقها ، فالتطور لا يتم بالمحاولة أو بالاختيار العقلى اذ أن الطبيعة قد عودتنا أن تختار هى الاصلح ، والتاريخ البيولوجى الذى قدمه داروين فى فرضه النشوئى قد علمنا أن الضرورة والتهديدبالانقراض هما الدافع التلقائى للتطور ، ولكن الانسان هو الكائن الوحيد فيما نعرف الذى قد يعى هذه الضرورة وهذا التهديد وعليه أن يستغل وعيه هذا فى التعجيل بمسيرة التطور وليس بمجرد اجترار وعيه ، ومن ثم تعطيل سعيه حتى ينقرض نوعه وانما يكون الوعى بهذه الضرورة نافعا اذاكان دافعا لتوفير المناخ الصحى للارتباط الثنائى المرحلى دون فناء أو التهام والعمل دون اغتراب ، وللأمان دون استرخاء ، وهنا يصبح التطور نتاجا جانبيا للوجود الفردى الصحيح فى المجتمع الانسانى الصحيح .

اسئلة المستقبل :

واخيرا فان علينا أن نواجه بعض الأسئلة التى يفرضها تحقيق هذه الفروض مهما بدت قاسية أو مرعبة ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

١ – ما مصير الحياة الجنسية مستقبلا ؟ وهل يعيد الانسان بعض تاريخه البيولوجى على مستوى أرقى ؟

٢ – ما مصير « التكاثر » حين يطول عمر الانسان من خلال تحقيقه لتكامله ، وخاصة بعد أن بدات الحياةالجنسية تؤدى وظيفة تكاملية ليست بالضرورة تناسلية ؟

٣ – ما مصير الفروق الجسمية بين الجنسين حين يصبح التجاذب للتكامل او للتناسل هو تجاذب من نوع آخر يتفق مع المرحلة الجديدة ؟

ومهما كانت هذه التساؤلات مرعبة أو قاسية او مزعجة ، فـــان مسيرة التطور طويلة طويلة ، و لا خيار فيهـــا الا اذا كان التـــدهور او الانقراض مطروحا للاختيار (!) وعلينا ان نتأكد من واقـــع تاريخ الحيـــاة ان الظروف الجديدة سوف تحقق آمالا جديدة وتوفر متعا جديدة حـــين تذوب قضية المرأة والرجل في قضية تطور الانسان .

المراجع

(١) ادودسن ادوارد : التطور عملياته ونتائجه ـ عالم الكتب ١٩٦٩ ترجمة د. امين رشيد احمد ، د. رمسيس لطفي.

(٢) الرخاوى يحيى : مستويات الصحة النفسية على طريق التطـور الفردى فى كتاب حيرة فلبيب نفسى ــ القاهرة ، دار الغد الثقافة والنشر الجهود النسائية فى العمل الاجتماعى الشعبى والتنمية :

(3) Maslw Abraham : « A theory of metamotivation the biolog ical rooting of the value life, in Reading Humanistic Psychology. Ed. by : A Sutieh & M. Vich, The Free Prees Macmilan Co', N. y. . 1969 .

(4) Sierr Anthony : Human Aggressien . Atheneum Publisher Bantam Edition . N. Y , 1970

(٥) فسيولوجية العدوان ـ مجلة العلم والمجتمع ــ مطبوعات اليونسكو العدد ديسمبر سنة ١٩٧٣ ترجمة د . يحيى الرخاوى .

(٦) الرخاوى يحيى : العدوان والخلق الفنى « تحت النشر »

(7) Hinde Robert A, Animal 'Behaviour , Internaional Student Mc Graw Hill Kogakusha Ltd Ed, 1970

(8) Hess Eckhard D : Fthology in Comprehensive Textbook of Psychiatry. Ed by Alfred H . Freedman & Harold Kaplan, The Williams & Wilkins Co Baltimore , 1967

(9) Madonade Hector: the Molecular Hypothesis of Memory and the Educational Future of Man , Int . soc . Sci J., Vol XXVI No. 4, 1974

(10) Guntrip H. : Schizoid Phenonenon , Object Pelations and the Self, The Hogarth press London . 1968

(11) Dorland's Medical Dictionary (24 th Edition) W. B' Saunders Co. Philadelphia & London 1967

(12) Bardwick Judith M. « Psychology of Women » Harper & Row Poplisher Inc., N, Y. 1971

13 - Janev. A, The Primal Screem. Putman Sons New york 1970

(١٤) ويل ديورانت : مباهج الفلسفة ــ ترجمة احمد فؤاد الاهــوانى . مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٧ .

(١٥) جمهورية افلاطون : ترجمة د. فؤاد زكريا ــ مؤسسة التاليف والنشر دار الكاتب العربى ١٩٦٧.

دور المرأة فى المجتمع

من خلال الجهود النسائية فى العمل الاجتماعى الشعبى

اعداد

* ثريا خطاب **علي فهمى

منكرات تمهيدية :

١ ــ تأتى هذه الدراسة عن « دور المراة المصرية فى التنميـة من خلال الجهود النسائية فى العمل الاجتماعى الشعبى فالأمم المتحدة تكرس السنة الحالية عاما عالميا للمراة والواقع ان اقامة المؤتمرات والندوات والاحتفالات بهذه المناسبة الهامة أمر وان كان يلقى اضواء كثيرة على وضع المراة على الصعيد العالمى وعلى المستويات المحلية ويستثير وعى قطاعات كثيرة من الناس الا أن ذلك لايكفى ــ بمفرده ــ فى تغيير أو تطوير وضع المراة فى مجتمع ما ، ذلك الوضع الذى يتأثر بأمور عديدة تتحدد على نحو اساسى نتيجة نوع وشكل العلاقات الاقتصادية والاجتماعية فى المجتمع المعنى .

٢ ــ ولاتشذ المراة المصرية عن هذه القاعدة فهى وان قامت منذ فجر التاريخ المدكر بالعمل ــ جنبا الى جنب مع الرجل فى الزراعة واستخلاص الأرض السوداء الخصبة من براثن رمال الصحراء الا أن عملها كان يتم فى ظل سيطرة الرجل الاقتصادية ولهذا فلم يشفع لها ذلك أن تلعب دورها كاملا فى مجتمعها الكبير وان كانت الأديان منذ أبعد عهود التاريخ المصرى قد أشادت بدورها كأم (١)

٣ ــ والتنمية تصورات وعمليات اجتماعية تستهدف تحقيق تغيير شامل وايجابى فى التركيب الاقتصادى والاجتماعى ، وهى فى عبارة أخرى صبغة اقتصادية واجتماعية لنقل المجتمعات التقليدية الى مجتمعات متقدمة فى اساليب الانتاج وفى العلاقات الاجتماعية ، ويمكن القول انها تجاوز الأهداف المحلية الى آفاق اكبر باعتبارها حركة حضارية تستهدف

---

* استاذ التخطيط الاجتماعى المساعد ــ المعهد العالى للخدمة الاجتماعية ــ القاهرة .

** باحث بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية .

(١) مونتيه ، بيير الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة ترجمة عزيز منصور الدار المصرية للتاليف والترجمة ــ القاهرة ١٩٦٥ ص ٨١، ص ٨٢

الوصول الى عالية نمط اجتماعى حضارى متقدم (٢)

٤ — والتنمية بذلك عملية متداخلة معقدة لابد لها من تسخير كل الطاقات المادية والبشرية ، ولعل أهم عملية استثمارية تقوم بها اى دولة نامية — بالأخص — هى عملية تنمية مواردها البشرية ، والمرأة فى المجتمع كما رجال عادة — تكون نصف الموارد البشرية التى يعتمد عليها فى تنفيذ برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية .بالاضافة الى دور المرأة الرئيسى فى تربية وتكوين شخصية أطفال المجتمع أو بمعنى آخر فى تنمية الموارد البشرية الصغيرة (٣)

٥ — ولعل السنوات الثلاثة الماضية شهدت نشاطا دوليا واقليميا ومحليا كبيرا يتناول اسهام المرأة فى التنمية . نذكر المؤتمر الأول لخريجى مركز تنمية المجتمع فى العالم العربى بسرس الليان (بيروت ، يوليو / اغسطس ١٩٦١) . ومؤتمر أديس أبابا (١٧ — ٢٦ مارس ١٩٦٩) عن دور المرأة فى التنمية القومية الذى نظمته اللجنة الاقتصادية لافريقيا التابعة للأمم المتحدة ، ومؤتمر الرباط — (٢٠ — ٢٩ مايو ١٩٧٢) حول المرأة فى الدول الافريقية . ومؤتمر اخر فى نيويورك (يونيو ١٩٧٢) عن المرأة والتنمية بصفة شاملة ، ثم مؤتمر المرأة العربية والتنمية القومية (القاهرة ، ٢٤ — ٣٠ سبتمبر ١٩٧٢) والحلقة الاقليمية عن دور التعليم فى التنمية الريفية فى البلاد العربية (سرس الليان ٧ — ١٢ ابريل ١٩٧٤) التى اهتمت بالتعليم ودور المرأة فى التنمية الريفية . واخيرا المؤتمر الثانى لوزراء الشئون الاجتماعية الذى عقد مؤخرا بالخرطوم (٢٥ — ٢٧ مارس / اذار ١٩٧٥) الذى كرس البند الرابع من أعماله لدراسة دور المرأة العربية فى التنمية الاجتماعية .

٦ — ولقد أتيح لمؤتمر المرأة العربية والتنمية القومية (القاهرة ٢٤ — ٣٠ سبتمبر ١٩٧٢) أن يعرض لدور التنظيمات النسائية فى التنمية وأكد المؤتمر على أن للتنظيمات النسائية قوة فعالة ومؤثرة فى تمكين المرأة من الاسهام بدورها فى صياغة الحاضر والمستقبل بيد ان المؤتمر لاحظ أن أمام التنظيمات النسائية العربية اشواطا أخرى لكى تربط

---

(٢) صابر ، محى الدين ، تعليم المرأة العربية وتدريبها فى علاقتهابالتنمية القومية (بحث غير منشور) مؤتمر المرأة العربية والتنمية القومية ، القاهرة ٢٤ — ٣٠ سبتمبر ٧٢ .

(٣) انظر تقديم التقرير النهائى لمؤتمر « دور المرأة العربية فى التنمية القومية — القاهرة ٢٤ — ٣٠ سبتمبر ١٩٧٢) .

قضية تحرير المرأة بقضية مشاركتها فى مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية وفى ربط نشاط التنظيمات النسائية بأهداف خطط ولوائح التنمية ، كما لاحظ المؤتمر أيضا أن التنظيمات النسائية رغم ما بذلته من جهود فى الوصول ببرامجها وخدماتها الى القواعد الشعبية فى المستوى المحلى فانها مطالبة بمزيد من الجهد فى هذا الاتجاه لكى تدفع بما يمكن أن تسهم به المرأة فى حركة المجتمع وانطلاقاته دفعا — يحقق النمو والتقدم (٤) .

٧ — ولقد عرفت مصر العمل الاجتماعى التطوعى منذ القرن الماضى كما عرفت دخول المرأة المصرية الى هذا الميدان منذ البدايات المبكرة للقرن الحالى مما يجعل محاولة دراسة كهذه لمعرفة دور المرأة المصرية فى التنمية من خلال الجهود التطوعية أمرا له أهميته ، بيد أن مثل هذه الدراسة لها بالطبع حدودها فهى دراسة مكتبية مختصرة تعتمد على تجميع وتحليل البيانات ذات الطابع الوثائقى من تقارير ونشرات واحصائيات وقد اتاح ذلك لنا فرصة الوقوف على فقر وضحالة وفوضى التوثيق العلمى فى الأجهزة المعنية بالعمل النسائى الشعبى .

وقد يكون المجال مناسبا — هنا — لتأييد الدعوة الى انشاء مركز للتوثيق العلمى يختص بشئون المرأة والأسرة يمكن أن يسهم فيه عدد من الهيئات كالامانة العامة لجامعة الدول العربية والمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية والتنظيم النسائى وقد يكون فى ذلك تكريم للمرأة بمناسبة العام العالمى للمرأة .

٨ — ومع التقدير الكامل لاسهام عدد كبير من النساء المصريات من خلال الجهود التطوعية — فى التنمية الاجتماعية الا أن ما يسترعى الالتفات أن الغالبية منهن تنتمين الى شرائح اجتماعية اقتصادية مرتفعة وان النساء اللاتى ينتمين الى الطبقات — الكادحة بمعزل تام عن هذا النوع من الجهود (٥) .

وقد يرجع ذلك الى طبيعة العلاقات الاقتصادية والاجتماعية السائدة فى مجتمعنا المصرى الراهن ؛ مما يجعلنا نستشرف كم سيكون دور المرأة المصرية مؤثرا وكبيرا وخلاقا فى مستقبل مجتمعنا بتنامى دور الطبقات الكادحة .

---

(٤) التقرير النهائى للمؤتمر سابق الذكر (غير منشور) .

(٥) عيد ، هدى عبد الفتاح ، تطوع المرأة فى أعمال الهيئات الاجتماعية (رسالة ماجستير غير منشورة ، المعهد العالى للخدمة الاجتماعية بالقاهرة ١٩٧٢ .

٩ ــ سنتناول بعد ذلك تاريخ الجهـود النسـائية ذات الطـابع التطوعى ثم نعرض لدور الجمعيات النسائية واللجان النسائية والأنـديه النسـائية فى مجالات التنمية وكذلك لتجربة الرائدة الريفية كعمل نسائى شعبى وقد نخاص الى بعض الاستنتاجات التى قد تصلح فروضا لبحوث ميدانية حول تقييم دور الجهود النسائية الشعبية فى التنمية .

المرأة المصرية والعمل الاجتماعى الشعبى ــ نبذة تاريخية :

١٠ ــ أعقب انفتاح مصر الحضارى على أوروبا أثنـاء الحملـة الفرنسية وبعدها فى عهد محمد على الذى أحدث تغييرات هامة فى هياكل الاقتصاد المصرى (الغـاء الالتزام وبزوغ الملكية الخاصـة فى الأراضى الزراعية ونشوء احتكار الدولة) أن بدأ الصراع بين الاتجاهات السلفيه والعصرية .

١١ ــ ولا يمكن النظر الى حركة تحرر المرأة بمعـزل عن هـذا الصراع الفكرى بين اتجاهين متعارضين :

أولهما : اتجاه سلفى تقليدى راسخ له جذوره فى أعماق المجتمـع ويستمد قوته من الأشكال التقليديه لعلاقات الانتاج التى سادت مصرزمنا طويلا .

وثانيهما : الاتجاه العصرى الوافد والـذى عبـر عنه عـدد من المستنيرين ابتداءمن رفاعة رافع الطهطاوى الى على مبارك وجمـال الدين الأفغانى ومحمد عبده وقاسم أمين ومنصور فهمى ولطفى السـيد وطه حسين .

كما ظهرت أعلام نسائية بارزة من أمثال عائشة تيمور وملك حفنى ناصف (باحثة البادية)

وقد شهد العقد الأخير من القرن التاسع عشر صدور اول مجلـة للمرأة فى مصر مجلة الفتاة لهند نوفيل (١٨٩٢ ثم تتـابعت المجـلات النسائية : مجلة الهوانم (١٩٠٠) وشجرة الدر (١٩٠١) والسـعادة سنة ١٩٠٢ والسيدات والبنات سنة ١٩٠٣ وفتاة الشرق ١٩٠٦ وترقية المرأة ١٩٠٨ وفتاة النيل ١٩١٣ (٦) .

١٢ ــ ويلاحظ ان حركة تحرر المرأة المصرية واكبت الحركةالوطنية فى مصر حيث شاركت المرأة المصرية فى مسيرة الكفاح الوطنى الى حـد الاستشهاد (ثورة ١٩١٩) بيد أن تقبل المجتمع لحركة المرأة واشتراكها

(٦) أحمد : أحمد طه ، المرأة : كفاحها وعملها دار الجماهير القـاهرة ١٩٦٤ ص ٦١ وكذلك بهيم ، محمد جميل المرأة فى التاريخ والشرائع ، بيروت ١٩٢١ ص ٢٢٧ .

فى الأنشطة المختلفة سار بالتدريج وما زال يحتاج الى دفعات كبيرة ، وقد يرجع ذلك الى ارتباط حركة المرأة بالطبقة البورجوازية دون أن تلتحم بالطبقات الدنيا (٧).

١٢ — ويؤرخ — عادة — لبدايات العمل النسائى الاجتماعى الشعبى فى مصر بجهود هدى شعراوى ولفيف من النساء المصريات فى انشاء مبرة محمد على (١٩٠٩) وان كان ذلك لاينفى وجود جهود أسبق لنساء أجنبيات من المقيمات بمصر فى ذلك الميدان .

كما أنشئت جمعية خريجات الكلية الأمريكية للبنات بالقاهرة (رمسيس حاليا) (١٩١١) وجمعية المرأة الجديدة — ١٩١٩ — ونادى سيدات القاهرة — ١٩٢٤ — وجمعية تحسين الصحة — ١٩٣٦ — ولجنة سيدات الهلال الأحمر — ١٩٣٩ — ومبرة التحرير — ١٩٤٢ — وتوالى بعد ذلك انشاء العديد من الجمعيات النسائية كما شاركت المرأة فى تكوين لجان نسائية بعدد من الجمعيات الاخرى وتسهم المرأة — أيضا — فى بعض الجمعيات المشتركة — جنبا الى جنب — مع الرجل .

الجهود النسائية فى العمل الاجتماعى الشعبى والتنمية :

١٤ — يبلغ عدد العضوات العاملات فى الجمعيات النسائية الخالصة أى التى تقتصر العضوية فيها على النساء واللجان النسائية بالجمعيات التى يشارك الرجال فى عضويتها مع النساء وكذلك فى الجمعيات المشتركة التى تضم الرجال والنساء بدون تخصيص لجان نسائية ، يبلغ العدد الاجمالى ٢٦٢٩٨ سيدة وآنسة .

١٥ — وتبلغ عدد الجمعيات النسائية الخالصة ١٩٠ جمعية أما اللجان النسائية فى جمعيات مشتركة فيبلغ عددها ٤٧ لجنة كما تبلغ عدد الجمعيات الأخرى التى تشارك المرأة فى عضويتها ٢٣٣ جمعية ويوضح الجدول التالى توزيع كل من الجمعيات النسائية واللجان النسائية والجمعيات المشتركة على مستوى محافظات الجمهورية كما يوضح عدد الأعضاء من النساء والرجال فى كل من هذه الجمعيات.

---

(٧) سيدهم ، سميحة تحرر المرأة فى مصر كحركة اجتماعية ، المجلة الاجتماعية القومية ، المجلد الثالث ، العدد الأول ، يناير ١٩٦٦ ، ص ٤١

جدول يبين مـــدى إسهام المرأة فى عضوية الجمعيـــات

مديريات الشئون الاجتماعية التابعة لها الجمعيات المعنية	لجان نسائية		جمعيات نسائية		جمعيات مشتركة			
	عـــدد اللجان	عـــدد العضوات	عـــدد الجمعيات	عـــدد عضوات	عـــدد جمعيات	الأعضاء من الذكور	الأعضاء من الإناث	مجمـــوع الأعضاء
القاهرة	٧	٥٦٣	٤٠	٢٨٧٤	٣٢	٢٣٢٥	٨٦١	٣١٨٦
الاسكندرية	١٩	٧٧	١٣	١١٢٧	٧٢	٤١٩٩	٩٦٥	٥١٦٤
البحيرة	٢٤	٣٥٨	٧	٨٠٩	٩	٩٣٩	١٠٩	١٠٤٨
كفر الشيخ	١١	٣٥٢	٢	٧٢	٢	٤٩	٢٤	٧٣
القليوبية	—	-	٣	٢٣	٧	٦١	١٦	٧٧
المنوفية	٧٦	١١٤٧	٦	٢١٦	٣	٧٢	٤٦	١١٨
الشرقية	٥٢	٥٨٤	١٥	٥٨٢	١٩	١٠٤٣	١٣٧	١١٨٠
الغربية	٢٠	٣٠٧	١٤	١٥٥٠	٤	٥١	٤٠	٩٢
الدقهلية	٥٩	١٠٤٣	١٢	٦٠٤	٣	٨٨	١٢	١٠٠
دمياط	١	٧	٢	٧٣	١	٩	٦	١٥
بورسعيد	٣	٥٨	١٠	١٤٨٦	١٠	١٢٨٥	٨٠٠	٢٠٨٥
الاسماعيلية	١٢	٣٤٠	٥	١١٠	١١	٦٣٨	١١٨	٧٥٦

السويس	—	—	—	—	—	—	—	—
الجيزة	٣٩	٧٢٥	٨	٤٧٩	١٤	٢٨٩	٢٨٦	٥٧٥
بنى سويف	٢٤	٥٧٧	٢	٥٢	—	—	—	—
الفيوم	٤٥	١٢٩٧	٦	٩١٩	٩	١١٤	٦٨	١٨٢
المنيا	٣٣	٨٧٦	١٢	٥٧٨	٣	٧٢	١٣	٨٥
اسيوط	١٥	٢٣١	٧	٢٩١	١٩	١٢٤١	٤٥٥	١٦٩٦
قنا	١٠	٢٧٢	٦	٢٧٩	٥	٣٠٤	٥٠	٣٥٤
سوهاج	١٠	١٦٢	٨	٧١٤	٣	٣٩	١٢	٥١
اسوان	٨	٧٤	٨	٣٢٩	—	—	—	—
مرسى مطروح	—	—	٢	٢٩	٣	٦٣	٦	٦٩
الوادى الجديد	—	—	—	—	١	١٤٣	٢٢	١٦٥
البحر الأحمر	٢	٣٠	٢	٢٧	٣	١٠٣	١٨	١٢١
سيناء	—	—	—	—	—	—	—	—
المجموع	٤٧٠	٨٩٨٠	١٩٠	١٢٢٥٣	٢٢٣	١٣١٢٧	٤٠٦٥	١٧١٩٢

١٦ — ويبين من الاطــلاع على هذا الجدول ان الجهود النســائية التطوعية فى اطار الجمعيات ماتزال جد محدودة اذ ان عدد النساءاللاتى يشاركن فى مثل هذا النشاط يبلغ ٢٦٢٩٨ (١٩٦٧) (غير أن بحثالتقييم الجمعيات والمؤسسات الخاصة يقدر عدد الاناث من أعضاء الجمعيــات عن نفس العام ١٩٦٧ — ٦٢٩٤٩) وأيا كان الأمر فانها نســبة ضئيلة تعبر عن عزوف عدد كبير من المصريات عن العمل الاجتماعى الشعبى . وقد أوردت دراسة ميدانية حديثة عدة أسباب لاحجام النساء عن العمــل الاجتماعى الشعبى فى مصر يمكن اجمالها فى الآتى «٨» :

ا — عدم توفر معلومات كافية عن الجمعيات وعدم وضوح أهداف بعض هذه الجمعيات .

ب — عدم وجود وقت فراغ لدى عدد كبير من الأمهــات لأطفــال على الاخص .

ج — عدم ادراك بعض النساء لأهمية دورهن فى العمل الاجتماعى الشعبى .

د — معارضة بعض الأزواج لانضمام زوجاتهم لعضوية الجمعيات والمشاركة فى مثل هذا النشاط .

هـ — اعتقاد عدد كبير من النساء بأن العمل الاجتماعى الشعبىمن خلال الجمعيات ينحصر فى أيدى بعض النساء اللامعات والــلاتى ينتمين الى طبقة اجتماعية اقتصادية مرتفعة وما يشاع أحيانا من مخالفاتترتكب فى بعض الجمعيات .

١٧ — ومهما يكن من أمر فان قلة عدد النساء اللاتى يشاركن فى العمل الاجتماعى الشعبى من خلال الجمعيــات وانتمــاء غالبيتهن الى الطبقات الاجتماعية الاقتصادية المرتفعة انما يرجع — كما أسلفنا — الى شكل ونوع وطبيعة العلاقات الاجتماعية الاقتصادية التى تسودمجتمعنا الراهن وقد يكون فى تسييس العمل الاجتماعى الشعبى وربط القــائمين عليه بالقضايا المجتمعية على نحو واع ، ما يحفــز جمــاهير غفيرة من النساء الكادحات للاسهام فى مثل هذا النشاط بشكل أكثر فاعلية وأكثــر عطــاء .

---

(٨) تراجع لمزيد من التفاصيل : عيد ، هدى عبد الفتاح تطوع المــراة فى أعمال الهيئات الاجتماعية رسالة ماجستير غير منشورة ، سابق الاشارة اليهــا .

ولعل هذا ما اعتنته توصيات مؤتمر « دور المرأة العربية فى التنمية القومية (القاهرة ٢٤ — ٣٠ سبتمبر ١٩٧٢) حين نصت على وجوب (اشراك التنظيمات النسائية فى تحديد الأهداف العامة للخطة الوطنية والاستعانة بها فى تعبئة جهود المجتمع رجالا ونساء فى تنفيذ برامجها ومتابعتها وتقويمها) . (٩)

وعلى (تنسيق الأهداف والجهود بين التنظيمات السياسية والنسائية حتى تحقق البرامج النسائية أكبر عائد ممكن على أن يتم هذا التنسيق على المستويين الأفقى والرأسى (١٠) .

كما يبين من استعراض الجدول السابق أيضا أن ٧٩٥٧ سيدة وآنسة يعملن فى جمعيات نسائية ولجان نسائية وجمعيات مشتركة بالقاهرة والاسكندرية والجيزة معا من مجموع ٢٦٢٩٨ على مستوى الجمهورية مما يجعل صورة العمل النسائى الاجتماعى الشعبى من خلال جهود الجمعيات لاتختلف — من حيث التركيز فى العواصم الكبرى — عن العمل الاجتماعى الحكومى ، وهى صورة نرجو أن تتغير سريعا باشاعة الخدمات على نحو عادل على جنبات المجتمع كله ونفس الشىء نلاحظه من تعداد الجمعيات النسائية بالقاهرة والاسكندرية والجيزة اذ تبلغ ٦١ جمعية من ١٩٠ جمعية تعمل على مستوى محافظات الجمهورية جميعا وكذلك الأمر بالنسبة الجمعيات المشتركة (جهود نسائية بجانب جهود الرجال) اذ يبلغ عددها فى المحافظات الثلاث ١٠٨ جمعية من ٢٢٣ جمعية تعمل على مستوى الجمهورية كلها .

١٨ — وتشير بعض الاحصائيات الأخرى الى أعداد من المتطوعات فى بعض الميادين الاجتماعية (الاغاثة والتهجير والتمريض والاسعاف والتدريب على الحياكة ... الخ) ويقدر عدد هؤلاء المتطوعات بـ ٣٠٥٢ متطوعة تتركز اكثر من نصفهن (١٧٦١ متطوعة) بالقاهرة وحدها (١١)

---

(٩) التوصية رقم ٤٤ فقرة ٧ من التقرير النهائى للمؤتمر (سابق الاشارة اليه) .

(١٠) التوصية رقم ٩٥ فقرة (أ) من التقرير النهائى للمؤتمر سابق الاشارة اليه .

(١١) انظر الجدول رقم (١١١) من مفكرة الاحصاءات الاجتماعية (نوفمبر ١٩٧٣) ، وزارة الشئون الاجتماعية ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

ويبدو أن هذا العدد من المتطوعات قد تطوعن ــ بشكل مؤقت بمناسبة ظروف حرب أكتوبر ١٩٧٣ خارج نطاق العمل العادى بالجمعيات .

١٩ ــ فاذا بدا لنا بعد ذلك أن نحاول التعرف على الدور الذى تلعبه هذه الجهود النسائية من خلال العمل الاجتماعى الشعبى ممثلا فى الجمعيات فى التنمية الاجتماعية . يجب أن نحدد ما نقصده بالتنمية الاجتماعية فى هذه الدراسة وهو ما نهدف الى قياسه ، كما يجب أن نحدد ــ بعد ذلك ــ المعايير التى نقيس بها التنمية الاجتماعية فى هذه الدراسة ، مع التنويه باننا لسنا بصدد اجراء دراسة تقويمية فى هذا الصدد وان كنا نطمح الى القيام بها مستقبلا .

٢٠ ــ وفى مجال تحديد ما نقصده بالتنمية هنا . فلسنا فى مجال يسمح باستعراض متقص للتعريفات المتداولة والتى تقدم للتنمية بشقيها الاقتصادى والاجتماعى بيد اننا سنقدم للقارىء عددا محدودا من هذه التعريفات .

فتعرف التنمية بانها (ذلك الكل المعقد من الاجراءات والعمليات المتالية المستمرة التى يقوم بها الانسان للتحكم بقدر ما فى متضمنات واتجاهات التسيير الثقافى أو الحضارى فى مجتمع من المجتمعات وكذا فى سرعته بهدف اشباع حاجاته (١٢) .

ويعرفها البعض بأهدافها (بهدف التنمية الى استثارة مجموعة من عمليات التغيير المخطط وهى لذلك ترتبط ارتباطا وثيقا بالتغيير من حيث اتجاهاته وشدته وعمقه وباهداف المجتمع النابعة من ايديولوجية تضع شكل النظام الاجتماعى والاقتصادى وبطبيعة المشاكل القائمة وتوفر الامكانيات المتعددة الأنواع القادرة على مواجهتها ، ومستوى الطموح المتمثل فى تطلع واقعى مستند الى ارادة تنمية ايجابية واضحة) (١٣).

ويذهب البعض الى أن (تنمية المجتمع عملية يقصد بها تهيئة عوامل التقدم الاجتماعى والاقتصادى للمجتمع عن طريق مساهمة أفراده

---

(١٢) شوقى ، عبد المنعم ، مفهوم التنمية : صياغة محددة للمشكلة (بحث غير منشور) مؤتمر علم الاجتماع والتنمية فى مصر ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة (٥ــ٨ مايو ١٩٧٣)

(١٣) غيث ، محمد عاطف ، علم الاجتماع وقضايا التنمية (بحث غير منشور مؤتمر علم الاجتماع والتنمية فى مصر ، السابق الاشارة اليه .

وجماعاته واستغلال طاقاته وامكانياته ... فهى عملية تعبئة وتنظيم جهود أفراد المجتمع وجماعاته وتوجيهها للعمل المشترك مع الهيئات الحكومية بأساليب ديمقراطية لحل مشاكل المجتمع ورفع مستوى أبنائه اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا ومقابلة احتياجاتهم بالانتفاع الكامل بكافة الموارد الطبيعية والبشرية والفنية والمالية المتاحة (١٤) .

ويؤثر البعض استخدام لفظ (الانمائية) بدلا عن التنمية لما فيهما من حركة الارادة ولدلالتها الأوفى على نزعة فكرية تتخذ مبادىء النمو وقواعده سبيلا لها ، بذلك تقدم الانمائية جسرا من الجسور المنشودة بين العلوم الطبيعية والاجتماعية والانسانية وبين المعرفة النظرية والمعرفة التطبيقية وهو جسر نمائى تتطلع اليه هذه العلوم بشغف بعد أن اجتاحها التخصص التجزيئى وهذا الجسر النائى هو جسر انسانى فالانسان هو منطلق الانمائية وهدفها والأنمائية تذكير لنا بأن محاولة السيطرة على الطبيعة وتنظيم المجتمع ليست غاية فى حد ذاتها بقدر ما هى وسيلة لتمكين الانسان من تحقيق نموه أى من بلوغ غاية وجوده) (١٥) .

٢١ — والواقع أن التعريفات السابقة وغيرها تركز على ترابط وتكامل برامج التنمية وعلى اسهام المواطنين انفسهم — اراديا — مساهمة متزايدة وفعالة فى هذه البرامج فالمجتمع يجب أن يتقبل عمليات وبرامج التنمية مع نتائجها بما يضمن استفادته منها ويضمن لها الاطراد التزايد (١٦) .

وعلى هذا فيمكن القول بأن للتنمية الاجتماعية ثلاثة مجالات مرحلية تنهض فيها بمهمتها داخل اطار التنمية الشاملة .

اولهما : ما يقترب من التمهيد والاعداد للتنمية ويتعداه الى مواكبتها :

---

١٤ — صلاح العبد مبادىء وخبرات فى تنمية المجتمع فى العالم العربى سرس الليان ١٩٦٤ ص ٥٣ ، ٥٤ .

١٥ — صهيب حسن الانمائية الحديثة ايديولوجية جديدة مجلة حوار (ببروت السنة الثالثة العدد الثالث مارس / اذار — نيسان ١٩٦٥) ص ٧٢ ، ٧٣ .

١٦ — مفاهيم التنمية الاجتماعية ومشكلاتها (دراسة أعدتها ادارة التنمية الاجتماعية بالامانة العامة لجامعة الدول العربية) المؤتمر الثانى عشر للشئون الاجتماعية (القاهرة ، مايو أيار ١٩٦٨) انظر أعمال المؤتمر تحت عنوان التخطيط التنمية الاجتماعية فى الوطن العربى ص ٦ .

ثانيهما : ما يعمل على ازالة العقبات من طريقها وثالثهما ما يسعى الى تدارك آثارها السلبية والمساعدة على استقرار اطارها الاجتماعى الجديد ، ولسنا بحاجة الى القول بأن هذه المراحل تتداخل وتتزامن وتتبادل المراكز احيانا (١٧) .

٢٢ — ويقدم البعض معايير لتقويم برامج التنمية الاجتماعية من حيث تحقيقها لاهدافها ، سواء على مستوى التقويم الخاص بالمشروع أو البرنامج باعتباره وحدة فى بناء أو حلقة فى سلسلة ، أو جزئية فى كل متكامل من السياسة الاجتماعية ، على أساس دراسة انتاجية المشروع وتكلفته واساليب الأداء فيه وآثاره المباشرة وغير المباشرة أو على مستوى الرفاهية العام الذى هو حصيلة لآثار جميع المشروعات والسياسات الاجتماعية ولما يتم بينها من تفاعلات وتأثيرات متبادلة مما يستدعى النظر اليها فى نتائجها النهائية متمثلة فيما تشبعه من حاجات وما تحققه من مزيد من الاشباع وقياس درجة الرفاهية يتمثل فيما نسميه عادة بمستوى المعيشة اذ أن الهدف النهائى من — التنمية فى مشروعاتها الاقتصادية الاجتماعية هى العمل على رفع مستمر لمستوى المعيشة وواضح ما يكتنف ذلك من صعوبات تتعلق بايجاد مقياس يعتمد عليه لمستوى المعيشة يمكن من التعرف على الاثار النهائية لما يحدث من تنمية اجتماعية (١٨) .

٢٣ — فى ضوء هذا تبرز مزالق التجروء على محاولة تقييم دور المرأة فى التنمية من خلال العمل الاجتماعى النسائى الشعبى ومع ذلك ومع الاخذ فى الاعتبار كل الصعوبات المذكورة وحدود الدراسة الحالية سنعرض لدور المرأة المصرية من خلال جهودها التطوعية فى عدد من الجمعيات وكرائدة ريفية فى عمليات التنمية الاجتماعية دون تجاسر على اطلاق النتائج والاحكام .

٢٤ — حدد القانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٤ الميادين التى تعمل فيها الجمعيات والمؤسسات الخاصة على النحو التالى : —

١ — رعاية الطفولة والامومة

---

١٧ — المرجع السابق ص ١٥ ، ١٦ .

١٨ — يراجع لمزيد من التفاصيل عمار ، حامد تقويم التنمية الاجتماعية فى ضوء معيار لمستوى المعيشة (بحث غير منشور) اعمال المؤتمر الثانى عشر للشئون الاجتماعية (القاهرة/مايو/آيار ١٩٦٨ سابق الاشارة اليه ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

٢ — رعاية الاسرة
٣ — المساعدات الاجتماعية
٤ — رعاية الشيخوخة
٥ — رعاية الفئات الخاصة والمعوقين
٦ — الخدمات الثقافية والعلمية والدينية
٧ — تنمية المجتمعات المحلية

٢٥ — ويبلغ الجمعيات النسائية الخالصة أو تلك التى تشارك المرأة فى عضويتها الرجل فى نطاق مدينة القاهرة ٦٣ جمعية (طبقا للحصر الذى قام به الاتحاد الاقليمى للجمعيات بالقاهرة عام ١٩٧٠) منها ٤٥ جمعية نسائية خالصة بمعنى أن عضويتها تقتصر على النساء فقط دون الرجال ، ١٨ جمعية تشارك النساء الرجال فى عضويتها بيد أن النشاط النسائى يبدو بارزا فيها ويشير التقرير السنوى عن نشاط الاتحاد الاقليمى للجمعيات بالقاهرة خلال عام ١٩٧٤ (مارس ١٩٧٥ . الى أن الاتحاد وافق خلال العام الثالث (١٩٧٤) على شهر ١٢٦ جمعية جديدة ، الا أنه لم يوضح ما اذا كان من بين هذه الجمعيات حديثة الشهر جمعيات نسائية أو جمعيات يبرز فيها النشاط النسائى ، الا أن ذلك قد يحمل على الاعتقاد بأن ثمة احتمالا فى زيادة عدد الجمعيات النسائية بمحافظة القاهرة عن ذلك الذى أوردناه آنفا .

٢٦ — اما الجمعيات النسائية بمدينة الجيزة المتاخمة للقاهرة والتى تعد داخل اطار ما يعرف بالقاهرة الكبرى ، فتبلغ ستة جمعيات تعمل على الاخص فى ميدان رعاية الاسرة والطفولة وقد بلغ عدد عضواتها حتى منتصف العام الماضى (٣٠ يونيو ١٩٧٤) ٥٦٠ عضو منهن ٥٥ يشغلن عضوية مجالس ادارات هذه الجمعيات . ويتركز نشاط هذه الجمعيات الست فى الآتى :

(أ) — ٨ ثمانى دور حضانة ترعى ٦٧٠ طفلا .

(ب) — ٨ ثمانى مراكز لتنظيم الاسرة تخدم ٢٢٤٠ اسرة .

---

١٩ — عفيفى ، فاروق عبد الحليم صالح ، دور المرأة فى تنمية المجتمع المحلى ، دراسة استطلاعية لدور عضوات الجمعيات النسائية بمدينة الجيزة (بحث غير منشور) الحلقة الدراسية الحادية عشر للدراسات الاجتماعية للعاملين بوزارة الشئون الاجتماعية (الاسكندرية) ٢ — ٢١ نوفمبر ١٩٧٤ .

(جـ) — ٨ ثماني لتدريب الفتيات تخدم ٥٢٠ فتاة .

(د) — ٤ فصول لمحو الامية للنساء تضم ١٢٠ امراة .

(هـ) — ١ دار للطالبات المغتربات تضم ٨٠ طالبة .

وجدير بالذكر هنا أن نسبة المستفيدين من خدمات الجمعيات النسائية بمدينة الجيزة لا يتجاوز ٦ر٪ من سكان المدينة (٢٠) ولا تسمح البيانات المتاحة حاليا بالقاء مزيد من الضوء على أسباب قلة عدد المستفيدين من خدمات هذه الجمعيات .

٢٧ — فاذا استعرضنا ملامح الجهود النسائية من خلال انشطة الجمعيات ببعض المحافظات الاقليمية فنجد أن نسبة العضوية من الاناث تقل كثيرا عن نسبة الاعضاء من الذكور بدائرة محافظة البحيرة (على سبيل المثال فبينما يبلغ عدد الاعضاء من الذكور فى ١١٥ جمعية نحو ١٥٨١١ عضوا فأن عدد الاعضاء من الأناث يبلغ ١٠٥٦ عضو ، غير انه يلاحظ ان عدد الاناث من بين أعضاء هذه الجمعيات يتركز بشكل واضح فى دمنهور كعاصمة حضرية وفى كفر الدوار كمركز صناعى هام (٦٠٦ ، ٤٠١ على التوالى) .اى نحو ٧٠٪ فى دمنهور وكفر الدوار مقابل ٤٩ عضو فى كوم حماده وابو المطامير وشبراخيت والمحمودية وابو حمص وايتاى البارود والدلنجات بينما لا تشارك المرأة بتاتا فى جمعيات رشيد وحوش على (٢١) .

ولعل فى هذا ما يوضح مدى ارتباط الوعى الناجم عن التعليم (دمنهور) وعن التصنيع (كفر الدوار) بأقبال النساء على الاسهام فى العمل الاجتماعى الشعبى .

ويتضح أيضا انه يحدث احيانا تداخل فى ميادين الخدمة المختلفة للجمعيات بحيث يصعب فى العمل وضع تصنيف محدد للانشطة الاجتماعية المختلفة تحت ميدان محدد من ميادين العمل الاجتماعى كما ان جمعيات تنمية المجتمع المحلى وهى فى حقيقة الأمر جمعيات متعددة الاغراض تمارس العديد من اوجه الانشطة الاجتماعية المختلفة (مناحل ، مشاغل ، دور

---

٢٠ — المرجع السابق .

٢١ — سلام ، عبد الصادق محمد ، بحث تقييم الهيئات الاجتماعية بمحافظة البحيرة (١٩٦٧) ، دمنهور ١٩٦٨ ، ص ٩ ، ص ١٠ .

حضانة ، محو أميه ، زراعة وحدائق وصناعات حرفية ، انارة ، تحفيظ القرآن الكريم ، تنظيم اسره عيادات طبية .. الخ .

كما يتضح من البيانات المتاحة ، ضخامة التكلفة مع قلة عدد المستفيدين من خدمات التدريب المهنى والمشاغل وتاتى التكلفة المرتفعة تحت بنود الاجور والمرتبات والمصروفات الأخرى التى لا تتناسب مع عدد المدربين والمدربات (٢٢) .

٢٨ — ونستعرض هنا بعض الجهود النسائية الخالصة فى بعض مجالات التنمية الاجتماعية ، من خلال عمل نادى سيدات القاهرة الذى يرجع تاريخ انشائه الى عام ١٩٣٤ الذى قام بتجارب رائدة منذ اوائل الخمسينات فى مجال التنمية الريفية فى كل من — (سنديون) (وترسا) وللنادى فى كل من البلدتين دار حضانة ومركز لتنظيم الاسرة وتفتح دار الحضانة أبوابها من الثامنة صباحا حتى الثانية بعد الظهر بينما يعمل مركز تنظيم الاسرة فى سنديون من الثالثة حتى السادسة مساء يومى الأحد والاربعاء من كل اسبوع بينما يعمل مركز تنظيم الاسرة فى ترسا من الثالثة حتى الخامسة من مساء يوم الأحد من كل اسبوع .

وتأتى اهمية تجربة نادى سيدات القاهرة فى انها بدأت على يد سيدات قاهريات ينتمين الى الطبقة الاقتصادية الاجتماعية المرتفعة ومع ذلك اهتمت بالريف وذلك قبل ثورة ١٩٥٢ مباشرة ففى ديسمبر عام ١٩٥٠ واثناء السوق الخيرى السنوى الذى يقيمه النادى ، اقترح وزير الشئون الاجتماعية انئذ على بعض عضوات النادى ، اختيار احدى القرى بقصد تدريب فتيات القرية على بعض الاشغال الفنية بهدف زيادة دخولهن وقد وقع اختيار لجنة من ١٥ سيدة من عضوات النادى على بلدة سنديون التى تبعد عن القاهرة بنحو ٢٥ كيلو متر وقد بدأ النادى بعذ محاولة لاستكشاف رغبات فتيات ونساء البلدة بأفتتاح فصول لتعليم حياكة الملابس واعقب ذلك افتتاح دار الحضانة لأطفال القرية بسعة ٢٥ طفلا فى بادىء الامر وسرعان ما اصبحت دار الحضانة الريفية لاطفال بلدة سنديون مثالا يحتذى فى دوائر كثيرة (على سبيل المثال) : جمعية خريجات

---

٢٢ — لمزيد من التفاصيل — المراجع السابق ص ٤٣ .

(×) الدكتور أحمد حسين .

الكلية الأمريكية للبنات (رمسيس حاليا) التى انشأت مشروعا مماثلا بقرية أم هنان من قرى محافظة الجيزة (٢٣).

ومنذ عام ١٩٦٤ أهتم نادى سيدات القاهرة بتنظيم الاسرة ولعل اول مركزين لتنظيم الاسرة الريفية هما اللذان انشأهما النادى فى سنديون وترسا . بمعاونة أهالى البلدين . وطوال العشر السنوات الماضية يعمل المركزان بنشاط كبير ، ولا شك أن خبرات أهالى « سنديون » وترسا طيلة نحو ربع قرن خلاً من جهود نادى سيدات القاهرة ، مما يدعو الى تحقيق نتائج مشجعة فى ميدان تنظيم الاسرة (٢٤) .

٢٩ — ويجدر بنا أن نشير أيضا الى الجهود النسائية من خلال الجمعية النسائية لتحسين الصحة التى أنشئت عام ١٩٣٦ ، والتى تشرف على عدد من المشروعات الاجتماعية الهامة :

حضانة ، مدينة تحسين الصحة بالهرم ، ومشروع الامية ، ووحدتين لتنظيم الاسرة لخدمة اسر مرضى الدرن بصفة خاصة ، وبعض مشروعات التأهيل المهنى (٢٥) . والواقع أن أغلب المشروعات التى أنشأتها الجمعية لن ترعاهم قد ثبت نجاحها اذ تبذل الجمعية عناية خاصة لانجاح هذا المشروع بدراسة ظروف المشروع الاقتصادية وظروف من سيقوم بالمشروع ، وقد بلغ عدد هذه المشروعات ١٥٣ مشروعا لعام ١٩٧١ بالمقابلة لـ ١٢ مشروعا فقط عام ١٩٤٩ .

كما أولت الجمعية اهتماما بالغا بالعناصر المتعطلة أو غير المنتجة من اسر المرضى ، وخاصة بالناقهين من المرضى وابنائهم ممن فاتهم فرص التعليم أو فرص تعليم حرفة .

ولقد اقامت الجمعية لهذا الغرض مشروعا للتأهيل يضم ثلاث مجالات:

١ — التأهيل للبنات فى مجال التفصيل والحياكة لمن زاد عمرها عن ١٥ سنة ، وبلغ عدد الدارسات فى هذا المجال ٢٣ دارسة لعام ١٩٧١

---

٢٣ — يراجع لتفاصيل المشروع كتيب منشور وغير محدد به بيانات بيبلوجرافية .

٢٤ — تقرير مكتوب بالانجليزية (بخط اليد) عرضته السيدة / فخرية قاسم فى مؤتمر الاتحاد العالمى للمراة الريفية (يرث — استراليا) ، ١٠ — ١٨ أكتوبر ١٩٧٤ .

٢٥ — اعتمدنا فى هذا على تقرير الجمعية النسائية لتحسين الصحة عن اعمالها لعام ١٩٧١ وهو أحدث ما نشرته الجمعية من تقارير حتى وقت اعداد الدراسة .

٢ — التأهيل للبنين فى مجال الاصلاحات الكهربائية المعمارية لمن زاد عمره عن ١٥ سنة وبلغ عدد الدارسين فى هذا المجال ١١ دارسا لعام ١٩٧١ .

٣ — التأهيل فى مجال صناعة السجاد للبنين والبنات دون سن ١٤ سنة ، وقبل به ١٦ دارسا لعام ١٩٧١ .

كما قامت الجمعية بمعاونة وزارة الصحة فى ادارة وتنظيم وحدتين لتنظيم الاسرة (بعابدين ويحى زينهم) وقد بلغ عدد الحالات الجديدة بالوحدتين عام ١٩٧١ عدد ١٠١٦ . ويمكن القول بأن من النادر حاليا أن توجد أسرة مريض الدرن ممن تخدمهم الجمعية لا تمارس تنظيم الاسرة .

اما بالنسبة لمشروع مدينة تحسين الصحة التى يتم قبول ابناء المرضى بها ، كما تعتمد على زوجات بعض المرضى للعمل كأمهات مشرفات بالمدينة ، وتشتمل مدينة تحسين الصحة بالهرم حاليا فضلا على عنابر النوم (٤٠٠ سرير) على دار للحضانة يتسع لمائة طفل ومدرسة ابتدائية واخرى اعدادية وثالثة ثانوية صناعية ومشغل ومعرض لمنتجات فتيات المدينة ونادى لمزاولة الانشطة المختلفة وملاعب رياضية ومصنع للنسيج الآلى (انشىء عام ١٩٥٤) يتدرب به طلاب المدرسة الثانوية الصناعية (بلغ انتاجه عام ١٩٧١ — ٣ر٥ مليون متر من الاقمشة) واخيرا مزرعة مساحتها عشرة افدنة وبها أشجار موالح ومانجو وزهور للتدريب على فلاحة البساتين .

٣٠ — ولسنا فى حاجة بعد هذا العرض الموجز — الى التأكيد بأن الهدف من هذه الدراسة ليس حصر الجهود النسائية فى العمل الاجتماعى الشعبى ودورها فى التنمية ، كما أن الدراسة — بحدودها الحالية — لا تستهدف تقويما لدور المراة فى التنمية بقدر ما تستهدف الى القاء الضوء على ذلك الدور ، وقد يكون ذلك دافعا للباحثين الى القيام بعمل ميدانى كبير لتقويم دور المراة فى التنمية من خلال العمل النسائى الاجتماعى الشعبى .

مشروع الرائدات الريفيات والعمل الاجتماعى الشعبى :

٣١ — تكمن الفلسفة وراء مشروع الرائدات الريفيات (١٩٦٤) فى أن العمل الاجتماعى الرسمى بالريف الذى تمارسه وزارة الشئون الاجتماعية من خلال الوحدات الاجتماعية التى تعمل فى مجال تنمية المجتمع ، يقوم به فى الغالب أخصائيون اجتماعيون بينهم نسبة قليلة من النساء ، وأن طبيعة العمل الوظيفى واعبائه بالاضافة الى عدم انتماء الاخصائيين الاجتماعيين (بما فى ذلك الاناث) الى القرى التى يعملون بها فى الغالب ، كل ذلك يجعل تأثير

العمل الاجتماعى الرسمى محدود فى مجالات التنمية الريفية وبخاصة بين النساء .

ومن ثم كان التفكير فى اعداد قيادات نسائية محلية يتوفر لها المعــرفة والاحساس بمطالب نساء القرية والقدرة على التعبير عنها والمهارة اللازمة ليتطبع النساء الريفيات وراء الجهود المختلفة المحققة لها .. وبذلك تزداد مساهمة نساء القرية الايجابية والجادة فى برامج تنمية المجتمع وتعمل كقيادة محلية وسيطة تعبر الفجوة الثقافية بين العقلية والمفاهيم الحضرية من جهة والعقلية والمفاهيم الريفية من جهة أخرى وتعاون القيادات الحضرية فى ادراك الواقع الريفى والعمل معه بالاساليب التى تتلاءم مع طبيعة ظروفه وأوضاعه الاقتصادية والاجتماعية .

٣٢ ــ والرائدة الريفية فتاة من اهل القرية يتراوح عمرها بين ١٨ ، ٣٥ سنة ذات شخصية قوية قادرة على الريادة حاصلة على قدر من التعليم لا يقل عن ٦ ــ ٨ سنوات من الدراسة ، استكمل اعدادها عن طريق التدريب لتزويدها بالمعارف والمهارات النى تجعلها قيادة نسائية محلية ، ويجــدر أن تتمتع بسمعة طيبة فى القرية التى أختيرت منها ، وتقوم الرائدة بدور حلقة الاتصال بين الهيئات والمؤسسات الموجودة فى القرية والمستفيدين بخدماتها وبخاصة فى مجال رعاية الطفولة والاسرة ، كما تقوم بالتوعية والتمهيــد لبعض البرامج التى تتبناها الدولة لتطوير الحياة فى المجتمع الريفى وتعمل الرائدة ــ أيضا قائدة لنساء القرية التى تعيش فيها والتي أختيرت منهــا فيما يتصل بدور المراة الريفية كزوجة وربة بيت وأم (٢٧) .

٣٣ ــ ويبلغ عدد الرائدات الريفيات حاليا نحو ٨١٥ رائدة (x) . وقد خرج مشروع الرائدات الريفيـــات الى النور ، فى اطار اتفـــاق بين وزارة الشئون الاجتماعية ومنظمة اليونسيف تنظمه فى حركته وانتشاره خطـــة خمسية (٦٥/٦٦ ــ ٦٩/٧٠) ولقد حرصت وزارة الشئون الاجتماعيـــة (الادارة العامة للتدريب) على تقييم المشروع فى عام ١٩٦٧ ثم فى عام ١٩٦٩

---

(٢٦) شريف ومحمود الحينى ، مستقبل مشروع الرائدات (بحث غير منشور) المؤتمر المنعقد فى الفيوم (ديسمبر سنة ١٩٧٣) لبحث موضوع الرائدات الريفيات .

(٢٧) الشنوانى ، هيفاء ــ التعليم ودور المراة فى التنمية الريفية فى مصر (بحث غير منشور) الحلقة الاقليمية عن دور التعليم فى التنمية الريفية فى البلاد العربية (سرس الليان ٧ ــ ١٢ أبريل ١٩٧٤) .

(x) هذا البيان من واقع ملفات الادارة العامة للتنمية الاجتماعية لوزارة الشئون الاجتماعية (مارس ١٩٧٥) .

.. وقد اوضحت الدراسة عام ١٩٦٩ أن ٨٥ر٧٪ من مجموع الرائدات الريفيات اللائى شملهن البحث التقويمى (ومجموع عددهم ٦٠٨ رائدة) نجحن فى المقابلة بين احتياجات الريفيات ومسئولياتهن كرائدات بينما كان الارتباط ضعيفا بين الامرين فى ٥ر١٪ من الرائدات وغير موجود فى ٨ر٢٪ من الرائدات ولا شك ان هذا التقبل بين الاحتياجات (الواقع) والمسئوليات (الامكانيات) امر بالغ الاهمية فى ترشيد التنمية الاجتماعية .

٣٤ — ولقد أشارت دراسة ميدانية حديثة الى (أن للرائدة دور كبير فى التوعية وتعديل اتجاهات أهل القرية نحو حياة افضل ومستوى معيشى مرتفع طالما كانت الرائدة متطوعة للعمل تتمتع بالصفات التى تمكنها من اداء عملها ، ومتفهمة لاحتياجات أهل القرية ومن ثم تستطيع المشاركة البناءة فى تنمية المجتمع) (٢٨) .

خاتمة :

واذا اجاز لنا أن نعرض فى كلمة ختامية ، الافاق الرحبة التى تنتظر المراة المصرية وبالاخص تلك التى تنتمى الى الطبقات الكادحة فى ميدان التنمية ، يمكننا القول أن تحقق هذا الامل مرتبط بمزيد من التغييرات الاجتماعية والاقتصادية (زيادة معدلات التعليم ومحو الامية وثورة تشريعية للقضاء على التفرقة بين الرجل والمراة فى كثير من الامور وتشجيع العمل الاجتماعى الشعبى وتنمية دور المراة الثقافى ، ودخول النشاط النقابى الى ميدان العمل الزراعى) .

ان الامل يواكبه التصميم على السير نحو الهدف ، كما فعلت «أزيس الاسطورة » يجب أن يكون لنا مرشدا نحن النساء والرجال معا فى مسيرة خلاقة نحو نمو افضل لملايين الاطفال فى مصر وفى العالم كله .

---

(٢٨) جرجس ، جانيت رزق الله ، دراسة استطلاعية لدور الرائدة الريفية فى تنمية قرية محلة مرحوم مركز طنطا . (بحث غير منشور) الحلقة الحادية عشرة للدراسات الاجتماعية للعاملين بوزارة الشئون الاجتماعية (الاسكندرية ٢ — ٢١ نوفمبر ١٩٧٤) .

من المنشورات الجـــديدة

للمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية

◆ ◆ ◆

تغير الوضع الاجتماعى للمرأة فى مصر المعاصرة

بحث امبيريقى

إشـــراف

الاستاذ الدكتور مصطفى سويف

المرأة فى قوانين الأحوال الشخصية

عصام المليجى (*)

تخضع الاحوال الشخصية (١) فى مصر لحكم الشرائع السماوية سواء بالنسبة للمسلمين أو لغيرهم . وقد أحال القانون المصرى على هذه الشرائع حكم موضوعات الاحوال الشخصية لما لها من علاقة وثيقة بالعقيدة الدينية وارتباطها بالحل والحرمة التى تقضى بها هذه الشرائع . وقد نص على ذلك القانون رقم ٧٨ لسنة ٣١ المشتمل على لائحة ترتيب المحاكم الشرعية فى المادة ٢٨٠ منه التى تقضى بأنه « تصدر الاحكام طبقا للمدون فى هذه اللائحة ولارجح الاقوال من مذهب أبى حنيفة ما عدا الاحوال التى ينص فيها قانون المحاكم الشرعية على قواعد خاصة فيجب فيها أن تصدر الاحكام طبقا لتلك القواعد » . ثم صدر القانون رقم ٤٦٢ لسنة ٥٥ الذى قضى بالغاء المحاكم الشرعية والمجالس الملية فنص فى المادة ٦ منه على أنه « تصدر الاحكام فى المنازعات المتعلقة بالاحوال الشخصية والوقف والتى كانت أصلا من اختصاص المحاكم الشرعية طبقا لما هو مقرر فى المادة ٢٨٠ من لائحة ترتيب المحاكم المذكورة أما بالنسبة للمنازعات المتعلقة بالاحوال الشخصية للمصريين غير المسلمين والمتحدى الطائفة والملة الذين لهم جهات قضائية

* باحث بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية .

(١) حدد القانون رقم ١٤٧ لسنة ١٩٤٩ فى المادتين ١٣ ، ١٤ ما يعتبر من الاحوال الشخصية ، وهى كالآتى :

١ ــ المسائل المتعلقة بحالة الاشخاص وأهليتهم .

٢ ــ المسائل المتعلقة بنظام الاسرة كالخطبة والزواج وحقوق الزوجين والطلاق والتطليق والتفريق .

٣ ــ المسائل المتعلقة بالبنوة والاقرار بالابوة وانكارها والعلاقة بين الاصول والفروع .

٤ ــ الالتزام بالنفقة للاقارب والاصهار .

٥ ــ تصحيح النسب والتبنى .

٦ ــ الولاية والوصاية والقيامة والحجر والاذن بالادارة والغيبة واعتبار المفقود ميتا .

٧ ــ المنازعات والمسائل المتعلقة بالمواريث والوصايا وغيرها من التصرفات المضافة الى ما بعد الموت .

حالية منتظمة وقت صدور هذا القانون فتصدر الاحكام ، فى نطاق النظام العام ، طبقا لشريعتهم المشار اليها فى هذه المادة » .

وعلينا هنا أن ندرس وضع المرأة ـ كما حددته الشريعة الاسلامية ـ فى الاسرة المصرية . ومن ثم فاننا سنتتبع مراحل حياة الاسرة منذ بدايتها مظهرين ما للمرأة وما عليها فى هذه المراحل .

لكن علينا منذ البداية أن نوضح أن عقد الزواج هو العقد الوحيد الذى حظى بتنظيم كامل مفصل فى أحكام الشريعة الاسلامية ، وهو ما يعكس مدى أهميته وقيمته لدى المشرع الحكيم . كما أن علينا أيضا أن نذكر أن عقد الزواج كما نظمه الشارع هو من العقود الرضائية الصرف التى يكفى لانعقادها حدوث ايجاب وقبول فى وجود شاهدين لينعقد صحيحا . وأنه اذا كان المشرع الوضعى قد أوجب تسجيل هذا العقد ، فانه انما أراد ايجاد وسيلة لاثبات العقد تكمن فى الوثيقة المسجلة . ومعنى انعقاد العقد بمجرد تبادل الايجاب والقبول بين شخصين مميزين ـ حدد القانون ٧٨ لسنة ٣١ فى المادة ٩٩ منه السن التى يجوز فيها الزواج بثمانى عشرة سنة للرجل وستة عشر سنة للمرأة ـ هو قدرة الانسان المطلقة رجلا كان أم امرأة على تزويج نفسه بنفسه بارادته المطلقة ، وباختياره الكامل . فالرجل يختار من يتزوجها بكامل حريته وكذلك المرأة وهو ما يعنى فساد ما تذهب اليه الاعراف فى بعض المجتمعات الاسلامية من حرمان المرأة من اختيار زوجها وحلول وليها محلها فى الاختيار ، بل واجبارها على الزواج ممن اختار . ونقضى أحكام الشريعة الاسلامية ببطلان عقود الزواج التى تنطوى على الاكراه : أى أن للمرأة أن تطلب أمام المحكمة ابطال زواجها الذى عقد دون رضائها .

مكانة المرأة فى التشريع الاسلامى :

واذا كان قد اتضح لنا أن التشريع الاسلامى هو الذى يحكم الاحوال الشخصية ، وبالتالى فهو الذى ينظم وضع المرأة فى الاسرة ، فانه يبدو من المناسب أن نبدأ باستكشاف موقف التشريع الاسلامى من المرأة عموما ومبلغ مكانتها فيه ، وفى ضوء ما يتبين لنا نستطيع أن نتفهم وضعها فى قوانين الاحوال الشخصية . ومرجعنا فى ذلك هو القرآن الكريم ، وحسبنا أن نورد هنا بعض الآيات التى تتحدث عن أمور مختلفة لنرى كيف تذكر النساء فى القرآن ووضعها بالنسبة للرجل . فمن الآيات التى تتحدث عن التكليفات التى يكلف بها المسلمون وأجرها عند الله .

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله أن الله عزيز حكيم » . (التوبة ٧١) .

« ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمت والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما » . (الاحزاب ٣٥) .

« ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم

ولهم أجر كريم » . (الحديد ١٨) .

« فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار » . (آل عمران ١٩٥) .

وفى مجال العقاب على سوء الافعال :

« والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم ونسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون . وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذات مقيم » . (التوبة ٦٧ — ٦٨) .

« ويعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا » . (الفتح ٧) .

ونلاحظ هنا أن كل الآيات السابقة تضيف النساء الى الرجال ، وتخاطب الجميع خطابا واحدا بلا تفريق . بل اننا نلاحظ أن الاسلام فى تكليفاته للناس، وفى تشريعه لسلوكهم فى علاقتهم بالله وفى علاقتهم بعضهم ببعض قد سوى تماما بين الرجال والنساء .

كل هذا يؤكد تماما ان الاسلام يسوى بين النساء والرجال ، ولا يجعل للرجل فضلا على المرأة ، وهذا المعنى يؤكده ما نقل الينا من خبر المجتمع الاسلامى فى عهد الرسالة وما تلاها .

تلك اذن نظرة الاسلام للمرأة ووضعها فى ظله . فهل انعكست هذه النظرة على تنظيمه لمسائل الاحوال الشخصية ؟ . . . وهل نجد اثرا لهذه النظرة فيما ارتضاه المشرع الوضعى من قواعد تحكم موضوعاتها ؟ تلك هى الاسئلة التى سنحاول الاجابة عنها ، وان كنا سنركز دراستنا على أهم موضوعات الاحوال الشخصية وهى المتعلقة بوضع المرأة فى الاسرة منذ بدايتها بالزواج ــ بل وما يسبقه من خطبة ــ وأثناء حياتها ، ثم نعرض لانتهاء الزوجية بالطلاق وما يثيره من مشاكل واختلاف فى الاراء . ثم الموضوع الذى طالما أثار اللغط والنقاش : تعدد الزوجات .

المرأة واحكام عقد الزواج :

سبق أن اشرنا الى أن الزواج عقد رضائى ينعقد بتبادل الايجاب والقبول بين الرجل والمرأة فى حضور شاهدين . وعلينا أن نستنتج من هذا أن المرأة ــ كالرجل ــ لها الحرية الكاملة فى تزويج نفسها بنفسها ، أى فى اختيار زوجها دون اكراه او اجبار ، والقواعد العامة فى القانون المدنى التى تحكم العقود عموما ــ تعطى الحق لمن انعدم رضاؤه أن يطلب فسخ العقد .

ذلك هو الاصل فى أحكام الاحوال الشخصية ، وان كنا نلاحظ أنه فى بعض المجتمعات ــ خاصة الزراعية ــ كثيرا ما تقوم الاسرة باختيار الزوج، نيابة عن الابنة بصرف النظر عن رغبتها الشخصية ، وهو ما يتنافى بالقطع مع الاحكام السابقة . وهذه الجزئية لا يمكن فصلها عن السياق العام للوضع الاجتماعى للمرأة فى المجتمعات المتخلفة . بل وعن السياق العام للمشكلات الاجتماعية التى تعانى منها المجتمعات المتخلفة ، والتى لن تجد طريقها الى الحل الا فى ظل تنمية اجتماعية واقتصادية وثقافية شاملة فى هذه المجتمعات .

وفى سبيل تمكين المرأة والرجل على السواء من حسن اختيار زوجه ، فقد اقر المشرع الاسلامى ــ المرجع الوحيد فى مسائل الاحوال الشخصية ــ ما يسمى بالخطبة وهى وعد متبادل بين المرأة والرجل باجراء عقد الزواج فى المستقبل . والهدف من وجودها هو تمكين الطرفين من استطلاع مشاعرهما المتبادلة ، ومدى قابلية كل منهما للحياة الدائمة مع الآخر . ثم أجاز لكل منهما على السواء الحق فى التحلل من هذا الوعد اذا ما راى ما لا يرضيه فى الطرف الآخر .

وقد استقر القضاء فى مصر * على الاحكام الآتية فى شأن الخطبة :

١ ــ الخطبة ليست بعقد ملزم .

---

* قررت محكمة النقض هذه الاحكام فى حكمها الصادر فى ١٤ ديسمبر سنة ١٩٣٩ ، (المجموعة الرسمية س ٤١ ع ١٥ رقم ١٠١) .

٢ ــ مجرد العدول عن الخطبة لا يكون سببا موجبا للتعويض .

٣ ــ اذا اقترن العدول عن الخطبة بأفعال اخرى الحقت ضررا بأحد الخطيبين جاز الحكم بالتعويض على أساس المسئولية التقصيرية .

وفيما استعرضناه حتى الآن نجد التساوى كاملا بين الرجل والمرأة ، فلكل منهما الدخول فى الخطبة ، واختبار الطرف الآخر ، والتأكد من المشاعر المتبادلة ، ثم العدول عن الخطبة ، أو الزواج بارادته وبكامل رضائه ، وأن يقوم بالتعـــاقد بنفسه دون حاجة الى اذن آخرين ، ودون اعتبـــار لاعتراضهم . ذلك هو الاصل ، وما عداه فهو خارج عن أحكام الزواج كما ارتضاها المشرع .

وينبغى أن نشير هنا الى أن المشرع وهو يسعى الى ضمان استقرار الحياة الاسرية وكفالة الحماية لعقد الزواج ــ وهو العقد الوحيد الذى حظى باهتمام الشريعة الاسلامية الى حد الاهتمام بكل تفصيلاته ــ وللتأكد من جدية الرجل وبعده عن الهزل فان من أهم شروط صحة العقد أن تكون صيغة العقد مؤبدة غير مؤقتة ، فلا يصح العقد اذا ما أريد به الاستمرار لفترة محددة فقط ينحل بعدها وهو ما يسمى بزواج المتعة .

وقد تدخل المشرع الوضعى موجبا الا يقل سن الزوج حين العقد عن ١٨ سنة وسن الزوجة عن ١٦ سنة (١) متوخيا فى ذلك أن يضمن بلوغ كلا الطرفين مرحلة من النضج تمكن كليهما من حسن اختيار زوجه ، وقدرته على القيام بما يمليه الزواج من واجبات .

كذلك فان المشرع الوضـــعى قد أراد كفالة الحمـــاية للمرأة فأوجب تسجيل عقد الزواج حتى يكون لدى الزوجة دليل رسمى على قيام الزوجية اذا ما حاول الزوج انكار قيامها . وكما سبق أن قلنا فان التسجيل ليس ركنا من أركان الزواج وانما وسيلة لاثباته . بمعنى أن عدم التسجيل لايمنع من قيام زواج شرعى صحيح ، وبالتالى ليس فى وسع المشرع الوضعى أن يقضى ببطلان ما لا يسجل من زيجات ، ومن ثم لم يكن فى وسعه الا النص على عقوبة فى حالات عدم التسجيل تتمثل فى منع المحاكم من نظر دعوى

---

(١) المادة ٩٩ فقرة ٥ من القانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ المشتمل على لائحة ترتيب المحاكم الشرعية .

اثبات الزوجية والآثار المترتبة عليها عند انكار الزوج لها (١) .

وضـــع المرأة فى الاسرة :

مررنا حتى الآن بمرحلتى الخطبة ثم انعقاد الزواج ، وعلينا الآن أن نتكشف وضع المرأة فى الاسرة كما تنظمه الشريعة الاسلامية . وبادىء ذى بدء علينا أن نتذكر ما سبق قوله من أن الزواج عقد كغيره من العقود يرتب التزامات وحقوقا لكلا طرفيه ، وهو ــ كعقد رضائى ــ يترتب عليه مايترتب على غيره من العقود الرضائيـــة من توازن بين التزامات كل طرف وبين حقوقه . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان علينا أن نتذكر نظرة المشرع الى عقد الزواج ، وكما سبق أن قلنا فان عقدا لم ينل من اهتمام الشارع بقدر ما نال عقد الزواج وهو ما يعكس بالقطع مدى خطورته واهميته وما له من مكانة . وفى نظرة الى بعض آيات القرآن نستطيع ان ندرك الفلسفة التى يقوم عليها الزواج من وجهة نظر المشرع الاســـلامى ، ففى ســـورة الاعراف نجد هذ الآية (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ليسكن اليها . . .) فهى تقرر ان الرجل والمراة يكمل أحدهما الآخر ، فهما فى مرتبة واحدة ، والتساوى بينهما تام .

كذلك نجد دليلا آخر على هذا فى سورة الروم (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) أى أن التعاطف والتراحم المتبـــادل بينهما على قدم المساواة هو أساس الحياة الزوجية .

بل ان هذا المعنى يظهر كأوضح ما يكون الظهور فى سورة البقرة (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف) .

خلاصة القول أن التشريع الاسلامى يســـوى بين الرجل والمراة فى الحقوق والواجبات ويرى فى الزواج شركة لا بد أن يتوافر فيها الود والتراحم المتبادل ، وتقوم على الاشتراك فى جميع أوجه الحياة الاسرية ، فلا ينفرد الزوج بالقرار دون الزوجة .

واذا كانت الآية السابقة تتبع هذا القول بعبـــارة (وللرجال عليهن درجة) فاننا نستطيع ان نشرح معناها ونبين مغزاها لو اننا استعدنا مرة اخرى موقف الاسلام من الاسرة ومقدار اهتمامه بها ، وعدها من بين آياته ونعمه التى انعم بها على الانسان ، ثم حرصه (انعكاسا لاهتمامه بهـــا)

---

(١) المـــادة ٩٩ فقرة ٤ من القانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ .

على وضع تنظيم متكامل مفصل لاحكام الاسرة ضمانا لاستقرارها ولحسن ادائها لوظيفتها فى ظل تماسك وترابط تام بين أفرادها ، فنص على حقوق وواجبات كلا الزوجين وحقوق وواجبات الابناء ، وكشأن كل مجتمع يراد له التماسك وأن تسود بين أفراده المودة والرحمة . لا بد أن تكون له قيادة تحرص على لم الشمل ورعاية مصالح الافراد ، كذلك شأن الاسرة ، وهى مجتمع صغير ، لا بد أن يكون لها قيادة تشرف على شئون اعضائها وترعاهم، قيادة تلتزم أمام أفراد الاسرة بالتزامات خاصة ، ويكون لها فى مقابلها حق الاشراف على مصالحها . وقد خص الله الرجل بهذا الامر ، الزمه برعاية مصالح أسرته والقيام على احتياجاتها ، فعليه الانفاق على الاسرة ولو كانت زوجته ذات مال ، وفى مقابل التزامه هذا ، أعطى حق التوجيه والرياسة ، فله الطاعة فيما لا يخالف حدود الله ، «فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق» (حديث شريف) .

بل اننا نلمح مقدار رعاية التشريع الاسلامى للمرأة فى الزام الرجل دونها بالنفقة ، فهى لا تلتزم بالخروج للكسب بما فيه من مشقة وعنت ، وان كان لم يحرمها من الحق فى العمل اذا اختارته بمحض ارادتها .

ولعل من أظهر ما يوضح مساواة التشريع الاسلامى المرأة بالرجل ، الاعتراف لها بذمة مالية مستقلة عن ذمة الزوج ، فلها الحق فى ادارة أموالها بنفسها . دون اختلاط بينها وبين أموال زوجها ، وجعل لها الحق فى التصرف فى مهرها بما تراه ، وليس للزوج أن يأخذ منه شيئا . ولعل المهر نفسه من علامات تكريم الاسلام للمرأة .

المهم هنا أن التزام الزوج بالانفـــاق يقابله التزام الزوجة بمساكنة زوجها ، فاذا ما تحللت الزوجة من التزامها بالمساكنة سقط التزام الزوج بالانفـــاق .

ويجدر هنا أن نشير الى أن موضوع عمل المرأة بمـــا قد يحمله من خروج الزوجة من منزل الزوجية ، وبالتالى الاخلال بالتزامها بمساكنة زوجها قد أثار خلافا فى الفقه الاسلامى وكان الرأى المرجح ان عمل المرأة يجب أن يكون بموافقة الزوج دائما ، فاذا ما تمسكت الزوجة بعملها على غير رضاء زوجها كان له التحلل من التزامه . الا أن القضاء المصرى خرج على هذا الرأى ، وقرر أن علم الزوج باشتغال زوجته ورضاءه بذلك منذ البداية يعنى تنازله عن حقه فى الاحتباس الكامل لزوجته ولا يحق له بعدها أن يطلب من الزوجة الامتناع عن عملها (١) . واعتقد انه قد آن الاوان لظهور هذا الحكم

(١) انظر على سبيل المثال حكم محكمة شبرا الشرعية ، مجلة المحاماة الشرعية : س ٢٦ ، ع : ٥ ، ٦ ص ٣٧١ ــ ٣٧٤ .

فى نص قانونى صريح يقضى بحق الزوجة فى العمل (١) . فعمل المرأة فى عصرنا هذا لم يعد موضوعا فرديا ، وانما قضية اقتصاد قومى وتنمية اجتماعية ، وعلينا أن نرجع فى هذا الى الدراسات التى أجريت عن الآثار الاجتماعية لخروج المرأة الى العمل . فضلا عما يحمله من ضمان لمستقبل المرأة .

كما أن القانون المصرى قد جعل امتناع الزوج عن الانفاق على زوجته من الاسباب التى تخول لها طلب الطلاق (المواد ٤ ، ٥ ، ٦ من القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٠) .

بل ان القانون قد أعطى الحق للزوجة أن تطلب من المحكمة أن تلزم الزوج بالانفاق وللمحكمة أن تأمر بحبسه اجبارا له على اداء النفقة . (المادة ٣٤٧ من القانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١) .

والواقع أن هذا الحكم يقابل حق الزوج فى طلب زوجته الى طاعته بالقوة الجبرية وهو ما سنعرض له ، وهو حكم معيب فهو يعنى الهدم التام للحياة الزوجية ، فكيف يستقيم الحال بين زوجين بعد ان وصل الامر الى حبس الزوج بناء على طلب الزوجة ؟ !

واعتقد أنه من الاجدى أن ينص القانون على تسهيل سبل الحجز على ممتلكات الزوج وايراداته لمصلحة الزوجة .

بيت الطاعة فى القانون المصرى :

لقد عرضنا فيما سبق لنظرة التشريع الاسلامى لعقد الزواج وما يجب أن يكتنفه من ود وتراحم ، فاذا ما انعدم الود والتراحم ، فقد انهارت الحياة الزوجية ولا جدوى من بقائها ، وهنا يكمن السر فى اباحة الاسلام للطلاق . ومع هذا فاننا نجد حكما عجبا فى القانون المصرى ، فهو يتيح للزوج طلب دخول زوجته فى طاعته ، ويرغم الزوجة على الامتثال لحكم الطاعة الصادر لمصلحة الزوج قهرا ولو اقتضى الامر استعمال القوة ودخول المنازل (المادة ٣٤٥ من القانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١) فكيف يتفق مثل هذا الحكم مع منطق التشريع الاسلامى ؟ الا يعنى خروج الزوجة من منزل الزوجية انتهاء الود والتراحم ورغبتها عن الاستمرار مع زوجها ؟ فكيف يعقل أن تجبر على الحياة مع من لا تريد . ان الزواج فى بدايته عقد رضائى ، وهو ككل عقد رضائى

---

(١) يلاحظ أن مشروع قانون الاحوال الشخصية الذى انتهى العمل فيه سنة ١٩٦٧ قد نص فى المادة ٨٥ فقرة ب منه على الآتى : (وكذلك لا يعتبر اخلالا بالطاعة خروجها للعمل اذا اشترطت ذلك فى العقد ما لم يطرأ ما يجعل تنفيذ الشرط منافيا لمصلحة الاسرة) . وهو ما يعنى أن عدم اشتراط المرأة لحقها فى العمل فى عقد الزواج يسقط حقها فى العمل بعد ذلك وهو ما لا نعتقد أنه يتفق مع الاوضاع الاجتماعية للمرأة فى مجتمعنا المعاصر، ونرى أن يكون النص بحق المرأة فى العمل بصرف النظر عن اشتراطها له فى العقد ما لم يكن عملها منافيا لمصلحة الاسرة .

يجوز لأطرافه التحلل من التزاماتهم فى مقابل تحلل الطرف الآخر من التزاماته ويمكن هنا أن نفكر فى تطبيق مبادىء المسئولية التعاقدية كما نظمها القانون المدنى المصرى . واعتقد انه قد آن الاوان لالغاء هذا الحكم من القانون المصرى . ذلك انه بالرغم من أن وزير العدل قد أصدر قرارا سنة ١٩٦٧ يقضى بمنع تنفيذ حكم الطاعة بالقوة الجبرية الا أن ذلك ــ تطبيقا للمبادىء العامة للقانون ــ لا يؤدى الى ابطال حكم الطاعة فى القانون ، فالقانون لا يبطل العمل به الا قانون ، أما القرار الوزارى فلا يرقى الى مرتبة القانون ومن ثم لا يعطل أحكامه .

ويجدر بنا أن نشير الى أن مشروع قانون الاحوال الشخصية الذى انمته لجنة خاصة سنة ١٩٦٧ قد الغى تنفيذ حكم الطاعة على الزوجة جبرا واكتفى بالزام الزوجة الناشز الخارجة على طاعة زوجها بالآثار الشرعية المترتبة على النشوز ، فأسقط حقها فى النفقة مدة نشوزها ، واعتبر نشوزها اضرارا بالزوج يجيز له طلب التفريق بينه وبينها مع الزامها بالآثار المادية المترتبة على التطليق للضرر . ونظهر هذه الاحكام فى المادة ٨٤ من المشروع ونصها :

(ا) لا يجوز تنفيذ الحكم بالطاعة على الزوجة جبرا عن طريق الشرطة.

(ب) ويعتبر امتناعها عن تنفيذ الحكم بدون حق مضارة للزوج تجيز له طلب التفريق كما يترتب عليه سقوط حقها فى النفقة مدة هذا الامتناع (١) .

تعدد الزوجات :

اباحت الشريعة الاسلامية للرجل أن يتزوج بأكثر من زوجة ، على الا يتجاوز عددهن أربع زوجات ، والواقع أن الشريعة الاسلامية لم تأت بجديد فى هذا الشأن فتعدد الزوجات كان القاعدة التى يجرى عليها العمل فى الجزيرة العربية قبل الاسلام ، ولم يكن هناك حد أقصى للزوجات . وحين جاء الاسلام أقر مبدأ التعدد ووضع له حدودا لا يتجاوزها وهى عدم اباحة الجمع بين أكثر من زوجات أربع (٢) . ثم أن الاسلام اشترط لجواز الجمع بين أكثر من زوجة ، أن يكون الزوج قادرا على اقامة العدل بين زوجاته ، فقد قال تعالى « فان خفتم الا تعدلوا فواحدة » وفى هذه الآية ما فيها من

---

(١) انظر فى هذا الموضوع : محمد سلام مدكور ، أحكام الاسرة فى الاسلام ، الجزء الاول سنة ١٩٦٩ ص ٢٤٣ .

(٢) انظر فى هذا الموضوع : زكى الدين شعبان ، الاحكام الشرعية للاحوال الشخصية ، سنة ١٩٥٩ ــ سنة ١٩٦٠ ، ص ١٧١ وما بعدها .

التحذير من الجمع بين أكثر من زوجة ، فان مجرد تشكك الانسان فى قدرته على اقامة العدل يوجب عليه الاقتصار على زوجة واحدة . وهو ما يمثل قيدا ثقيلا فى استعماله لحقه بحيث يجعل التعدد ــ اذا أعمل هذا القيد ــ حدثا نادر الوقوع .

وقد بنى هذا الحكم على حكمة معينة (١) رآها الاسلام ، ويعنينا هنا أن نبرز أن اباحة التعدد قد تكون حلا سعيدا يمنع حدوث الطلاق فى حالات كثيرة ، وما يترتب عليه من تشريد الزوجة الاولى وفقدها لعائلها خصوصا فى مجتمع كمجتمعنا المصرى الذى يقل فيه اشتغال المرأة وتعليمها وبالتالى قدرتها على التكسب . فقد يصادف الزوجة الاولى من الظروف الصحية أو غيرها ما يحول بينها وبين القدرة على القيام بواجباتها الزوجية ، مع احتياج الزوج الى زوجة ترعاه وترعى شئونه وشئون بيته ، وفى اباحة التعدد له ما قد يدفعه الى الاحتفاظ بزوجته الاولى ورعايته لها والانفاق عليها ــ خصوصا اذا كانت بلا مال ولا عائل ــ مع زواجه بأخرى . أما اذا منع التعدد ، فانه لن يكون للزوج فى حالتنا تلك الا طلاق زوجته الاولى للزواج بغيرها . ولعلنا هنا نعجب من دعاة تقييد الطلاق لما فيه من اساءة للمرأة ــ خصوصا اذا كانت بلا عائل ــ وهم يدعون فى نفس الوقت الى اغلاق باب يسمح بالابتعاد عنه ، بل ويدفع اليه دفعا ، ألا وهو السماح بالتعدد .

ــ آراء تدعو الى منع التعدد :

والواقع أن منع تعدد الزوجات قد وجد أنصارا عديدين ، بل أنه وجد طريقة الى قوانين الاحوال الشخصية فى بعض الدول الاسلامية ، ومنها على سبيل المثال قانون الاحوال الشخصية التونسى (مجلة الاحوال الشخصية) حيث ينص الفصل (المادة) ١٨ فقرة ١ على أن « كل من تزوج وهو فى حالة الزوجية وقبل فك عصمة الزواج السابق يعاقب بالسجن لمدة عام وبخطية (غرامة) قدرها مائتان وأربعون ألف فرنك أو باحدى العقوبتين ولو أن الزواج الجديد لم يبرم طبق أحكام القانون » .

وتنص الفقرة الثالثة من نفس المادة على أنه « يعاقب بنفس العقوبات الزوج الذى يتعمد ابرام عقد زواج مع شخص مستهدف للعقوبات المقررة بالفقرتين السابقتين » .

والواقع أننا بينا فيما سبق أن عقد الزواج ينعقد بمجرد تبادل الايجاب والقبول فى وجود شاهدين . أى أن القانون حين يتدخل لمنع التعدد لن يكون فى وسعه ابطال التعدد نهائيا ، ولن يمكنه الحكم بعدم شرعية الزواج الثانى

---

(١) انظر فى تفضيل الحكمة فى اباحة تعدد الزوجات : زكى الدين شعبان ، المرجع السابق ، ص ١٧٧ وما بعدها .

وانما قد يمكنه فقط أن يمنع تسجيل الزواج الثانى رسميا عن طريق الزام الزوج بتقديم ما يثبت عدم وجود زوجة أخرى فى عصمته وقت العقد ، وقد تجدى العقوبة الجنائية فى منع البعض من التعدد ولكنها بالقطع لن تجدى مع الكل (١) . مع ما فى منع التعدد — كما سبق أن بينا — من اغلاق باب كبير للرحمة .

فاذا فكرنا فى منع تعدد الزوجات فى مصر ، وأخذنا بنفس المنهج التونسى فى توقيع عقوبة جنائية على من يتزوج بأكثر من زوجة ، مع ملاحظة شرعية عقد الزواج غير المسجل فاننا سنصل الى مفارقة غريبة ، ذلك أنه اذا علم عن شخص أنه متزوج بأخرى ، وضبط معها فى منزلها مثلا ، فانه يكفيه لتبرئة نفسه أن ينفى زواجه منها ، ويدعى أنها خليلته ليحصل على البراءة ! ! (المادة ٢٧٧ من قانون العقوبات ونصها « كل زوج زنى فى منزل الزوجية وثبت عليه هذا الامر بدعوى الزوجة يجازى بالحبس مدة لا تزيد على ستة شهور) اذ أنه ليس للزوجة الاولى أن تقيم الدعوى الجنائية على زوجها بتهمة الزنى الا اذا ارتكب الزوج فعلته فى منزل الزوجية . وهو منطق غريب على أحكام الشريعة الاسلامية فالعقوبة توقع اذا كانت زوجته شرعا . ولا تقام عليه الدعوى الجنائية أصلا اذا كانت عشيقته .

— آراء تتجه الى تقييد التعدد :

وقد اتجهت بعض الآراء الى نبذ الدعوة الى منع تعدد الزوجات ، لما رأت أنه ليس له من سند فى الشريعة الاسلامية ، فضلا عما فيه من مضار ، وانجهت وجهة أخرى مؤداها أنه اذا كان شرط جواز التعدد هو القدرة على العدل بين الزوجات ، وهو الشرط الذى يتناساه البعض فضلا عن القدرة على الانفاق عليهن ، فانه يجب أن توجد وسيلة قانونية للتأكد من تحقق هذين الشرطين ، ولتكن الالتجاء الى القاضى لطلب اذنه فى الزواج الثانى ، وهو لن يأذن ما لم يتأكد لديه توافر الشرطين . وقد كان أول من طالب بهذا الشيخ الامام محمد عبده (٢) الذى اقترح على الحكومة فى التقرير الذى قدمه الى ناظر الحقانية سنة ١٨٩٧ أن تضع نظاما تشرف به على تعدد الزوجات حتى لا يقدم عليه من ليس له بأهل ولا له استطاعة . كما أن دعاه هذا الرأى يقولون بأن الادلة الشرعية توضح أن الزواج بواحدة هو الافضل وهو الاصل (قوله تعالى « فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا) فالآية تؤكد على معنى العدل بين الزوجات وضرورة تحقق القدرة

---

(١) يكفى للتدليل على ذلك — القاء نظرة سريعة على الاحصاءات الجنائية لنتبين منها مدى جدوى العقوبات الجنائية فى منع الناس أجمعين من ارتكاب الجرائم .

(٢) أنظر فى هذا الموضوع : عادل أحمد سركيس ، الزواج وتطور المجتمع ، بدون تاريخ ، ص ١٢٩ ، زكى الدين شعبان ، المرجع السابق ، ص ١٨٣ وما بعدها ، ومحمد سلام مدكور فى المرجع السابق ، هامش ص ١٨٥ .

عليه ، كما أن عبارة « ذلك أدنى الا تعولوا » تدل على معنى أفضلية الزواج بواحدة حتى مع تحقق العدل ، منعا لكثرة العيال ، وعدم القدرة على أعباء اعالتهم ، وهو التفسير الذى أخذ به الامام الشافعى . وما دام التعدد هو الاستثناء ، فلا يجوز التوسع فيه ، فاذا توسع فيه الناس دون التمسك بشروطه كان للمشرع أن يرعى تلك الحدود (١) .

والواقع أن هذا الرأى هو ما ندعو المشرع المصرى الى الاخذ به ، فعرض هذا الموضوع على المحاكم لن يترتب عليه اساءة أو تعريض بالزوج أو الزوجة ، وهى المحاذير التى تدعو الى التخوف من عرض بعض الموضوعات — مثل الطلاق — على المحاكم . فضلا عما يؤدى اليه هذا الاتجاه من رفع كثير من المضار والاساءات عن الزوجات .

وفضلا عن ذلك فاننا نؤيد أيضا ما ذهب اليه مشروع قانون الاحوال الشخصية الذى سبق أن أشرنا اليه فى المادة ١٣٠ منه والتى تنص على أن:

(أ) للزوجة التى تزوج عليها زوجها وان لم تكن قد اشترطت عليه فى العقد الا يتزوج عليها أن تطلب التفريق بينها وبينه فى مدة شهرين من تاريخ علمها بالزواج ما لم ترض به صراحة أو دلالة .

(ب) ويتجدد حقها فى طلب التفريق كلما تزوج بأخرى .

(جـ) واذا كانت الزوجة الجديدة قد فهمت من الزوج أنه غير متزوج بسواها ثم ظهر أنه متزوج فلها أن تطلب التفريق .

ولكن ، وبعد استعراضنا لهذا الموضوع والاتجاهات المختلفة حوله ، علينا أن نقف وقفة لنحاول التعرف على حقيقة حجم مشكلة تعدد الزوجات فى مصر ، وهل هى حقيقة تستحق الجدل حولها الى هذه الدرجة .

لو رجعنا الى احصاءات الزواج والطلاق التى تصدر عن الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء لوجدنا فى احصاء عام ١٩٧٠ أن من بين ٣٢٥٨٢٨ زوجا تزوجوا خلال هذا العام ٢٤٢٨٣ زوجا لديهم زوجات أخريات فى ذمتهم، أى أن نسبة المعددين الى مجموع الزيجات التى تمت خلال العام هى ٤ر٧٪ أما نسبة من فى ذمتهم زوجة واحدة بخلاف الزوجة الجديدة فكانت ١ر٧٪ ، وأما من أصبحوا يجمعون بين زوجات ثلاث فنسبتهم الى مجموع الزيجات فى ذات العام هى ٣ر٪ ، وتكاد تختفى تماما ظاهرة الجمع بين زوجات أربع، حيث بلغت نسبة من أتموا الجمع بين زوجات أربع خلال عام ١٩٧٠ الى مجموع الزيجات ٠٢ر٪ .

من هذا الاستعراض السريع للاحصاءات يتضح لنا أن المشكلة — تكاد تنحصر فى الجمع بين زوجتين ، فاذا أضفنا الى هذه الارقام أن من هؤلاء المعددين — البالغ عددهم ، كما ذكرنا ، ٢٤٢٨٣ — ١١٤١ يحملون مؤهلا

---

(١) محمد سلام مدكور ، المرجع السابق ، ص ١٨٣ وما بعدها .

دراسيا متوسطا فأعلى ، وبنسبة هذا الرقم الى عدد زيجات حاملى نفس المؤهلات خلال ذات العام ، والبالغ عددهم ٣٥٥١٦ . فاننا نجد أن نسبة المعددين هى ٣٪ ، بينما هى بين من لا يحملون مؤهلا دراسيا ٨٪ .

أى أنه — وفى حدود هذه النسبة للتعدد — نجد أن التعليم له أثره فى الحد من هذه الظاهرة . كما أننا نعتقد أن العوامل الاقتصادية تعمل على الحد من الظاهرة . فاذا أضفنا اليها القيود التى استعرضناها فيما سبق ، فاننا نعتقد أننا سنتخلص من مظاهر اساءة استعمال هذا الحق ، ولا يبقى الا حالات التعدد المبررة .

ذلك هو وضع المرأة فى الاسرة كما تنظمه الشريعة الاسلامية التى اعتمدها المشرع الوضعى لحكم الاحوال الشخصية ، وذكرنا أن العلاقات بين الزوج والزوجة قوامها المساواة وتقوم على التواد والتراحم . وقد تحسب المشرع الحكيم لموقف ينتهى فيه هذا التواد والتراحم وتحل محله البغضاء وسوء العشرة ، لذا فانه أوجد طريقا لانهاء الحياة الزوجية اذا ما استحال استمرارها ، فشرع الطلاق ليكون حلا أخيرا اذا ما استنفذت كافة السبل الكفيلة باستمرار الحياة الزوجية .

وعلينا أن نبين كيف نظم المشرع الطلاق وكيف نظر اليه ، ثم موقف الزوجة بعد الطلاق . ولكن علينا أولا أن نستعرض معدلات الطلاق فى مصر من خلال الاحصاءات الرسمية . فاذا رجعنا الى احصاءات الزواج والطلاق لسنة ١٩٧٠ نجد أن معدلات الزواج الخام هى ٧ر٩ فى الالف فى حين أن معدل الطلاق هو ــر٢ فى الالف (١) . أى أن نسبة حالات الطلاق التى تمت سنة ١٩٧٠ تبلغ حوالى ٦ر٢٠٪ من عدد حالات الزواج التى تمت فى نفس السنة . فاذا عدنا الى السنوات السابقة نجد أن نسبة حالات الطلاق الى حالات الزواج فى تناقص مستمر منذ عام ١٩٥٠ . ففى عام ١٩٥٠ تبلغ النسبة حوالى ٦ر٢٧٪ ، وفى عام ١٩٥٥ تبلغ النسبة حوالى ٥ر٢٦٪ ، ثم فى عام ١٩٦٠ تبلغ النسبة حوالى ٢٣٪ ، وفى عام ١٩٦٥ بلغت النسبة حوالى ٥ر٢٢٪ (٢) . والواقع أنه يمكننا أن نقول — برغم هذا الاتجاه للتناقص — أن معدلات الطلاق فى مصر ما زالت عالية .

تلك كانت عجالة احصائية . وسنعرض الآن لنظرة المشرع للطلاق وكيف نظمه والاثار التى يمكن أن تترتب عليه بالنسبة للمرأة .

---

(١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، احصاءات الزواج والطلاق سنة ١٩٧٠ ، جدول رقم ٥ .
(٢) المرجع السابق ، نفس الموضع .

ـ أحـــكام الطلاق :

من استعراض آيات القرآن والاحاديث النبوية يتضح لنا أن الطـــلاق حـــكم استثنائى لا يباح الا للضرورة القصوى حين تفشل كل الوســـائل فى اصلاح ما بين الزوجين . ونعطى لهذا أمثلة بما يأتى من آيات تحث على الابقاء قدر الطاقة على الحياة الزوجية ، « فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » (١) . كما حث القرآن الزوجة على أن تسعى الى اعادة الصفاء الى حياتها الزوجية وهذا فى قوله تعالى (وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو أعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ، والصلح خير وأحضرت الانفس الشح ، وأن تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا » (٢) .

كما أوجب الله تعالى أن يلجأ الزوجان الى التحكيم حين يفشـــلان فى فض منازعاتهما بأنفسهما قبل أن يلجأ الى الطلاق ، « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها أن يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما أن الله كان عليما خبيرا (٣) . ويتضح موقف الاسلام من الطلاق أوضح ما يكون فى قول الرسول الكريم : « أبغض الحلال الى الله الطلاق » ، وفى قوله « وأيما امرأة سألت زوجها الطلاق فى غير بأس فحرام عليها رائحـــة الجنة » . ذلك هو موقف الاسلام من الطلاق ، محرم ما لم يقم له سبب قوى يبرره ، وحتى اذا قام هذا السبب الذى يحله ، فهو مع هذا أبغض الحلال .

اذا كانت هذه هى نظرة الاسلام للطلاق ، فكيف نظمه ، ولمن أعطى الحق فيه . وما هى آثاره . تلك الاسئلة هى ما نحاول الاجابة عليه فيما يأتى وهو موضـــوع هام بحكم ما قد يترتب عليه من آثار ســـيئة للمرأة ، خصوصا فى مجتمع كمجتمعنا المصرى حيث ما زالت المرأة متخلفة عن الرجل فى التعليم والعمل . وبالتالى فى قدرتها على الاستقلال عن الرجل والاستغناء عنـــه .

من يملك الطـــلاق :

يعطى التشريع الاسلامى ــ وبالتالى يجرى العمل فى مصر ــ الطلاق للزوج ، فهو الذى يملك ايقاع الطلاق . ولكن هذا لا يعنى أنه ليس للزوجة الحق فيه ، فان حقها فيه يثبت اذا ما اشترطته فى عقد الزواج ، أو اذا حصلت على هذا الحق أثناء الزواج ، كما أن المشرع أتاح لها أن تطلب التفريق بينها

---

(١) سورة النساء ، آية ١٩ .
(٢) سورة النساء ، آية ١٢٨ .
(٣) سورة النساء ، آية ٣٥ .

وبين زوجها أمام القاضى اذا تحققت لذلك أسباب حددها المشرع منها تضررها من حياتها اذا افتقدت حياتهـــا الود والتراحم أساس الحيـــاة الزوجية ، ولاسباب أخرى . كما أن المشرع أتاح لها أن تشترى حريتها بمالها ، وهو ما يطلق عليه فى التعبير الشرعى (الخلع) .

فاذا ما عدنا الى حق الرجل فى ايقاع الطلاق نجد أن المشرع لم يجعله حقا مطلقا للرجل يستعمله دون قيد ، بل أحاطه بمجموعة من الشروط والقيود التى وان كان الائمة الاربعة لم يجعلوا عدم التقيد بها سببا لعدم وقـــوع الطلاق ، فهى ترتب آثارا أخروية فى حق المطلق تتمثل فى ارتكابه اثما معينا بايقاع الطلاق خلافا لشروطه ، ولكنها لا تحول دون وقوع الطلاق ، الا أن المشرع الوضعى يمكنه الاستناد الى هذه القيود والشروط ليرتب آثارا قانونية على عدم الامتثال لها والعمل على وفق ما تقضى به .

والواقع أن الفقه الاسلامى اعتمد فى قوله هذا على أن الاسلام قد ربط موضوعات الاحوال الشخصية بالعقيدة ، وقد بدأت الدعوة الاسلامية بتربية العقيدة ، ثم جاءت بعديد من الاحكام التى ترك العمل بها لضمائر الناس التى تربت تربية اسلامية صحيحة ، ومن أوضح المجالات التى ترك الحكم فيها لضمائر البشر مجال الاحوال الشخصية من زواج وطلاق . فاذا كان الناس قد اعتادوا فى عصرنا هذا اهمال حكم العقيدة وسلطان الضمير ، فلا أقل من أن يقوم المشرع بترتيب آثار قانونية معينة تكون زاجرا للناس ويمكن ان نصل اليها من خلال استعراضنا لتلك القيود .

ولكن علينا أن نذكر أنه اذا كان عقد الزواج عقدا رضائيا ، بمعنى الحرية الكاملة للرجل والمرأة فى الدخول فيه ، فان الطلاق يقع أيضا بمجرد التلفظ بلفظ الطلاق ولا يملك المشرع التدخل بالقول بأن الطلاق لا يقع برغم التلفظ بعبارته ، والدليل على ذلك أنه حين أراد المشرع أن ينظم اثبـــات الزواج ، فانه لم يستطع القول بأن الزواج الذى لا يسجل لا يصبح زواجا شرعيا ، فالزواج الشرعى ينعقد بتبادل الايجاب والقبول فى حضور شاهدين، وبالتالى لم يكن أمام المشرع الا ايجاد سبيل آخر لحث الناس على الامتثال لحكمه ، وهو عدم سماع دعوى الزوجية فى حالة انكارها ما لم يكن مسجلا(١) . وعليه نقول أن الرأى القائل بضرورة تدخل القاضى فى حالات الطلاق ، فلا يسمح للزوج بايقاع الطلاق الا اذا وافق القاضى عليه ليس بالرأى الذى يعتد به ، فاذا أوقع الرجل الطلاق قبل الذهاب الى المحكمة ، فقد انتهت الحياة الزوجية . ولن يخرج الامر أمام القاضى بعد ذلك عن حالتين : حالة موافقة

(١) المـــادة ٩٩ فقرة ٤ من القانون رقم ٧٨ سنة ١٩٣١ .

القاضى على الطلاق ، وهنا لن يضيف جديدا الى الموقف الذى حسم سلفا .
أو حالة عدم موافقة القاضى على الطلاق ، وهنا يبدو الامر غريبا ، فهل يلزم الزوج بمعاشرة من طلقها ؟؟ ! وهل ستقبل الزوجة معاشرة رجل تعلم أنها لم تعد حليلته ؟؟ .

لقد اتجهت بعض الدول الاسلامية الى الاخذ بنظام تدخل المحكمة فى ايقاع الطلاق ونعطى مثلا لها بتونس ، حيث ينص الفصل رقم ٣٠ من مجلة الاحوال الشخصية التونسية على أنه (لا يقع الطلاق الا لدى المحكمة) وتدعو بعض الآراء فى مصر الى الاخذ بنفس الحكم وقد بينا رأينا فيه ، وبغض النظر عن ذلك،فان علينا أولا أن نتناول احصاءات الطلاق فى تونس قبل وبعد صدور هذا القانون بالتحليل ، لمحاولة التعرف على آثاره فى الحد أو عدم الحد من حالات الطلاق . وهذه الاحصاءات ليست متاحة لنا الآن . ولكن علينا أن نتساءل عن كيفية الاستمرار فى حياة زوجية وقد وصل أمرها الى القضاء بما يحمله هذا من تبادل للاتهامات وتبذل فى القول ؟ أليس الهدف هو الوصول الى الطلاق ، كيف نتخيل بعدها أن تقرر المحكمة أنها لا توافق عليه ، فيعود الزوجان الى حياة ملؤها السعادة والود أساس الزوجية ؟؟ .

تلك كانت حجج المطالبين بتدخل القضاء ، وهذا ردنا عليهم ، ولكن هل يعنى هذا أننا نوافق على استمرار الاوضاع على ما هى عليه ؟ الواقع أننا نعلم أن حق الرجل فى الطلاق قد أسيء استخدامه الى حد بعيد ، وأنه قد آن الاوان لايجاد سبيل للحد من حجم مشكلة الطلاق . وفى محاولتنا استكشاف طريق للحل نعود مباشرة الى التنظيم الاسلامى للطلاق لنسترشد به .

لقد ذكرنا فيما سبق أن الاسلام فى محاولته لحل النزاعات الاسرية التى قد تؤدى الى الطلاق ، قد أوصى بالتحكيم « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها أن يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا » (١) . هذا أولا .

ثم أن التشريع الاسلامى قد وضع قيودا كما سبق أن ذكرنا على حق الرجل فى ايقاع الطلاق ، من تلك القيود .
وجود سبب حقيقى يدعو للطلاق ، ويستدل على هذا بقوله تعالى « فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا (٢) .

فاذا نظرنا فى هاتين الآيتين فاننا نستطيع ان نخلص برأى يدعو الى التوسع فى انشاء مكاتب رسمية للمصالحات الزوجية قوامها مجموعة من

---

(١) سورة النساء ، آية ٣٥ .
(٢) سورة النساء ، آية ٣٤ .

الاخصائيين الاجتماعيين المدربين تدريبا جيدا ، ولبعث الاطمئنان لدى الناس الى هذه المكاتب ، فلا مانع من أجازة انضمام محكمين من اهل الزوج والزوجة الى لجنة المصالحة ، فاذا نجحت هذه المكاتب فى حل المنازعات فيها ، مع ملاحظة أن هذه المكاتب تختلف عن المحاكم فى شيء جوهرى ، هو أن من يلجأ اليها انما يسعى الى الصلح ، وهو بهذا لن يسعى الى التهجم والتعريض بزوجة ، فى حين أن من يلجأ للمحكمة انما يلجأ اليها طلبا للطلاق ، وفى سبيله لن يتورع عن قول ما يثير المرارة والبغضاء فى نفس زوجة مما يستحيل معه استعادة حياة زوجية سليمة اذا ما رفضت المحكمة الطلاق . أما اذا فشلت لجنة المصالحة فى التوفيق بين الزوجين ، فهو الطلاق .

وفى هذه الحالة فان الزوجة المتضررة من الطلاق يكون لها أن تستند الى تقرير لجنة المصالحة فى الالتجاء الى المحكمة طلبا للتعويض عن الطلاق الذى أوقعه (١) الزوج دون سند من سبب حقيقى .

كذلك يمكن أن ينص القانون على حق الزوجة فى الحصول على تعويض اكبر اذا ما أقدم الزوج على ايقاع الطلاق دون سبب حقيقى يدعو اليه ، ودون اللجوء مسبقا الى مكاتب المصالحة . وقد جرى قضاء بعض المحاكم المصرية على الزام المطلق بالتعويض اذا وقع الطلاق دون سبب ظاهر على أساس اساءة استعمال الحق المخول له شرعا (٢) .

ومعروف أن القانون المصرى يكتفى بحق المطلقة فى نفقة لمدة لا تزيد على سنة من تاريخ الطلاق (المادتان ١٧ ، ١٨ من القانون رقم ٢٥

---

(١) يلاحظ أن مشروع قانون الاحوال الشخصية سابق الاشارة اليه قد نص فى مادته ١١٠ على أنه « فى حالة عدم اتفاق الزوجين على الطلاق لا يوثق الا اذا قدم المشهد ما يدل على أن التحكيم تم بحسب المادة ١٤٧ من هذا القانون وعدم نجاح التحكيم فى الاصلاح بينهما ، ولا يعتبر التوثيق شرطا لوقوع الطلاق » . (انظر فى هذا : محمد سلام مدكور ، أحكام الاسرة فى الاسلام ، الجزء الثانى ، سنة ١٩٦٩ ، ص ١٠١ وما بعدها . على أننا نخشى أن يساء استخدام هذا الحكم من قبل بعض الرجال الذين قد يرون أنه من الانكى بالمرأة عدم تمكينها من الحصول على وثيقة الطلاق ، فيعمدون للطلاق دون اللجوء لمحكمين . فتصبح مطلقة بلا وثيقة مثبتة للطلاق .

(٢) انظر حكم محكمة مصر الابتدائية فى ٢٠ يناير سنة ١٩٢٦ ، المجموعة الرسمية للمحاكم الاهلية ، س : ٢٨ ص ١٠٧ وحكم محكمة شبين الكوم الكلية فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٣٠ ، مجلة المحاماة س ١١ ص ٥٤٠ .

وانظر فى تأييد الاتجاه الى تعويض المطلقة عن الطلاق التعسفى : محمد سلام مدكور ، المرجع السابق ، ص ٣٦ .

سنة ١٩٢٩) فضلا عن حقها فى مؤخر الصداق .

ونلاحظ أيضا أن القانون المصرى قد خرج عن الراجح فى مذهب أبى حنيفة فى المادة ٣ من القانون رقم ٢٥ سنة ١٩٢٩ التى تنص على أن « الطلاق المقترن بعدد لفظا أو اشارة لا يقع الا واحدة » وقد ذكرت المذكرة الايضاحية للقانون أن الغرض من هذا التعديل هو التيسير على الناس الذين يندفعون الى هذا النوع من الطلاق وايجاد مخلص لهم لا يضطرون معه الى زواج التحليل المذموم .

ـ علم الزوجة بالطلاق والاشهاد عليه :

يقع الطلاق ـ فى رأى الائمة الاربعة ـ بمجرد التلفظ بلفظه . دون أن يشترطوا لصحة وقوعه الاشهاد عليه .

وقد يترتب على ذلك بعض المشاكل العملية منها عدم علم الزوجة به واستمرارها فى الحياة مع مطلقها ، وفى الوقت المناسب تواجه بأنها مطلقة منذ زمن وأنها كانت تعيش من رجل غريب مع ما يترتب على ذلك من آثار خطيرة سواء بالنسبة لها أو بالنسبة لمن قد تنجبهم من أولاد خلال هذه الفترة .

ولقد خرج الشيعة الامامية عن رأى الائمة الاربعة ، واشترطوا وجود شاهدين ليصح وقوع الطلاق ، واستشهدوا فى ذلك بقوله عز وجل فى أول سورة الطلاق « وأشهدوا ذوى عدل منكم » وهم يرون أن وجود شاهدين قد يمهد الطريق لعدم وقوعه ، عن طريق تدخلهما ومحاولتهما الاصلاح والتوفيق بين الزوجين . ثم أن الشهود هم الوسيلة لاعلان الطلاق كما كانوا وسيلة اعلان الزواج . ونعتقد أنه قد آن الاوان لادخال هذا الحكم فى القانون (١) .

بل اننا نرى أن ينص القانون على عدم سريان آثار الطلاق بالنسبة للزوجة ما لم تبلغ به بوسيلة قانونية ، فاذا مات عنها طليقها مثلا دون أن تبلغ رسميا بالطلاق فلا يسقط حقها فى الارث ، كما أن آثار الطلاق لا تسرى

---

(١) انظر فى تحبيذ الاخذ بهذا الحكم : الدكتور محمد يوسف موسى ، أحكام الاحوال الشخصية فى الفقه الاسلامى ، سنة ١٩٥٨ ، ص ٢٧١ ،

فى حق الاولاد الذين تنجبهم المرأة بعد ايقاع زوجها الطلاق دون أن تبلغ به بالطريق القانونى (١) .

حق الزوجة فى طلب التطليق :

سبق أن ذكرنا أن للزوجة أنتوقع بنفسها الطلاقوذلك اذا ما اشترطت لنفسها الحق فيه حين عقد الزواج ، أو اذا حصلت على هذا الحق أثناء الزواج . فاذا لم تتحقق لها أى من الحالتين ، فقد أتاح المشرع لها أن تطلب التفريق بينها وبين زوجها اذا ما رأت أن هناك من الاسباب ما يحول دونها والاستمرار فى الحياة الزوجية ورفض الزوج مع ذلك ايقاع الطلاق . وواضح أن المشرع قد راعى فى هذا حق الزوجة ، وتمكينا لها من انهاء حياة لم تحقق لها ما ترجوه .

وقد جاء ذكر الحالات التى يجوز فيها للزوجة طلب التفريق فى القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٠ والقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ، وهذه الحالات هى :

١ — التفريق لعدم الانفاق :

(المواد ٤ ، ٥ ، ٦ من القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٠) وقد قصد المشرع الى اعطاء الزوجة الحق فى الطلاق اذا امتنع الزوج عن الانفاق عليها وفاء بالتزامه .

٢ — التفريق للعيب :

(المواد ٩ ، ١٠ ، ١١ من القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٠) ومؤدى هذا السبب تمكين الزوجة من طلب التفريق اذا وجدت به عيبا مستحكما لا يمكن البرء منه أو يمكن البرء منه بعد زمن طويل ولا يمكنها المقام معه الا بضرر كالجنون والجذام والبرص .

٣ — التفريق للضرر وسوء العشرة :

(المواد ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ من القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩) وذلك حين تحس الزوجة أنه لم يعد فى مقدورها الاستمرار فى معاشرة زوجها

---

(١) وقد نصت المادة ١٠٨ من مشروع القانون على الآتى :

أ — لا يقع الطلاق فى غيبة الزوجة الا اذا علمت به ومن تاريخ العلم سواء أكان من الزوج أم من المحكمة .

ب — يثبت العلم بكافة طرق الاثبات ومنها القرائن واخبار الواحد العدل .

لاضراره بها والاساءة اليها ، أو بمعنى آخر لزوال الود والتراحم اللازمين للحياة الزوجية .

وسنعرض لهذا السبب بشيء من التفصيل . فاذا استعرضنا النصوص التى تحكمه نجدها كالآتى :

المـادة ٦ : « اذا ادعت الزوجة اضرار الزوج بها بما لا يستطاع معه دوام العشرة بين أمثالهما يجوز لها أن تطلب من القاضى التفريق ، وحينئذ يطلقها القاضى طلقة بائنة اذا ثبت الضرر وعجز عن الاصلاح بينهما فاذا رفض الطلب ثم تكررت الشكوى ولم يثبت الضرر بعث القـاضى حكمين ، وقضى على الوجه المبين فى المواد ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ .

المـادة ٧ : يشترط فى الحكمين أن يكونا رجلين عدلين من أهل الزوجين ان أمكن والا فمن غيرهم ممن له خبرة بحالهما وقدرة على الاصلاح بينهما .
المـادة ٨ : على الحكمين أن يتعرفا أسباب الشقـاق بين الزوجين ويبذلا جهدهما فى الاصلاح فان أمكن على طريقة معينة قرراها .
المـادة ٩ : اذا عجز الحكمان عن الاصلاح وكانت الاساءة من الزوج أو منهما أو جهل الحال قررا التفريق بطلقة بائنة .

المـادة ١٠ : اذا اختلف الحكمان أمرهما القاضى بمعـاودة البحث فان استمر الخلاف بينهما حكم غيرهما .

المـادة ١١ : على الحكمين أن يرفعا الى القاضى ما يقرران وعلى القاضى أن يحكم بمقتضاه .

ويلاحظ على هذه المواد أنها قصرت قرار الحكمين بالتفريق على حالة ما اذا كانت الاساءة من الزوج أو منهما أو جهل الحـال . كما أن هـذه النصوص قد تتسبب فى طول الاجراءات لانه يوجب لايقاع الطلاق اتفـاق الحكمين عليه ، فاذا اختلفا عادا للبحث فاذا استمر الخلاف حكم القاضى غيرهما وهكذا .

وقد تنبه مشروع القانون لهذه العيوب وقرر الاحكام الآتية التى نرى أن نورد النصوص الخاصة بها لاهميتها (١) :

---

(١) يلاحظ أن مشروع القانون قد استمد أحكامه فى هذا الخصوص من مذهب الامام مالك ، انظر فى هذا محمد سلام مدكور ، المرجع السابق ، ص ١٧٩ وما بعدها .

المـادة ١٢١ :

أ ــ اذا ادعى احد الزوجين اضرار الآخر بما لا يستطاع معه دوام العشرة بين أمثالهما قبل الدخول أو بعده يجوز له أن يطلب من المحكمة التفريق ، وتبذل المحكمة فى جلسة سرية ما وسعها للاصلاح بينهما .

ب ــ فاذا تعذر الاصلاح عينت المحكمة حكمين للتوفيق أو التفريق ، وحلفت كل منهما اليمين على ان يقوم بمهمته بعدل وامانة .

المـادة ١٢٢ ــ يشترط فى الحكمين أن يكونا عدلين من اهل الزوجين ان أمكن والا فمن غيرهم لمن لهم خبرة بحالهما وقدرة على الاصلاح بينهما .

المـادة ــ ١٢٣ :

أ ــ يشتمل قرار تعيين الحكمين على تاريخ بدء وانتهاء مأموريتهما وتخطر المحكمة الحكمين والخصوم بذلك .

ب ــ يجوز للمحكمة ان تعطى الحكمين مهلة اخرى مرة واحدة فان لم يقدما تقريرهما اعتبرتهما غير متفقين .

جـ ــ لا يؤثر فى سير عمل الحكمين امتناع احد الزوجين عن حضور مجلس التحكيم متى تم اخطاره .

المـادة ١٢٤ :

أ ــ على الحكمين أن يتعرفا أسباب الشقاق بين الزوجين ويبذلا جهدهما فى الاصلاح بينهما على أية طريقة ممكنة .

ب ــ واذا عجزا عن الاصلاح :

١ ــ فان كانت الاساءة كلها من جانب الزوج ، والزوجة هى طالبة التفريق أو كان كل منهما طالبا قرر الحكمان التفريق بطلقة بائنة دون مساس بشىء من حقوق الزوجة المترتبة على الزواج والطلاق ، اما اذا كان الزوج هو طالب التفريق اقترحا رفض الدعوى .

٢ ــ واذا كانت الاساءة كلها من جانب الزوجة قررا التفريق نظير بدل مناسب يقدرانه تدفعه الزوجة .

٣ ــ واذا كانت الاساءة مشتركة قررا التفريق دون بدل أو ببدل يتناسب مع الاساءة .

٤ ــ وان جهل الحال فلم يعرف المسىء منهما ، فان كان الزوج هو الطالب اقترحا رفض دعواه . وان كانت الزوجة هى

الطالبة أو كان كل منهما طالبا التفريق قرر الحكمان تفريقا دون بدل .

المادة ١٢٥ :

أ ــ على الحكمين ان يرفعا تقريرهما الى المحكمة مشتملا على الاسباب التى بنى عليها .

ب ــ اذا اتفق الحكمان على راى حكمت به المحكمة . وان لم يتفقا بعثتهما مع ثالث له خبرة بالحال وقدرة على الاصلاح وحلفته اليمين المبينة فى المادة ١٢١ .

فاذا اتفقوا أو اتفقت الاكثرية على راى حكمت به المحكمة .

واذا اختلفوا ولم يقدموا التقرير فى الميعاد المحدد سارت المحكمة فى الاثبات فان كانت هى الطالبة وثبتت الدعوى حكم بالتفريق بطلقة بائنة وان عجزت عن الاثبات حكم برفض الدعوى

وان كان هو الطالب وثبتت الدعوى أمرت المحكمة بالتطليق وحكمت بسقوط مؤخر الصداق ونفقة العدة ومتجمد النفقة السابقة وان لم يثبت حكم برفض الدعوى .

ويلاحظ على هذه النصوص أنها قدتخلصت من عيوب النصوص السارية ، فهى قد أعطت الزوج الحق فى اللجوء الى المحكمة طلبا للتطليق اذا ما كانت الاساءةمن الزوجة وصولا الى اسقاط التزاماته قبل مطلقته ، ومن الطبيعى أن يكون التجاء الزوج الى المحكمة جوازيا وليس وجوبيا ، ذلك أن من حق الزوج أن يطلق بنفسه كما سبق أن ذكرنا ، فلم يكن للمشرع أن يحرمه من حقه هذا، لكنه شجعه على سلوك هذا الطريق وصولا الى اسقاط التزاماته المالية ..

ومن ناحية أخرى فقد أراد المشرع ألا تطول اجراءات التحكيم تفويتا لفرصة الاضرار بأى من الزوجين ، فألزم المحكمة بتحديد مدة معينة ينتهى فيها عمل المحكمين .

ومن الطبيعى أن يكون للمحكمة أن تعطى مهلة للحكمين . على اننا نرى أنه قد يكون من الافضل ــ زيادة فى اختصار الاجراءات ــ أن ندمج الخطوة المنصوص عليها فى المادة ١٢١ فقرة ب القاضية بتعيين حكمين مع الخطوة المنصوص عليها فى المادة ١٢٥ فقرة ب القاضية بارسال ثالث فى حالة اختلاف الرأى بين الحكمين ، بحيث يكون على المحكمة أن ترسل منذ البداية الحكمين مع ثالث على أن يكون من اهل الخبرة فى المسائل الاجتماعية .

٤ ــ التطليق للغيبة وحبس الزوج :

(المواد ١٢ ، ١٣ ، ١٤ من القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩) .

المفروض فى الحياة الزوجية أن يتعايش الزوجان معا فى حياة مشتركة فلا يكون لاحد الزوجين أن يغيب عن صاحبه بلا عذر مقبول . لذا فقد أعطى القانون للزوجة الحق فى أن تطلب الى القاضى تطليقها اذا غاب زوجها عنها لمدة سنة فأكثر بلا عذر مقبــول وتضررت من بعده عنهــا ولو كان له مال تستطيع الانفاق منه (م ١٢) .

كذلك أعطى القــانون للزوجة الحق فى طلب التطليق اذا حكم على زوجها نهائيا بعقوبة مقيدة للحرية مدة ثلاث سنوات فأكثر وذلك بعد مضى سنة من حبسه ولو كان له مال تستطيع الانفاق منه (م ١٤) .

تلك كانت المبررات التى تستطيع الزوجة أن تستند اليها طلبا للتطليق ويجدر هنا أن نشير الى أن القانون قد أوجب نفقــة للمطلقة المعتدة على تفصيل لا يعنينا هنا منه الا أن نذكر أن المــادة ١٧ من القانون ٢٥ ســنة ١٩٢٩ قد نصت على أنه « لا تسمع الدعوى لنفقة عدة لمدة تزيد على سنة من تاريخ الطــلاق » كذلك تنص المــادة ١٨ من نفس القــانون على أنه « لا يجوز تنفيذ حكم بنفقة صادر بعد العمل بهذا القانون لمدة تزيد على سنة من تاريخ الطلاق » . أى أن المطلقة لن تحصل الا على نفقة لمدة سنة بحد أقصى ، ويمكن أن تقل المدة عن ذلك .

ومنذ البداية نقرر أن من مسئوليات الدولة أن توفر العيش الكريم للمطلقات غير القادرات على الكسب ، ولكن علينا أيضا أن نفكر فى حالات الطلاق التعسفى ، بل وأيضا فى حالات الطلاق التى لا يمكن أن ينسب فيها خطأ من قبل الزوجة ، أى لاسبــاب لا دخل للزوجة فى وجودها كالطلاق الذى يقع لمرض الزوجة الذى لا يمكنها من القيام بواجباتها الزوجية . وما قد توجبه اعتبارات العدالة من التفكير فى وسيلة لضمان استمرار المطلقة فى حياة آمنة ، وقد سبق أن اقترحنا مبدأ تعويض الزوجة عن الطلاق التعسفى أما الحالات الاخرى ، فيشوبها بعض المحاذير ، فاذا كان من غير الممكن أن ننسب الخطأ الى الزوجة ، فانه من الصعب أيضا أن نضع القيود على حق الرجل فى أن يستمر فى حياة يجد من يشاركه فيها ، وربما ــ لهذا السبب ــ لا نرى وجها للتحريم القاطع لتعدد الزوجات ، فربما كان التعدد هو الحل الامثل الذى قد ترتضيه الزوجة الاولى عن طيب خاطر ، وتفضله عن تطليقها وتركها بلا رعاية ، فالواقع أن المرأة فى مثل هذه الحالة لا تحتاج فقط الى النفقة لنقول باستمرار نفقتها لمدة أطول ، بل هى فى الحقيقة فى حاجة أكبر

الى رعاية زوجها ، وربما كانت ذات عيـــال أحوج ما يكونون الى رعاية الابوين مجتمعين .

خاتمـــــة :

استعرضنا فيما سبق وضع المرأة كما تنظمه قوانين الاحوال الشخصية الحالية ، وما يمكن أن يدخل عليها من تعديلات تستهدف زيادة الحمـــاية للمرأة ، وموقف مشروع قانون الاحوال الشخصية الذى انتهى فيه العمل سنة ١٩٦٧ ؛ والحلول التى أخذ بها فى هذا الصدد . ونلاحظ أن الشريعة الاسلامية تتسع لكل الحلول التى يمكن بالالتجاء اليهـــا تدعيم وضع المرأة فى الاسرة . ولعل من المناسب هنا فى ختام هذه الدراسة أن نشير الى حكم يوضح مدى اهتمام التشريع الاسلامى بحماية كيان الاسرة فهو بعد تنظيمه للطلاق وجعله استثناء لا يلجأ اليه الا فى حالات الضرورة القصوى ، وبعد أن قيده بقيود شديدة ، فقد قدر أنه قد يحدث الطلاق ثم يتبين للزوج أنه قد أخطأ فى ايقاعه ، فأراد المشرع الحكيم تمكينه من اعادة الحياة الزوجية مرة أخرى ، فشرع الرجعة التى تمكن الزوج من مراجعة زوجته قبل انقضاء عدتها دون حاجة الى عقد جديد ، ثم ان التشريع الاسلامى قد جعـــل حدا أقصى لمرات الطلاق لا تحل بعدها المطلقة لمطلقها الا بشروط خاصة ، فجعل الطلاق ثلاث مرات « الطلاق مرنان ، فأمساك بمعروف أو تسريح باحسان» حتى يتبين للرجل مدى خطورة التجائه الى الطلاق الذى قد يفقده زوجته الى الابد . ثم ان فى تحديد عدد مرات الطلاق حماية للمرأة حتى لا تكون الرجعة وسيلة لتعليق المرأة ، فتطلق ثم تراجع وهكذا بلا حدود .

وفى النهاية علينا أننقول انه قد آن الاوان لمراجعة قوانين الاجراءات النى تنظم التقاضى بشأن مسائل الاحوال الشخصية ، وأن يكفل القـــانون سرعة البت فى هذه القضايا حنى لا تضيع الحماية التى تسبغها القوانين الموضوعية ، فى زحمة الاجراءات وبطئها .

السياسة الجنسية

(او العلاقة السياسية بين الجنسين)

تاليف : كيت ميلليت (*)

عرض ونقد : الدكتور عبد الحليم محمود (**)

تتمثل أهمية الكتاب الذى نعرضه — رغم تحفظات لنا عليه — انه يعرض فلسفة يروج لها أصحابها — فى أوربا وأمريكا — ممن يعتقدون أنهم يدعون الى تحرير المراة من كل قيد ، من قيود الجنس والاسرة والامومة والخلق والمجتمع .

وهذا الكتاب ليس مجرد تأريخ محايد للعلاقة بين الجنسين ، ولا لمراحل كفاح المراة الغربيـــة عموما والامريكية والانجليزية بوجه خاص ، للحصول على حقوقها المهضومة شأنها فى ذلك شأن كل الفئات الاجتماعية المهضومة الحق التى هبت تحت ضغط الحاجة الى خدماتها بعـــد الثورة الصناعية لنيل حقوقها . وهو كتاب « راى » يستعين لاثبات صحته بوثائع التاريخ والسياسة والادب والعلوم الاجتماعية . . وان كان يعيد تشكيلها وصياغتها بطريقة تخدم الهدف من اعداد الكتاب . ويتميز الكتاب بأسلوبه التهكمى العنيف ، وقد وصفه بعض المعلقين بأنه دعوة الى تحويل الحرب التى كانت تدور فى غرف النوم بين الجنسين الى نوع من حرب العصابات .

ويقع الكتاب فى ثلاثة أبواب ، يحاول الباب الاول أن يثبت قضية ترى المؤلفة أنه طالمــا تجاهلها الكتاب وهى أن « الجنس » يمثل مجالا من مجالات السياسة . أما الباب الثانى فيضم فصلين تاريخيين يحاول الاول أن يحدد ملامح التحول العظيم فى العلاقات التقليدية بين الجنسين ، التى حدثت فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، أما الفصل الثانى فيعرض لمــا تطلق عليه المؤلفة مرحلة الثورة المضادة أو انتكاس حركة التحرر الجنسى ، حيث يستمر تسلط الرجل على الحياة — بطريقة معدلة — وتحبط امكانيات التغيير الاجتماعى للثورة الجنسية ، وتمتد هذه الفترة بين عام ١٩٣٠ وعام ١٩٦٠ . أما الباب الثالث من هذا الــكتاب فيشتمل على تحليل لاعمال ثلاثة ادباء معاصرين ويســجل استجابتهم من خلال الاعمال الادبية — للتغييرات الجذرية فى العلاقات السياســية بين

---

* Kate, Millet, Sexual Politics, Avon Books, New - York, 1971

** مدرس علم النفس ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة .

الجنسين ، واسهامهم فى الهجوم الانفعالى ضد ما نسميه باسم الدفع الثورى . وتفرد المؤلفة الفصل الرابع والاخير لاعمال الاديب الفرنسى « جين جينيت Jean jenet » بقصد تقديم صورة مقابلة لمواجهة التفريق الجنسى من زاوية الانحراف الجنسى أو ما نطلق عليه زاوية السيطرة من خلال العلاقات السياسية فى الجنسية المثلية . حيث تتمثل الجنسية المثلية فى صورة مخاطرة اجتماعية تعرض صاحبها لكل ضروب العدوان والسخرية والمهاجمة ، واحيانا الوقوع تحت طائلة القانون على أن القائم بدور الذكر فى هذه العلاقات الجنسية المثلية — مثله كمثل الرجل فى العلاقات الجنسية الغيرية — يحظى غالبا بالتكريم بينما لا يجد القائمون بالادوار السلبية الجنسية الا الاحتقار والمهانة والخضوع يؤكد جنيت فى مسرحياته على موضوع الظلم الجنسى والحاجة الماسة الى برامج لاقتلاعه .

وتستعين المؤلفة منذ الفصل الاول من الكتاب ببعض نماذج من الادب الامريكى المعاصر توضح من خلالها ان علاقة القوة والسيطرة تنطبق على النشاط الجنسى وعلى سبيل المثال ، تستعين بمشهد جنسى يصنعه « هنرى ميللا » فى روايته (Sexus) التى نشرت فى باريس فى الاربعينات ومنعتها السلطات الصحية الامريكية من دخول أمريكا حتى عام ١٩٦٥ . وترى المؤلفة أن ميلا نفسه هو بطل روايته ، الذى يقص حكاية خداعه لـ « ايدا » زوجة صديقه « بل » . وتحاول المؤلفة ابراز أسلوب ميللا فى تحقير المرأة بطريقة تؤكد ان النشاط الجنسى سلوك قذر وحقير اقرب الى العهر والدعارة منه الى العلاقات الانسانية . وتشير الى أن « ميللر » يؤكد على ان مركز القوة فى العلاقة الجنسية انما يكون للرجل ، كما أن بطله يحاول أن يشبع حواسه ورغباته دون أى اعتبار لعاطفة أو اتصال انسانى ، اذ أن الاتصال الجنسى لديه عبارة عن استغلال الرجل للمرأة بهدف متعته الشخصية فقط .

وبمناسبة مناقشتها لاعمال أدبية تؤكد المؤلفة أن النقد الادبى لا ينبغى ان يقتصر على تملق الادباء وذكر محاسن اعمالهم ، كما أنه لا يكفى النظر الى العمل الادبى من خلال تاريخ الادب أو من خلال اعتبارات جمالية بحتة تختفى وراء الحيل والصيغ ، اذ ينبغى على النقد الأدبى ان يدخل فى حسابه السياق الحضارى العام الذى ينظر من خلاله الى الادب ، كما ينبغى أن يتناول نوعا من النقد الاجتماعى وأن يعرض للاستبصارات التى يستطيع الادب ان يزود بها الحياة ، حيث يقوم بالوصف وبالتفسير بل وبالتشويه .

على أن الاختلاف فى الراى مع الاديب لا يعنى الادعاء بطريقة غير اخلاقية ، انه لا يملك المهارة الفنية الاصيلة .

وتستشهد المؤلفة بفقرات من رواية « هنرى ميللر » (الربيع الاسود) على انه يؤكد أن النســاء اللائى يتسمن بالبرود الجنسى أى عدم الاذعان للزوج أو اللائى يعتدين على قوانين الولاء للزواج ينبغى عقابهن — ممـا تعلق عليه بأنه مجرد تأكيد لعدم الاعتداء بالتجارة الخارجية على نظــام « المقايضة فى الزواج » .

أما بطل رواية « نورمان ميللر » (حلم أمريكانى) وهو استاذ جامعى بجامعة هارفارد وعضو الكونجرس وشخصية تليفزيونية ، الذى يقتـل زوجته ويخفف مشــاعره عن طريق مضــاجعة خادمته . . . فهو لدى المؤلفــة . . نموذج عتيق للزوج الغاضــب ، الذى تعلم زوجته تمــاما كل مغــامراته ويتباهى — أمامهــا — بأن عشــيقاته يفوقونها فى الجاذبية الجنسية ، هــذا الزوج — عنــدما تخبره زوجته بأنهــا تدبر هى الاخرى شئونها الجنسية وتتمتع بنشاط جنسى مع عشاقها الجدد أى عندما يواجه بأن زوجته تمارس الفسق تصدم غروره وينفد صبره ، ويشعر بتهديد حقه فى التملك الذى اكتسبه بالولادة . وهذه الرواية — فى رأى المؤلفة — تعد صرخة داوية للحقوق الجنسية ، أو للحرب التى فشلت فيهــا الجهــود الدبلوماسية واصبحت هى الملجأ الســياسى الاخير للطبقة الحاكمة التى تشعر بأن وضعها فى خطر .

وتقتطف المؤلفة من روايات جين جينيت « ما يثبت ما تراه من انهــا تنم عن دراسة لعالم القوادين وعن فهم لطبيعة العلاقات بين الجنسين ، حيث تمثل العلاقة الجنسية النواة أو النموذج الاساسى للعنصرية السياسية والاقتصادية وكل البناءات الاجتماعية التى تعتمــد على تقسيــم المجتمع الانسانى الى جماعتين ، احداهما تسيطر على الاخرى بمقتضى حق الميلاد . هذا مع وجود نظام اجتماعى يقر نظام التملك والسيطرة مما يفســد كل العلاقات الانسانية ، كما يفسد كل مجالات التفكير والخبرة .

ان قسوة الرجل على المرأة وابنائها — لدى المؤلفة — ترتبط بمحاولته اثبات قوته وهى تحاول أن تثبت أن الجنس ليس مجرد انتماء بيولوجى ، وانما هو انتماء طبقى ، تسيطر فيه طبقة على أخرى .

ومن أهم فصول هذا الكتاب ، ذلك الفصل الذى تحاول فيه المؤلفة تحليل العلاقات بين الجنسين من وجهة نظرها حيث تحاول صياغة نظرة منظمة عن النظام السياسى (للعلاقة بين الجنسين) الذى تخضع فيه المرأة للرجل .

فموقف الاتصال الجنسى — رغم انه يبدو كنشاط بيولوجى وحسى — لا يتم فى فراغ اجتماعى سياسى ، اذ أن له اعماقه داخل السياق الانسانى

الذى يدعم العالم الصغير للاتجاهات والقيم التى تمليها الثقافة الاجتماعية . صحيح أن النقلة بين هذا السياق الخاص والسياق السياسى العام نقلة كبيرة ، لكن العلاقة السياسية بين الجنسين لا يقصد بها عالم الاحــزاب والاجتماعات بقدر ما يقصد بها الى العلاقات فى بناء القوة ، أو الى التنظيم الذى تتحكم من خلاله احدى الجماعات فى جماعة أخرى . واذا كان قاموس التراث الامريكى يعرف السياسة بأنها : أساليب ادارة الدولة أو الحكم ، فان هذا يمتد الى الاستراتيجيات التى تؤدى الى حفظ نظام الحكم ، وتذكر المؤلفة أنه اذا كان نظام سيطرة الرجل يمثل أحد هذه الاساليب فى الضبط فاننا نستطيع أن نتوصل الى تصور مفهوم السياسة فى هذا المقام وتستخدم كلمة « سياسة » هنا لوصف العلاقة بين الجنسين لانها تصف طبيعة مركز كل من الجنسين فى المــاضى والحاضر . وتدعو المؤلفة الى وجوب انشاء سيكولوجية أو فلسفة خاصة لعلاقات القوة تتجاوز الاطارات السياســية التقليدية التى تعودنا عليها . على أساس أن علاقات القوة تتحدد بوضوح من خلال الاتصال الشخصى بين جماعات محددة جدا أو متجانسة مثــل الجماعات العنصرية أو الطبقات والفئات المنبوذة .

ونظرا لان بعض الجماعات ليس لها ممثلون فى عدد من البنـــاءات السياسية المعترف بها ، فان قهرها يميل الى الاستقرار والاســتمرار . والاطار الذى يسود العلاقة بين الجنسين يشبه ــ فى رأى المؤلفة العلاقة بين الجماعات العنصرية التى تمثل علاقة سياسية تمارس فيها جماعة ككل،أنواع الضبط والتحكم على جماعة أخرى ، بحكم مولدها . وهذه العلاقات السياسية بين الجماعات العنصرية تؤدى الى استمرار سلسلة من الظروف الجائرة حيث لا تجد الجماعة الخاضعة تعبيرا ملائما من خلال المؤسسات السياسية القائمة كما أنها تمنع عن تنظيم نفسها فى كفاح سياسى منظم ، ونفس الحالة تنطبق على نظام العلاقات بين الجنسين سواء فى الوقت الحــالى أو عبر مراحل التاريخ .

وتوهم الكاتبة القارىء هنا بأنها تتحدث عن ظاهرة انسانية عامة ليس لها استثناءات ، ولا ترتبط بالسياق الاوروبى والامريكى الذى ورث جهالة الرومان وخرافة العصور الوسطى ، ولم يرد فى كتابها ما يشير الى معرفتها لمــا انفردت به الحضارات الشرقية وخاصة الحضارة المصرية ، واكرامها للمرأة وتخويلها حقوقا قريبة من حقوق الرجل ، كما لم يرد ذكر المرأة المسلمة الا على سبيل التهكم ، مع أن حق التملك والاكتساب الذى أقره القرآن الكريم للمرأة منذ أربعة عشر قرنا لم تعرفه المرأة فى انجلترا

وأمريكا قبل عام ١٨٥٦ كمشروع لقانون ؛ لم يتم صدوره الا عام ١٨٧٠ ، وقد تم اضافة عدة تعديلات عليه حتى عام ١٩٠٨ وما بعدها تحت ضغط الحاجة للمراة فى مواقع الانتاج وليس اقرارا لقيمتها الانسانية .

وتؤكد المؤلفة ان سيطرة الرجل على المراة تمثل نوعا من الاحتلال الداخلى يزداد قوة ، ومع أن صورة هذه السيطرة الآن تميل الى الانخفاض الا أن السيطرة الجنسية هى أكثر صور الايديولوجيات انتشارا فى الثقافة المعاصرة ، وتنطبق عليها كل عناصر مفهوم القوة بالمعنى السياسى . ذلك أن المجتمع الامريكى وكل المجتمعات التاريخية تتسم بسيادة الرجل ، وحتى المجتمعات البدائية التى تسود فيها المراة لا تمثل استثناء ، لانها تنقل القوة من الآباء الى أقارب المراة الذكور مثل الخال وعلى هذا فان سيادة الذكور كنظام اجتماعى تعد متغيرا اجتماعيا مستقرا ونافذا الى كل الصور السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ونجده ماثلا فى النظام الراسمالى والاشتراكى كما نجده فى مختلف الطبقات الاجتماعية الاقتصــادية ، وكذلك فى الاديان الكبرى ، مع وجود بعض التنوع خلال الازمنة والامكنة المختلفة ؛ التى تتفاوت من السويد الى أندونيسيا والصين الشعبية والاتحاد السوفيتى وأوربا وأمريكا والبلاد العربية .

وتبرز هذه الحقيقة اذا استعرضنا تفوق الرجل فى مجالات الحــرب والصناعة والعلم والتكنولوجيا والسياسة والاقتصاد . أى أن هذه الحقيقة تبدو داخل كل مصدر قوة فى المجتمع ، بما فى ذلك قوة القانون والعقاب . بل أن السلطة الفائقة للدين والقيم والفلسفة والفن .. وكل مظاهر الثقافة من صنع الذكور .

وكل أنواع الفروق الفسيولوجية بين الذكور والاناث بما فيها قوة العضلات لدى الذكور ـــ التى تعد خاصية جنسية ثانوية تشيع لدى الثدييات ولها أصل بيولوجى لا تبرر التمييز الحاد الذى تدعمه الثقافة الاجتماعية بين الجنسين من خلال التربية والغذاء والتدريب . وترى المؤلفة أن تفوق الذكور كأى عقيدة سياسية ـــ لا يعتمد على مجرد القوة الجسمية بقدر ما يعتمد على نسق من القيم غير بيولوجى . وهى زيادة فى محاولة ابعاد اى اثر لعامل القوة الجسمية فى تفوق الذكور تؤكد أن الحضارة تستطيع دائما ان تستبدل القوة الجسمية بأساليب أخرى كالصناعات والاسلحة وضروب المعرفة .. كما ان الحضارة المعاصرة لا تحتاج الى هذه القوة .. كما ان الاشخاص الذين يقومون بأشق الاعمال يقعون غالبا فى قاع المجتمع سواء كانــوا اقوياء أو لم يكونوا .

بداية الثورة الجنسية :

تقترح المؤلفة أن يبدأ التاريخ للمرحلة الاولى للثورة الجنسية من عام ١٨٣٠ ــ ١٩٣٠ . على أساس ما اشتهر به العصر الفيكتورى من سوء سمعة فيما يتصل بكف السلوك الجنسى ، ومع أن الحرية الجنسية لم تتم فى هذه الفترة ، الا أن القمع الجنسى الذى يتمثل فى الاحتشام المتطرف بدأ يجد متنفسا . ففى الحقبات الثلاث الاخيرة من القرن التاسع عشر ، زادت الحرية الجنسية لدى الذكور والاناث ، وهذا معناه بلوغ درجة من الحرية الجنسية للنســاء اللائى يمثلن الجمــاعة التى لم يســمح لها بهذا النوع من الحرية دون فقدان للمكانة الاجتماعية أو التعرض لخطر الحمل فى ، حتمع يعاقب أشد العقاب على الحمل والولادة غير الشرعيين . وقد تحقق فى هذه المرحلة الاولى معيار للحرية الجنسية تمثل فى الكفاح نحو ايجاد معيار واحد للاخلاقية . رغم سذاجة الفيكتوريين ــ فى رأى المؤلفة ــ لانهم مع سعيهم الى رفع المسئولية عن المرأة الساقطة كانوا يحاولون بسذاجة مفرطة أن يرتفعوا بالابناء غير الشرعيين الى مرتبة « البنات الطاهرات » . ولا يمكن انكار أن هذه المرحلة الاولى للثورة الجنسية تعد امتدادا لمراحل سابقة .

وتذكر الكاتبة عددا من المكاسب التى حققتها المرأة فى مجال العمل بعد طول ظلم وشقاء ، وفى مجال التعليم ، والاعتراف بحقها فى الملكية بعد أن كانت ممتلكاتها تؤول الى الرجل ومن بعده الى الدولة ، ورغم ظهــور قانون الطلاق بانجلترا عام ١٨٠٨ ، الا أن حصول المرأة على الطلاق كان فى غاية الصعوبة ، ولم تدخل عليه تعديلات الا بعد الحرب العالمية الاولى ، أما الحركة السياسية للمرأة الامريكية فلم تبدأ الا بعد ظهور أول ميثــاق ضد « الرق » فى أمريكا عام ١٨٣٧ ، كما نشأ أول تنظيم سياسى نسائى فى نيويورك عام ١٨٤٨ ، ولم يبدأ أول تحد وكفاح سياسى الا عام ١٨٧٠ فى نيويورك ، تحول بعد هذا الى حركة عالمية للمرأة ، وانتهى هذا الكفاح الى التجسد فى لجنة حقوق المرأة بالامم المتحدة .

ورغم ضخامة هذا الانجاز فى قرن واحد ، الا أن المؤلفة ترى أن حركة التحرر الجنسى لم تنفذ فى هذه المرحلة الى البناء التحتى للايديولوجية الابوية والتنشئة الاجتماعية .

اما الفترة التالية للثورة الجنسية التى تمتد من ١٩٣٠ حتى ١٩٦٠ فتطلق عليها المؤلفة اسم الثورة المضادة أو « فترة النكسة » ، حيث يظهر فيها النظام النازى بألمــانيا ، الذى يؤكد على أهمية الزواج والاسرة على اساس أن اهداف الدولة تتحقق من خلالهما . لهذا قامت الدولة بتقييــد

اشتراك المرأة فى الحياة العامة ، وتشجيع تفرغها لاسرتها وقيامهـا بدور الزوجة والام على اعتبار أنه الدور الاساسى للمرأة . وقد قام النظام النازى بعدد من الاجراءات لحمـاية الاسرة وفرض الضرائب على غير المتزوجين كما كان يعاقب على استخدام وسائل منع الحمل ، كما كان متشددا فى شجب الجنسية المثلية وقمعها وقد حدثت عدة تطهيرات فى الجيش الالمـانى لهذا السبب رغم وجود الكابتن روهيم — قائد الصاعقة المعروف بالجنسيـة المثلية . كما حرم النظام النازى البغاء والاباحية وان لم يكن تحريمه فعالا ، اذ كان هذا مباحا لخاصة أعضاء الحزب القومى الاشتراكى النازى . وساد معياران للبغاء متسامح مع الذكور متشدد مع الاناث — تحت حماية الشرطة والجيش . وكانت قيمة الخصوبة مرتفعة بحيث أن الرجل اذ انجب طفلا غير شرعى لا يحتسب هـذا زنا بالمعنى القـانونى . كما أن الام « غير المتزوجة » التى تنجب ابنا غير شرعى كانت تعد مخطئة ، وان كان يقلل من خطئها أنها تقدم أطفالا جددا للدولة . ومع هذا لم يكن تقبل من المتزوجات الانجاب غير الشرعى . وتؤكد المؤلفة أن فى النظام النازى للعلاقات الجنسية تميل روح الذكورة لدين وثنى تتجسد فيه ثورة مضادة للثورة الجنسية — تقوم بها الدولة وتدعمها بقوة القانون .

أما الاتحاد السوفيتى الذى بدأ بثورة قانونية لتحرير الافراد من دعاوى الاسرة ، من اجل اطلاق حرية الزواج والطلاق واستخـدام وسـائل منع الحمل واباحة الاجهاض ، وتحرير المرأة والاطفال من التحكم الاقتصادى للزوج . . حتى اذا بدأ نظام الاسرة يختل ، فاذا بالنظام « الابوى يسترد قوته من جديد ويعود المجتمع السوفيتى من جديد خلال الثلاثينات والاربعينات الى تقليد النظام الابوى الغربى ، وبدأت تقوى دعاياته للنظـام التقليدى للاسرة الذى لا يختلف عن نظـام الاسرة فى البـلاد الغـربية أو المـانيا النازية . . ورغم شدة تعقد أسباب هذه العودة الى الاسرة التقليـدية بحجة الطبيعة البيولوجية للمرأة ، فان أسبابا اقتصادية وسياسية هى التى اضطرت الاتحاد السوفيتى الى هذا . وقد قال تروتسكى : انك لا تستطيع أن تلغى نظام الاسرة ، ولكن يمكنك استبدالها » . ولم تزد نسبة الاطفال الذين تتم رعايتهم خارج الاسرة عام ١٩٢٥ عن ٣٪ ونظرا لوقوع كل من عبء رعاية الاطفال وأعمال المنزل وأعباء الوظائف خارج المنزل على المرأة ، فان الاطفال أصبحوا بلا رعاية وزاد تهديد جناح الاحداث . ونظرا لضخامة الاعباء الاقتصادية التى تحملها الاتحاد السوفيتى فى سبيل التصنيع الثقيل والتسليح ، فقد أعلن « شفيلوف عام ١٩٣٦ انه نظرا لان الدولة لا تستطيع

القيام بمهام الاسرة فانها مضطرة الى الابقاء عليها » . وتلك فى رأى المؤلفة علامة من علامات النكسة .

ولا يفوت المؤلفة أن تناقش أهم المفكرين الذين اهتموا بسيكولوجية الجنس ، وهو « فرويد » وترى أنه رغم كونه يبدو كصاحب أكبر دعوة للتحرر الجنسي والتحرر من أنواع الكف الجنسى ، الا أنه يؤكد على مشاعر النقص لدى الاناث ورغبتهم فى امتلاك « عضو الذكورة » وطموحهن الى بلوغ مرتبة الرجل فى الانجازات العقلية والفنية والاستقلال . وهى تعيب عليه أن يقرر أن هذه الطبيعة العامة للنساء ، ولا يلتفت الى الظروف الاجتماعية والتربوية التى يفرضها المجتمع على المرأة مما ينتج عنه هذه الاعراض . وقد أشارت الى « كتاب جون ستيوارت ميل : خضوع النساء ١٨٦٩ * الذى يؤكد لعى ما تفعله ثقافة الذكور فى تشكيل عقلية النساء وسلوكهن .

بعد هذا تؤكد المؤلفة أن أى زيادة فى الحرية الجنسية للمرأة خلال الفترة من ١٩٣٠ حتى ١٩٦٥ ، انما ترجع الى صناعة أساليب منع الحمل أكثر مما ترجع الى التغير الاجتماعى . وأن سعة انتشار « حبوب منع الحمل » (وهى أكثر أساليب منع الحمل فائدة وأن تقع خارج نطاق الثورة المضادة . وأن هذه الحيلة المأمونة أنقذت المرأة الجديدة مما كانت تعانيه امرأة العشرينات ، بل وزادت من حرية المرأة التى كانت تتمتع بها امرأة الخمسينات .

تعريف الثورة الجنسية :

فى نهاية هذا العرض نستطيع أن نورد بايجاز تعريف المؤلفة للثورة الجنسية . التى بدأت غامضة وساذجة فى نهاية القرن التاسع عشر فى انجلترا وأمريكا (نظرا لان آثار الثورة الفرنسية وثقافة القرن الثامن عشر اختنقت فى انجلترا حتى أمكن لحظر الثورة أن يزول) . ومع أنها سارت ببطء وواكبت الثورة الصناعية وظهور الطبقة المتوسطة ، ورغم حدوث (ما أسمته المؤلفة) نكسة لهذه الثورة من ١٩٣٠ حتى ١٩٦٠ ، فانها تقرر أنها ظهرت من جديد حوالى عام ١٩٦٥ ، الا أنها ما زالت غير متبلورة ومتوهجة مما يجعل من الصعب على المؤرخ لها أن يبتعد عنها وينظر اليها نظرة موضوعية . ولما كانت المؤلفة تفترض أن تيار الثورة الذى بدأ فى نهاية القرن التاسع عشر يوشك أن ينهار قبل انبثاق روح ثورية جديدة .

* The Subjection of Women

لهذا فهى تسرع الى « تعريف » مفهوم الثورة الجنسية وغايتها ، ومزية هذا التعريف أنه يوضح لنا الروح الاساسية التى املت على المؤلفة أحكامها على مسار حركة المرأة فى العالم عامة وفى أمريكا وانجلترا بوجه خاص .

فالثورة الجنسية ينبغى أن تستهدف أول ما تستهدف انهاء كل أنواع الكف الجنسى والتحريمات الجنسية ، وخاصة تلك التى تهدف الى الزواج الذى يقوم على أساس من سيطرة الرجل ، كما ينبغى أن تهـدف الثورة الجنسية الى اباحة الجنسية المثلية وممارسة المراهقين للجنس قبل الزواج وبعده ، كذلك ينبغى الغاء المناخ السلبى الذى يحيط بالنشاط الجنسى بوجه عام ، والغاء وجود نوعين من المعايير ، معايير للزواج ومعـايير للبغاء ، ومحاولة الوصول الى معيار بسيط واحد للحرية الجنسية ، معيار لا تفسده الاسس الاقتصادية للارتباط الجنسى التقليدى . كما ينبغى أن تقضى الثورة الجنسية على النظام الابوى المتغلغل فى الاعماق ، وتضع له نهاية ، كما ينبغى الغاء ايديولوجية تفوق الذكر وكذلك الغاء التنشئة الاجتماعية داخل الاسرة التى يتم من خلالها دعم مركز الرجل ودوره ومزاجه .

تلك التنشئة الاجتماعية التى يتم من خلالها التأكيد على ربط الذكورة بسمات العنف والعقلانية ، وربط الانوثة بالسلبية المفرطة والرقة ومراعاة مشاعر الاخرين ، مع أن كلا النوعين من السمات يصلح لكلا الجنسين .

ولا تتم هذه الثورة الجنسية دون الغاء للملكية الابوية للاسرة ، والغاء الدور الجنسى التقليدى للمرأة ، واستغلالها اقتصاديا ، وانهاء حالة انكار حقها وحق الشباب فى التحرر من سيطرة الاسرة الابوية . لهـذا تقترح تقويض بناء الاسرة التقليدية عن طريق الرعاية المهنية المتخصصة للصغار ، بما يزيد من حرية المرأة ، وعن طريق استبدال نظام الزواج بنظام المشاركة أو المعايشة الارادية . وتعتقد أن اكتمال الثورة الجنسية من شأنه أن يوقف مشكلة زيادة السكان التى تبدو وكأنها معضلة تستعصى على الحل .

تعليق ونقد :

١ ـــ من الواضح أن المؤلفة لا تدعى أنها صاحبة الصياغة الوحيدة والنهائية لاهداف حركة تحرر المرأة فى العالم . على أن المتتبع لحركة تحرر المرأة فى الغرب يجد أنها تختلف عن حركة تحرر المرأة فى الشرق ـــ وخاصة الشرق العربى والاسلامى ـــ من حيث بداياتها ومساراتهـا وغاياتهـا . فحقوق المرأة الغربية التى حصلت عليها جاءت تحت ضغط الحـاجة اليها فى مواقع الانتاج وكوسيلة لاتقاء ثورتها ولكسب تعاونها . أما حقوق المرأة فى الشرق الاسلامى فقد قررها القرآن الكريم بمقتضى حقها الانســانى بما يخدم أهداف الانسانية التى تضم الرجال وشقائقهم من النساء . ومشكلة

الشرق فى وجدان الذكور والاناث فيما أعتقد ليست ثورة جنس على جنس بقدر سعى الجنسين الى اعادة الدور الخلاق للمرأة بعد أن عزلها عنه عوامل التدهور التى تقهقر بعدها المجتمع كله برجاله ونسائه . وهذا الدور الخلاق لا تنكره القيم الاساسية للمجتمع التى تؤكد على حق المرأة فى المعاملة الكريمة وفى الحصول على كل ما تستطيعه من تعلم واكتساب ، وفى اتخاذ القرارات الخاصة بحياتها الشخصية (فى اطار القيم العامة للمجتمع التى تسرى على كل من الرجال والنساء بنفس الطريقة) والمشاركة فى اتخاذ القرارات الخاصة بأسرتها وأمتها .

٢ ــ كون المرأة جنسا آخر لا يعنى بحال من الاحوال أنها « أدنى » ، ولا يحمل فى طياته صفات الضعف والجهل والمذلة . مما يجعل البعض يدعو النساء الى التشبه بالرجال حتى فى ضروب السلوك غير الاخلاقى التى ليست من خصائص كرام الرجال ، وان شاعت فى بعض الاماكن أو بعض الظروف والاولى هو ابراز الخصائص الايجابية للمرأة « كأنثى لها دورها الخلاق فى الحياة الانسانية ، وكانسان يستطيع أن يدفع الحياة الى مزيد من الثراء والخصوبة .

٣ ــ المعيار الاخلاقى الذى يحكم تصرفات الافراد كما تصوره التعاليم الاساسية (وان لم تكن هذه التعاليم مطبقة فى الواقع دائما) لا تتلون بتنوع الجنس ، فالزنا والسرقة والقتل أعمال محرمة على الرجل تماما كما هى محرمة على المرأة . وقتل الاولاد والرجال محرم تماما مثل قتل البنات والنساء . . والمنطق الذى يحكم هذا التصور هو منطق « الحق الانسانى » لا منطق « الهوى » الذى يجعل الاضعف يقلد ما يفعله القوى المنحرف ــ كما تدعو مؤلفة الكتاب ــ ولا منطق الهوى الذى يجعل الاقوى يفعل ما يحرمه على غيره من الضعفاء.وواضح أن منطق الحق هذا أقوى من منطق الهوى ، وأدعى لكبح جماح القوى الطاغية والى حماية الضعفاء العزل ، رجالا كانوا أم نساء . أما منطق اطلاق عنان الرغبة الجنسية دون قيد فهو لا محالة يؤدى الى مزيد من الظلم للضعفاء سواء بحكم الفقر أو الجنس أو السن (أى الصغار) . ولا يكفى هنا أن فعل الرغبة جاء برضاء الطرفين ــ ان كان ثمة رضا ــ اذ أن مدمنى المخدرات الخطرة وتجارها لا يكفى رضاهم لتركهم أحرارا فى هدم حياتهم وحياة الآخرين العقلية والاجتماعية ، باسم حرية الهوى أو الرغبة .

٤ ــ ووجود غاية انسانية اجتماعية عامة من ناحية ، وتحترم دوافع الانسان ورغباته من ناحية أخرى ، هى التى تساعد على تراكم تراث الانسانية وخبراتها عبر الاجيال . ومع هذا فان المؤلفة فضلت الطريق السهل ، طريق الدعوة الى هدم كل ما تتصور انه نظام اجتماعى يقيد من

تحرر السلوك الجنسى ، مثال ذلك دعوتها الى هدم نظام الاسرة ، ونظام التنشئة الاجتماعية للابناء والغاء القيود على جميع أنواع الانحراف الجنسى. ويبدو أنها لم تفهم دلالة ما ذكرته من تأصل نظام الاسرة والتنشئة الاجتماعية فى جميع الحضارات . ولم تستطع التمييز بين ما هو أساس فى البناء الاجتماعى وبين أنواع « سوء الاستخدام لما يتيحه هذا البناء من امكانيات التنشئة والتربية بطريقة تطلق طاقات الخلق أو تكبتها ، تظهر السمات الايجابية أو تطمسها .

٥ ــ تصوير العلاقة بين الرجل والمرأة فى الاسرة على انها نوع من الاستغلال والسيطرة السياسية والاقتصادية من جانب الرجل ، فيه تجاهل للدراسات الحديثة فى مجال سيكولوجية القوة الاجتماعية وبناءات القوة والمتغيرات التى ترتبط بها . (*) حيث يتم تعريف القوة الاجتماعية على أنها: القدرة الممكنة لاحد الاطراف على التأثير فى طرف آخر . وقد يكون هذان الطرفان شخصين أو جماعتين . وعلاقة القوة فى أساسها علاقة اجتماعية وليست شخصية ، حيث يتوقع من مصدر القوة أن يكون لديه خاصية يستطيع الآخرون الافادة منها أو تحويلها اجتماعيا لحسابهم . ولكى يمارس أحد الاشخاص (أ) القوة على شخص آخر (ب) لا بد أن تكون لديه « حاجة » يشعر أنه يستطيع ارضاءها أو بلوغها من مصادر أخرى ، وأن يدرك أن (أ) لديه مصادر يمكن أن تتاح له . وأى سيطرة من أعلى ب ، انما تعتمد على المكافأة المحتملة لـ «ب» عندما يرى أن « أ » لديه مصادر يحتاج اليها .

ورغم أن الشائع هو أن علاقة القوة تسير فى اتجاه واحد ، مثلا من أ الى ب ، الا أن ثمة أنواعا عديدة من العلاقات ، فقد يكون كل من أ و ب، مستقلين تماما ، كما قد تتساوى قوة كل منهما فى بعض مجالات السلوك ، بينما تكون قوة أ أكبر فى بعض المجالات بينما قوة ب اكبر فى مجالات أخرى . أى أن حجم القوة يختلف من مجال للسلوك الى مجال آخر ، كما قد يختلف من وقت لآخر فى نفس المجال من مجالات السلوك .

وبناء على ما سبق نرى أن تصور علاقة الرجل بالمرأة على أنها علاقة خضوع واتباعية مطلقة مهما كانت سيطرة الرجل على المرأة انما يمثل تصورا ساذجا ، ولا تقل عنه سذاجة محاولة التمرد على أى تبعية أو تعاون وتآزر من أى طرف للآخر ، حيث يكون مصدرا للامان أو لوظيفة « يحتاج اليها الطرف الآخر » . أى أن هذا التصور يبرز التفاعل الخلاق فى مصادر القوة والتأثير بين كل من الرجل والمرأة ، فى نطاق الاسرة وفى نطاق المجتمع

* Coartwrighet, D., Studies in Social Power, Institute of Social Research, Michigan Ann Arbore, 1959.

الكبير . كما أنه يؤكد أن زيادة نصيب المرأة من التعليم والمهارات ، وتدريبها على ممارسة دورها فى الاسرة وفى المجتمع الكبير من شأنه أن يزيد من مصادر قوتها فى البيت والمجتمع ، وهذا فى نفس الوقت يدعم مصادر قوة الرجل ويدفع البيت والمجتمع الى مزيد من التقدم .

٦ — تدل الدراسات السيكولوجية التجريبية التى أجريت للكشف عن الظروف المرتبطة بازدهار الصحة النفسية والقدرات العقلية العامة والقدرات الابداعية (*) على أن الاقامة فى « أسرة » طبيعية أو بديلة يساعد الطفل على تحقيق أكبر قدر من امكانياته ، التى تحجب نسبة كبيرة منها فى ظل الاقامة فى مؤسسات عامة مهما زودت به هذه المؤسسات من خبراء وأجهزة . مما يؤكد أن الدعوة الى هدم « الاسرة » باسم حرية الجنس ، وعدم الالتزام نحو الاسرة والابناء ، انما هى دعوة غير انسانية ، بل هى دعوة مريضة تعود الاستجابة اليها بأضرار محققة على الاجيال الصغيرة التى تحرم من حب الامومة والابوة ومن أنواع التدريب والضبط التى تساعد على تنمية مواهبها وقدراتها سواء فى ذلك الاطفال من الاناث والذكور .

٧ — أن شيوع المرض النفسى والاجتماعى لا يعنى بحال من الاحوال انه أمر « سوى » ، فشيوع البغاء والانحرافات الجنسية والجنسية المثلية، لا يعنى أنها سلوك سوى ، بل أن ضلالة الانحراف بلغت فى بعض المجتمعات الحديثة حد الانكار على علماء النفس أن يعلنوا اتسام المنحرفين جنسيا بأعراض الامراض النفسية ، اعتقادا منهم أن فى هذا اعتداء على حرية الافراد وتعريضا لهم .

ان المريض من حقه أن يعالج ، أما أن يدعو الى شيوع المرض سعيا لعدم التحرج من حالته فهذا أمر آخر .

٨ — ان قضية المرأة فى الشرق وفى الغرب تحتاج الى تنقية واعية ، بحيث يتم النهوض بنصف الجنس البشرى الذى ما زال يرسف تحت جهالة الامية وقلة التدريب وعدم الوعى — والمرأة فى الشرق صنو الرجل لكن ظروفها أشق وبالتالى تحتاج لمزيد من الجهد للنهوض بها . وهذه المهمة تحتاج الى جهود كل من لديه وعى من الذكور والاناث ، بدافع انسانى شامل ولصالح البشرية والحضارة ، وأملا فى أجيال أكثر سعادة وقدره على الخلق والتنمية ، وهذا الجهد الدائب المطلوب أولى من اعلان حرب الضغينة التى لا يمكن أن يدعو اليها مخلص لانسانية الانسان ذكرا كان أم أنثى .

(*) السيد / عبد الحليم محمود ، السياق النفسى الاجتماعى للابداع، رسالة دكتوراه ، ١٩٧٤ .

« الرجل المسير » *

عرض ونقد : الدكتورة نادية حليم سليمان **
تأليف ايثر فيلار

تدور مادة هذا الكتاب حول اتهام موجه من الكاتبة الى المرأة بعدم رغبتها الجدية فى التحرر والمساواة بالرجل . فلم يكن الرجل فى يوم من الايام ضدها ، ولكن المرأة هى التى حكمت على نفسها بأن تظل على هذه الحال بما ارتضته لنفسها من اعتماد كلى على الرجل وعدم المشاركة فى تحمل المسئولية مع عدم تنمية قدراتها الذهنية فى مجالات العلم والمعرفة ، مؤثرة التنعم بثمرات جهد الرجل مستغلة له الى حد العبودية .

وتتحدث الكاتبة باستفاضة عن الكيفية التى يستعبد بها النساء الرجال ويستغللنهم . ففى الوقت الذى يتمتع فيه الرجال بالقوة والذكاء والخيال والابداع يتمسك النساء بضعفهن وغبائهن وخمولهن ومع هذا ينجحن بأساليبهن فى أن يخضعن الرجال ويسيرنهم لقضاء مصالحهن . وفى نفس الوقت يقنعنهم بالسيادة والتفوق الذى يجعل الرجل مزهوا بتفوقه فيتجه الى المزيد من التحسينات والمزيد من الاختراعات التى تزيد من راحة المرأة وفى نفس الوقت تزيد من غبائها وتخلفها الذهنى كما يوسع الهوة الفكرية بينها وبين الرجل ويزيد من اغترابها عنه .

وبدلا من أن تتحدث الكاتبة عن حرية المرأة ، فانها تتعاطف بشدة مع الرجل مطالبة المرأة بالاستقلال وعدم الاعتماد على الرجل كطريق لتحريره . فعندما لا تطلب المعونة ولا تحتاج الى الحماية تقف على قدم المساواة مع الرجل فتعايشه معايشة الند للند لا عشرة الحاجة اليه والاعتماد عليه . وعليها — اذا أرادت أن تتساوى بالرجل — أن تتخلى عن اهتماماتها السطحية وتشارك الرجل عالمه واهتماماته الجدية مشاركة ايجابية .

تتوزع مادة هذا الكتاب على ثلاثة وعشرين فصلا تتناول الموضوعات التالية :

السعادة فى العبودية وما هيه كل من الرجل والمرأة ، ثم افق المرأة واطار تفكيرها وخصائصها والمحركات وراء سلوكها ، كذا تطبيع الرجل ، وتجرد المرأة من الشعور ، وقيمة الاطفال كمصدر لضمان استمرار انفاق الرجل على الاسرة ، ثم عيوب المرأة ورذائلها ، وقناع الانوثة ، والاهداف

---

* Esther Vilar, The Monipulated Man, U. S. A. Bantam Books, 1974

(**) خبيرة بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية .

التى تكمن وراء عملَ المراة ، وخَصائص المراة العاملة ، ثم اخَيراً الرجـلَ الأمريكى كأنجح رجل استطاعت المراة أن تسيره وتخضعه .

تستهل الكاتبة هذا الكتاب باتهام موجه الى المراة بعدم مقدرتها على التصرف ومعالجة الامور اذا ما واجهتها مشكلة أو موقف عصيب . اذ تقف المراة مكتوفة الايدى لتبحث عن الرجل الذى يسارع الى تقديم العون المطلوب قبل ان تطلبه حيث اعتاد هو تقويم مثل هذه الخدمات كما اعتادت هى أن تحصل من الرجل عليها . ولئن ساوره نوع من الاتهام للمراة بسوء التصرف وقلة الحيلة فان هذا لا يمنع من الشعور بسعادة غامرة لتقديم خدمة لامراة ، وهذا ما تسميه الكاتبة بسعادة العبودية .

فما الذى يدفع المراة اذن الى تعلم مهارة معينة اذا ما وجدت الجنس الآخر مستعدا بل وراغبا دائما فى تقديمها لها . فالنساء يدعن الرجال يعملون من أجلهن ويفكرون بدلا منهن ويتحملون المسئولية نيابة عنهن وهن فى الحقيقة مستغلات للرجال مستعبدات لهم معتمدات عليهم .

وفى نهاية الفصل تتساءل الكاتبة ــ كيف يمكن لخصائص الرجل من ذكاء وقوة وخيال خصب ، أن تكون مقومات للعبودية . بل وكيف تسنى للمراة ان تدير العالم بالصورة التى تجعل الرجل غير شاعر بالظلم ، بل على العكس هو يشعر بالسيادة والزهو والتفوق الذى يدفع الى مزيد من التقدم ، وكيف تفكر المراة وكيف ينظر اليها الرجل ــ تصـــوره لسلوكها ودوافعه ، وانتظاراتها هى من الرجل وتوقعات الرجل منها . وتحـــاول الكاتبة فى الفصول الثلاثة والعشرين التى يحتوى عليها الكتاب أن تناقش هذه الموضوعات .

فالفصل الثانى يتناول تعريف الرجل بأنه الانسان الذى يعمل بينما المراة هى الانسان الذى لا يعمل بل تترك لزوجها أمر رعايتها هى واطفالها .

وأية خصائص تراها المراة نافعة تدعوها خصائص رجولة وتلك الاخرى غير النافعة لها ولا للآخرين تدعوها خصائص أنوثة . واذا أراد الرجل أن يحقق نجاحا فى علاقة بالمراة فعلية ان يتصف بكل خصائص الرجولة .

وأيا كانت وظيفة الرجل فعليه أن يبذل من أجل عمله كل دقيقة من حياته كترس أو عجلة فى نظام كبير موضوع لكى يستغله بأقصى طاقة ممكنة وحتى آخر نسمة من حياته .

وهو ليس حرا أن يترك عمله الى عمل آخر قد لا يدر الدخل السابقَ وان كان يستهويه بدرجة أكبر . اذ هو مساقا بمن يعولهم ــ لا بد ان يسعى دائما لزيادة الدخل وتحسين المركز ولو لم يكن عمله متناسبا معه . فمن يعتاد

من الرجال أن يغير أسلوب حياته أو نوع مهنته يعتبر غير موثوق فيه ولا يمكن الاتكال عليه . واذا ما تكرر ذلك أصبح منبوذا من المجتمع . واستمرار الرجل فى الكفاح المرسوم غير المتغير هو الطريق الى الاحساس بالطمأنينة والسعادة التى يجدها دائما من وجهة نظر الكاتبة فى عدم الحرية .

وهى فى الفصل الثالث تلخص تعريفها للمرأة بأنها الانسان الذى لا يعمل . غير أن القدرات الذهنية لا اختلاف فيها بين الذكر والانثى عند الميلاد ، ولكن القدرة التى لا تنمى يحدث لها ضمور ، وهذا ما تفعله المرأة عندما لا تستخدم قدراتها العقلية . والسبب فى عدم الاستخدام هذا راجع الى أنها ليست فى حاجة اليها . اذ أن نمو هذه القدرات ليس عنصرا أساسيا للبقاء ، فبقدر من الجمال وبمستوى ضئيل من الذكاء تستطيع أن تجد مكانا لها فى المجتمع . واعتمادها على الرجل — الذى يقوم لها بكل العمل — هو السبب الرئيسى فى عدم نمو قدراتها الذهنية وحصرها عند حد الاهتمامات المنزلية . ويفترض الرجل أو يتصور أن مجهوداتها فى أداء وظائفها المنزلية تمنعها من عمل الاشياء التى يعتبرها هو أشياء تستحق الاهتمام ومرغوبا فيها . ولهذا يخترع من أجلها الآلات الميكانيكية التى تسهل لها اداء هذه الاعباء حتى يجعل حياتها أسهل ويسمح لها باستخدام وقتها فى تحصيل العلم والمعرفة ، ولكنها بدلا من ذلك تستغل هذا الوقت فى الاعتناء أكثر بنفسها ، مركزة اهتماما أكبر على مظهرها الخارجى .

ومع اتاحة فرص التعليم المشترك ودخول الجامعة ظن الرجل انها ستحرز التقدم المطلوب الذى يتيح لها أن تتمتع بحريتها وأن ينعم هو أيضا بحريته . ولكن ما أمعنت فيه المرأة هو زيادة الاهتمام بمظهرها الخارجى ، واستمرت مطالبها فى الحياة مادية وليست عقلية على الاطلاق . وهى اذا ما أقدمت على القراءة اكتفت بمجرد قراءة الكتب دون محاولة للابتكار او الخلق . وفى رأى الكاتبة أن المرأة قد أعطيت كل الفرص لكى تلقى بكل قيد يعوقها ، واذا لم تكن قد استطاعت أن تحرر نفسها فان هذا يقود الى نتيجة واحدة ، وهى انه لا توجد قيود أساسا لتلقى بها . وقد أدى طول الاعتماد على الرجل الى فقدان المرأة للطموح والرغبة فى المعرفة والحاجة الى تحقيق الارتقاء الذهنى وكل هذه الجوانب التى تبدو للرجل ذات قيمة .

وهى اذ تتحدث عن أفق المرأة فى الفصل الرابع تجعل هذا التفكير محصورا فى استغلال الوقت والمال من أجل زينتها وأدوات ماكياجها ، ومن اجل اعتمادها المادى هذا على رجل ، فبدون عاطفة معينة من حب أو كره ، فهى ترتبط بالرجل الذى يعمل من اجلها . فالسمة العامة فى كل النساء

هى تحقيق أقصى منفعة ممكنة من وراء الرجل . واذا ما تحررت النســاء من الاعتماد المــادى على الرجل فمن المحتمل أن يفضل غالبيتهن قضــاء حياتهن فى صحبة نساء أخريات أكثر من الرجال .

وتحت عنوان الجنس اللطيف فى الفصل الخامس من الكتاب تستنكر الكاتبة أن يندرج النساء تحت هذا الوصف فكونهن من وجهة نظــرها أقل ذكاء من الرجل حيث أنهن أوقفن نمو هذه القدرة فى سن مبكرة — يدحض هذا المفهوم . لان الشخص غير الذكى لا يمكن التفكير فيه على أنه جميل الا اذا كان الحكم مبنيا على المستوى العضوى البحت الذى يضع كلا من الانسان والحيوان على نفس المستوى .

ونظرا لاحتياج الرجل الى شىء يخضع له نفسه وفى نفس الوقت يبقى على احترامه لذاته ، فان هذا ما يقوده الى أن يقف جهده وماله لامرأة تبرر له أو تسوغ خضوعه هذا . ولكى يواجه قصور ذكائها يخلق لها مصطلح سرعة البديهة الانثوية . ولهذا ففى غياب أية مكونات أخرى واقعية فانه يراها جميلة .

ولمــا كان افضل ما تبغيه المرأة هو حياة بدون عمل أو مسئولية فانها تقلد الاطفال فى طلب المعونة والحاجة الى الحماية . وتنجح فى اســتثارة غريزة الحماية فى الرجل فيأخذ على عاتقه أمر رعايتها وحمايتها . ومع كبر سن المرأة تفقد كل هذه التصرفات مقدرتها فى التأثير على الرجل وان كانت تستطيع الاستمرار فيها مستمدة مقومات هذا الاستمرار من وجود الاطفال أو لصعوبة حصول الرجل باستمرار على امرأة أصغر .

ولمــا كا لا بد له من الاحتفاظ بزوجة على أية حال فانه يفضل الابقاء على من هى معه .

وعمل الرجل المستمر يحفظ للجسم صلاحياته لمدة أطول من المرأة التى تفقد هذه الخصائص فى وقت مبكر عن الرجل حيث أنها لا تعمل .

ولمــا كان الرجال على خلاف النساء — يعملون وأجسامهم تظل محتفظة بصلاحياتها للاستخدام مدة طويلة ، فانهم يحتفظون بجمالهم فترة أطول بينما يفقده النساء بسرعة .

والرجال ليسوا قلقين بشأن جمالهم — كما أنه ليس من الموضوعات التى يمكن أن يشير اليها أحد . بينما تطرى جمال المرأة الكثير من الكتابات. فما يمدح عند الرجل هو شجاعته وثباته واقدامه وكل الخصائص الناقصة لدى المرأة والتى لا علاقة لها بالمظهر الخارجى .

ولا تنظر المرأة الى الرجل الا على انه ماكينة للانتاج وهكذا يقيم الرجال انفسهم على أنهم العائلون ولا يعنيهم على الاطلاق أن يكونوا على درجة من الجمال . فما هو مستقر فى أذهان الرجال أن النساء هن اللاتى يجب أن يكن جميلات . وتركز الكاتبة كثيرا فى الفصل السادس على أن مصدر جمال الانسان هو قدرته على التفكير . وحيث أن الرجل فى رأيها مخلوق مفكر فان هذا يعنى انه متعطش الى المعرفة وخلاق وحساس ، وتعطشه الى المعرفة يدفع الى بروز صفة حب الاستطلاع . هذه الصفة التى ترتكز على دعائم مختلفة جذريا بين الرجل والمرأة فحب الاستطلاع عند المرأة بهدف تحقيق نفع شخص لها . بينما هو عند الرجل موضوعى بحت .

فلو فرض أن تولت احدى صالات العرض عرض ماكينة جديدة ، فقد يمر عليها رجل دون أن يلقى عليها نظرة ولكن رجالا كثيرين سيقفون ليتفحصوها بكثير من التدقيق للوقوف على مزاياها ونواحى التطور فيها عن تلك السابقة عليها . بينما المرأة اذا شد انتباهها هذا الحشد دفعها الفضول الى السؤال كى لا يفوتها رؤية شىء مثير ، ولكنها حين تعلم التفاصيل سريعا ما تولى وجهها شطرا آخر .

وحب الاستطلاع عند الرجل شامل وعام فليس هناك ما لا يثير اهتمامه سواء كان فى ميدان السياسة أو الطبيعة أو الكيمياء ، حتى الموضوعات التى لا يحتمل تعرضه لها كأن يهتم بالتعرف على مراحل تكون الجنين وحتى خروجه الى الحياة . وهو دائما يحاول تطوير ما نمى الى علمه لكى يخرج بشىء جديد ، فعلى يد الرجال خرجت كافة الاختراعات والتطورات الحادثة فى كافة ميادين المعرفة حتى ما يتعلق منها بالمرأة مثل تطور الازياء وتسريحات الشعر وآخر خطوط الماكياج .

واذا ما تزوج الرجل فى سن صغير ، وكون أسرة وقضى أغلب حياته يعمل فى وظيفة معينة فانه يعد مثالا للفضيلة وتحمل المسئولية . اما النمط الآخر من الرجال الذى يعيش فقط لنفسه ويعمل لنفسه ويتحول من عمل الى آخر لانه يستمتع به أكثر ، ولانه لا يعول الا نفسه فهو ينام حيث يريد وأين يريد ويلتقى بالمرأة عندما يريد وبصورة متساوية وليس كواحد من ملايين العبيد ــ هذا الرجل مرفوض من المجتمع . فالحرية شىء ممنوع على الرجل . وعليه أن يتجاهلها مسخرا نفسه لخدمة المرأة .

وفى الفصل السابع ترى الكاتبة أن النساء يطالبن بحريتهن ولكنهن عندما يحصلن عليها ينتابهن الشعور بالخوف والتردد من ترك أو تغيير ما اعتدن عليه وأصبح مألوفا لديهن . وهنا يظهر الفرق بين الرجل والمرأة . فالرجل حين يطالب بشىء فهو عند الحصول عليه يكون قد حسب كافة

الاحتمالات الممكنة وغير الممكنة ومستعدا لتقبل النتائج .

والفرق هنا راجع ــ من وجهة نظرها ــ الى ذكاء الرجل وغباء المرأة نتيجة لعدم استغلال المرأة لمقدرتها الذهنية . هذا المستوى من التفكير يجعل من الصعب فهمها اذ أن الذكاء يظهر فى التصرفات التى تبدو عاقلة ومنطقية ومن ثم تسمح بقياسها والتنبؤ بها وضبطها .

ويتناول الفصل الثامن عملية تطبيع الرجل على يد المرأة . فلقد تعود الرجل منذ بداية حياته أن يجد حوله امرأة وهذا هو الطبيعى حتى أن غيابها يعتبر شيئا غير طبيعى وتدربه المرأة على أن دوره فى الحياة هو أن يعمل وأن يضع ثمار عمله هذا تحت تصرفها وبناء على ذلك فتقويمه لذاته مبنى على تقدير المرأة لمدى منفعته .

وللعب أيضا أهميتها فى هذا التسيير المبكر . فللبنت العرائس وحجرات النوم والصالون وأطقم الشاى وأدوات المطبخ وللولد الميكانو والقاطرات الكهربائية والعربات والطائرات ولهذا تهيأ البنت وتعد للقيام بدور المرأة . بينما يعد الولد لكى يستخدم قدراته العقلية فى التوصل الى كل اختراع يسهم فى راحة المرأة . وهى تريد لمعارفه أن تنمو الى حد يفوق معارفها فى مجال العمل حيث انها لنتحتاج الى العمل وانما ستعتمد فيه على الرجل .

ولو كانت المرأة من وجهة نظر الكاتبة ــ لديها من احترام النفس القدر الكافى لما سلمت بهذا القدر من الجهل الذى هى عليه . ولكن قيمتها فى المجتمع ليست مرتبطة بذكائها فالرجل محتاج لها وهذا يكفى . وسواء كانت تتغابى أو هى الحقيقة فانها تختار لنفسها المستوى الفكرى الذى تريده ، وعلى كل المستويات الفكرية التى ترتضيها لنفسها فسيوليها الرجل عنايته ورعايته ولن يضج أو يستغنى عن صحبتها .

وفى كل الاعمال المرهقة فهى دائما تقنع الرجل بأنه أقدر على فعلها منها ؛ أما أعمالها المنزلية فهى لا تكف عن ذكر مدى أهميتها فى تحقيق سعادة الاسرة وراحتها وهذا ما يجعل الرجل يغبط حظه على وجود مثل هذه الزوجة المضحية التى تعطى من نفسها الكثير من أجل راحة بيتها واسعاد زوجها .

وبالفصل العاشر تعرض الكاتبة للمعانى التى تختفى وراء بعض العبارات التى تستخدمها النساء فى حضرة رجال يستمعن لهن . فعندما تقول المرأة ــ على سبيل المثال ــ ان على الرجل ان يحميها ، فان هذا يعنى أن عليه ان يجنبها كافة أنواع المضايقات . وعندما تقول أنها تحتاج الى رجل يشعرها بالامان ، فان ذلك يعنى أن عليه أن يجعل من الحصول على المال همه أو شغله الشاغل . وعندما تقول ان الشيء الوحيد الذى تريده

فى الحياة هو أن تجعل زوجها سعيدا ، فان هذا يعنى أنها ستفعل كل ما فى وسعها لكى لا يكتشف الرجل مدى استغلالها له .

وتحت عنوان المراة مجردة من الشعور فى الفصل الحادى عشر تتناول الكاتبة اثنين من أسوأ الاساليب التى تستخدمها المراة فى اخضاع الرجل . وهما ما يسمى « بقواعد الذوق فى سلوك الرجل نحو المراة » وقمع أو كبت انفعالاته .

ولكى ينجح الرجل فى علاقته بالمراة فلا بد من توافر عدة مكونات : قسط من الذكاء والطموح والاعتداد ، كما أن عليه أن يعرف كيف يتصرف فى وجود امراة . وكقاعدة أساسية فعليه أن يعامل المراة كملكة وعليها أن تهيىء له الفرص باستمرار كى يعاملها كذلك .

ولكى يقوم الرجل بدور حمايتها فعليه أن يجنبها وأطفالها كل المخاطر ولو كلفه ذلك حياته .

ولكى تظل المشاعر العميقة من شيم النساء فهى تعود الرجل من صغره كبح جماح مشاعره وعدم التعبير عنها بالبكاء بدعوى أن هذا تصرف لا يليق الا بالفتيات .

ولو لم تكن المراة مجردة من الشعور لما ارتضت أن يتحمل الرجل عنها اية مسئولية ولما استمرت فى تغذية اعتقاد الرجل عنها بأنها أقل اتزانا واقل عقلا منه واكثر انفعالا .

وغالبا ما تكون انفعالات الرجل ابتزان شديد ولهذا فهو عندما يرى شدة الانفعال من جانب الانثى ازاء موقف معين فانه لا يفطن الى انها هى التى علمته عدم التعبير عن انفعالاته فى ظروف أو مواقف مماثلة . وما يعتقده بحق هو انها اكثر حساسية منه بحكم تكوينها ولهذا فانفعالاتها كبيرة ازاء احداث صغيرة . وكم سيندهش الرجل عندما يتحقق من مدى البرود والافكار السطحية التى تدور فى رأس المراة فى نفس الوقت الذى تكون فيه عيناها ممتلئتين بالدموع .

وتتناول الفصول الثلاثة التالية الربط بين رغبة الرجل فى اشباع غريزته الجنسية وكيف أن هذا هو سبب عبوديته الطوعية للمراة وقبوله أن يستغل على يديها فى مقابل ذلك .

وترى الكاتبة فى الفصل الخامس عشر أن ما يظل مستقرا فى ذهن الرجل من العقائد الدينية التى تعلمها فى الصغر ، عدة انماط سلوكية قليلة

مثل حب الحقيقة والعمل الجاد والسعادة فى الالتزام والإحساس بالمسئولية (وهذا ما تسميه السعادة فى عدم الحرية) .

وتستفيد المراة كثيرا من هذه الانماط السلوكية وتستغلها لصالحها . فالصراحة مطلوبة كى لا يخون الزوج . والعمل الجاد مفيد فى تحقيق رخيله اكبر والسعادة فى العبودية تضمن استغلالها للرجل . ولكنها فى هذا الاستغلال لا تحطم الرجل دفعة واحدة ، اذ تستغله اطول فترة ممكنة ولمدى الحياة ، فمن يقدم على قتل أوزة تضع كل يوم بيضة ذهبية .

وفى الفصل السادس عشر تتناول محاولات الرجل المستمرة لاشباع رغبات المراة وتلبية احتياجاتها ولهذا فهو يكتشف لها كل ما يساعد على تحقيق هذه الرغبات ومواجهة تلك الاحتياجات . وكانت نتيجة ذلك ان ازداد اعتماد المراة على عقل الرجل ، فازداد هو ذكاء ، وازدادت قدراتها الذهنية تخلفا ، مما خلق هوة فكرية بين الجنسين . فالاختراعات الحديثة ووسائل المعيشة المريحة لم تترك لذهن المراة سوى جزء صغير من التفكير .

ولكن الرجل — ولكى يكسب المراة كمستهلك لبضائعه فهو يتملقها معطيا لها تصورا مختلفا من اساسه ، يصفها فيه بسرعة البديهة والمقدرة الخلاقة والخيال الخصب والمشاعر العميقة . وهذا فى راى الكاتبة وضع له خطورته . فاذا ما برز وضع المراة المتخلف ليساهم المجتمع بكل مؤسساته فى ايجاد علاج له ، انبرى المدافعون لتسفيه هذا الرأى بدعوى الدفاع عن المراة .

ويتناول الفصل السابع عشر اهمية وجود الابناء . فبرغم ما لهم من معزة ، فليس هذا سبب انجابهم . ومن الخطأ الاعتقاد ان المراة فقط هى التى تسعى لانجاب الاطفال . فالرجل أيضا يريد ذلك اذ يستفيد منهم كل من الرجل والمراة لخدمة اهدافه . فالمراة لكى تجد فيهم مبررا لكسلها وغبائها وعدم تحملها للمسئولية وضمان استغلالها للرجل مدى الحياة وهم بالنسبة للرجل احد الاسباب التى تبرر استغلال المراة واستعبادها له .

وفى الفصلين الثامن عشر والتاسع عشر تتحدث الكاتبة عن عيوب المراة ورذائلها وهى ترجع الوضع الفكرى المتخلف للمراة الى اسلوب تربيتها . فهى منذ الطفولة يوجه ذهنها الى الزواج وانجاب الاطفال على انه رغبة وأمنية ويستمر هذا الاحساس قائما فى كل مراحل حياتها ويشكل هذا الاتجاه نوع الاطار الفكرى ومجالات المعرفة التى يقبل عليها النساء والرجال . فمن الكتب ما يتجه نحو السياسة والعلم والفلسفة والاقتصاد ومنها ما يتناول

موضوعات الموضة والماكياج والطهى والجريمة والحب والزواج ، وغالبا ما يهتم الرجل بالطائفة الاولى وتهتم المراة بالمجموعة الثانية . وكل منهم مقتنع بأهمية ما يقرأ وعلى غير استعداد للتخلى عن هذا الاتجاه . ونتيجة ذلك أن أصبح لكل منهم طريق منفصل ، ولكل أفقه فى التفكير دون محاولة بناء أو خلق دعائم اتصال فكرى بينهم او خلق خلفية ثقافية واحدة تقيم تصوراتهم وسلوكهم فى ضوئها .

والفروق بين الذكور والاناث هى فروق مصنوعة . فالرجل كذلك لانه ينمى ذكائه ، ومن خلال هذه التنمية يتغير انتاجه . والمراة تصبح كذلك عن طريق تخلفها التدريجى وبالتغيير المتعمد فى شكلها الخارجى .

فالمراة تخلق انوثتها باستخدام اقنعة من المساحيق وتسريحات الشعر والملابس . وعن طريق استخدام هذه الاشياء توجد الفارق الكبير بينها وبين الرجل ، ويخدم هذا الوضع هدفين أن تكون مرغوبة من الرجل وأن تكون غامضة بالنسبة له . والمراة دائما تلهث وراء كل جديد فى عالم الازياء وفن التجميل وتسريحات الشعر وكلما زاد دخل الزوج تعقدت الادوات التى تستخدمها والقواعد التى تلتزم بها والوقت اللازم لاستيفائها . ومن الاقوال السائدة والمعروفة أن الجمال أو الوسامة ليست مطلوبة فى الرجل ، ومعنى ذلك أن مجالات المفاضلة بين نماذج الرجال المختلفة امام المراة مبنية على الدخل ومستوى المعيشة الذى يستطيع الرجل تقديمه للمراة اما الفئة الصغيرة من الرجال الذين يستخدمون عددا من هذه الاقنعة فانما يفعلون ذلك من أجل كسب العيش مثل الرسامين والشعراء والموسيقيين والممثلين .

اما الفصل العشرون فهو عن كيفية استغلال المراة لظروف العمل او التعليم . حيث تشير فيه إلى العدد الكبير من النساء الذى اصبح اليوم يأخذ مكانه فى عالم الاعمال بالاضافة الى الاعداد الكبيرة من الفتيات الدارسات فى الجامعة . مما يعطى انطباعا عن حدوث تغيير جوهرى على طبيعة المراة فى العشرين سنة الاخيرة ويبدو كما لو كانت اقل ظلما من جيلها السابق وأنها قررت أن تتوقف عن استغلال الرجل لكى تصبح رفيقة له وشريكة فى العمل وتحمل المسئولية .

وترى الكاتبة أن هذا انطباع مخادع . اذ أن شغل المراة الشاغل هو البحث عن الزوج اينما كان . وهى تجد فى مجالات العمل أو الدراسة الفرص المتاحة لاختيار الزوج الذى تتوافر فيه كل ما ترغبه من الخصائص والصفات التى تتطلبها فى الزوج . فالمكاتب والمصانع والكليات ليست بالنسبة لها سوى سوق الزواج السحرى . والاستمرار فى العمل يكون فقط حتى

الزواج او على الاكثر حتى حدوث حمل . واذا ما خرجت الفتاة من الجامعة وفى يدها خاتم الزواج فقد حصلت على شهادتها بينما يبدأ الرجل حياته الشاقة عندما ينتهى من دراسته .

والمرأة اذا ما تزوجت رجلا مشهورا أو فى مركز مرموق ، حاولت اقناعه انها ضحت بمستقبلها العلمى فى سبيله مفضلة اياه عليه . ولا يأتى الى ذهن الزوج لنها فضلت أن تكون زوجة رجل مشهور تستولى على دخله وتتمتع بمركزه دون أن تتحمل العمل أو المسئولية . ولهذا يحاول الرجل بذل أقصى الجهد لكى يعوضها عن تضحياتها . وترى الكاتبة أن من تكمل تعليمها من النساء — وكقاعدة — فانها غالبا ما تكون أقل جاذبية وفاشلة فى الحصول على الزوج المناسب ، وحصولها على درجات علمية يمكن أن يرفع قيمتها لدى الرجال .

ويبدو أن الكاتبة لم تستطيع اغفال تلك الفئة من النساء اللاتى يعملن وهن فى غنى عن استغلال هذا العمل للحصول على الزوج أو لدمامتهن . ولهذا فهى فى الفصل الحادى والعشرين تسمى هذه الفئة من العاملات بالمرأة المتحررة . وهى تلك التى لديها الجمال والدخل الكافى والاطفال والمنزل المريح . فهى ليست مرتبطة بالعمل كضرورة لعدم وجود من ينفق عليها ولكن الكاتبة تعود فتحدد الدافع على العمل لديها بأنه للتسلية أو للترفيه . اما دخلها فهو ينفق بجملته على مظهرها وادوات زينتها .

وتضع لنا الكاتبة اربعة نماذج أخرى من النساء العاملات . فهى اما أن تكون متزوجة من شخص فاشل لا يستطيع مواجهة متطلباتها ، أو أن تكون عقيما فلا يجد الزوج مبررا لاستمرار الانفاق عليها ، أو أن تكون قبيحة المنظر ، او يكون لديها اهتمام بنوع معين من العمل .

والمرأة العاملة تحت اى سبب من هذه الاسباب الاربعة ليست امرأة متحررة . اذ هى مستعبدة للعمل شأنها شأن الرجل الذى يعمل وهو مكبل بمسئوليات الاسرة .

أما بالنسبة للنموذج الاول من النساء العاملات وهو ما تصفه بالتحرر فالمرأة فى هذه المجموعة تختار الاعمال التى لا تتطلب تحملا للمسئولية أو بذلا لجهود . وعندما لا تأخذ فرصتها فى العمل كالرجل فهى لا تسعى الى البحث عن الاسباب بل تسرع بالمناداة بحقوق المرأة والمساواة بالرجل . ولا تفطن الى انها هى وحدها السبب وليس الرجل فى عدم المساواة هذه . فافتقادها للاهتمام ، وعدم الصدق ، والاقنعة التى تستخدمها لتغير تماما مظهرها الخارجى وتدعو الى السخرية منها وعدد مرات حملها اللامتناهية واستغلالها

للرجل ، كل هذا يعتبر كافيا لتبرير الوضع الذى وصلت اليه . هذا بالاضافة الى متاعب ازواج هذه الفئة من النساء حيث يظل دائما فى حالة شعور بالخوف من أن تلحق به الزوجة أو تعلو عليه وظيفيا . كما يشعر بالغيرة من أولئك الرجال الغرباء الذين يلتقى بهم الزوجة فى عملها ، بل ويصبح مجرد وجوده أو كيانه كما لو كان غير ذى اهمية أو ان الزوجة ليست فى حاجة اليه ، وهو السبب الوحيد الذى يبرر له سعادته فى العبودية للمراة .

وفى الفصل الثانى والعشرين تتحدث عن الرجل الامريكى على أساس انه لا يوجد فى مكان آخر رجل مسير تماما كالرجل الامريكى .

ومن أجل تقديره الشديد للعمل فهو يعتبره امتيازا أو حقا للرجل ولهذا يشكر للمراة ترك هذا المجال له آسفا من أجلها ومقدر مدى تضحيتها وتنازلها من العمل .

ومن بين نساء العالم فالمرأة الامريكية تتمتع بحياة مريحة للغـاية ولهذا ففرص خروجها للعمل كبيرة ، ومع ذلك فنسبة النساء المتزوجات العاملات فى أمريكا أقل من أى مجتمع صناعى آخر .

وفى امريكا أعلى معدل طلاق ، وفرصة نمو الابناء فى وجود الاب والام اقل منها فى اية دولة أخرى ومع ذلك فان معدل المواليد من أعلى المعدلات فى العالم اذ الاطفال مصدر لدخل الام ، حيث يدفع الاباء أعلى نفقة ممكنة ، ولما كان عدم الدفع يعرض للعقاب بالسجن فانه يدفع صاغرا .

وفى رأى الكاتبة أن سر فشل حركات التحرير النسائية حتى الآن يرجع الى الاتهامات التى تسوقها المرأة ضد الرجل والى صورة المرأة فى ذهن الرجل ايضا . فالعدو الذى تحاربه المرأة — وهو الرجل — هو فى الحقيقة صديق ، وما العدو الحقيقى للمرأة الا المرأة نفسها بسلوكها وتصرفاتها وهذا ما لم يزل حتى الآن دون البحث . فقصة عدم مساواة المرأة بالرجل هى من وجهة نظر الكاتبة — قصة مختلقة . اذ لم يحدث أن حارب الرجل ضد المرأة ، وما من مطلب طالبت به الا وحصلت عليه .

وهى تختم هذا الكتاب بتسليمها بأن تسيير المرأة للرجل وصل الى الحد الذى لم يعد الرجل يستطيع معه أن يعيش بدون المرأة . ولهذا فهو مستعد أن يفعل أى شىء يطلب منه . والمرأة ايضا اصبحت عاجزة عن الحياة بدون الرجل . فكل منهما محتاج الى الآخر وان كان الاختلاف فى نوع هذا الاحتياج . فهى تستغل الرجل ماديا ، وهو لكى يضفى معنى على حياته . ونظرا لاستفادة المرأة من هذا الموقف فهى لن تسعى الى تغييره . وسيستمر

الرجل فى بذل الجهد من أجلها . محققا الكثير من التقدم والنمو الذى يزيد من اغترابه الفكرى عن المرأة . وبقــدر ما يمدها بوسائل الراحة بقــدر ما سيزداد خمولها وتخلف قدراتها .

وبرغم ما اتسم به الكتاب من القسوة واللوم على المرأة الا انه فى الحقيقة دعوة الى تحريرها ولكن بأسلوب من الهجوم العنيف يشعر معه القارىء ــ خاصة اذا كان من النساء ــ أن للكاتبة موقفا عدائيا من المرأة. بل ولقد يؤدى فى النهاية الى تكوين اتجاه رافض للكتاب وما احتوى عليه على أساس أن هذه الآراء المتطرفة تفقد الحديث الموضوعى طابعه بل وتفقد القارىء الرغبة فى الاستفادة مما احتوى عليه الكتاب من وجهات نظر أو على الاقل وضعها محلا للمناقشة فهى تشفق على الرجل مما تسميه العبودية للمرأة ، وهى فى نفس الوقت تلوم المرأة الى حد التحقير من كل أدوارها ، ومن أسلوب حياتها ، وافق تفكيرها متهمة اياها بالضعف والغبــاء وعدم المقدرة على الخلق والابتكار . ولكن ليس لمكونات فطرية فيها ــ فهى تتساوى فى كل الملكات مع الرجل عند الميلاد ، ولكنها بعــدم تنميتها لهــذه الملكات والقدرات فانما توقفها عند مستوى معين موجهة اياها الوجهة التى تساعد بل وتخلق وضع المرأة الحالى .

لقد حاولت بلا شك أن تثير المرأة لكى تتخلى عن كل المعطلات التى تعوق وقوفها الى جوار الرجل على مستوى واحد . ولكنها فى سبيل ذلك حطت من شأن المرأة وأنزلتهــا الى الحضيض مستهينة بفكرها وأســلوب حياتها وقسوتها فى التعامل مع الرجل فهى مستغلة أنانية لا عواطف لها ، اذا ارتبطت بالرجل فلكى تستغله ، واذا مدحت قوته وذكائه فلكى تحضه على مزيد من الاختراعات النى تهيىء لها حيــاة أسهل ، واذا أقدمت على العمل انتقت ما لا يتطلب جهدا ولا يستلزم تحملا للمسئولية ، مسخرة كل دخلها من أجل زينتها ، فلا هى ساهمت مع الزوج فى مواجهة متطلبــات الاسرة ولا هى نجحت فى ادارة بيتها وتربية أبنائها ، متخذة من العمل مجالا خصبا لاختيار زوج أو وسيلة للتسلية والترفيه .

وفى هذا مغالطة كبيرة ، فأين هو ذلك الطراز من النساء العاملات لاجل التسلية والترفيه كما تصفهن ، واللاتى يصرفن كل دخلهن على الزينة والمكياج والجرى وراء كل جديد فى عالم الموضة ، ان ما تقع عليه أعيننا ــ فى مجتمعنا على الاقل ــ هو تلك المرأة العاملة من أجل تحقيق دخل اضافى

للاسرة تسهم بنفس القدر مع دخل الزوج فى مواجهة متطلبات الاسرة ورفاهيتها . والصورة العامة لهذه المراة العاملة تتسم بالجدية والبساطة فى الزينة والملبس ، واذا ما توافر هذا الشكل الآخر من العاملات وبالتأكيد هو موجود ـــ فهو قلة ضئيلة لا يصح اطلاقها كتعميم .

واذ تتجه المراة الى العمل فليس الدافع كله هو البحث عن زوج تستغله لتغطية احتياجاتها المادية ـــ كما تذكر الكاتبة ـــ ولكى تخلد هى الى زينتها الخارجية وراحتها الجسدية معطلة بيدها كفاءاتها العقلية . ومع عدم اغفال أهمية الدافع الاقتصادى وراء العمل فالمراة تجد فيه استكمالا لشخصيتها وكيانها . ففيه احساس بالذات والوجود والقدرة على العطاء والمساهمة الايجابية فى كل اهتمامات الحياة . وهى اذ تعمل ، ففى العمل تعميق لخبراتها واثراء لمعارفها ونضج لانفعالاتها واستغلال لملكاتها العقلية التى لم تستطع الكاتبة أن تشك فى وجودها بصورة مساوية للرجل . ومع كل تقدم تحرزه المراة فى مجال العمل احساس بالكفاءة والمساواة مع الرجل، فتقتنعه صديقة على مستوى فكرى واحد وعقل مفكر يشاركه الراى ويتحمل معه المسئولية .

لقد كان من الممكن أن تتبع الكاتبة أسلوبا آخر لا يحمل بين جنباته هذا القدر من التحقير لادوار المراة التى تضطلع بها ، فلا تقل عظمة واهمية أدوارها داخل الاسرة عن مساهماتها الايجابية ـــ والتى يجب بالفعل أن تقوم بها ـــ خارج نطاق الاسرة والا لو تخيلنا مجتمعا تمردت فيه المراة على كل أدوارها داخل الاسرة ، فامتنعت عن الانجاب ورعاية الابناء وتهيئة جو مناسب لحياة مستقرة ، واتجهت بكليتها الى اثبات كيانها ووجودها فى المجتمع الكبير ، فربما نبذت الرجال وتفوقت عليهم ولكن ما لا جدال فيه أن حياة الاسرة وصرحها لا شك منهدم وسيعود هذا بالضرورة على الرجل ، فلا نحن بذلك احتفظنا بما هو قائم ولا نحن أحرزنا تقدما .

وقد كان يمكن أيضا لهذه الكاتبة ـــ دون أن تنال من المراة ـــ أن تدعوها لكسب أرض جديدة فى مضمار الحياة مع الرجل ، وان تستغل قدراتها الذهنية استغلالا أطول مدى فتشارك الرجل كل تقدم علمى وكل اهتمام جدى .

لقد كان المنتظر من أمثال هذه الكتب التى تتناول هذه الموضوعات أن تطالب الرجل بمزيد من التعاون مع المراة داخل المنزل فى تربية الابناء ورعايتهم وفى المساهمة فى انجاز الاعمال المنزلية ، وفى خارج المنزل بفتح

أبواب العلم والعمل على مصراعيها للمراة حتى يمكنها احراز التقدم والنجاح خاصة وهى فى مرحلة مبتدئة من الـكفاح العلمى والعملى . فمـا دامت القدرات العقلية متساوية مع الرجل فلابد أن يتحقق لها النمو اذا ما توافر لها المناخ المناسب .

ولكن هذا لا ينسينا فى النهاية أن نقول كلمة حق . فالكتاب بكل ما له وما عليه قد اشتمل على وصف دقيق الى حد كبير — وفى أجزاء كثيرة منه — للسلوك الفعلى من الرجل والمرأة . وهو فى النهاية يمكن اعتباره دعوة الى تحرير المرأة .

الأنثى الخصى

تأليف جرمين جرير

عرض وتحليل علا مصطفى أنور *

المؤلفة والكتاب :

ولدت جرمين جرير باستراليا حيث تلقت تعليمها ثم حصلت على درجة الدكتوراة من جامعة كمبردج ببريطانيا . وتعمل حاليا مدرسة للغة الانجليزية بجامعة Warwick البريطانية وفى نفس الوقت تكتب بانتظام فى عدد من المجلات .

وهذه هى الطبعة الثانية للكتاب الذى صدر عام ١٩٧٠ ثم أعيد طبعه عام ١٩٧١ (ست مرات) ثم عام ١٩٧٢ (٤ مرات) .

وقد أثار الكتاب عند نشره مناقشات واسعة كثيرة منها هجومى فى عدد من المجلات يهمنا أن نعرض لبعض منها :

تساءلت كريستين موريسون Christine Morison عن الهدف من الكتاب ففى رأيها أن المناقشات الفكرية التى تعرضت لها المؤلفة معروفة من قبل كما أن التصريحات الشخصية فيه ليست جديدة أو مثيرة وبالتالى فهو غير ذى نفع سواء للمرأة الساعية الى التحرر أو المرأة السلبية المستكينة .

بينما يرى فوب أدامز Phoebe Adams أن الكاتبة تبحث — من واقع الخبرة الانجليزية كافة مسببات تعاسة المرأة وتقدمها بذكاء مقترحة اصلاحات اجتماعية . بعض هذه الاصلاحات سوف يكون ذا فعالية اذا حدثت مبادرات لتجربتها لانها تبدأ فى تواضع وتعتمد على مساهمة جماعات النساء أكثر من اعتمادها على تغيير فى القوانين .

وتقول مجلة Choice ان الكتاب فيه تفكير واثارة الا أنه يخاطب الجمهور أكثر من المثقفين المهتمين بمشاكل الهوية أو الذاتية Identity

---

* باحث مساعد بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية .

* Germaine, Greer, The Female Ewnuch, Second Edition, Poladin, London, 1971 .

1 - In : Library Journal 96 : 1381 . A Pril 15 1941.

2 - In : Atlantic 227 : 114, May 1971.

3 - In : Choice : 583,'

وتتعرض كلير تومالين Claire Tomalin للكتاب فتقول ان جرير تأخذ موقفا قويا مهاجما وجدليا داعيا الى الثورة أكثر من الاصلاح ومصنفا للنساء اما كأخوات فى الثورة أو كطفيليات وعلى الرغم من ذكائها فان مهارتها تبدو فى اصطياد الثغرات فى النظـــام الاجتمـــاعى الحالى عن اقتراح خطوات عملية للمستقبل .

وترى آن ويزورن Ann withorn أن فهم جرير لطبيعة الضغوط على المرأة لا يؤدى بها الى اقتراح حلول بديلة جذرية كفيلة بتغير الموقف ، فغضبها ينصب فى الواقع على النساء أنفسهن لاستسلامهن للادوار المعروضة عليهن. ان الناقدة ترى أنجرير تتعاطف أساسا مع الرجال لدرجة أنها توحد نفسها معهم ناظرة الى بقية النساء باعتبارهن مختلفات عنها وترثى لهن .

وتقول سالى كمبتون Sally Kempton ان كتاب جرير هو تجميع لوقائع وتخمينات وهجوم على آراء آخرين وكلها أشياء معروفة لنا من قبل ان مهارتها تكمن فى الحرية والسهولة التى تعرض بها أفكارها مفصحة عن نفسها من خلال حديثها عن النساء . ان مناقشتها للموضوع فى رأى الناقدة ينبىء عن نفاذ صبر تجاه طبقتها المضطهدة من جانب من لم يضطهد أبدا .

العرض التحليلى للكتاب :

يقع الكتاب فى ٣٥٤ صفحة من القطع الصغير ويتكون من مقدمة ـ هى تلخيص مختصر للكتاب ـ وخمسة فصول . الاول عن الجسم والثانى عن الروح والثالث عن الحب والرابع عن الكراهية والخامس والاخير عن الثورة ويتخلل الكتاب آراء كثير من المفـــكرين والادباء والــــكتاب مثل شكسبير وشوبنهور ومل وغيرهم ناقشت المؤلفة آراء بعضهم خلال الكتابة وعرضت لآراء البعض الاخر داخل اطار دون تعليق كذلك تعرضت لكثير من الخطابات التى ترسلها النساء لطلب المشورة الى المجلات النسائية .

وقد أهدت المؤلفة الكتاب الى خمس سيدات ذكرت اسماءهن الاولى فقط يمثلون فى رأيها نماذج مختلفة من النساء أصحاب الارادة .

1 - Claire Tomalin, woman and Superwoman New Statesman 80 : 530, O, 23. 1970
2 - In : Harvard Educational Review 41 : 408, Ag, 1971
3 - In : The New York Times Book Review, P. 4 AP 52' 1971 .

المقدمة :

تعرض الكاتبة فى هذا الجزء لوضع المراة فى المجتمع مبينة انها مازالت تشغل حيزا ضيقا من النشاط الاجتماعى فعدد النساء العاملات بالسياسة والوظائف العلمية والفنية Professionals ما زال محدودا للغاية وتحذر جرير من عدم جدوى انتظار المراة لحدوث التغيير من الخارج بواسطة الآخرين فالتغيير فى رأيها لا بد أن تبدأه المراة مركزة على تغيير نفسها ثم تعلن عن حريتها عن طريق ايجاد وسيلة للتعبير عن تمردها على وضعها ، وسيلة تكون خاصة بها وتعكس تحررها وأصالتها .

وترى المؤلفة ان الهدف الذى يريد الكتاب تحقيقه هو أن تكتشف المراة ان لها ارادة بواسطتها تستطيع أن تعبر عما تريد وكيفية تحقيقه . وتأمل جرير أن يكون كتابها هذا ذا تأثير انقلابى مشعلا للحماس فى مختلف أركان المجتمع . ولكنها تتوقع المعارضة من جانب السياسيين المحافظين والمصلحين الاخلاقيين والاجتماعيين والفرويديين والماديين والتروتسكيين (نسبة الى تروتسكى) وغيرهم بسبب الاقتراحات المختلفة التى تنادى بها مثل رفض المراة للزواج والانسحاب من القوة العاملة .

وتعترف المؤلفة انها تثير اسئلة اكثر من اقتراح أجوبة لها الا أنها تضع الاسئلة بشكل اكثر ملاءمة للهدف .

وتحتوى المقدمة على ملخص موجز للكتاب .

الفصل الاول : جسم المراة

ان الهدف من مناقشة الجسم فى المقام الاول هو معرفة هل هو سبب تخلف المراة أم على العكس مصدر لامكانياتها وقدراتها على التطور . فتقول جرير : اننا نعرفَ أنفسنا ولكننا لا نعرفَ ما نستطيع أن نكونه مستقبلا أو ما كنا نستطيع أن نكونه فى الماضى (١) .

فى عرض جرير لخلايا جسم الانسان تبين أن الاختلاف ثانوى بين الذكر والانثى من تلك الجهة (فى الانثى تكتمل عملية التزاوج بين الصبغيات تماما بينما فى الذكر يتحد ثلاثة وعشرون زوجا من الصبغيات ويبقى زوج منها دون اتحاد يطلق عليه الصبغية س والصبغية ص) . والصبغية ص تكون أحيانا مصدرا لبعض أنواع من الضعف عند الذكر . وعموما فان المراة تكوينيا اقوى من الرجل كما انها أطول منه عمرا .

---

(١) مقدمة الكتاب ص ١٤.

بالنسبة للهيكل العظمى عند المراة فرغم أنه أصغر واقل حجما من هيكل الرجل الا أن هذا لا يعنى نقصا فى نمو المراة وانما يعبر عن احدى المزايا وهى التفوق فى المرونة والتكيف elasticity & adaptability

ان جرير ترى بالنسبة لخطوط الجسم Curves أن كل جسم انسانى له وزنه وانحناءاته التى تحددها الصحة والكفاءة وتعترض على معاملتنا لجسم المرأة باعتباره موضوعا جماليـــا مما يحـــد من امكانياته فى التطور .

بالنسبة للشعر الذى ينظر اليه فى العادة على أنه خاصية أساسية تميز بين الجنسين فان جرير ترى أنه لا يوجد فرق يذكر بين الشعر عنـــد الرجل والمرأة بدليل أن الرجل فى الوقت الحاضر يطيل شعر رأسه ولا يختلف فى ذلك عن المرأة . وكل ما فى الامر أن هناك رجالا مشعرين (اى أن الشعر فى جسمهم غزير) وآخرين غير مشعرين كما أن هناك اناثا مشعرات واناثا غير مشعرات وتتدخل السلالة التى ينتمى اليها الفرد فى تحديد كمية الشعر النابت فى جسمه .

بالنسبة لموضوع الجنس فان جرير ترى أن دور المرأة فيه قد شوه ونظر اليه دائما على أنه دور سلبى مع أن هذا خطأ فى رأيها .

وفى الجزء الاخير من الجسم تعرض جرير كيف تؤثر وظيفـــة المرأة التناسلية والآلام الشهرية على جسم المرأة ولكن هذا لا يجعل المرأة عاجزة أو غير طبيعية .

الفصل الثانى : الروح

بعد عرض جرير لجسم المرأة تتعرض لروحها لتبين الامكانيات التى تملكها المرأة فى هذا المجال .

تتحدث جرير فى البداية عن وجود نمط ثابت يسيطر على الحضـــارة المعاصرة وتسعى اليه المرأة وهو المرأة الجميلة وعلى حين اهتم فنانو اليونان والرومان بجمال الذكر والانثى على السواء ركز فنانو النهضـــة ومن جاء بعدهم على ابراز جمال المرأة وفتنتها . وفى عصرنا الحالى ينتظر دائما من المرأة أن تبدو فى أجمل صورة وأغلى وأحدث الثياب بالغة العناية بجمالها الا أن المؤلفة لا تعتبرها امرأة وانما دمية وترفض هذه الصورة للمرأة التى تجعلها اشبه بالمثلة المجردة من ذاتيتها وتنادى بذاتيتها كامرأة .

تنتقل جرير بعد ذلك لتتحدثعن الطاقة فتعرفهـــا بأنهـــا القوة التى توجه كل كائن بشرى وتلاحظ أن المرأة تبعثر جهدها لكى تكون منظمة ومطيعة

بدلا من تركيز اهتمامها على الموضوع الذى تدرسه وهذه الظاهرة فى رأيها شائعة بين النساء الدارسات فى الكليات الادبية واللائى يصبحن مدرسات بعد ذلك وينقلن بالتالى هذا السلوك ان التعليم فى رايها لا يمكن أن يكون ولم يكن أبدا موضوع طاعة لذلك ليس من الغريب أن نجد ان المراة لا تحرز تقدما علميا وانما تعمل فى اغلب الاحيان تحت توجيــــه من جانب الاخرين فبدلا من أن توجه المراة نشاطها وطاقاتها نحو العالم الخارجى تمارسه على نفسها فتنتهى الى تدمير نفسها والسبب فى ذلك هو حرمانهـــا من الرؤية والاحتكاك بالعالم الخارجى .

ولكى تفسر هذا السلوك تتتبع المؤلفة الضغوط التى تتعرض المراة لها منذ طفولتها . فمنذ الطفولة المبكرة يفرق بين الاطفال الذكور والاناث فى المعاملة فبينما ينفصل الطفل الذكر عن أمه مبكرا ويشجع على ذلك تظــل الانثى مرتبطة على اساس احتياجهـــا الى وقت أطول فى التربية ومعنى ذلك هو بقاؤها تحت رقابة وفى كبت وبينما ينطلق الصبى مع اقرانه فى الخارج تظل الفتاة حبيسة المنزل تتعلم الاعمال المنزلية وتستمع الى قصص مخيفة عن الغرباء ذوى التفكير المنحرف .

فتشب على الخوف والتوجس من العالم الخارجى مما يجعلها تعجز عن التصرف السليم فى حالة تعرضها لتهديد فعلى . وترى جرير أن نتيجة هذه الطريقة فى التربية أن ينفصل الجانب الحسى عن الفكرى عند الفتاة بصورة تفوق بكثير ما يحدث عند الفتى فاذا ما سيطر الجانب الحسى فان الفتـــاة تتجه الى العمل اليدوى ، الطبخ والتفصيل . . الخ ولكنها لا تصل فيه الى مرحلة متقدمة فأغلب المصممين المعروفين والطباخين المشهورين من الرجال واذا اتجهت الى الفكر فانها تظل معرضة للكبت والانفعال والعجز .

وتقابل الضغوط الاسرية بالمقاومة من جانب الفتاة فقد ترفض أن تحافظ على نظافة غرفتها وقد تنضم الى جماعة من الفتيان . . الخ الا أن هـــذه المقاومة تنتهى عند سن البلوغ حين يفرض على الفتاة كبت عواطفها وغرائزها وتظهر ضرورة أن تتخذ الفتاة دور المراة المجردة من خصائصها كأنثى وينتظر منها فى هذه المرحلة أن تظهر سلبية أنثوية عن طريق عملية الـــكبت التى تمارسها على نفسها ومن هنا فان سن البلوغ بالذات يعتبر نقطـــة تحول هامة فى حياة المراة .

وتنتقل جرير لتبين فشل علم النفس والتحليل النفسى فى مساعدة المراة ذلك لانهما عاجزان عن فهم المراة انهما يطلبان منها أن تبحث عن سبب تعاستها فى نفسها ولا يدركان أن سبب هذه التعاسة ليس عجزها عن النمو

الى حالة الانوثة womanhood وانما ينبع من كفاحها ضد ما يمنعها من الحياة والعمل بواسطة قوتها الذاتية ان جرير ترفض نظريات فرويد كلية لانها نابعة من وجهة نظر متسلطة هى وجهة نظر الرجل وقد اعترف فرويد نفسه بعجزه عن فهم المرأة ونظر اليهـــا باعتبارها رجلا ناقصا ويحللها على هذا الاساس ويرى انها لا تصل الى الصحة النفسية المرجوة الا عن طريق انجاب الاطفال .

تنتقل جرير بعد ذلك لتناقش قضية هامة وهى القـــدرات عند المرأة. وتعرض لنتائج توصلت اليها الباحثة Eleonor Maccoby فى كتابها The Development of Sex Differences. London. 1967 مبينة ان الاناث يبدأن الكلام قبل الذكور وان القدرة اللفظيـــة لديهن أسرع من مثيلها عند الذكور الا ان الذكور افضل فى المواقف التى تحتاج الى جرأة (مثل الحديث والمناقشة فى الفصل) كما تتفوق الفتيات فى النحو والصرف .

ولا يوجد فارق ذو دلالة بين الاناث والذكور فى العد والتفكير الرياضى والتفكير المجرد والادراك المكانى والقدرات اليدوية والميكانيكية والعلميـــة والسرعة الادراكية الحسية . بالنسبة لاختبارات الذكاء وقد وجد أن هناك ١١ اختبـــار لا فارق فيهم بين الاناث والذكور ، كما وجد أن هناك ثلاثة اختبارات فى صالح الاناث وثلاثة فى صالح الذكور ، وتؤكد المؤلفة على أن فشل المرأة فى انتاج أعمال فنية ذات مستوى عال يرجع الى الظروف التى تجد نفسها فيها ، فاذا نجحت فى الهرب منها أو رفضها فانهـــا تعبر عن نشاط ابداعى ولن تصل الى ذلك — فى رأى جرير — الا بالتمرد الفـــكرى المفتوح .

وترفض المؤلفة النظر الى المرأة باعتبارها بدون ذاتيـــة غير منطقية وتنظر الى الامور نظرة غير موضوعية . انها ترى أن هذه عيوب وجدت فى المرأة بسبب ظروفها ولكنها تطمع فى التخلص منها فهى ترى أن المسئولية تقع على المرأة لكى تطور قوتها الاصلية ان قوة المرأة تعنى قدرتها على تقرير مصيرها وهذا يعنى التخلى عن كل ما يتعلق بالمجتمع الابوى لا بد فى رأى جرير — أن تتاح للمرأة الفرصة لوضع أخلاقيات لا تجردها من امتيـــازها وعلم نفس لا يسلمها الى حالة عجز معنوى وقد يتهيأ للمرأة فى البداية وهى تبحث عن طريقها فى الظلام بدون ارشاد أنها تستعيض عن طريقة فى التعذيب بطريقة اخرى ولكن يكفى أن تقرر أنها قامت باختيار محدد وهذا يعتبر المطلب الاول للفعل الاخلاقى وقد لا تصل أبدا الى الهدف النهائى ولكنه يبقى دائما باعتباره معتقدها وتجد فيه أملها .

تنتقل المؤلفة بعد ذلك لتعرض لوضع المرأة فى بريطانيا بالنسبة لقوة

العمل مبينة اللامساواة التى تتعرض لها . فعلى الرغم من أن قوة العمل من النساء فى بريطانيا تبلغ ٣٩٪ فان المراة تتلقى نصف اجر الرجل واحيانا اقل من النصف كما أن ٢٪ فقط من جملة النساء العاملات (٩ ملايين أنثى) يعملن بالوظائف الادارية و ٥٪ فقط بالوظائف العلمية والفنية ، وينظر الى المراة فى قوة العمل على انها قوة عاملة مؤقتة مطيعة ولكن لا يعتمد عليها لان الاعتقاد السائد هو أن الاسرة تمثل اهتمامها الرئيسى (نصف الاناث العاملات متزوجات) كما أنها منعدمة الطموح . وتبين جرير سوء حال المراة فى الوظائف المختلفة فان العاملات بالوظائف العلمية والفنيـــة يتخلين عن مراكزهن بعد الزواج بسبب ضخامة الضرائب المفروضة عليهن من ناحية وبسبب المصاريف التى تصاحب خروجهن من المنزل مثل الاستعانة بمساعدة منزلية ومصاريف سيارة وملابس . . . من جهة أخرى .

وفى مهنة السكرتارية توجد المراة فى خدمة الرجل وتأخذ مرتب ضئيلا للغاية بالنسبة لمـــا يجنيه مخدومها وتتأمل المؤلفة ماذا يحدث لو فكرت جميع القائمات بأعمال السكرتارية فى الاضراب .

وفى مهنة السكرتارية توجد المراة فى خدمة الرجل وتأخذ مرتبا ضئيلا صعبة تعانيها دون أن تجرؤ على التمرد لئـــلا تتهم بالقسوة نحو المرضى . ثم تذكر ابلغ مثال على استغلال المراة وهو استخدام النساء العاملات من منازلهن فهؤلاء السيدات يقمن بالعمل المطلوب بأرخص الاسعار دون اى تكلفة او المطالبة بأى حقوق .

حتى الطبيبات والمهندسات والباحثات العلميات فان من النادر الثقة بهن واعطاؤهن مراكز قيادية . وتعطى مثالا بنفسها فهى تعمل كمدرسة فى جامعة اقليمية ولو كانت ذكرا لكانت أعطيت زمالة فى جامعة رئيسية مثل جامعة كمبردج ولكن على الرغم من كل هذا فقد وصلت المراة الى بعض المراكز القيادية وتعرض المؤلفة لاسماء عدد من العاملات فى ادارة الشركات والبنوك وفى تصميم الازياء ومخرجات ومؤلفات . . مبينة أن السبب فى ذلك النجاح هو أن الهدف الذى تضعه المراة نفسها ليس مجرد المساواة مع الرجل ولكن التفوق عليه .

الفصل الثالث : الحب

فى هذا الفصل تتعرض المؤلفة للحب واشكاله المنحرفة ثم وضع المراة بالنسبة للزواج والاسرة .

ترى جرير انه منذ بداية الحياة فان الحب البشرى هو وظيفة للنرجسية

(حب الذات) فالطفل يدرك نفسه والعالم الخارجى كشىء واحد ولذا يحب كل شىء ان الطفل يقبل الواقع لانه بدون ذاتية ego وحتى عندما تبدأ الذاتية فى التكوين فانه لا بد أن يبدأ فى فهم نفسه فى ضوء علاقته بالاخرين وفهم الآخرين فى ضوء ذاته . ويقال لذلك أن آدم أحب حواء لانها جزء من نفسه وتشبهه أكثر من اى كائن آخر فى الخليقة . ان هذا النوع من النرجسية قبل دائما كأساس للحب الا فى العلاقة بين الذكر والانثى فالرجل لديه اشياء مشتركة مع الرجال الاخرين من أجناس وعقائد مختلفة أكثر مما هو مشترك بينه وبين النساء من نفس محيطه بينما المرأة تركز شعورها نحو الرجل — وتعجز عن محبة بنات جنسها لان الحب عندها يوجه نحو البحث عن الضمان الذى لا تجده فى النساء مثلها اللائى يعرفن بضعفهن وعدم صلاحيتهن . أى ان للرجل طريقة فى الحب مختلفة عن طريقة المرأة .

ثم تعرض جرير لثلاثة اشكال للحب هى انكار الذات altruism الانانية egotism والتسلط Obsession فأما انكار الذات فيقال عن حب الام وهو غريزى ونبيل وانثوى وكل الامهات أحسوا به الا أن المؤلفة تراه نوع من الابتزاز باسم التضحية ففكرة تضحيــة والدينا تملأنا بالقلق والاحساس بالذنب وليس بالعرفان بالجميل فنحن نريد سعادتهما ولكنهما يشعران بالتعاسة والحرمان ، وكل ذلك بسببنا . وبينما يظل الاطفال الذكور منفصلين فان الاناث يبدأن فى ممارسة التضحية الذاتية مبكرا — ويستغل هذا فى جذب الفتيات الى مهنة كالتمريض وهى من أصعب المهن وأقلها دخلا بدعوى أنها تعطى احساس بالسعادة لتخفيف آلام الاخرين ومجزية بسبب الاحساس بفعل الخير . وفى العلاقة بين الذكر والانثى تشعر المرأة دائما أنها تضحى بذاتها فى سبيل الرجل ولكن المؤلفة تعتبر انكار الذات هنــا سخفا . فالنساء يضحين لانهن لا يستطعن أن يقــدمن أى شىء آخر غير هذه التضحية : انهن يضحين بالشىء الذى لم يكن لديهن ابدا وهو الذات . ان انكار الذات عند المرأة هو أحد مظاهر اللا اصالة فى سلوكها .

أما عن شكل الحب فى الانانية egotism فهو عبارة عن افتراض اتحاد يوجد بين شخصين وليس حبا موجها من شخص الى آخر ان غيرة الرجل على امرأته نوع من الانانية تختلف عن غيرة المرأة فالرجل ينظر الى المرأة باعتبارها امتدادا لذاتيته وتعانى الزوجة من غيرة الرجل وتتحملها بسبب خوفها من فكرة أن يهجرها وبسبب حاجتها الى الضمان والحماية ويشعر الرجل بالغيرة بسبب حبه لذاته بينما المرأة تغار بسبب افتقارها لحب الذات وأحد مظاهر هذا الحب الانانى هو رغبة الجنسين فى أن يفتخر بشريكه ان الرجل حريص على التباهى بفتاته أو زوجته أمام أصدقائه بينما المرأة

أقل حرصا لانها مستعدة لاهمال معارفها واصدقائها واتخاذ معارف زوجها أصدقاء لها . ان المؤلفة ترفض هذا النوع من الحب الذى يجعل الزوجين شديدى الارتباط لا يستغنى أحدهما عن الاخر هى ترى انه اذا كان انكار الذات وهما فليس معنى ذلك أن السلوك فى الحب هو سلوك انانى اساسا ذلك أن حب الذات (النرجسية) الذى هو فى رايها أساس الحب ليس من فعل الذات ولكن من وظيفة الشخصية ككل .

ثم تعرض جرير للصورة الثالثة من الحب وهو التسلط ، وهو أحد المظاهر المنحرفة للحب وفيه يحاول كل من الرجل والمراة التسلط على الاخر الرجل بشكل عدوانى أحيانا والمراة بطرق أخرى وتطلب جرير من المراة أن ترفض هذا النوع من الحب الذى لا يمت فى رأيها الى الحب بصلة ذلك ان الحب ليس تملكا أو جنونا أو نشوة وانما هو فعل مدرك **Cognitive act**

وتنتقل جرير لتبين تفكير المراة نحو الحب ان المراة لا تزال تعيش فى عصر الرومانسية وما زالت صورة المحب هى صورة الرجل ذى الاساليب المسيطرة المتفوق على محبوبته فى صفة من الصفات فقد يكون أكبر سنا او اعلى مركزا أو أكثر ذكاء ان المراة لا تزال تحلم بأبطال القصص والروايات الذين ليس لهم وجود فى الواقع .

بالنسبة لموضوع الزواج تتعرض المؤلفة للزواج تاريخيا فى انجلترا منذ القرون الوسطى وفى ظل الكاثوليكية ثم البروتستانتية ثم تنتقل لتعرض للزواج فى الادب وتتوسع فى عرض رأى شكسبير الذى تحدث عن الزواج كطريقة فى الحياة وسبيل الى الخلاص وعن الحب باعتباره اجتماعيا وليس رومانتيكيا اى انه لا يبحث عن العزلة بعيدا عن المجتمع والاسرة والسلطة أما عن صورة الزواج حاليا فهى تظهر فى كثير من الكتب والافلام والمسرحيات حيث كل أسرة سعيدة وكل زوجة أنيقة وكل زوج ناجح وهى صورة فى رأى المؤلفة خرافية زائفة تغرق النـــاس فى الاوهام الكاذبة .

ثم تعرض المؤلفة للاسرة وتكوينها منذ قديم الزمن ثم أشكالها الممتدة والنووية وتشيد بالاسرة الممتدة التى مازالت موجودة فى بعض مناطق من العالم كاليونان وايطاليا واسبانيا ففيها تقسيم العمل بين الاناث وفيها يشعر الطفل بأن هناك من يعطيه وقتا للاجابة على الاسئلة وتعليمه مهارات جديدة وفيها تضيق الفجوة بين الاجيال لان كل الاعمار متمثلة فى الاسرة ثم تتعرض لنشأة الاسرة النووية نتيجة التصنيع والتحضر وتقارن بينها وبين الاسرة الممتــدة مبينة كيف ان الاسرة الجديدة منغلقة على نفسها منعزلة عن العالم الخارجى يضغط فيها الاهل على الصغار وتبين تعاسة المراة فى هذه الاسرة منعزلة عن العالم محصورة الأفق فى المنزل والسوق والتليفزيون وترفض جرير شكل

هذه الاسرة والزواج أيضا باعتباره قيدا على حركة الزوجين وتقترح بديلا فى الاسرة الممتدة فى بلد مثل ايطاليا فتقيم مجموعة من الامهات مع أطفالهن وللاباء أن يحضروا ويذهبوا كما يشاءون ويعيش الاطفال غير مرتبطين بأم معينة ولا يحتاجون حتى الى معرفة أمهم الحقيقية وتكون لديهم فرصة الكشف وتعلم مهارات مختلفة ويتميز هذا النظام فى رأيها بأنه غير معرض للتصدع لانه لا يقوم على أكتاف شخصين يحاولان فرض طبائع وعادات متضادة على الابناء فالاولاد فى الاسرة المقترحة ليسوا امتدادا لابويهم ، ولكنهم ينتمون أساسا الى أنفسهم ولديهم الفرصة لكى يبدأوا أنشطتهم الخاصة ويحددوا شكل ومدى التعليم الذى يريدونه أنها ترى أن ثورة الشباب فى أوربا ترجع الى التوجيه الذى يتلقاه الابناء من جانب الاسرة والمجتمع مما يؤدى به الى التشتت انها ترى أننا اذا كنا نريد استرداد سعادتنا وبهجتنا فى الحياة فيجب علينا أن نستمع لما يقوله الابناء بطريقتهم ولا نفرض عليهم صورتنا المشوهة .

ثم تتحدث جرير عن الضمان وفى رأيها انه لا وجود له لانه انكار للحياة وتبحث المرأة عن الضمان فى الاسرة الا أن جرير تتساءل كيف يتيح الزواج الضمان للمرأة ، أن الزوجة معرضة دائما للحرمان من زوجها اما عن طريق الطلاق أو الموت ولا شك أن الام لطفلين التى هجرها زوجها تشعر بلا ضمان أكثر ممن لم تتزوج أبدا أن على المرأة أن تبحث عن نوع آخر من الضمان غير الذى تعطيه الاسرة وهو الضمان الشخصى الذى يتيح لها أن تنظر الى اللاضمان باعتباره حرية . وهى تتهم الزوجات بأنهن محدودات الطموح لا يقدرن على المجازفة . ان الوحدة فى رأيها ليست بأقسى من المعيشة المشتركة مع شخص انعدمت امكانية الاتصال به .

الفصل الرابع : الكراهية :

ترى جرير أن السبب فى الكراهية المتبادلة بين الجنسين يرجع الى وجود النمط الثابت للانثى فالى أن تتخلص المرأة من هذه الصورة وتنتزعها من تفكيرها وتفكير الرجل فانها سوف تستمر فى تزييف حقيقتها أما اذا استمرت المرأة فى الخجل من جسمها وطلب الجمال فوق الانسانى فانها سوف تستمر فى الشعور بالاشمئزاز ليس نحو الرجل فحسب وانما نحو نفسها .

وتنتقل جرير لتصور تعاسة المرأة متمثلة فى الزوجة المهجورة أو زوجة شخص سكير أو التى يتركها زوجها وحيدة فى المنزل فى أغلب الاحيان وتظهر تعاسة المرأة فى شكل تذمر مستمر وسمنة زائدة وشيخوخة مبكرة كلها علامات منتشرة فى المجتمع لدرجة أنها لا تثير الملاحظة أن رتابه وملا له حياة

الزوجة بين جدران المنزل وعملها المستمر فيه والمسئوليات الملقاة على عاتقها وقلقها المستمر على مدى كفاءتها فى تربية أطفالها بالاضافة الى تفكيرها فى وسائل تنظيم نسلها وخوفها من فشل الوسيلة المستخدمة أن كل هذا يجعل الزوجة تلجأ الى ادمان الاسبرين والكودابين وكافة اصناف المهدئات والمنبهات كما تنتشر بينهن أعراض لامراض وهمية وتؤكد جرير تبعا لاحصاءات طبية أن عدد النساء اللاتى يقدمن على الانتحار يفوق عدد الرجال كذلك عدد النساء الموجودات بمستشفيات الامراض العقلية كما ترتفع نسبة الاطفال المصابين نتيجة اعتداء الاهل عليهم . وكما تعيش الزوجة فى تعاسة فكذلك المرأة التى لم تتزوج فهى لا تفلت من ضغط المجتمع عليها للزواج باعتباره مقياس نجاح الانثى فى الحياة بالاضافة الى قيامها برعاية وخدمة والديها المسنين وهى ظاهرة لا يقدم عليها الرجل أبدا ومن رأى جرير أن أفضل خدمة تستطيع المرأة أن تؤديها للمجتمع هو أن تحرص على سعادتها وذلك عن طريق التمرد والتخلى عن المسئولية .

ان جرير ترى أن المرأة تعبر عن استيائها فى مواقف معينة أمام الناس وفى الاسرة فالمعركة موجودة دائما بين الجنسين وتكون نتيجة الصراع بين الزوجين هى تمضية الزوج لاغلب أوقاته خارج المنزل بينما تنفس الزوجة عن غضبها فى اساءة معاملة أطفالها وترى جرير أن البديل لهذا السلوك هو أن تبحث المرأة لنفسها عن استقلالها .

وفى عرض جرير لتمرد المرأة تذكر الحركات النسائية المعاصرة فى الولايات المتحدة وهى اما حركات تعبر عن الطبقة المتوسطة وتنادى بالمساواة فى الفرص وأن الحل الوحيد لمشكلة الزوجة هو النظر خارج دائرة المنزل المغلقة التى تعيش فيها ، وتعيب جرير على هذه الحركات انكارها لدور المرأة كأنثى والرغبة فى تشبيهها بالرجال وتضييع وقتها وجهدها فى البحث عن أعمال ليس من المعتاد اسنادها للنساء واما حركات تمثل المرأة الاشتراكية التى تعتبر كفاح المرأة جزءا من الكفاح الطبقى وأن وضع المرأة الآن هو نتيجة للرأسمالية البورجوازية وتعتبر جرير هذه المحاولات ساذجة فالمرأة لم تعطى تأكيدا بأنها ستتحرر اذا تحررت الطبقة العاملة بدليل أن المرأة فى الصين والاتحاد السوفيتى لم يطرأ تغير يذكر على دورها . وترى المؤلفة أن أغلب الحركات النسائية الموجودة أما منافسة للرجل أو تمثل تحديا له أو هجوما عليه وكلما طالبت المرأة الرجل بحريتها وأجبرته على ذلك كلما زادت المسافة بين الجنسين وكلما زادت تبعيتها .

الفصل الخامس : الثورة :

تبين المؤلفة فى هذا الفصل كيف تستطيع المرأة أن تصل الى تحسين وضعها وتحقيق استقلالها . أنها ترفض العنف كعلامة على الثورة وتتهم النساء بحب العنف والبحث عنه والاعجاب بالرجل العنيف وترفض موقف المرأة التى تصل الى مراكز قيادية ثم لا تناصر بنات جنسها (تعطى مثالا ببربارة كاسل فى حكومة ويلسون السابقة) وموقف المرأة التى تصبح ربة عمل ولا ترحب بعمل النساء معها . انها تقترح على المرأة لكى تحسن وضعها أن ترفض الزواج وتناقش جرير الاسباب التى تدفع المرأة الى الزواج : فاذا كان من أجل الحب فانه فى رأيها يوجد خارج نطاق الزواج . واذا كان للضمان فهو وهم لا وجود له واذا كانت تتزوج لتستريح من العمل فالمفروض هو العكس ، البحث عن فرص أكثر للعمل واذا كان الزواج من أجل الاطفال فقد ثبت أن الاسرة العادية ليست افضل مؤسسة لتربية الاطفال كما أن العالم لا يحتاج الى مزيد منهم . وأهم عامل فى تحرير المرأة المتزوجة هو فهمها لظروفها ثم معرفتها لمن هم أعداؤها الاطباء والاخصائيون النفسيون والاجتماعيون ومستشارو الزواج ورجال الدين والزائرون الصحيون .. ، ثم تحليلها لعاداتها ومشاعرها نحو أطفالها ومعاناتها . . . الخ .

ولا بد للمرأة أن ترفض دورها كمستهلك وحيد فى مجتمع الرأسمالى فمن الممكن أن تكون النساء جمعية تعاونية منزلية ليخففن عن بعضهن الاعباء المنزلية ويستغنون عن شراء اللعب المرتفعة الثمن عن طريق تعويد أطفالهن المشاركة فى الالعاب واللعب . كما تدعوا الى تخفيض شراء الملابس عن طريق المشاركة مع أسر أخرى فى تبادل ملابس الاطفال وتخفيض شراء أدوات الزينة وشراء أرخصها سعرا .

وتبين المؤلفة أن الطريقة الرئيسية فى تحرير المرأة هى احلال مبدأ المتعة محل مبدأ الالزام . فمن الممكن أن يؤخذ الطبخ واللبس والمحافظة على الجمال وادارة المنزل بطريقة غير جدية بدلا من النظر اليها كأنشطة قسرية هى ترى أن الروتين متفش فى انجلترا ولا بد لربة المنزل أن تخرج عليه وتفعل ما تشعر أنها تريد أن تفعله أنها تقول أن الخوف من الحرية قوى فى نفوسنا ولكن متى رفضت المرأة قبول الاستقطاب بين رجل وامرأة فلا بد أن تقبل وجود عنصر المجازفة واحتمال الخطأ ، فبالتجربة تستطيع المرأة أن تجد طريق تطورها لان ثورة المرأة أساسا موقفية ومن غير الممكن للمرأة أن تنتظر انهيار الراسمالية لكى تتحرر لان تحرر المرأة ذاته وقضاءها على الاسرة الابوية سوف يقضى على الدولة الديكتاتورية .

أن المرأة فى رأيها تمثل أكثر الطبقات المغلوبة على أمرها ذات الأجـر المنخفض فالنساء يمثلن البروليتاريا الوحيدة الحقيقية فى المجتمع . ولكن الرجل قام بخطأ واحد هو ادخال المرأة الى السياسة والوظائف العمليـة والفنية وتستطيع المرأة أن تنسحب من القوة العاملة لترى تأثير ذلك .

وترى جرير أن المرأة لا بد لها من أن تتعلم من تجارب اخوتها وتناضل للحفاظ على تعـاونهن . وقد حان الوقت لكى تتحـدث المرأة لان كثيرا من اخوتها النساء على استعداد للسماع أن أفضل طريقة لنجاح المرأة هى أن تجد بهجة وسعادة فى الكفاح فهذه البهجة تعنى الثقة فى الذات كمـا تعنى التعاون والاتصال مع الآخرين . والثورة المطلوبة تذهب الى أبعد من الدعوة الى المساواة فى الاجر بالنسبة لنفس العمل أنها تريد ثورة فى كافة ظروف العمل نفسها . وفى رأيها ان أول اكتشاف للمرأة على درب الحرية هو أن الرجـال أنفسـهم ليسـوا أحرارا فاذا ما تحررت المرأة فسـوف يتحرر مضطهدوها .

تعليق :

لقد كشفت جرمين جرير بجرأة وصراحة فى كتابها عن معاناة المرأة الغربية كنتيجة للوضع الذى توجد فيه . وهى ترمى المسئولية أساسا على المرأة نفسها وليس على الرجل أو المجتمع وتطالبها بالثورة على وضـعها عن طريق تغيير نفسها كنقطة البداية ثم رفض الانماط والاوضاع التى تجـد نفسها فيها . الا أن المؤلفة تقترح بدائل عجيبة بعض الشىء مثل العلاقة غير الشرعية والمجتمع المثالى على شكل أسر ممتدة مكونة من أمهات وأطفال فقط وانسحاب النساء من قوة العمل الا أن هذا لا يقلل من قيمة الكتـاب وما جاء فيه من آراء وتحليلات .

رسائل جامعية :

تنشئة الأطفال لدى المرأة العاملة وغير العاملة

دراسة مقارنة (*)

انعام سيد عبد الجواد (**)

اولا — اهمية الدراسة والهدف منها :

اصبح خروج المراة الى ميدان العمل ظاهرة اجتماعية على الباحثين ان يدرسوها ويحللوا ابعادها وآثارها على المجتمع ، وما يتضمنه من نظم اجتماعية بما فى ذلك النظام الاسرى ، وفى هذا تشير الاحصاءات العالمية الى ان عمالة المراة تتزايد يوما بعد يوم ، فعلى المستوى العالمى تعمل ٢٧ مراة من كل مائة مراة ، كما تمثل النساء ثلث القوى العاملة فى العالم . واما على المستوى المحلى وهو موضع اهتمام هذه الدراسة فتوضح الاحصاءات أن عدد الاناث العاملات المصريات فى عام ١٩٦١ اللائى تتراوح اعمارهن بين ١٢ و ٦٤٠ عاما بلغ ما يقرب من ٤١٩ الفا تزايدت فى ١٩٧١ حتى بلغت ٥٧٣ الفا بزيادة قدرها ١٥٫٤ الف عاملة سنويا .

وبهذا يتبين ان عدد النساء العاملات قد ازداد بشكل ملحوظ مما يؤدى الى توقع زيادة عدد النساء العاملات على المدى الطويل ويشير فى نفس الوقت الى أن المراة فى المجتمع المصرى اصبحت عنصرا أساسيا فى قوة العمل وفى الانتاج .

على أن هذا التطور الخاص بخروج المراة الى ميادين العمل قد يصاحبه نوع من عدم التوازن فى بعض أدوارها وقد يتضح هذا مثلا فى عدم قدرتها على التوفيق بين دورها فى العمل او خارج المنزل وبين دورها داخل أسرتها خاصة ما يرتبط بهذا الدور من واجبات على الام أن تقوم بها لتنشئة أطفالهـا .

وبالرغم من وجود آراء كثيرة حول خروج المراة الى ميدان العمل وتأثيره ايجابا أو سلبا فى وظائفها الاسرية ، التى من بينها وظيفة التنشئة الاجتماعية ، الا أن بعض هذه الآراء كان بمثابة وجهات نظر تعبر عن

(*) ملخص رسالة ماجستير قدمت لكلية الاداب جامعة عين شمس اشراف الاستاذ الدكتور حسن الساعاتى .

(**) باحث بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية .

أصحابها ، وبعض ثان لجأ الى الاحصاءات الرسمية ليأخذ منها شواهد على ما يذهب اليه ، وبعض ثالث وأخير وهو أقلها هو الذى قام بدراسات علمية بعضها ذو علاقة مباشرة والاخر له علاقة غير مباشرة بموضوع الدراسة .

ومهما يكن أمر هذه الاراء والدراسات فهى فى جملتها تشير الى وجود اختلافات حول تقويم خروج المرأة الى ميدان العمل وأثره على البيئة الاجتماعية داخل الاسرة . فالبعض يرى أن له نتائج ميسرة وظيفيا والبعض الاخر يرى أن له نتائج معوقة وظيفيا .

واذا كان هذا الاختلاف حول دور المرأة وخروجها الى ميدان العمل وعلاقته بالتنشئة الاجتماعية يرتبط باختلاف النظريات التى وجهت البحوث، وكذلك اختلاف الدراسة والمجتمعات التى سحبت منها هذه العينات ، فهى فى نهاية الامر تقيم مبررا علميا لاختيار موضوع البحث بالشكل الوارد فى عنوانه ، بمعنى أن هذه الدراسة تحاول استجلاء هذا الخلاف من الناحية النظرية ، ويزداد هذا المبرر تدعيما اذا ما لاحظنا أن الدراسات والبحوث التى أجريت فى مجتمعنا حول هذا الموضوع كانت قليلة نسبيا وبعضها لم يتناول العلاقة بين خروج المرأة الى ميدان العمل والتنشئة الاجتماعية بطريقة مباشرة ، فعلى سبيل المثال وليس الحصر تذكر دراسة حامد عمار عن التنشئة الاجتماعية فى قرية (سلوا — أسوان) وهى دراسة أجريت حول انماط التنشئة الاجتماعية فى القرية المذكورة ، ودراسة نجيب اسكندر وآخرين عن الاتجاهات الوالدية فى تنشئة الطفل ، حقيقة أن الدراسة الاخيرة تعتبر هامة فيما يتعلق بموضوعنا هذا الا أنها لم تهتم بأثر خروج المرأة الى ميدان العمل على اتجاهات الوالدين فى بعض مواقف التنشئة ، وهذا التدعيم الاخير يبرز الاهمية المجتمعية لموضوع البحث ، وأما عن اختيار أسلوب التنشئة الاجتماعية بالذات فذلك لاهميته بين عمليات ومكونات التنشئة الاجتماعية ولانه يلعب دورا أساسيا فى تشكيل شخصية الفرد فى المستقبل ، ولانه نسبى يختلف باختلاف المجتمعات وباختلاف الثقافات الفرعية داخل المجتمع الواحد . هذا فضلا عن وجود ميل نحو ترشيد أساليب الحياة فى المجتمعات الحديثة ومن بينها أسلوب التنشئة الاجتماعية ، ولذلك فأن الاهتمام بدور المرأة فى التنشئة الاجتماعية أو أسلوبها فى التنشئة يعنى الاهتمام بنظام أساسى فى المجتمع وهو الاسرة التى تلعب المرأة فيه دورا هاما ، وبذلك يكون اختيار هذا الموضوع التقاء لتحقيق هدفين .

الهدف الاول : يتمثل فى محاولة الكشف عن امكانية اسهام علم الاجتماع فى فهم الظاهرة وتحليلها وتفسيرها .

الهدف الثانى : ويتمثل فى تحديد أساليب التنشئة الاجتماعية فى مجتمعنا المصرى مما قد يساعد على تقديم اقتراحات تؤدى الى رفع الكفاءة الادائية والوظيفية لدور الام فى هذه التنشئة .

ثانيا ــ أجزاء الدراسة :

قسمت الدراسة الى جزءين : الجزء الاول ويشمل الدراسة النظرية وعنوانه « الجوانب النظرية لعملية التنشئة الاجتماعية » ، والجزء الثانى ويشمل الدراسة الميدانية وعنوانه « أساليب التنشئة الاجتماعية لدى مجموعة من الامهات العاملات والامهات غير العاملات المتعلمات فى أسر قاهرية » وقد احتوى الجزء الاول على ثلاثة فصول : ــ

الفصل الاول : ــ وعنوانه « مفهوم التنشئة الاجتماعية » وفيه تناولت الدراسة نبذة موجزة لمفهوم التنشئة الاجتماعية فى علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعى .

الفصل الثانى : ــ وعنوانه « الاتجاهات النظرية فى دراسة التنشئة الاجتماعية » وفيه تناولت الدراسة أهم الاتجاهات النظرية فى علم الاجتماع المعاصر ، وفيه تناولت المادية التاريخية والبنائية الوظيفية وتناولهما لموضوع التنشئة الاجتماعية .

الفصل الثالث : ــ وعنوانه « تحليل عملية التنشئة الاجتماعية » وفيه تناولت الدراسة بعض العمليات الاجتماعية المرتبطة بالتنشئة ومواقف التنشئة ومراحلها وأساليبها ونظمها وأجهزتها الاجتماعية والعوامل التى تؤثر فيها . وأخيرا قدمت الدراسة بعض الاستخلاصات النظرية واطارا نظريا مقترحا لدراسة التنشئة الاجتماعية وتفسيرها وتحليلها ووضعها فى المجتمع .

أما الجزء الثانى من الدراسة فقد تضمن الدراسة الميدانية .

الهدف من الدراسة :

كان الهدف من الدراسة الميدانية هو التعرف على أساليب التنشئة الاجتماعية لدى مجموعة من الامهات العاملات والامهات غير العاملات المتعلمات فى أسر قاهرية بقصد الاجابة على الاسئلة التالية : ــ

١ ــ هل يصاحب خروج المرأة المتعلمة الى ميدان العمل اتجاهها نحو استخدام الاساليب الحديثة فى تنشئة أطفالها ؟

٢ ــ هل يؤثر خروج المراة المتعلمة الى ميدان العمل فى دورها فى تنشئة أطفالها ؟

٣ ــ هل تؤثر مهنة الام المتعلمة فى اسلوبها فى تنشئة أطفالها ؟

مجالات الدراسة :

أ ــ المجال البشرى : ــ

أجرى البحث على عينة من الامهات العاملات والامهات غير العاملات المتعلمات من أسر قاهرية ، وتم اختيارهن بطريقة عمدية مع ضبط مجموعتى الدراسة باستخدام المزاوجة أو التماثل الجماعى ، وذلك فيما يتعلق بمتغيرى الدخل والتعليم ووجود أطفال اقل من ست سنوات .

ب ــ المجال الزمنى : ــ

أجريت هذه الدراسة ابتداء من اغسطس ١٩٧٢ وانتهت فى أواخر سبتمبر ١٩٧٢ مع العلم بأن الفترة التى اجرى فيها قياس ثبات وصدق الاستمارة وصياغتها لا تدخل ضمن هذه الفترة .

منهج الدراسة : ــ

استخدمت الدراسة المنهج التجريبى القائم على المقارنة بين مجموعتين احداهما تجريبية (العاملات) والاخرى ضابطة (غير العاملات) .

وسيلة جمع البيانات : ــ

استخدمت الدراسة فى جمع البيانات استمارة بحث تم تطبيقها عن طريق اجراء مقابلات مع المبحوثات وتم تصميم بنود هذه الاستمارة بالاستناد الى التراث النظرى من جانب وأسئلة الدراسة التى تحاول الاجابة عليها من جانب آخر .

أهم نتائج الدراسة :

ــ جاءت الاجابة على السؤال الاول بالايجاب فى بعض المواقف وبالسلب فى مواقف التنشئة الاجتماعية ، بمعنى أن خروج المراة الى ميدان العمل كان له تأثير فى بعض مواقف التنشئة الاجتماعية ، فى حين أنه لم يتبين وجود مثل هذا التأثير فى جوانب أخرى . ومن الشواهد على ذلك على سبيل المثال أنه تبين وجود فروق جوهرية بين الامهات العاملات وغير العاملات فيما يتعلق بوسيلة النظام وكانت هذه الفروق دالة عند مستوى (١ ٠٠و) فى حين أنه لم توجد فروق بين المجموعتين فيما يتعلق باستجابة الام للطفل فى حالة مقاومته للفطام وسن الفطام .

ـ جاءت الاجابة على السؤال الثانى بالايجاب ، فخروج المراة الى ميدان العمل يؤثر فى واجباتها نحو أطفالها نتيجة لقيامها بواجبات ومهــام أخرى خارج منزلها ، وتغيبها عن الطفل . ومن الادلة على ذلك على سبيل المثال أن هناك فروقا دالة بين الامهات العاملات والامهات غير العاملات فيما يتعلق بالسن التى تبدأ فيها الام تقديم الطعام للطفل ومحاولة الام تعليم طفلها خلع الملابس وارتداءها ، والمواظبة على الحمام اليومى للطفل .

ـ تشير البيانات الخاصة بأساليب التنشئة الاجتماعية لدى الامهات العاملات وعلاقته بمهنة الام أنه لا توجد فروق جوهرية فى هذا الصدد يمكن ارجاعها الى نوع مهنة الام ، اى أنه ليس هنـــاك علاقة بين مهنـــة الام واستخدامها لاسلوب معين فى التنشئة ، مع وجود استثناء واحد فقط يتعلق باستجابة الام وأسلوبها فى حالة مشاجرة الطفل مع أبناء الجيران ، اذ تبين أن الامهات اللائى تعملن بالتدريس أكثر ميلا الى استخدام أسلوب التوفيق بين الطرفين ، وهذا بعكس بقية الامهات فى المهن الاخرى حيث كن اكثر ميلا الى منع الطفل من اللعب مع أبناء الجيران بجانب توعيته وتهديده .

19. Sidhom, Samiha, Emancipation of women in Egypt as a social movement, Unpublished thesis, in partial fulfillement for the degree of M.A. in social work, The American University at Cairo, 1964.

20. Soueif, M. I., Extreme response sets as a measure of intolerance of ambiguity, **Brit. J. Psychol.**, 1958, 49, 329-334.

21. Soueif, M. I., Response sets, neuroticism and extraversion : a factorial study, **Acta Psychol.**, 1965, 24, 29-40.

22. Soueif, M. I., Hashish consumption in Egypt, with special reference to psychosocial problems, **Bulletin on Narcotics**, 1967, 19/2, 1-12.

23. Soueif, M. I., **Behavioural sciences and us**, Cairo : Anglo-Egyptian Pr., 1969 (in Arabic).

24. Woodsmall, R.F. and Johnson, C., **The study of the role of women, their activities and organizations in Lebanon, Egypt, Iraq, Jordan and Syria**; New York : International Federation of Business and Professional Women, 1956.

attitudes, Unpublished M.A. thesis, Cairo University, 1957 (in Arabic).

9. El-Shafii, Abd-el-Monem Naser, Fertility in the educated woman, paper presented to the Cairo Conference on Problems of the Family in Egypt, sponsored by the Ministry of Social Affairs, 19-22 December 1964.

10. Eysenck, H. J., The structure of human personality, London : Methuen, 1960.

11. Fahmy, Somayya Ahmed, Children's problems faced by the working woman, paper presented to the Cairo Conference on Problems of the Family in Egypt, sponsored by the Ministry of Social Affairs, 19-22 December 1964.

12. Foa, U. G., Convergences in the analysis of the structure of interpersonal behaviour, Psychol. Rev., 1961, 68, 341-353.

13. Khalifa, E., Modern feminist movement in Egypt, Cairo : Modern Arabic Pr. 1973 (in Arabic).

14. Leary, T., Interpersonal diagnosis of personality, New York : Ronald, 1957.

15. Maccoby, E. E. and Maccoby, No., The interview : A tool of social science, Handbook of social psychology, G. Lindzey ed., Cambridge : Addison-Wesley, 1954, 449-487.

16. Riad, Amani, Volunteering for social work in feminist societies in Cairo, Unpublished dissertation, in partial fulfillment for the degree of B.A. in social work, The American University at Cairo, 1964.

17. Secord, P. F. and Backman, C. W., Social Psychology, New York: McGraw-Hill, 1974.

18. Sheatsley, P. B., The art of interviewing and a guide to interviewer selection and training, Research methods in social relations, vol. 2; M. Jahoda, M. Deutsch and S.W. Cook, eds., New York : Dryden Pr., 1951, 463-492.

PEFERENCES

1. Abd-el-Nabi, Kamal, "Women" in the writers' opinion, **Al-Akhbar,** May 27th. 1957. (in Arabic).

2. Amhed, Hasan Zaki, Work problems as faced by women, paper presented the Cairo Conference on Problems of the Family in Egypt, sponsored by the Ministry of Social Affairs, 19-22 December 1964.

3. Ali, Hussein Abd-el-Quader, Planning for nurseries, paper presented to the Cairo Conference on Problems of the Family in Egypt, Sponsored by the Ministry of Social Affairs, 19-22 December 1964.

4. Amin, Quasim, **The liberation of women,** Cairo : Dar-Al-Maaref, (first published 1900), (in Arabic). p. 190.

5. Anastasi, A., Psychological testing, London : Macmillan, 1968.

6. Breiquy, Hussein Awad, The legal position of women in the Egyptian family, paper presented to the Cairo Conference on Problems of the Family in Egypt, Sponsored by the Ministry of Social Affairs, 19-22 December 1964.

7. Committee for the Investigation of the Changing Role of Women in Egypt, **The changing role of women in contemporay Egypt : research in progress : Report I : A socio-historical introduction : Some data pertaining to the education, employment and socio-political activities of Egyptian women, with special reference to the period following World War I, 1919-1940).** Publications of the National Centre for Social and Criminological Research, Cairo : 1974 ; 216 pp., (in Arabic).

8. Diab, Fouad, Women achieving political rights : A study of social

It will be readily seen that the two interviewing schedules are satisfactorily reliable. In the schedule for working women 76% of the estimates reached 60 or above (with the median somewhere between 70 and 79). Among the non-working women 96% of the estimates attained that level. (with the median estimate somewhere between 80 and 90). The fact the non-working women gave more reliable answers than the working might be a function of the structural characteristics of those questions constructed specifirally for each group. This problem, however, will be dealt with in detail, in a future report. For the time being, we think that our interviews are quite dependable. As to the unreliable items they will be treated with due caution. The data collected by such items will, in some cases, be considered suggestive, and, more often than not, will be dropped completely. The full text of the interviews will be published shortly (in English) together with the estimated reliability of each item. Presumably, this will enable the reader to decide for himself.

in the schedule, the model being the administration of standardized tests in clinical psychology. No explanations or illustrations were to be volunteered. If the interviewee seemed out of reach at any point, e.g. seemed unable to understand the question, was absent minded or confused the examiner was required to pose the question again in a clear voice and articulate pronunication. This could be repeated once or twice. The examiner could skip the question altogether when convinced that the subject was hopeless about that particular item. It was always emphasized that a competent interviewer would be capable of following the rules of standarized interviewing without looking bookish or artifical. Another rule that was emphatically underlined was that responsse should be recorded while interviewing, either by coding in the case of closed questions, or by note-taking verbatim where the items were open ended. The Committee held regular meetings for the interviewers, every fortnight throughout the period interviewing was going on (which extended over approximately 18 months). In those meetings problems unexpectedly cropping up in the field work were discussed and settled.

II.b.2. The reliability of the interview

Retake reliability was considered quite suitble for our purposes. Retakes were made on 50 working women and 40 controls, over a period of 7 to 10 days. Table 4 provides information about retake reliabilities for both groups of women in the form of percentages of agreement between first and second administration of each item in respective interviews.

[illegible]	Working women	Non-working women
90 — 100	51	157
80 — 89	94	154
70 — 79	138	106
60 — 69	105	29
50 — 59	65	10
40 — 49	34	5
30 — 39	12	2
20 — 29	4	—
10 — 19	1	—
0 — 9	3	—
Total	507	463

Table 4 : Frequency distribution of estimated retake reliabilities (percentages of agreement between test and retest) of items included in the interviewing schedules.

The female interviewers were selected from among University graduates majoring in psychology, some of them had already obtained a Postgraduate Diploma in Applied Psychology. No psychometric tools were utilized in the process of selection. Desireable personal qualities were emphasized. Characteristics which counted were : adaptability, dependability (implying integrity and competence), friendliness, intelligence, good manners, dutifulness and resourcefullness (Soueif 1967; Sheatsly 1951). In supervising their work our basic policy consisted in combining two trends, viz. generous rewarding and firm sanctioning (presumably to enhance discriminative learning). We were quite aware of the fact that to educate an interviewer is a long and slow process. We also knew that part of the skill is acquired on the job. Our interviewers were invited to attend a few seminars during which the project as a whole was discussed with special emphasis on problems of methodology. Trainees were, also, made to observe some members of the Committee interviewing a number of subjects. Following each case comments were solicited and interviewers were encouraged to participate in discussing emerging problems. The third step was to ask each trainee to interview a number of working and non-working women, under the supervision of one or two members of the Committee and errors of administration were corrected on the spot. This stage completed to the satisfaction of the supervisory the interviewer was permitted to start collecting data for the project.

Whereas interviews were administered at the Centre throughout the pretesting stage it became increasingly obvious that it would not remain possible when we came to the main part of data gathering. In most of the cases the interviewers had to go to the subjects where they lived or had their jobs. The rule was that interviews were to be administered while the interviewee was all by herself, unlikely to be disturbed by the intruding (or overhearing) of other members of the household or working colleagues. One of the basic instructions was that the examiner should stick to the wording and sequence of the items as stated

3. Decisions about children's pocket money.
4. Decisions about children's clothes ?
5. Whose responsibility to look after the free-time activities of the elder male children.
6. Who looks after the free-time activities of the elder female children.

III.c. Regarding coming and going out of the home :

1. How much explicit permission is solicited from, or detailed information is presented to spouse (general).
2. How conflicting situations are met (general).
3. Concerning relatives.
4. Mingling with the other sex (fact and opinion).

III.d. Regarding personal concerns :

1. Choice of clothes.
2. Decisions about make-up.
3. Pocket money.
4. Problems relevant to wife's work.
5. Husband's attitude towards problems relevant to wife's work (fact and opinion).

Part IV : From constrained exposure to interpersonal interaction with a very limited number of persons, to free exposure to communication with unlimited number of people :

1. Topics of conversation with relatives and work colleagues ; family problems mentioned in such conversation.
2. Mere conversation or seeking practical advice.
3. Husband compared to other models.

Regarding the control schedule, 85% of the items included in the experimental schedule were simply reproduced in the control. Only 27 extra queries judged to be specifically suitable to the non-working woman were added to the control interview. Sequence and wording of the questions was the same in the two interviewing schedules.

tion we meant one with fixed alternatives for response plus one alternative inviting the respondent to add any residual point she thought should be mentioned.

Following are the main areas of inquiry covered by the experimental schedule :

Introductory remarks.

Personal data.

Part I : From all-time to part-time availability for house-work:

1. Work time schedule.
2. Work time schedule for the husband.
3. Place of work (town).
4. Place of husband's work (town).
5. Who looks after the children.
6. How the house-work is managed : household gadgets — is there a house maid — amount of help given by the husband and the children (fact and opinion).
7. Recreational time spent with the family.

Part II : From economic dependence to participation in financial responsibility :

1. Income and expenditure.
2. Pattern of carrying out financial responsibility : extent of participation (fact and opinion).
3. Decisions : about main budget — about emergencies — concerning personal matters — regarding expenses on recreational activities. (fact and opinion).

Part III : From a recipient to a partaker in decisions made to define permitted scope of movement :

III.a. General :

1. Decisions about main articles to be purchased.
2. Decisions about recreational activities.

III.b. In raising children :

1. Decisions about having children (fact and opinion).
2. Who looks after the children's school work ?

pense of validity or relevance of data. Experience in field research (Soueif 1967) and clinical psychology however, has taught us that such mutual exclusion is not necessarily the case. Maccoby and Maccoby, after discussing the various positions of those who recommend standarization and those who stand for the unstandardized interview make the following statement : "It is the feeling of the authors that the logic of research requires (at least in the final stages where measurement is attempted) that stimuli be standardized in one way or the other : objectively, or via equivalent meanings. Standardizing the objective stimulus should serve very well in most situations ; there is communality of meanings for most words among people speaking the same language. For most research... there would be little reason for attempting to go beyond the standarization of the objective stimulus (assuming, of course, that careful pretesting has weeded out most of the words which would have special meanings for any significant proportion of the population being studied)". (Maccoby and Maccoby 1954).

We decided to standardize the wording and the sequence of the questions. Another batch of subjects, representing a wide spectrum of literacy, were interviewed with the aim of finding out the form of phrasing and wording which would suit all our interviewees.

Two interviewing schedules, one for working married women (the experimental schedule) and another for non-working housewives (the control schedule), were thus constructed. Both were written in colloquial Arabic, using the kind of vocabulary and expressions most widely used in daily life situations. The experimental schedule included 495 questions comprising about one thousand elemental points. A very limited number of our items were kept open- ended, the majority were made closed (permitting respondents to choose between a predetermined number of alternative answers) or semi-closed. By a semi-closed ques-

"most people like to be interviewed and will usually agree without much persuasion" (Maccoby and Maccoby 1954), measures were taken to construct an interviewing schedule that would suit our purposes.

II.b.1 Construction of the interviewing schedules and training of the interviewers.

The method used by the Committee took account of available previous work to discover in its broadest outline the total universe of questions pertaining of the changing role of women as defined by psychologists (Diab 1957; Fahmy 1964), social workers (Riad 1964; Sidhom 1954), social scientists (Ahmed 1964 ; Ali 1964 ; El-Shafii 1964), legislators (Berequi 1964), high officials (Abd-el-Nabi 1957), Journalists (e.g. Fikri Abaza), writers (e.g. Taha Hussein) and representatives of the Egyptian feminist movement (i.e. Dorria Shafik and Aziza Hussein). The literature ranged from factually informative studies to sheer subjective statements of opinion or belief. A good number of items were extracted from this material. Our next step consisted in inviting some ten working married women, and about ten house-wives to the Centre where they were interviewed in a variety of ways. Our approach at this stage was rather unstructured, the questions were administered in an open-ended form and respondents were encouraged to comment at length and suggested new points for investigation if they had any. More than 400 points of query were thus formulated.

Since we were planning for a large scale study requiring the employment of several interviewers, we though it would be wise to use a standardized interview. Comparability of information from case to case should be minimum requirement for big surveys. No generalization can be drawn justifiably without providing for such comparability. Nor would there be any way to estimate the reliability of obtained information. It is, sometimes, maintained that standardization is usually achieved at the ex-

to provide a basis of self-image for the incumbent and a basis for the image that his role others will have for him." (Ibid., p. 525). For deeper understanding of the social psychology of women playing their roles in modern society, light has to be shed on the way they perceive themselves and are perceived by the "significant" others.

In this paper we will report on the method of research we utilized in carrying out part I of the project concerned with the changing role of women as shown in their family life.

II.b. Decisions about collecting data :

In choosing the interview as the method for data collection, we took into account fact that 87.7% of our population of women were illiterate (Committee, Report I, 1974)+. Though this is enough reason to justify the decision we made, other considerations are, still, worth mentioning. Even if our prospective subjects were all educated we would have opted still for the interview, in spite of the fact that it is much more expensive and time consuming than, say, questionnaires. In a society where close human relationships are highly evaluated, questionnaires seem so impersonal that a good number of the population would not cooperate. A typical situation that would result in maximum non-cooperation arises when questionnaires are sent by mail. More than 80% would not respond, compared with the usual 30% to 40% expected by a Western student. Even administering questionnaires in a group testing session would not improve the situation much. A sizeable number of respondents would answer carelessly, dropping a few questions here and there or giving answers that are obviously absurd or mutually contradictory. This is particularly the case with subjects other than school and university students. For those reasons, over and above the known merits of the interview, least of which is the simple fact that

+. In 1961 the percentage of illiterates among female industrial workers was estimated at 82.4.

aspects of the work situation. Examples of such problems are : worry about kids left at home, pregnancy, and some marital conflicts triggered by or relevant to the woman's work conditions.

The changing role as reflected in the area of personality structure may be investigated with reference to traits, attitudes and self-image. Some generalized temperamenta lrtaits seem promising in shedding meaningful light on the psychology of the emancipated woman. Emotionality, extraversion-introversion, level of aspiration and the tendency towards extremeness of response are such traits (Eysenck 1960; Soueif 1958; 1965). Interpersonal dimensions said to account for -most of the individuals' conduct in problem solving groups also seem promising. Two such characteristics have been identified : "Dominance-submission" or interest in production, and "Love-hostility" or interest in people (Foa, 1961; Leary 1957, p. 65). The study of values and attitudes also seems worthwhile. It is hoped that an inquiry into the prevailing profile or profiles of basic attitudes (e.g. as defined by Allport, Vernon and Lindzey; Anastas i1969, p. 488 and 649) would reveal significant constellations of value judgements or types of attitudinal organization to be correlated with the changing postiion of women. And lastly the woman's image, as seen by herself and by others, will be considered for investigation. The interaction between one's image and one's role has been aptly described and documented by various investigators (Secord and Backman, 1974, p. 527). Goffman delineates the interaction as follows : "It is important to note that in performing a role the individual must see to it that the impressions of him that are conveyed in the situation are compatible with role-appropriate personal qualtiies effectively imputed to him : a judge is supposed to be deliberate and sober; a pilots, in a cockpit, to be cool ; a boohkeeper to be accurate and neat in doing his work. These personal qualities effectviely imputed and effectively claimed, combine with a position's title, when there is one,

ascribed to such axes or vectors. No such thing as a mystical sense of historical direction is presupposed. Nor did we intend to treat such vectors as if they were intrinsically unidimensional.

II.a. Education, employment and participation in socio-political activities were regarded as the main independent variables which accelerated the rate of change in the role of women. We defined our point of interest as the social psychology of the changing role as played by women in their interactions within various life situations. We decided that from that point of view the nature and significance of such change might be fruitfully studied with reference to three main areas of interaction : (a) family life, (b) work situation and (c) personality structure.

As to the dynamics of family life the course of changes was expected to be adequately assessed along four main dimensions:

(a) From economic dependence to participation in financial responsibilities.

(b) From all time to part-time availability for house-work.

(c) From a recipient of to a partaker in decisions made to define permitted scope of movement.

(d) From constrained exposure to interpersonal interaction with a very limited (and predetermined) number of persons (a state symbolized by tye veil and actualized through segregation) to free exposure to communication with an unlimited number of people.

Regarding the work situation, we thought it would be rewarding to study the progression of change as manifested in the following areas of interaction :

(a) The working woman as a colleague (to males and females).

(b) The working woman as a superior (to males and females).

(c) The working woman as a junior colleague (to males and females).

(d) The working woman as a penetrable system (or gatekeeper) through which home-problems leak into and affect various

response sand estimated interclassifier agreement was found to be satisfactory. (average rho = 0.80). Following are the categories utilized, presented in descending order according to frequency of answers classified under each :

1. Problems concerned with the changing position of women.
2. Problems of family life.
3. Cultural problems.
4. Political problems.
5. Problems of morality.
6. Religious concerns.
7. Questions touching on public service.
8. Problems of recreational activities.
9. General social problems.
10. Economic problems.
11. Personal problems.

To be sure our group of respondents cannot be described as representative of the Egyptian population at large. For the present author, however, such a result served as a good pointer to the fact that the "Changing position of women" was a salient matter of concern to a broad sector of the population. It was, therefore, chosen for investigation. A committee was set up in April 1965 to carry out the inquiry under the chairmanship of the author.

II. PLAN OF RESEARCH

Although this is a fact-finding survey, (exploratory in nature), a preliminary theoretical analysis was deemed necessary for the orientation of our empirical endeavour. Without structuring the field the data we were going to collect was bound to be meaningless pieces of a massive jigsaw puzzle. Consequently a working conceptual framework was figured out with the intention of defining some hypothetical axes that would serve as guide-lines to direct our field work. No residual connotation is

flicts, their prevailing pattern and precipitating factors.

I.b. The foundation of the National Centre for Social and criminological research :

In 1955 the National Institute for Criminological Research was founded in the city of Cairo. And in 1959 the Institute became the National Centre for Social and Criminological Research+. The reason for the change was stated as follows : ... rapid progress in education, modernization and industrialization is going on all over the country. Such progress is expected to generate a number of social changes that will have far reaching effects on the pattern of life led by the Egyptian people. The Centre would provide for applied research to supply policy makers with advice based on a scientific view of the social reality * (Soueif, 1969, p. 62 ; Khailfa, 1964, p. 101). During fifteen years the National Centre has sponsored and financed a good number of large and small scale studies+. Within this framework it was only natural that the changing role of women would be welcomed as a topic for a large scale project of research.

I.c. How the present work came to be carried out :

Early in 1965, in response to an invitation by the Centre to study, under its sponsorship and financial support, any social problem he would consider significant, the present writer administered the following open-ended question to some 250 University students : **Supposing a social scientist was willing to carry out a scientific inquiry into one of the long standing problems around; would you suggest three such problems you consider important. The problems should be presented in a descending order of importance.** Adequate categories of classification were developed and definitions for such categories were formulated. Each one of four research workers independently classified the

* Act 211 passed in 1959 by the Egyptian Government.

+ The Centre has also set up courses for the training of Egyptian and Arab research workers and personnel involved in various fields of service.

Four years later the curriculum was added to, including, among other topics, education and ethics, history of ancient Egypt, history of modern Egypt, famous women in history, health education, interior decoration and marriage and marital adjustment. (Committee, Report I, p. 49). In 1919 women participated actively in a wide variety of political activities which took place during the National Revolution (Ibid., p. 178). In 1927 women began to work in the textile factories in Mahalla-el-Kubra (Khalifa, 1973, p. 132). And in the early thirties women began to graduate from the University and work as professionals (Committee, Report I, p. 49).

The flow of such events went on concurrently with other social changes that had diverse effects on various aspects of life in the country. Of particular importance is the steady increase in the volume of urbanisation, the positively accelerated march of modernization (by which is meant contact with the West) and the steady increase of the cost of living. Gradually the working woman became more welcome as a wife, a daughter, a sister... etc. These changes entailed tremendous change in the positions women occupy in relation to the male members of the family : husbands, fathers and/or brothers. Caught between the old pattern of interpersonal interaction with its grip consolidated by custom and tradition, and the emerging one with its insistence through the urging need for adequate adjustment the family unit has become exceedingly vulnerable for all sorts of conflict. The following remark by Woodsmall and Johnson is pertinent : "Social changes in home and family life... raise problems of personal readjustment that are of concern to many thoughtful Egyptian leaders of both sexes. Many young people are now caught in a conflict between generations and between different cultural patterns... These conflicts arise in such daily matters as choice of work, travel, mixed social activities and religious belief and practive" (Woodsmall and Johnson 1956). The need was frequently expressed for a psycho-social study of such con-

sidered a recent change as one observes the flow of life characteristic of any great metropolis...". Indeed the shedding of the veil, which dates back to about the year 1919, when the National Revolution for independence flared up and the first demonstration of women walked out in the streets of Cairo, was just one of those historical incidents which mark the end of a certain stage of development and the opening of a new era. It might not be out of place to identify some of those events which led to the emergence of the role of women as it is, actually, lived through.

Towards the end of the 19th century events entailing far-reaching social changes in the role of women were taking place. Primary education for girls had started as early as 1873. In the following few years it went through a number of modifications, to be crowned in 1900 by permitting school girls to obtain a government-acknowledged certificate for the completion of primary education. (Committee, Report I, p. 21). In 1892 Hind Nofal, a woman writer, published the first women's magazine **Woman (al-Fatah).** It published stories of European women writers, scientists, poets ... etc, besides articles by enlightened women from Egypt and some Arab countries. A number of other women's magazines followed in the next few years (Khalifa, 1973, p. 36). In 1900 Quassim Amin, an Egyptian writer who studied law in Paris, pub,lished his book **"The emancipation of women"**, which was considered, by some historians, as a manifesto for the feminist movement. In that book Amin defended the right of women to education and participation in social activities and attacked the veil, prearranged marriages, polygamy and males' prerogative of divorce. (Amin, 1900). In 1903 the first group of women to obtain a teaching Diploma graduated from Sanya teacher training school, in Cairo. In 1908 the first secular University was established and women were encouraged to attend (as auditors) lectures, to be delivered with a women's section, on psychology, eithics, education and some medical topics.

Years	Men	Women	Total	% of women to total
1956	5635012	62455	5697467	1
1957	5951721	67439	9010160	1
1958	5869848	350495	6220343	6
1959	5745566	360831	6106397	6
1960	5808119	355631	6163750	6
1961	6314507	388425	6702932	6
1962	7193134	485531	8378665	6
1963	6201970	528219	6254181	8
1964	7752462	660274	8412736	8
1965	6358889	696675	7055564	10
1966	6596532	726980	7323512	10
1967	6425938	792737	7218675	11
1968	6627774	822704	7450478	11
1969	6602202	803959	7406161	11
1970	6858584	811766	7670350	11
1971	7171785	907382	8079167	11
1972	7330021	956195	8286126	12

Table 3 : Men and women registered voters from 1956 to 1972.

(a) a brief summary of those historical events which gave impetus to the mentioned change, (b) how the present project came to be thought of, (c) out-line of the plan of research and (d) the procedural steps undertaken in carrying out stage I of the plan. Other reports will follow, their aim being to release information on the outcome of analyses of data belonging to this same stage.

I.a. An historical perspective :

In their brief report Wood small and Johnson (1956) stated the following : "The main landmark of advance in the position of women has been passed in Cairo and practically forgotten — the shedding of the veil and of the segregation that it symbolized — and a new pattern of living has been accepted. Today, in Cairo, it is difficult to recognize the signs of what may be con-

Years	Primary schools		Secondary schools		The Universities	
	Number of girls	%	Number of girls	%	Number of girls	%
1920	21747	24.5	28	.85	—	—
1930	109715	29	928	5.87	16	.14
1940	277490	35	2503	6.29	431	4.5
1950	368801	38	14521	12.26	1824	5.4
1960	997266	38	28744	21.00	12294	15.95
1970	1422262	38	95076	32.00	60923	21.24

Table 1 : Number of girls at various stages of education (from 1920 to 1970), and percentages of girls to the total number of students.

Years	Female labourers		Female office workers and professionals		Total	
	Number	Average wage per week+	Number	Average wage per week	Number	Average wage per week
1957	20349	126	8909	428	29258	217
1958	22224	124	9814	425	32038	216
1959	22166	123	10222	434	32388	220
1960	21617	132	10771	446	32388	236
1961	26344	132	12943	437	39287	232
1962	29011	128	14073	444	43084	231
1963	31061	169	17169	479	48230	279
1964	33743	190	19332	507	53075	305
1965	35088	196	24280	519	59368	329
1967	33865	230	29466	519	63331	365

+ Average wages in Egyptian pounds.

Table 2 : Number of working women and their average wages per week from 1957 to 1967 (in business employing 10 or more workers).

THE CHANGING ROLE OF WOMEN IN CONTEMPORARY EGYPT : DESIGN FOR A FACT FINDING SURVEY

Directed by

M. I SOUEIF

Cyairman, psychol. Dept, Faculty of Arts, Cairo University.

With the assistance of

M. FARGHALY FARRAG & ABDEL - HALIM M. EL-SAYYED

Psychol. Dept., Cairo University

NAHID RAMZY

National Centre for Soc. & Crimin. Research, Cairo.

I. INTRODUCTION*

This is the second of a series of reports on the study of the changing role of women in modern Egypt, conducted at the National Centre for Social and Criminological Research (Cairo) since April 1965. The first report presented a socio-historical analysis of data pertaining to the education, employment and socio-political activities of Egyptian women, with special reference to the period following World War I. (Committee, Report, I, 1974). The analysis was intended to offer a background information as to the size and direction of change involving those three main areas taken as important determinants in shaping the role of women. Tables 1, 2 and 3 provide relevant information. (Ibid; pp. 57, 128 and 207). The present paper attempts to present the following :

* Dr. Safwat E. Farag, at the Psychol. Dept., Cairo University, is responsible for data processing and computation.

THE NATIONAL REVIEW OF SOCIAL SCIENCES

Vol. 12 September 1975 No. 2 & 3

CONTENTS

THE NATIONAL CENTER FOR SOCIAL AND CRIMINOLOGICAL RESEARCH

Chairman of the Board of Directors
Prof. Dr. AHMAD M. KHALIFA

THE NATIONAL REVIEW OF SOCIAL SCIENCES
The National Center for Social and Criminological Research
Gezira P.O., Cairo, Egypt

Editor-in-Chief
Prof. Dr. Ahmad M. Khalifa

Assistant Editor
Dr. Nahed Saleh

Editorial Secretary
Mohamed Howaidy

Publications Committee:
Dr. Sayed Oweis, Dr. Adel Azer, Dr. Nahed Saleh, Dr. Noha Fahmy, Mr. Essam El-Meligui, Mr. Mohamed Howaidi.

Price Per Issue	Issued Three Times Yearly	Annual Subscription
U.S. $ 1.50	January — May — September	U.S. $ 4.00

THE NATIONAL REVIEW OF SOCIAL SCIENCES

SPECIAL ISSUE
ON
WOMEN

Issued by
The National Center for
Social and Criminological Research,
Egypt



No. 2 & 3 September 1975 Vol. 12


Bibliotheca Alexandrina
0535517